

محمود محمد العلي

الإمام علي  
جدل الحقيقة والمسلمين  
( الوصية... الشورى )



مؤسسة بحسون  
للنشر والتوزيع



[www.haydarya.com](http://www.haydarya.com)



# الإمام علي

جدل الحقيقة والمسلمين  
(الوصية... الثورة)



محمود محمد العلي

# الإمام علي

## جدل الحقيقة والمسلمين

( الوصية ... الشورى )



مؤسسة بحسون  
للنشر والتوزيع  
بيروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

بيروت

٢٠٠٠ م - ١٤٢٠/٢١ هـ



© مؤسسة بحسون

للنشر والتوزيع

منشورات بحسون الثقافية - مدار المال

سجل تجاري 10954 - بولفار سليم سلام

بناية سوق الروشة الشعبي - الطابق الثالث

تلفاكس: 659166 - (01) - 305623

ص.ب: 11 / 8505 - بيروت - لبنان



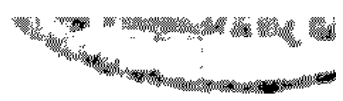
# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥ و٥٦].

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣].

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ [سورة الإنسان، الآية: ٨ و٩].





16

الإهداء

إلى كل من يسعى وراء الحقيقة  
ليصل في نهاية المطاف إلى الحق....!!

محمود العلي



## المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، على نعمه كلها.. وعلى هدايته لنا..  
والحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره.. والصلاة والسلام على رسوله  
الكريم الصفي... وأمينه الرضي.. وعلى آل بيته وعترته الطاهرة المطهرة...  
وعلى أصحابه المتقين.. أجمعين.. إلى يوم الدين...  
(محمد) ﷺ ذلك الإنسان العظيم... خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين..  
خيرة الله من خلقه.. حبيبه وصفيه، وأمينه.. وربيه...  
تلك الشخصية الفذة التي لا يمكن لأي من عظماء البشر الرقي إلى مصافها  
وعظمتها.. ولا حتى محاولة المقارنة بها.. ابتداء من بدء الحياة في هذا الكون،  
إلى ما ينتهي إليه...  
الصادق الأمين، الذي جاء لخير البشرية جمعاء، دون تخصيص فتوي..  
دون حصر بجماعة محدودة، أو مجتمع معين..  
ذلك العظيم الذي قال.. وقوله صدق.. وفي قوله نفحات سماوية..  
وسمات ربانية... قال «ص»: «خير الناس من نفع الناس»!!!  
نعم كل الناس.. لأنه أرادها مطلقة لكل الناس..  
لم يقل خير الناس من نفع المسلمين فقط!!!.. أراد عليه الصلاة والسلام

النفع والخير للناس عامة دون استثناء لدين أو لقومية، أو لعرق . .

أراد الخير لكل البشر على اختلاف معتقداتهم ومللهم ودياناتهم . . كيف لا، وهو رسول الإنسانية . . رسول المحبة . . رسول السلام . . رسول الله لكل خلق الله . . هذا العظيم الذي استمد عظمته من عظمة الله سبحانه وتعالى . . الذي علمه وأدبه . . فأحسن تأديبه، وأجاد تعليمه . . حتى كان حقاً ربيياً لِيُوحِيه . .

هذا الإنسان الذي لم ينبج كوكبنا هذا نظيراً له . . ولا مثيلاً لإنسانيته . . ولا قريناً لخلقه . . حتى خاطبه خالقه قائلاً:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم، الآية: ٤] . . وتلك شهادة ما بعدها شهادة . . . لم يقلها سبحانه وتعالى لأي نبي من أنبيائه ورسوله الكرام . . لم يخاطب بها أو بمعناها . . إلا خاتم أنبيائه . . محمد بن عبد الله . . حبيبه وصفيه . . ومُبلغ آخر رسالاته وأتمها . .

هذا العظيم . . الذي قال له العظيم ذلك القول الكريم . . . كيف يمكن لأي أديب أو فقيه، مهما بلغ في تعمقه لأدبه . . ومهما توسع في فقهه، أن يكون دقيقاً في وصفه . . أو يصل إلى أغوار بعض من حقيقته . . أو يرسم بعضاً من جوانب شخصيته! كيف يستطيع ذاك الأديب الفذ . . أو هذا الفقيه المتعمق . . أو ذلك المؤرخ المتوسع . .

أن ينقل معالم إنسانيته على حقيقتها . . أو يخوض غور معرفته وعلمه حتى يصل إلى حقيقتها!!

أقول . . لا يمكن إعطاء هذا العظيم حقه، بما هو فيه من شأن عظيم، مهما كتبنا عنه، عما يتحلى به من روائع الصفات . . وما يتصف به من معجزات السمات . .

ذلك العظيم الخالد في القلوب المؤمنة . . وبالأنفس التقية . . وفي الأرواح الطاهرة النقية . .

ومعذرة لتكراري لصفة (العظيم) بين سطور هذا الكتاب، لأنني لا أستطيع أن أصف ذلك العظيم إلا بمحمد العظيم ﷺ، لأن خالقه وصف أخلاقه بالعظمة . .

لقد أردت أن أتجاوز قدرتي لأبدأ محاولة من محاولاتي التي قد يساعدني بها قدرتي . . حتى أستطيع ولو بعض الشيء في سطر سطور أسردُ فيها جوانب ولو بسيطة من شخصية الرسول الأعظم ﷺ .

أقول جوانب لأنني أعجز تمام العجز عن تغطية شخصيته تغطية كاملة في كتاب . . أو في مجلدات، كما عجز مَنْ حاول قبلي . . في كل كتاباتهم، وكتبهم عنه!!

ولكن! . . سوف أشارك مَنْ كتب، ووصف، وبحث، ورسم معالم من شخصية ذلك الرجل . . وأنا عالم كل العلم بأنني سوف أكون أحد العاجزين في إعطاء الروح النابضة . . الدقيقة للكلمات الواصفة، والباحثة لبعض من جوانب تلك الشخصية . . شخصية محمد ﷺ ريب الوحي . . وخاتم الأنبياء . .

ولكن! . . مرة أخرى! . . أرى عليّ لزاماً أن أقف عند حديثه الشريف القائل:

«أنا مدينة العلم، وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها» .

إذا . . هذه المدينة الواسعة من العلم . . لا يمكن الدخول إلى أغوارها، ما لم نأتها من بابها . . حيث نمر عليها، لا مرور مارٍ، أو مستطرقٍ عابر . . بل دارس بتوسع لما أتاها الله سبحانه وتعالى، من علم، ومن فضل، وكرامات ومكرمات . .

الإمام علي بن أبي طالب (ع) . . . باب مدينة العلم . . بل باب العلم الذي علّمه ربه عزَّ وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ . الذي قال وهو عز من قائل:

«ولا تدخلوا البيوت إلا من أبوابها» . .

لذا أصبح علينا لزاماً أن نبدأ بدراسة شخصية الإمام علي . . الذي كان أعلم الناس بعد الرسول ﷺ . . حتى تكون دراستنا هذه، مقدمة أو مدخلاً لدراسة وبحث شخصية أستاذه ومعلمه ومربيه، والمتعلم منه ما علمه رب العالمين . . سبحانه وتعالى . .

الإمام علي كرم الله وجهه . . سيكون موضوع بحثنا على صفحات هذا

الكتاب .. نستعرض الجوانب المشرقة .. (وكل جوانبه مشرقة) من حياة هذا  
الإنسان العظيم ... نعم العظيم أيضاً .. الذي استمد عظمته من عظمة شخصية  
ذلك العظيم ... معلمه .. وأستاذه .. ومربيه .. أخيه ورفيقه .. رسول  
الإنسانية .. محمد ﷺ ...

سيرة الإمام علي كرم الله وجهه، حافلة بما اتصفت به من صفات قريبة إلى  
الخوارق ..

الخوارق التي لم يتصف بها أي صحابي من صحابة رسول الله ﷺ ..

فالشجاعة ... والفروسية .. والدفاع عن العدل، والحق .. والحرية ..  
وكرامة الإنسان وإنسانيته ..

الإيمان .. والتقوى .. العلم والمعرفة ... الجهاد في سبيل رفع راية  
الإسلام وولائه الوثيق له، وسبقه إليه قبل غيره من رجال المسلمين ..

الإمام علي .. كان سابق المسلمين .. (سابق المسلمين) ... لقب لا  
يستحقه لمجرد سبقه إلى الإسلام .. فعلي هو الذي علّم الناس فيما بعد، إنه :

ليس الطريق لمن سبق .. بل لمن صدّق .. إنما يستحقه لأنه حاز كلتا  
الحسنيين .. السبق ... والصدق ..

وحين نتتبع مظاهر إسلامه نرى عجباً .. وحين نستقبل شمائل إيمانه،  
نستقبل روضات يانعات تتألق فيهن ... ويشملنا عيبرها، وطهرها ... وتقها ..

وعلي بن أبي طالب في إسلامه، نموذج عظيم مكتمل الشكل والجوهر ..

حمل إسلامه بين جنبيه .. وتحت ضلوعه .. وفي أعماق روحه ...

ومضى يستصغر شأن الدنيا بكل فنونها وزينتها ... وكلما تراءت له مباحجها  
صدها بعبارته المأثورة :

«يا دنيا إليك عني .. يا دنيا، عُري غيري ...»<sup>(١)</sup>

(١) خلفاء الرسول - خالد محمد خالد ص ٣٦٢ - ٣٦٣ - دار الجيل - بيروت .

كفاك أيها المؤمن الجليل... كفاك ما قاله عنك معلمك محمد ﷺ،  
مختصراً، فيما قال عن بعض صفاتك :

«لأعطين غداً رأيتي إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله،  
كرّار ليس فرّار، امتحن الله قلبه للإيمان».

هنيئاً لك... يا بن أبي طالب على تلك التزكية... وعلى هذا الوصف الذي  
لم يصف رسول الله ﷺ أحداً من أصحابه دون استثناء، بجزء من هذا الوصف  
الشامل... الدقيق... البديع... فأني رجل غير علي بن أبي طالب... يحبه الله  
ورسوله... و... وامتحن الله قلبه للإيمان!!!

.. ولندع تقييم رسول الله ﷺ له... لنُعرج على ما قاله فيه عدوه اللدود...  
عدوه في كل شيء!! عدوه في المبدأ... والإيمان... عدوه في التقوى...  
والفقه والعلم والمعرفة والفداء لمبادئ الدين الحنيف... إنه (معاوية بن أبي  
سفيان) الذي قال عن الإمام، لما بلغه نبأ استشهاده:

(ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب...!!!)

قال له النبي ﷺ يوماً:

«يا علي إنك أول من يقرع باب الجنة، فتدخلها بغير حساب  
بعدي...».

وقالت عنه أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق (رض):

(... أما إنه لأعلم الناس بالسنة...).

كما قال عنه ابنه الحسن بن علي بن أبي طالب بعد أن قُتِلَ أبوه:

(... قتلتكم بالأمس رجلاً ما سبقه الأولون... ولا يدركه الآخرون...).

﴿إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَرُؤُوتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [سورة المائدة،  
الآيتان: ٥٥ و٥٦].

تلك آية من جملة الآيات الكثيرة التي نزلت في حق الإمام علي كرم الله



وجهه، حيث ذكره الله عز وجل فيها... صدق الله العظيم... وصدق رسوله  
الكريم...

أما الإمام علي نفسه، ماذا قال عن نفسه خاصة، وعن آل بيت رسول الله  
عامة!! قال:

«... وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيماء  
الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار. عمار الليل ومناز النهار.  
متمسكون بحبل القرآن. يحيون سنن الله وسنن رسوله.. لا  
يستكبرون ولا يعلون ولا يعلون (بخونون) ولا يفسدون. قلوبهم في  
الجنان، وأجسادهم في العمل...»<sup>(١)</sup>.

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.. ربيب الرسول ﷺ... وتلميذه...  
يستحق منا نحن المسلمين كل المسلمين بالغ الإعجاب بشخصيته النادرة...  
وواجب التعرف إلى سيرته وعلى بعض من فضائله وخصائصه.. ومكانته في  
الإسلام.. ودوره في نشر راية دين محمد ﷺ...

ذلك الرجل الفذ الذي كثرت فضائله.. وتعددت خصائصه.. حتى عجز  
الرواة عن إحصائها... وذكر تعدادها...

لذا سيكون في كتابنا هذا عرض لما نستطيع عرضه عن سيرة حياته، وتربيته  
ومواقفه التي شهدت له الأعداء... وكذلك كفاحه.. وتضحيته.. من أجل  
الحفاظ على مبادئ الحق والحرية والإيمان.. وكرامة الإنسان...

أقول عرض موجز... يمكن أن أعتبره بحث أو دراسة مختصرة لا أتوسع  
فيها.. لأنني لا أدعي تمام العلم عن علمه، وفلسفته.. وكل مكارم أخلاقه..  
وجليل مبادئه..

بل أسجل له بين سطور كتابي هذا، ما وُفقتُ لجمعه من مصادر مختلفة،  
ومؤلفات عدة، لا سيما الكثيرة منها لكتاب أجلاء من أهل السنة.. وحاولت أن

(١) نهج البلاغة - محمد عبده - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ج ٢ ص ١٥٩.

أتجنب قدر الإمكان مصادر وكتب أهل الشيعة الذين عرفوا بموالاتهم له بصورة خاصة . . بالرغم من وجود مصادر قيمة و ثمينة لهم عن موضوع كتابنا هذا!!

أردت التحقق من الحقيقة المجردة . . . التي لا انحياز فيها ولا تطرف . . الحقيقة التي لا مبالغة فيها . . . يعقلها العقل . . . ويقبلها الفكر، ضمن إطار الأحداث التاريخية التي أجمع عليها الرواة والمؤرخون والمتحدثون على اختلاف مذاهبهم، وشتات مشاربهم من العلم والمعرفة . . حتى نوفق في ذكر ما يستحق ذكره ذلك الإنسان الخالد في وجدان التاريخ . . .

سأنقل بين سطور هذا الكتاب آراء الكتاب والمفكرين الذين بحثوا بعمق وصراحة عن شخصية الإمام علي وبخاصة الأحاديث المجمعون عليها . . ولو على وجه التقريب . . . وسوف أكثر من نقل ما نقله لنا كتاب (نهج البلاغة) من أقوال الإمام، واستشهد بها . . . حتى تكون أقواله التي وردت في النهج من أهم المصادر التي نعتمد عليها، وخير مرجع نستند إليه . .

وهذا الكتاب أردت منه أن يكون للناس أو القراء المتعلمين حديثاً . . أكثر من أن يكون لغيرهم من المثقفين ثقافة عالية . . . لأن هؤلاء لن ينتفعوا بموضوعاته لأنهم أكثر علماً وأوسع إماماً عما جاء فيه . . . ولو أنني أكتب لكل القراء دونما أي تمييز . . .

لذلك اعتمدت أن يكون أسلوبه سهلاً . . لم أستعمل فيه العبارات اللغوية البليغة، ولا الطريقة الصعبة في التعبير . . . حتى يقرأه الشباب قبل الكبار . . وأخاطب به المبتدئين بالثقافة والمطالعة والمعرفة . . .

ومعذرة إن لم أوفق في إعطاء ما يستحقه هذا الإمام الجليل . .

ومعذرة مرة أخرى، إن ورد سهو فيه، أو خطأ بين كلماته وسطوره . .

وأنا لا أدعي لكتابي هذا الكمال، وقد سبقني إلى مواضيعه أجلّ الأساتذة، وأوسعهم ثقافة وعلماً . . . ولكنني اعتمدت فيه مناقشة الأحداث الموضوعية التي صاحبت الوقائع التاريخية . . . وآخر معذرة ألتمسها من القارئ الكريم، إن وجد في بعض الأحداث والوقائع، تكراراً لبعض الأحاديث المستشهد بها . . ذلك

اضطرار للاستشهاد بها مرة أخرى... حتى يأخذ الموضوع تسلسله وإسناده.. .  
وحتى يكون إكمالاً له دون أن يكون تكراراً له. لقد اضطررت إلى جعل بعض  
المواضيع مجزأة إلى جزأين، الأول منها سرداً للوقائع التاريخية، والثاني إثباتاً  
لأدلة موضوعية ومنهجية.

.. لم أقصد من هذا الكتاب سوى أن يكون مساهمة مني بالتعريف بمبادئ  
إنسانية رفيعة خالدة.. . وقيم قيمة.. . كان يؤمن بها الإمام علي من خلال التعاليم  
الإسلامية.. . وقد اخترت هذا الموضوع بالذات، بعد أن وجدت هناك فترة طال  
أمدها لم أجد فيها بين الكتب الحديثة التأليف، كتاباً أعاد سرد ذلك التاريخ الجليل  
من صفحات الإمام علي إلا النزر اليسير من المؤلفات.. . خاصة ونحن نقرب من  
إسدال الستار على القرن العشرين.. .

وقد يكون كتابي هذا آخر كتاب عنه في هذا القرن!!!

وفي اعتقادي.. . إن تلك الشخصية التاريخية الفذة، يجب أن تتواصل  
المؤلفات عنها حيناً بعد آخر، حتى تنتشر من خلالها المفاهيم الإسلامية ومبادئها  
للقرءاء الجدد من الشباب بخاصة.. .

وفي هذا الكتاب سأستعرض الخصال والمبادئ، والقيم الإسلامية التي  
آمن بها الإمام علي كرم الله وجهه، وهي صورة صادقة عن المبادئ التي جاء بها  
أستاذه العظيم.. . محمد الصادق الأمين ﷺ الذي علمه كل ما تعلمه من ربه.. .  
حتى أصبح له ربيباً.. .

نعم هو، ربيبٌ لربيب الوحي.. . وهو سابق المسلمين.. . كل المسلمين في  
كل سبق.. .

والله من وراء القصد.. . والحمد لله على أوله وعلى آخره.. .

محمود العلي

لندن في ٧/١/١٩٩٩

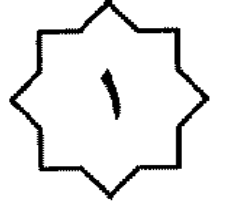
## الفصل الأول

# في حُجْرِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ

- ١- مولده... ووالده.
- ٢- نشأته... وصباه.
- ٣- كناه... وألقابه.
- ٤- الفتى الذي لا فتى غيره.
- ٥- وداعاً يا روابي مكة.



## مولده... ووالداه



قال الإمام علي في خطبة له تسمى (القاصعة):

منها: «... وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا ولدٌ يضمني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده ويضمني عرقه.

وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه. وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل. . . ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه.

يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاعتداء به.

ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري.

ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما.

أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ریح النبوة...»<sup>(١)</sup>.

بعد وفاة عبد المطلب جد النبي ﷺ لأبيه الذي كان قد كفله بعد أن أصبح يتيماً فاقد الأبوين..

أصبح لزاماً على عمه أبي طالب بن عبد المطلب أن يحل محل أبيه وجده في حضانة ابن أخيه محمد ﷺ..

حيث عاش محمد في كنفه وبين ظهرانيتها أفراد أسرته المحدودة الموارد

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٣٧. في هذه الخطبة يحذر الناس فيها من الاستكبار والتكبر.

والعيش . . . سوى ما تملكه من رصيد الأخلاق العالية القويمة . . . ومن الكرم  
أوسع . . . ولها شرف السقاية في مكة . . . والسيادة على أهلها . . .

أبو طالب، صار له الأب الحنون، والكفيل . . . والحامي . . . والمربي . . .  
وزوجة عمه (فاطمة بنت أسد) أصبحت له أمّاً ثانية بعد أمه (آمنة بنت  
وهب) . . . تولت فاطمة رعاية محمد بن عبد الله ﷺ رعاية صادقة، حتى فضلته  
على سائر أبنائها . . .

وكان يناديها: (يا أمّاه) . . .

عند وفاتها كفنّها هو بردائه . . . ودفنها بنفسه . . . وقال عنها وعينه تدمع:

«كانت من أحسن خلق الله صنعاً بعد أبي طالب، وكانت أمي بعد  
أمي التي ولدتني»<sup>(١)</sup>.

فاطمة بنت أسد . . . الأم الثانية لمحمد . . . أول من أسلمت من النساء بعد أم  
المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ . . .

فعندما حملت بعلي بن أبي طالب، قال محمد لعمه:

«إن كانت حاملاً أنثى فزوجنيها» . . .

أجابه عمه:

(يا ابن أخي إن كانت أنثى فهي لك جارية وزوجة . . . وإن كان المولود ذكراً  
فهو لك عبد).

ومرت الأيام والليالي تترى . . . حتى جاء ذلك اليوم الخالد في التاريخ . . . يوم  
الجمعة ١٣ رجب، قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، أي بعد عام الفيل بثلاثين  
سنة . . .

وفي رواية أخرى نميل إليها . . . إنه ولد يوم الجمعة ١٣ رجب، قبل الهجرة  
بعشرين سنة . . . أي بعد ميلاد محمد ﷺ بثلاثين سنة . . . وقبل المبعث بعشر

---

(١) الحاكم في (المستدرک). وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ٧٥ دار الأضواء - بيروت

سنين . وفي حسابات السنة الميلادية، يكون قد ولد في عام (٦٠١ أو ٦٠٢) بعد الميلاد . . .

بينما كانت فاطمة بنت أسد بين أركان الكعبة المشرفة، لتأدية بعض الطقوس الدينية . . . شعرت بالآلام الوضع هناك، فأدخلوها إلى ركن متزو من أركانها . . . ووضعت مولودها في ذلك الركن<sup>(١)</sup> . . . ذكراً . . . وجعلته في غشاوة من غشاواتها . ولم يسمح أبوه، أبو طالب، برفع تلك الغشاوة عنه، حتى يأتي محمد . . . فجاء الصادق الأمين، بعد أن علم مباشرة . . . ففتح ذلك الغطاء . . . ثم رفع ذلك المولود . . . المولود الذي عليه سمات الحُسن، والنور . . . قرّبه من وجهه الكريم . . . حتى لقمه لسانه . . . فمص هذا الوليد لسان محمد ﷺ حتى أغمض عينيه ونام . . .

أرادت فاطمة . . . أم ذلك الوليد الجديد . . . الوليد الرابع لها . . . أرادت أن تسميه (حيدرة) . . . كاسم أبيها (أسد) .

ولكن محمداً أراده أن يكون علياً فسماه (علياً) . . . وكان أول من سُمي (علياً) في العرب ولم يسم أحد قبله بهذا الاسم . . .

وفي رواية أخرى أن والده، أبا طالب ألهم أن يسميه (علياً) . . . ففعل ثم خرج من البيت مردداً قوله :

سميته بعلي كي يدوم له عزّ العلوّ وفخر العزّ أدومه<sup>(٢)</sup>

وهكذا كانت ولادة علي بن أبي طالب . . . في أظھر وأشرف بقعة . . . ألا وهي الكعبة المشرفة . . .

علي . . . هو الوحيد الذي شرفته الكعبة بأن يولد فيها، ولم يولد فيها

---

(١) مستدرک الصحيحین ج ٣ ص ٤٨٣ - (تذكرة خواص الأمة) ص ٧ لسبط بن الجوزي الحنفي (الفصول المهمة) ص ١٤ لابن الصباغ المالكي - (السيرة النبوية) ج ١ ص ١٥٠ نور الدين الشافعي . (المناقب) للترمذي . (روائع المصطفى) ص ١٠ صدر الدين أحمد البردواني . (مدارج النبوة) عبد الحق الدهلوي . (مروج الذهب) ج ٢ ص ٢ المسعودي الهذلي . ونور الأبصار ص ٦٩ .

(٢) حياة الإمام علي - محمود شلبي ص ٨٧ .



قبله . . . ولا بعده . . . أي إنسان . . . أو أي مخلوق حتى هذا اليوم !!

وفي ذلك قال عبد الباقي العمري، الشاعر الكبير:

أنت العلي الذي فوق العلي رفعاً      ببطن مكة وسط البيت قد وضعاً  
لكأن الله سبحانه وتعالى أبي إلا أن يهبه الحياة في مسجد . . . وأن يسترد منه  
الحياة في مسجد . . .

فكان بيت الله نقطة انطلاقه إلى الدنيا . . . ونقطة انطلاقه إلى الآخرة . . .  
وكان بيت الله نهاية مطافه!!!<sup>(١)</sup>

### أول هاشمي من أبوين هاشميين . .

هذا الوليد الهاشمي الجديد . . . هو أول هاشمي . . . من أبوين هاشميين،  
بعد أن كان الهواشم يصهرون إلى عوائل أخرى من قريش . . .  
أبوه (عبد المناف) بن عبد المطلب بن هاشم . . .

وهاشم: اسمه الحقيقي (عمرو العلاء) . . . أما هاشم فكنية له، لأنه هشم  
الثرید لقومه، بعد أن أصابهم القحط . . . وفي ذلك قال شاعرهم:  
يا أيها الرجل المحول رَحَلَهُ      هَلَّا نزلتْ بآل عبد مناف  
(عمرو العلاء) هَشَمَ الثريد لقومه      ورجال مكة مُسنِتُونَ عِجَاف  
وعمرُو العلاء أو (هاشم) أبوه قصي بن كلاب، بن مُرة، بن كعب، بن لؤي،  
بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مُدركة، بن  
الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان . . .

وعبد المناف الذي كانت كنيته (أبو طالب) هو من أم اسمها:

فاطمة بنت عمرو، بن عائذ، بن عمران، بن مخزوم، بن يقظة، بن مرة، بن  
كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة،  
بن مُدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان . . .

(١) الإمام علي - رسالة وعداله - الشيخ خليل ياسين ص ١٣ دار ومكتبة الهلال - بيروت - الطبعة الثانية

كان أبو طالب، رجلاً مهاباً.. محترماً في قومه.. مطاعاً في ما يقول...  
هو سيد البطحاء.. وشيخ قريش.. وزعيم مكة... حتى كانت قريش تناديه  
بـ(الشيخ)...

عند ظهور الإسلام، كتم أبو طالب إسلامه عن قومه وترك العبادة لغير الله...  
حتى يهيء الحماية والسلامة لابن أخيه.. محمد بن عبد الله ﷺ... حيث كان  
له الحصن المنيع.. حتى توفي في شعب أبي طالب عند الحصار على  
المسلمين.. وكان عمره ثمانين عاماً..

ذلك العام الذي توفي فيه أبو طالب، سماه رسول الله ﷺ (عام الحزن)  
لفقده عمه الذي كفله.. ثم تبعته بعد أشهر عدة زوجته أم المؤمنين (خديجة بنت  
خويلد) في العام ذاته، في السنة العاشرة للبعثة المحمدية..

لقد نعى النبي ﷺ عمه أبا طالب، ومسح له جبينه وهو يقول:

«رحمك الله يا عم، ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً..  
جزاك الله عني وعن الإسلام خير جزاء العاملين المجاهدين في سبيله  
بأموالهم، وأنفسهم، وكل ما يملكون».. ثم بكى عليه الصلاة  
والسلام..

ذلك النعي، وهذا القول لرسول الله ﷺ عند وفاة عمه أبي طالب.. يناقض  
كل التناقض فيما ذكر عنه وأعني (أبا طالب). أنه مات قبل أن يُسَلِّمَ!!  
ودليلنا على ذلك قول ابن أخيه، النبي ﷺ، فيه:

(... جزاك الله عني، وعن الإسلام خير جزاء العاملين المجاهدين في  
سبيله... الخ)... جزاك عن الإسلام!!

وللرد على ذلك الرأي الذي يجافي الصواب، ذكر الأستاذ الدكتور سعيد  
السامرائي في كتابه (حجج النهج) ما يلي:

(إن الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً. وليس لقائل أن يقول:

كيف يقال هذا في دين تكفل الله تعالى بإظهاره، سواء كان أبو طالب  
موجوداً، أو معدوماً!! لأننا نقول:

فينبغي على هذا، ألا يُمدح رسول الله ﷺ، ولا يقال: إنه هدى الناس من الظلالة، وأنقذهم من الجهالة، وإن له حقاً على المسلمين.. وإنه لولاه لما عبد الله تعالى في الأرض..

وألا يُمدح أبو بكر، ولا يقال: إن له أثراً في الإسلام..

وأنه لولا عمر لما كانت الفتوح، ولا جُهزت الجيوش، ولا قوي أمر الدين بعد ضعفه، ولا انتشرت الدعوة بعد خمولها..

فإن قاتم في كل ذلك:

إن هؤلاء يحمدون، ويثنى عليهم، لأن الله تعالى أجرى هذه الأمور على أيديهم، ووقفهم لها. والفاعل بذلك بالحقيقة هو الله تعالى، وهؤلاء آلة مستعملة ووسائط تجري الأفعال على أيديها..) ثم يقول د. السامرائي:

(كان أبو طالب سباقاً إلى الإيمان والإسلام، وما الآخرون إلا تُبَّع، بل كانوا يتخفون من بطش قريش وظلمها في الوقت الذي كانت قريش تخشى مواجهة محمد ﷺ لوجود أبي طالب القائل:

ولقد علمت بأن دين محمد  
والله لن يصلوا إليك بجمعهم  
من خير أديان البرية دينا  
حتى أسد في التراب دفينا

وقوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً  
رسولاً كموسى خُطَّ في أول الكتب<sup>(١)</sup>

وقوله:

نبي أتاه الوحي من عند ربه  
ومن قال لا يقرع بها سن نادم

وكذلك كان يردد أبياتاً يسند فيها رسول الله ﷺ أمام قريش:

نصرت الرسول رسول الملوك  
أذب وأحمي رسول الاله  
ببيض تلاً لأكلمع البروق  
حماية حام عليه شفيق

وقوله:

(١) حجج النهج - الدكتور سعيد السامرائي - ص ٢٤٢ - مؤسسة الفجر - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٧.

أنت النبي محمد  
لمسودين أكارم  
قـرم أغـرُ مسـود  
طابوا وطاب المولد  
ويقول في مدح الرسول ﷺ :

لقد أكرم الله النبي محمداً  
وشق له من اسمه بتجلة  
فأكرم خلق الله في الناس أحمد  
فدو العرش محمود وهذا محمد  
... وللحقيقة أقول لقد ظلم أبو طالب ظلماً فاحشاً عندما طعنه بعض الرواة  
والمحدثين في إسلامه ..

الرواة... الذين ساروا تحت ظلال الفئة الباغية بقيادة معاوية بن أبي سفيان  
الذين أرادوا من ذلك الطعن، طعناً لولده علي بن أبي طالب في أبيه!!  
أبو طالب.. مات في شعاب مكة مع المسلمين عندما حاصرتهم قريش،  
فإن لم يكن مسلماً، لما كان مع المسلمين في تلك الشعاب.. مع الجوع والعطش  
والفاقة!!!

... مشى رجال من قريش إلى أبي طالب... وفيهم:  
عتبة.. وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس.. وأبو سفيان بن حرب بن  
أمية... فقالوا:

يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا.. وعاب ديننا.. فإما أن تكفه  
عنا.. وإما أن تخلي بيننا وبينه.. فنكفيه!!  
فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً.. وردهم رداً جميلاً.. ثم أنهم مشوا إليه  
ثانية... فردهم..

وبعد أن عرفوا أن أبا طالب قد أبقى خذلان رسول الله ﷺ.. أتوا ومعهم  
(عمارة بن الوليد بن مغيرة)... فقالوا:

يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد.. أنهر فتى في قريش.. وأجمله..  
فخذه وأسلم إلينا ابن أخيك.. فقال لهم:

(لبئس ما تسوموني!! أتعطوني ابنكم أغدوه.. وأعطيكم ابني تقتلوه!!)<sup>(١)</sup>.

(١) (علي ومناوئوه) د. نوري جعفر ص ٣٠ (مؤسسة الوفاء - بيروت ١٩٨٢).

ذكر ابن سعد في (الطبقات الكبرى)<sup>(١)</sup>:

(لما توفي عبد المطلب، قبض أبو طالب رسول الله ﷺ . . . وكان يحبه حباً شديداً . . . وكان لا ينام إلا جنبه . . . ويخرج فيخرج معه . . . وصب به أبو طالب صباةً لم يصب مثلها بشيء قط . . .).

كان أبو طالب، شديد الإيمان بشخصية ابن أخيه محمد ﷺ، وصدقه . . . وأمانته . . . قبل الرسالة، وبعدها . . .

وهو أعرف به من غيره، بعد أن كفله صبيّاً، ورباه، ورعاه في بيته حتى زواجه من أم المؤمنين السيدة (خديجة بنت خويلد)، ومغادرته بيت عمه . . .  
سأل أبو طالب ابنه علياً:

يا بني ما هذا الذي أنت عليه؟ فقال:

يا أبت، إني آمنت بالله وبرسوله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه . . . قال

له:

أما أنه لا يدعو إلا إلى خير، فألزمه . . . وهذا ما رواه الطبري في تاريخه . . .

أوصى أبو طالب، وهو على فراش الموت، أهله بمحمد ﷺ وقال:

( . . . ألا وإني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصادق في

العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به . . .

والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يهتدي بهديه إلا سعد . . . ولو كان

في العمر بقية لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي . . . وأنتم يا معشر بني

هاشم، أجيئوا محمداً وصدقوه، تفلحوا، وترشدوا . . . انصروا محمداً، فإنه الهادي

إلى سواء السبيل . . . والشرف الباقي لكم على الدهر . . .)

قال رسول الله ﷺ بعد موت عمه:

«ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه، حتى مات أبو طالب . . .

يا عم، ما أسرع ما وجدت فقدك . . .»

(١) ج ١ ص ١٠١.

جاء أبو طالب، قبل وفاته إلى بيت محمد ﷺ، ومعه ابنه جعفر، فوجداه يصلي، ومعه ابنه علي . . .

فقال أبو طالب لابنه جعفر:

(صِلْ جناح ابن عمك) . .

فصلى عن يساره، بعد أن كان علياً يصلي عن يمينه . . .

رحمك الله يا عم رسول الله ﷺ وجزاك عنه، وعن الإسلام خير الجزاء، كما قالها لك ابن أخيك عند وفاتك، وانتقالك إلى الرفيق الأعلى . . .

ولنتقل من أبي طالب . . والد علي بن أبي طالب، بعد أن أوجزنا عنه شيئاً . . إلى والدته . . فاطمة بنت أسد:

وجدها عمرو العلاء (هاشم) بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، ابن مدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان . . .

وهي أول من أسلمت، وآمنت بمحمد ورسالته من الهاشميات، وبقيت تحت أبي طالب إلى أن مات، فلو كان كافراً لانفصلت عنه لعدم جواز نكاح الكافر لمسلمة!! وهذا دليل آخر يؤيد قولنا بإسلام زوجها أبي طالب، وإلا لا يمكن لزوجته (أم علي) أن تكون كذلك وحدها في بيته معه!! وهذا يسري على ولديه جعفر وعلي أيضاً . .

وجدها ذات يوم محمد ﷺ، قبل البعثة في الكعبة، ومعها هدي إلى (هبل) فقال لها: (يا أماه هلا أعلمك شيئاً، فهل تكتمينه علي؟).

قالت: نعم.

فقال لها: (اذهبي بهذا القربان، فقولي كفرتُ بهبل، وآمنتُ بالله وحده لا

شريك له).

قالت: (أعمل ذلك لما أعلمه من صدقك يا محمد . . .).

فعملت بما أشار إليها، ولم تكرر بعدها تقديم هدي إلى هبل . .

أسلمت فاطمة، بعد عشرة من المسلمين، وكانت الحادية عشرة، وهي أول

سيدة بعد خديجة، وأول هاشمية أسلمت، كما ذكرنا . .  
عُدَّتْ من المؤمنات اللواتي عظم عندهن الإيمان . . وزاد تمسكها بهذا الدين  
الحنيف . .

كما أنها هاجرت من مكة إلى يثرب بقافلة الفواطم التي قادها ولدها علي بن  
أبي طالب . . . وعنده من العمر عشرون عاماً . .

وأما: فاطمة بنت هرم، بن رواح، بن حُجر، بن عبد، بن معيص، بن  
وهب، بن ثعلبة، بن وائلة، بن عمرو، بن شيبان، بن محارب، بن فهر . .

حينما خلت الديار من الجد، ومن الأب . . كان علي الابن . . . والحفيد . .  
ابن أبي طالب . . وحفيد عبد المطلب . . يحمل منهما ميراث السجايا الفاضلة . .  
والعظمة المفردة . . .

كان يحمل منهما نبالة الخلق . . . ونبالة الدم معاً . . .

فبنو هاشم في ميزان المجتمع . . سادته . . وقادته . . . وأشرافه . .

وبنو هاشم في ميزان القيم . . أجود الناس كفاً . . وأوفاهم ذمة . . . وأنداهم  
عطاءً . . وأكثرهم في سبيل الخير بلائاً . . وأحماهم للذمار . . وأحفظهم  
للجار . . . (١)

---

(١) في رحاب علي - خالد محمد خالد - ص ٣٥٢ من كتاب (خلفاء الرسول).

## نشأته.. وصباه..

يقول الإمام علي في وصف آل بيت رسول الله ﷺ :  
 «... عِترته خير العِتر، وأسرته خير الأُسُر، وشجرته خير الشجر...  
 نبتت في حرم، وبسقت في كرم... لها فروع طوال، وثمره لا تُنال.  
 نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن  
 العلم، وينايع الحكم...»

ناظرنا ومحبنا ينتظر الرحمة... وعدونا ومبغضنا ينتظر  
 السطوة...»<sup>(١)</sup>.

نشأ علي بن أبي طالب في أسرة من أعرق الأُسُر... وأكرمها... وأشهرها  
 بين العرب... وانتمى إلى أطيب الأعراق...  
 فبنو هاشم، هم سادة قريش وأعيانها... وسدنة بيت الله الحرام...  
 كان أصغر أولاد أبيه... وأكبر منه جعفر... وأكبر من جعفر عقيل... وأكبر  
 من عقيل طالب... بين كل واحد وآخر عشر سنين<sup>(٢)</sup>...  
 كفله الرسول ﷺ قبل أن يُبعث وعمره لا يتجاوز السادسة... أو السابعة.  
 وذلك بعد أصابت قريشاً مجاعة وقحط شديدان...  
 قال محمد... الصادق الأمين لعمة العباس... العباس الذي كان من أحسن  
 بني هاشم يسراً وعيشاً:

(١) نهج البلاغة - محمد عبده ج ٢ ص ٢١٣.

(٢) عبقرية الإمام علي - عباس محمود العقاد ص ١٤.



«يا عماء!! إن أخاك، أبا طالب كثير العيال... وقد أصاب الناس ما أصابهم من هذه الأزمة.. فهيا بنا لنخفف عن كاهل أخيك من عياله.. آخذ أنا أحدهم.. وتأخذ أنت آخر.. فنكفلهما عنه...».

فقال العباس:

(نعم... هيا بنا، يا ابن أخي...).

أتيا أبا طالب... فقال له ابن أخيه محمد ﷺ:

«يا عم.. إنا أتينا إليك لنخفف عنك من عيالك.. حتى ينكشف عن قريش ما هم فيه...».

صمت أبو طالب.. الأخ والعم!! صمت برهة، حيث استعرض في مخيلته تلك السنين التي قضاها ابن أخيه.. محمد معه.. بين آله... في بيته.. وما كان ولا يزال له تلك المكانة الخاصة التي تميزه عن آل هاشم.. بل على كل الناس أجمعين... دون استثناء..

هو الآن يرد عليه بأحسن ما قدمه له.. ومتى!!!

في أحلك الظروف.. وأقسى الأيام.. وهم في ذلك القحط.. وتلك المجاعة!! ما أروعك يا محمد!!

ما أعظمك يا ابن أخي!! كلمات ردها عمه في خلد.. رد عليه.. على محمد... قائلاً:

(إذا تركتما لي عقيلاً، فاصنعا ما شئتما!!).

ذلك لأن عقيلاً، كان ضعيف الحال والبدن، سقيم الجسم.. وأولهم عند أبيه لضعفه..

وإجابة لطلبه.. أخذ العباس جعفرأ.. حيث ضمه إلى بيته..

وبعد الرسالة السماوية المحمدية.. أسلم جعفر.. وآمن بالمبادئ

الإسلامية خير إيمان... وجاهد في الله حق جهاده...

سماه رسول الله ﷺ بـ(جعفر الطيار)... وذلك بعد أن قُطعت يده في

إحدى المعارك الإسلامية التي جاهد بها وهي (معركة مؤتة) . . . والتي كان يحمل فيها راية الإسلام . . . راية رسول الله ﷺ . . . وفيها استشهد بعد دفاع مميت عن تلك الراية . . .

أما محمد . . . الذي لم يُرسل بعد . . . أخذ عليا ابن عمه أبو طالب . . . وكان عمره ست سنين . . . وهو من أصغر أبناء عبد مناف . . . (أبي طالب) . . . كما ذكرنا . . . ضم محمد علياً إلى بيته، مع زوجته أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد . . . أصبح علياً الثالث في بيت محمد . . . بعد محمد . . . وبعد خديجة . . .

في ذلك البيت الطاهر . . . عاش علي بن أبي طالب . . . سليل الطهر . . . وابن أكرم الحساب . . . وأحسن النسب . . .

عاش في كنف خير البرية . . . وحبیب خالقها . . . الطاهر الأمين . . . الصادق العظيم . . .

عاش في كنف معلمه محمد . . . وأكرم به من معلم ومربٍ . . . ربيب الوحي وخاتم الأنبياء . . .

تعلم منه العلم والمعرفة . . . تعلم منه الأدب والإيمان . . . تعلم منه القيم والمثل تعلم منه الأخلاق وكمالها . . . تعلم منه ما لا يعلمه البشر . . . وأخذ منه ما لا يعلمه سواه! كان محمد الأب الحنون لعلي . . . والمعلم الناصح . . . وأكرم به من معلم . . .

وكان له المربي الفاضل . . . وأكرم به من مربٍ . . . وهنياً لك يا بن أبي طالب حيث أصبحت تلميذاً لخير معلم . . . وريباً لأحسن مربٍ وظلاً لخير من يستظل به!!

كان علي لا يغيب عن حضور النبي ﷺ، ولا يفوته مجلسٌ من مجالسه . . . حفظ عن معلمه ما علمه . . . والتزم فيما ألزمه به . . . وسار على درب ذلك المعلم . . . حتى تأثرت شخصيته بشخصية محمد ﷺ . . . وأصبحت مرآة لشخصيته في شتى المجالات . . .

أقول رباه ذلك العظيم، فأحسن تربيته . . . وعلمه فأحسن تعليمه . . . حتى تغذى منه العلم والمعرفة الالهية . . .

وهل هناك مربي يُربي مثلما يربي ويعلم أحسن البشر، وأعلم المخلوقات!!!  
لذا، فلك الحق أيها الريبب الجليل، عندما تقول:  
«... يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا... وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ  
بِهِ...».

كان علي.. مثل محمد... لم يسجد لأي صنم من الأصنام.. ولم يعبد  
غير الله سبحانه وتعالى... ولم يعتقد بغيره... لذا كرم الله وجهه.. وكرمه من  
عبادة غير خالق العباد..

على أن ابن أبي طالب، يعتبر الوحيد من أصحاب النبي ﷺ وآل بيته الذي  
ولد قبل الرسالة..

ولم يسجد لغير الله...

وهو الوحيد أيضاً... الذي كان يتعبد مثلما كان محمد يتعبد... قبل  
الإسلام وبعده...

## أول من صلى مع النبي:

ذكر الدكتور طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى - عثمان بن عفان) ص ١٥١:

(... فقد بُعث النبي ﷺ وعلي عنده صبي فأسلم.. وظل بعد إسلامه في  
حجر النبي ﷺ يعيش بينه وبين خديجة أم المؤمنين، وهو لم يعبد الأوثان قط  
فامتاز بين السابقين الأولين بأنه نشأ نشأة إسلامية خالصة.. وامتاز كذلك بأنه نشأ  
في منزل الوحي بأدق معاني هذه الكلمة...).

وعلي أول من صلى مع النبي ﷺ بعد أن أصبح نبياً..

ذكر عبد الله بن سعيد... قال:

حدثنا ابن إدريس، عن عمرو بن مرة، قال:

سمعت أبا حمزة (مولى الأنصار)، قال:

سمعت زيد بن أرقم، يقول:

(أول من صلى مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه...)

كان علي يحضر مع رسول الله ﷺ في (غار حراء) مشاركة منه في مناجاة الخالق وعبادته مع استاذه العظيم.. يحمل الزاد إليه في ذلك الغار عندما تطول مناجاة النبي ﷺ فيه...

وهو الذي واكب نزول الرسالة، ورأى نور الوحي.. وشم ريح النبوة.. بل سمع رنة الشيطان حين نزل الوحي على النبي ﷺ.. وكان عمره لا يتجاوز العاشرة...

وفي ذلك العمر.. عمر الطفولة.. أسلم وأمن بما جاء به الوحي فكان أول من أسلم.. وأول من آمن.. من الرجال.. وهو بعد لم يصل إلى مرحلة الشباب!!

وعلي.. بسبقه المسلمين للإسلام.. وبصحبة صاحب الرسالة.. الصحبة الدائمة.. أول من تفقه بما آمن به.. لأنه مع الفقيه الأول.. أولاً بأول..

وبسبب من تلك الرفقة تقرب من الدين... وتعمق فيه... لا بسبب من القرابة وحدها.. لأن العديد من أقرباء الرسول ﷺ حاربوه، بسبب دعوته!!

ذكر الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي في كتابه (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) قال:

أخبرنا محمد بن المثنى، قال: أخبرنا محمد بن جعفر غندر، قال: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي حمزة، عن زيد بن أرقم، قال:

(أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه...)(١).

وفي ذلك قال علي بن أبي طالب:

«بُعث رسول الله يوم الاثنين، وأسلمت يوم الثلاثاء...».

وهذا ما رواه الإمام أنس بن مالك(٢).

(١) الخصائص - للنسائي ص ٢٦ ف ٣ - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٧.

(٢) الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء - محمد رضا ص ١٠ - دار الكتب العلمية بيروت.

وقال:

«اللهم لا أعرفُ عبداً من هذه الأمة عبدك قبلي، غير نبيك (قالها ثلاث مرات) لقد صليت قبل أن يصلي الناس سبعا» . .

رواه الإمام أحمد، وأبو يعلى، والبزار والطبراني<sup>(١)</sup>.

لقد روى كبار المؤرخين . . وخيرة المحدثين . . . إن الإمام علياً أول من

أسلم من الرجال . . نذكر منهم:

- ١ - الترمذي في صحيحه / ج ٢ - ص ٣٠١.
- ٢ - الحاكم في المستدرک / ج ٣ - ص ١٣٦.
- ٣ - النسائي في خصائصه ص ٢ و ص ٢٦.
- ٤ - ابن سعد في طبقاته . ج / ٣ القسم الأول - ص ١٢.
- ٥ - ابن الأثير في أسد الغابة ج ٤ ص ١٧.
- ٦ - الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤ ص ٣٦٨.
- ٧ - الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٥٥ والرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٧.
- ٨ - الإمام أبي حنيفة في مسنده ص ٢٤٧.
- ٩ - الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٤ ص ٢٣٣.
- ١٠ - الهيثمي في مجمع ج ٩ ص ٢٢٠.
- ١١ - الإصابة ج ٤ / القسم الأول / ص ١١٨.
- ١٢ - الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ لابن عبد البر.
- ١٣ - كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٠ المتقي الهندي.
- ١٤ - البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٢٦.
- ١٥ - ينابيع المودة للقندوزي ص ٢٠٢.
- ١٦ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٨ ص ٢٣٦.

(١) حياة الصحابة - محمد يوسف الكاندهلوي - ج ١ - ص ٤٧ - صحيح ابن ماجه .

١٧ - ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٦.

وعن علمه . . قال معلمه الكبير ﷺ :

**أنا مدينة العلم . . وعلي بابها .**

يا لها من مقولة واسعة عظيمة، لم يُشرف بها الرسول ﷺ أحداً من أصحابه ولا من آل بيته . . سوى تلميذه علي بن أبي طالب!!

لقد سُئل، حبر الأمة عبد الله بن العباس . . ابن عمي كل من رسول الله ﷺ وعلي :

- أين علمك من علم ابن عمك علي؟ فقال:

- كنسبة قطرة من المطر، إلى ماء البحر والمحيط!!

. . . لقد كرم الله وجه علي بن أبي طالب، بعدم انحناؤه لصنم أو وثن كما ذكرنا . . وأهدى الله قلبه . . . وسدد قوله . . بدعاء دعاه له النبي ﷺ بعد وضع يده الكريمة على صدر علي . وقال:

«اللهم إهد قلبه وسدد قوله» .

بعدها . . لم يشكك في قضاء بين اثنين . . ولم ينس للرسول ﷺ أي قول أو كلام . . . كما قال النبي ﷺ ، داعياً له:

«الهم اذهب عنه الحر والبرد» .

فلم يجد حرّاً، ولا برداً منذ يومئذ . . وإنه كان لا يبالي بالحر والبرد . . ولا يحفل بالطوارئ الجوية في صيف ولا شتاء . .

فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء . . وثياب الشتاء في الصيف وهذا ليس انعدام حسّ بالصيف والشتاء . . إنما هي مناعة قوية خصت بها بيته ولم يخص بها معظم الناس<sup>(١)</sup> .

(١) عبقرية الإمام علي - عباس محمود العقاد ص ١٦ .

أعلن الإمام علي، إسلامه دون الرجوع إلى أبيه . . . وحين سُئل عن ذلك،  
أجاب: «وهل استشار الله أبي عندما خلقتني، حتى أستشير أبي عندما أعبد الله»<sup>(١)</sup>.  
لقد عايش علي بن أبي طالب منذ صباه بداية الإسلام وظهوره . . . ونزول  
الوحي على النبي ﷺ بآيات القرآن الكريم، وهو في حجر النبي ﷺ . . .  
وتفقه في أسباب النزول . . . ومعاني الآيات وتفسيرها، وفلسفتها . . . وفي نور  
تلك الآيات المنزلة . . . والتي كان الوحي يجيء بها تباعاً . . . قضى علي بن أبي  
طالب بواكير حياته النضرة يبهره نورها . . . ويهزه هديرها . . .  
يسمع آية (الجنة) يتلوها الرسول ﷺ، فكأنما الغلام الرشيد يراها رأي  
العين . حتى ليكاد يبسط يمينه ليقطف من مباحجها وأعناؤها . . .  
ويسمع آية (النار)، فيرتعد كالعصفور دهمه إعصار . . .  
ولولا جلال الصلاة لوأى هارباً من لفتح النار الذي يكاد يُحسّه ويراه . . .  
أما إذا سمع آية تصف الله في عظمته وجلاله . . . أو آية تعاتب الناس على  
إشراكهم بالله ما ليس لهم به علم، وجحودهم فضله ونعمته . . .  
فعندئذ يتحول الغلام الراشد، إلى دُوبٍ تقى وحياء . . .  
لقد أُشرب قلبه جمال القرآن . . . وجلاله . . . وأسراره . . .  
هذا الذي كان يشهد نزوله آية . . . آية حتى صار جديراً بأن يقول، وهو  
صديق:

«سلوني، وسلوني، وسلوني عن كتاب الله ما شئتم . . . فوالله ما من آية  
من آياته إلا وأنا أعلم، أنزلت في ليل، أم في نهار»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام علي في ذلك:

« . . . بل اندمجت على مكنون علم، لو بحث به لأضطربتم اضطراب

(١) الإمام علي - المختار من حياته وسيرته - د. أياد الحسيني ص ٢٢.

(٢) خلفاء الرسول - خالد محمد خالد ص ٣٦٠.

## الأرشية في الطوي البعيدة..»<sup>(١)</sup>.

على أن قوله هذا، لم يكن من باب الإطراء بعلمه.. ولا الثناء لنفسه.. ولا المباهاة بتقواه وإيمانه.. ولا المبالغة بعظيم خلقه.. ولا الإشباع لكبريائه!! لأن مَنْ مثله.. وهو بمثل تلك الدرجة العالية من الإيمان.. والمكانة الكبيرة من العلم وسعة التفقه في الدين.. وعلو الخلق.. لا يكون إلا ديدنه التواضع.. ومجانبة العظمة.. وتحاشي الكبرياء.. وهو القائل:

«... وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحَبُّ الْإِطْرَاءِ..  
وَاسْتِمَاعِ الثَّنَاءِ وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ...»

ولو كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لَلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنِ تَنَاوُلِ مَا  
هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظْمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ...».

كان الزبير بن العوام في معية رسول الله ﷺ... حتى لقياً علي بن أبي طالب... فقال الزبير للنبي ﷺ: (لا يدعُ ابن أبي طالب زهوه!!).

أجابه رسول الله ﷺ وعلى مسمع من القوم الذين كانوا معه.. وفيهم علي:  
«إنه ليس به زهوه.. ولتقاتلنه وأنت له ظالم!!».. أو «يا زبير إنك تقاتل علي وأنت له ظالم»<sup>(٢)</sup>.

نعود إلى علمه ومعرفته، وفقهه..

نقول.. كان الإمام علي أحد العلماء الربانيين.. والشجعان المشهورين.. والزهاد المذكورين... والخطباء المعروفين.. وأحد من جمع القرآن، وعرضه على النبي ﷺ<sup>(٣)</sup> سئل الإمام: (من أين لك هذا العلم كله؟).. فقال:

«ليس كل أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ كَانَ يَسْئَلُهُ وَيَسْتَفْهَمُهُ.. وَكَانَ

(١) يعني أنه انطوى على علم والتف على.. الأرشية: جمع رشاء أي الحبل. والطوي البعيدة: أي البئر العميقة.

(٢) (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة ج ١ ص ٩٢.

(٣) (تاريخ الخلفاء) - الإمام الحافظ السيوطي.



لا يمرُّ بي من ذلك شيء إلا سألتُه وحفظته . . .» .

أخرج الترمذي، ومعه: الذهبي، والحاكم، وابن أبي شيبة، وابن عساكر وابن خزيمة . . . وغيرهم عن عبد الله بن عمرو بن هند الجملي عن علي بن أبي طالب، قال :

«كُنت إذا سألت رسول الله ﷺ أعطيت . . . وإذا سكت ابتدأني . . .» .

لقد أحاط علي بالمعرفة دونما تحيطه . . . وأدركها دونما تدركه (١) . . .

تلك أهم ميزة تميز بها علي بن أبي طالب عن سائر الصحابة . . . دون استثناء . . . بعلمه ومعرفته وفقهه وإيمانه . . .

لأنه أخذ العلم والحكمة من منبعهما مباشرة . . . من بيت محمد ﷺ . . . حتى تعمق في فهمهما وتفقه بمكنونهما . . .

وعلى هذا وذاك شب ونشأ بين أحضان العلم والمعرفة . . . والتقوى والإيمان والتفقه بمعرفة كل الجوانب الدينية منها والدينية . . .

ولم يجد في بيت النبوة الذي عاش فيه غير ذلك . . .

ولم يربَّ غير تلك التربة السماوية . . . التي تربى بها نبي الله ﷺ . . . فرباه منها وعلمه بها . . . وأنشأ عليها . . .

وكيف تكون شخصية رجل، رباه، وعلمه، وثقفه، وفقهه . . . أعظم إنسان وأجل مخلوق!! ألا وهو الرسول الأعظم ﷺ!!

وهذا ما يكفي أن يكون علي ربيباً لمحمد ﷺ . . . محمد ربيب الوحي . . . وحامل الرسالة الإنسانية ومبلغ تعاليم الخالق لمخلوقه .

عاش الريب . . . مع ربيب الوحي، سنين زخرت بالعلم والأدب . . . وحفت بالإيمان والتقوى . . . نعم التقوى بأعمق صورها، وبأوسع مفهومها . . . حتى سماه النبي ﷺ : إمام المتقين . . . إمام المؤمنين . . . إمام المساكين . . .

كانت حياته مع النبي ﷺ، وبعده . . . حياة لم تكن لها قط صبوة . . . ولا

(١) ملامح من عبقرية الإمام علي - الدكتور مهدي محبوبه ص ١٠ .

شهوة... ولا هفوة.. حياة ولد صاحبها، وتبعات الرجال فوق كاهله...  
وحتى لهو الأطفال لم يكن لحياته فيه حظ، ولا نصيب<sup>(١)</sup>.  
يقول الإمام علي في ذلك:

«تالله لقد عَلِمْتُ تبليغ الرسالات... وإتمام العادات... وتمام  
الكلمات

وعندنا أهل البيت أبواب الحكم، وضيء الأمر».

﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [سورة الاحزاب،

الآية: ٣٩].

كان الإمام علي سابق المسلمين.. في نشأته الإسلامية.. وتربيته  
المحمدية.. وسابقهم.. في تلقي مبادئ الدعوة بعد النبي ﷺ.. وهو أول  
هاشمي ترعرع، وعاش مع رسول الله ﷺ.. حتى سبق المسلمين بالإيمان  
والتقوى... وسبقهم بالمعرفة والهدى..

لقد فتح علي بن أبي طالب عينيه على الطريقة التي رسمها ابن عمه. وعرف  
العبادة أول ما عرفها من صلاته.. ونعم بعطفه وحنانه وإخائه. فإذا هو من محمد  
ما كان محمد من أبي طالب.. وخفق قلب علي أول ما خفق بحب ابن عمه.  
ونطق لسانه أول ما نطق بما لقنه إياه من رائع القول... واكتملت رجولته أول ما  
اكتملت لمؤازرة النبي المضطهد.. وإذا كان النبي يحبه أنصاره، ويحترمه  
أعداؤه.. فهل يكون ربيبه وتلميذه وأخوه علي إلا شيئاً من كيانه... شيئاً عظيماً  
من كيان عظيم...

وإذا أسلم بعض الوجوه من قريش منذ أول الدعوة احتكاماً للعقل وتخلصاً  
من الوثنية.. وإذا أسلم كثير من العبيد والأرقاء والمضطهدين طلباً للعدالة التي  
تدفق بها رسالة محمد واستنكاراً للجور الذي يلهب ظهورهم بسياطه... وإذا  
أسلم قوم بعد انتصار النبي، امتثالاً للواقع وتزلفاً للمتصر، كما هي الحال بالنسبة

(١) في رحاب علي - خالد محمد خالد - القاهرة - ص ٤٦.

لأكثر الأمويين، إذا أسلم هؤلاء جميعاً في ظروف متفاوت من حيث قيمتها ومعانيها الإنسانية وتتحد في خضوعها للمنطق أو للواقع الراهن... فإن علي بن أبي طالب قد ولد مسلماً لأنه من معدن الرسول مولداً... ونشأة... ومن ذاته خلقاً وفطرة

ثم إن الظرف الذي أعلن فيه عما يكمن في كيانه من روح الإسلام ومن حقيقته. لم يكن شيئاً من ظروف الآخرين...

ولم يرتبط بموجبات العمر... لأن إسلام علي كان أعمق من ضرورة الارتباط بالظروف، إذ كان جارياً من روحه كما تجري الأشياء من معادنها والمياه من ينابيعها...

لقد كان أول سجود المسلمين الأول، لآلهة قريش... وكان أول سجود علي لإله محمد... (١).

---

(١) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية - جورج جرداق - المجلد الأول - ص ٦٠.



## كناه... وألقابه

(علي بن أبي طالب).. هذا الاسم الذي يدخل إلى النفوس مهلاً...  
وإلى القلوب مكبراً هذا الاسم الخالد في وجدان كل مسلم.. الراية المرفوعة فوق  
كل الرايات... والاسم المتوج فوق الإسماء... ولكن بعد اسم محمد ﷺ...  
لقد تزين باسمه الكامل (علي بن أبي طالب) جملة من الكتاب  
والمؤرخين.. والرواة... وبعض من المسلمين.. نذكر منهم:

علي بن أبي طالب.. الطبرسي.

علي بن أبي طالب.. النيسابوري.

علي بن أبي طالب.. ابن إسحاق المروزي.

علي بن أبي طالب.. ابن عثمان القيرواني.

علي بن أبي طالب.. ابن سليمان الرازي.

علي بن أبي طالب.. الحسين الأملي.

علي بن أبي طالب.. الخياري.

علي بن أبي طالب.. الترحي... وغيرهم<sup>(١)</sup>.

كان الإمام علي بن طالب.. كرم الله وجهه، يكنى (بأبي الحسن).. (وأبي

السبطين).. وكناه رسول الله ﷺ.

(بأبي الرياحتين).. وكذلك.. بأبي تراب.

(أبي تراب): وجده النبي ﷺ نائماً في المسجد.. على الأرض المتربة..

وساقط عنه رداءه، حيث أصابه التراب.. وجاءه ﷺ ليوقظه، ويقول:

(١) الإمام علي - رسالة وعدالة - الشيخ خليل ياسين ص ١٠.

(اجلس إنما أنت أبو تراب) . . فكانت له تلك الكنية عنده من أحب كناه . . .  
وفي تلك الكنية، قال الشاعر الكبير عبد الباقي العمري:

يا أبا الأوصياء أنت لطفه      صهره وابن عمه وأخوه  
إن لله في معانيك سرا      أكثر العالمين ما عرفوه  
أنت ثاني الأبناء في منتهى      الدور وآبائه تعد بنوه  
خلق الله آدمًا من تراب      فهو ابن له وأنت أبوه  
كان ابنه الحسن يدعوهُ: (أبا الحسين).

وابنه الحسين يدعوهُ: (أبا الحسن).

وذلك في حياة جدهما محمد رسول الله ﷺ . . ويدعوان جدهما  
النبي ﷺ: (أبتاه) . . حتى إذا فجعا بفقدته دعوى أباهما علياً بأبيهما . . (أبتاه) . .  
تلك بعض من كناه . . .

أما بعض ألقابه كانت:

(أمير المؤمنين) . . أول لقب لُقِبَ به مسلم . . وكان النبي ﷺ يلقبه بذلك  
اللقب . . ثم كان المهاجرون، والأنصار ينادونه بـ (أمير المؤمنين) في حياة  
رسول الله ﷺ . .

(الصديق) . . . لأنه أول من صدق محمد ﷺ وآمن به من البشر بعد أم  
المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد، زوج النبي ﷺ . . .

(الفاروق) . . . الذي يفرق بين الحق والباطل .

(يعسوب الدين) . . واليعسوب أمير النحل وقائده . .

وتلك الألقاب الثلاثة جمعها النبي ﷺ له، في قوله له:

«أنت الصديق الأكبر . . وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق

والباطل . . وأنت يعسوب الدين» .

روى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل، في مسنده، من كتابه (فضائل  
الصحابة) . . وأبو نعيم الحافظ في (حلية الأولياء) . . . وكذلك في حديث لأبي ذر

الغفاري . . . وأخرجه البيهقي في (سننه) . . . وابن عدي في (الكامل) . . . والطبراني  
عن سلمان الفارسي وأبي ذر . . .

و(سيد المسلمين) . . .

و(قائد الغر المحجلين) . . .

و(خاتم الوصين) . . .

تلك ألقاب أطلقها عليه معلمه العظيم ﷺ ، في قول الإمام أنس بن مالك .  
عندما قال له النبي ﷺ :

«يا أنس . . . أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين . . .

وسيد المسلمين . . . وقائد الغر المحجلين . وخاتم الوصين . . .» .

قال أنس بن مالك :

قلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكنتمه . . . إذ جاء علي . . .

و(الولي) . . . كما قال ذلك رسول الله ﷺ لعلي :

(أنت ولي كل مؤمن بعدي) . . . أخرجه الإمام أحمد في الفضائل،

والترمذي، والحاكم، والقطيعي في زيادته، وابن المغازلي، والشجري .

و(خاصف النعل) . . . كما قال له النبي ﷺ منادياً: يا خاصف النعل . . . لأنه

كان يخصف نعله، ونعل الرسول ﷺ . . . بيده . . .

و(صفي رسول الله) . . . و(أمين رسول الله) . . . لقول النبي ﷺ له :

«أما أنت يا علي صفي، وأميني . . . ومبلغ رسالتي . . .» . . .

أخرجه أبو داود، والحاكم والبخاري في الكبير، وابن أبي حاتم في الجرح

والتعديل . عن ابن أبي عمر كما ذكر ذلك النسائي في خصائصه

ومن ألقاب الإمام علي أيضاً :

(المرتضى) . . . لأنه لا يعمل عملاً، إلا أن يرضو منه مرضاة الله سبحانه

وتعالى، ورسوله الكريم ﷺ . . . ذكر ذلك حبر الأمة عبد الله بن عباس (رض) . . .

و(ذي الأذن الواعية) . . . قال تعالى في محكم كتابه :

﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّعِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة، الآية: ١٢] . . . عند نزول هذه الآية، دعى الرسول ﷺ، ربه أن يجعلها أذن علي بن أبي طالب . . .  
و(الأنزع البطين) . . . كان كبير البطن . . . ذا صلعة تخلو من الشعر في رأسه  
إلا من الخلف . . .

جاء رجل إلى ابن عباس فقال له: أخبرني عن الأنزع البطين . . . فقد اختلف فيه الناس!! فقال له عبد الله بن عباس:

(أيها الرجل . . . والله لقد سألت عن رجل، ما وطأ الحصى بعد رسول الله ﷺ أفضل منه . . . وإنه لأخو رسول الله ﷺ . . . وابن عمه . . . ووصيه . . . وخليفته على أمته . . . وأنه الأنزع من الشرك . . . بطين من العلم . . .  
ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من أراد النجاة غداً . . . فليأخذ بحجزة هذا الأنزع . . .» .

و(داحي الباب) لأنه قلع باب خبير من مكانها . . . وهو باب لا يمكن فتحها  
وغلقها إلا مجموعة من الناس . . .



## الفتى.. الذي لا فتى غيره

كان الإمام علي أشجع شجعان العرب دون منازع . . تهابه الصناديد والأبطال من قريش أو من سواها، الذين حاربوا الدين الجديد ورجاله الذين نالوا شرف السبق للإسلام . .

حذِرَ من منازلته قادة المشركين وشركائهم . .

وفرّاً، أو قُتل كل من بارزه في ساحات المعارك . . أما هو لم يخسر أية معركة قادها، أو كان فيها . . ولم يفِرّ من أية معركة شارك فيها . .

بل يُعزى نجاح المعارك التي خاضها المسلمون، لتواجده فيها أو لقيادته لها . .

والحق إنه كان مهاباً لا يهاب . . وبطلاً مقداماً جسوراً، في الدفاع عن مبادئ الإسلام الحنيف، وقيمه القيمة . .

يملك الإمام علي من القوة أقواها . . حتى عدها الكثير من أقرانه . . (قوة خارقة) . . قوة خارقة، لم يهب الله مثلها إلى أي قوي عاصره . .

لم يقاتل أحداً إلا قتله، أو هرب منه . . وما ضرب مَنْ قاتله، إلا ضربة واحدة دون أن يضربه ثانية، أو أن يكررها عليه تارة أخرى . . وحسبنا في ذلك ضربه . . ضربةً قاتلةً (لعمرو بن ود العامري) في معركة الخندق، والذي كان أشجع أبطال العرب وأقواهم . .

كان بطلنا هذا ضخم العضلات، لاسيما ذراعيه . . وساقيه . . وكتفيه . .

لم يصارع أحداً، إلا صرعه . . ومَنْ يمسك به، كاد لأنفاسه أن تُحبس!!

ضخم الجسم . . بالرغم من توسط قامته التي كانت تميل إلى القصر . .



شُبه الأمام علي، بالأسد الذي لا يقف أمامه مقاوم.. ولا تعترض قوته  
قوة... وكم من فارسٍ رفعه من على فرسه بيده ورماه على الأرض..

لقد قتل سيف علي بن أبي طالب قادة المشركين في المعارك التي دارت  
بينهم وبين المسلمين.

قتل قادة قريش وصناديدهم.. كما قتل قادة بني سفيان.. وقد قال في  
إحدى رسائله لمعاوية بن أبي سفيان:

«عندي السيف الذي أعضضته بجذك وخالك وأخيك..».

الإمام علي... وحده الذي رفع (هبل)... الصنم الذي كان أثقل، وأكبر  
أصنام العرب.. قلعه من نصبه.. ورماه من أعلى الكعبة إلى ساحة أرضها..

ولشجاعته وبطولاته.. تنتمي الإبطال.. وتحسده الشجعان.. وتنتسب  
لقوته الأقوياء.. لذا، فإنه أنسى من سبقه الشجاعة والبطولات.. وأتعب من بعده  
من ادعى بهما!!

كانت قوته الخارقة وشجاعته المعهودة، رمزاً للملوك والقادة، في معاركهم،  
وعدتهم الحربية.. حتى كانوا يرسمون صورته، وسيفه على سيوفهم.. أملاً في  
جني النصر في ساحات الوغى..

ومنهم ذكر (عضد الدولة).. عضد الدولة بن بويه، الذي رسم صورته على  
سيفه، وكذلك على سيف أبيه (ركن الدولة)..

ورسم سيفه على سيف ألب رسلان.. وابنه ملك شاه.. وقد رسمت  
صورته وهو حامل سيفه، في بيوت ملوك الترك.. والديلم.. وغيرهم..

على أن الإمام علي، إذا ما عُرض عليه الإعجاب بقوته من غيره.. يقابله  
بتواضعه المعروف.. ويجيب على عبارات الإعجاب.. (إن قوته من الله، سبحانه  
وتعالى..) وقد قال:

«والله ما قلعتُ باب خبير بقوة جسدية.. بل بقوة إلهية..».

نعم.. تلك القوة الخارقة، والشجاعة الفذة، والبطولة النادرة.. لا شك في  
أن يكون مصادرها.. مصادر القوة.. والشجاعة.. والبطولة.. هو إيمانه العميق

بمبادئ الدين الحنيف... دين محمد ﷺ... واستيعابه الكامل لتلك المبادئ السامية... والتفاني من أجل نشرها بين الناس أجمعين...

عندما هاجر النبي ﷺ مع صاحبه الصديق (رض).. إلى يثرب عام ٦٢٢م بعد أن علم بقرار قريش في مؤامرة قتله.. بات الإمام علي في فراش الرسول ﷺ.. واتشح ببرده.. نعم.. ظل في حجرة النبي ﷺ... وفي فراشه، دون خوف أو وجل.. ودونما أي اكتراث.. وكان تضحية منه بنفسه، من أجل الرسالة وصاحبها، وعمره آنذاك يقارب العشرين عاماً!

... بينما كان نائماً في فراش محمد ﷺ التي كانت قريش قد قررت القضاء عليه بعد منتصف الليل، وهو هاجع في منامه.. وبعد أن اتفقوا أن يمثل كل بطن من بطون قريش مقاتل، ليقتلوا الرسول ﷺ، بضربة واحدة.. وفي وقت واحد، حتى يضيع دمه بين ممثلي قبائل قريش المختلفة..

أخذوا يترصدون بيته، بعد أن حاصروه محاصرة محكمة!!

وبإرادة من الله تعالى، خرج رسول الله ﷺ من بيته.. دون أن يتمكن أحد من الراصدين رصده.. حيث انطلق إلى (غار ثور) مع صاحبه الصديق..

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا

يُبْصِرُونَ﴾ [سورة يس، الآية: ٩]..

ثم حان الوقت المقرر للهجوم.. وهجموا على فراشه.. وكشفوا البرد... فإذا!! فإذا علي بن أبي طالب نائم فيه دون سيف أو سلاح.. إلا أنه نهض بالحال.. واستل سيف أحدهم.. بسرعة فائقة.. وحركة مباغته... وبدأ بالهجوم عليهم.. وفروا خائفين ففشلت تلك المؤامرة الجبائنة من أعداء الله.. بإذن الله..

وبذلك كان الإمام علي.. أول فدائي في الإسلام..

... بقي الإمام في مكة، بعدما هاجر أستاذه ورفيقه ﷺ... بقي فيها ثلاثة

أيام، قام خلالها بدفع ما على رسول الله ﷺ من ودائع.. كما أمره ﷺ...

بعدها تهيأ لمغادرة مكة إلى يثرب، وجهاز الفواطم، وآل بيت

رسول الله ﷺ... ليقودهم للالتحاق بالنبي ﷺ والسير بهم إلى مقرهم

الجديد . . . يثرب . . . وكانت أمه (فاطمة بنت أسد) في معية قافلة الفواطم التي قادها .

كان علي بن أبي طالب، يدفع أذى المشركين عن رسول الله ﷺ في بدأ الرسالة بمكة، بكل بسالة وشجاعة وبطولة . . . حتى كانت قريش تتحاشى ذلك عندما يكون الإمام في معية رسول الله ﷺ . . . لأنهما بطلين مجتمعين . . . محمد . . . وعلي . . .

وكم تمنى الإمام علي، أن يكون شهيداً . . . شهيداً من شهداء الإسلام البررة . . . ينهي حياته الكريمة، سيف كافر . . . أو ضربة مارق . . . أو خارج . . . أو ناكث!! لا مية سوية على الفراش . . .

وشتان بين البطل المجاهد الذي يؤمن بالشهادة، شرفاً له في الدنيا . . . وشرفاً له في الآخرة . . . وبين من لم يمت بالسيف كميتة الأبطال . . .  
وقد قال الإمام علي، في ذلك :

« . . . إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ، لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ، وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ .

إِنْ أكَرَمَ الْمَوْتَ الْقَتْلُ . . . وَالَّذِي نَفَسَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ، لِأَلْفِ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَي الْفِرَاشِ » .

نعم!! كان لك ذلك . . . أيها الإمام الجليل . . . عندما ضربك الخارجي (بن ملجم) المجرم، بسيفه المسموم . . . ضربة مميتة أنهت حياتك الطاهرة العفيفة . . . تلك الضربة التي هتف فيها الإمام . . . بالرغم من آلامها!!  
«فزتُ ورب الكعبة» .

والتي استشهد منها . . . في بيت الله بالكوفة . . . تماماً كما ولد في بيت الله الحرام بمكة (وسنأتي إلى هذا الموضوع تفصيلاً) .

علي بن أبي طالب . . . هذا الشجاع المهاب . . . والبطل الخارق . . . لم تُنسيه شجاعته ولا بطولاته وقواه الخارقة . . . لم تُنسيه فروسية الفرسان . . . وخلق الشجعان . . . وأخلاق الرجولة . . . ومواصفات الأبطال . . . في ساحات الحرب

والمنازلات . . . لذلك . . . فلم يُجهز على جريح ضَعْفَ لجراحه . . . أو جبان جبن  
أمام شجاعته . . . وكم أوصى جنده ذلك، عند كل قتال . . . وعند بدء أي هجوم . . .

كان علي . . . هذا الخارق في قوته، تمنعه فروسيته ومبادئها أن يجهز على  
عدوه حين يسقط مطروحاً على الأرض، مثلاً . . . وقد تكشف منه ما ستر!!

عندها يتركه تعففاً، وإشفاقاً عليه . . . وهذا ما اختص به هذا الفارس  
المقدام . . . وهي خاصة من خصائصه، اختص بها دون بقية أقرانه من الأبطال  
والشجعان . . . وهو مبدأ من مبادئه التي تعلمها من رسول الله ﷺ . . . أستاذه  
بالبطولة والشجاعة والفروسية .

في معركة (صفين) ظفر الإمام علي بأحد أعدائه الماكرين . . . (عمرو بن  
العاص) . . . الرجل الثاني في قيادة الفئة الباغية . . . بعد معاوية بن أبي سفيان!!

كاد الإمام يضرب عمراً، إحدى ضرباته القاضية بذئ فقاره المشهور . . . إلا  
أن عمرو بن العاص . . . العاصي على خليفة المسلمين، أحس بدنو نهايته على يد  
علي . . .

خلع ابن العاص، سرواله . . . وليكشف!! ليكشف عن سوائه أمامه،  
تحاشياً لتلك الضربة . . . ولينقذ حياته منها . . . وبطريقته الخاصة!! والتي كان عليه أن  
يتحاشاها بموته، كما يموت الرجال الشجعان!!

عندها، أدار ذلك الفارس الحق . . . الإمام علي وجهه عن ذلك المخادع  
الذي جَبَنَ أمامه . . . ومن ثم تركه يللمم سرواله!! ويولي هارباً!!

(وسنأتي على ذلك بالتفصيل حينما نصل بكتابنا هذا إلى موضوع «صفين»)

على أننا وفي معرض عرضنا لهذا المثال . . . أو النموذج من فروسيته . . .  
ومروءته . . . وخلقته . . . لا يفوتنا في هذا المجال، إلا وأن نقارن، ولو بعض  
الشيء . . . بين شجاعة الشجعان الحققة . . . الشجاعة التي تتسم بالرجولة . . .  
والإيمان العميق بالقيم والمثل الإنسانية . . . وبين الذين قدمهم التاريخ، وذكرهم  
كأبطال في فنون القتال ومجالاته دون التحلي بما يجب أن يتصف به كل بطل  
مقاتل وشجاع، من المبادئ التي كان الإمام علي يتوج بها بطولاته وشجاعته،

وإقدامه . . . وهي . . . (المروءة) . . . مروءته التي كانت فوق بطولته، ووسام شجاعته . . . وسمه إقدامه . . .

فمروءته كانت تتوج كل مواصفات هذا الفارس، وحسبنا في ذلك، ماله من المواقف المشهودة في ساحات الحروب التي شهدتها دفاعاً عن دين الله القويم . . .  
كان يتجنب القتال . . . قدر الإمكان . . . لا خوفاً منه . . . وإنما احتراماً للنفس وإجلالاً لقيمة الإنسان . . .

لم يبدأ بمبارزة . . . ولم يبدأ بمعركة . . . إلا إذا دُعي إليها اضطراراً . . . كدفاع عن المبادئ . . . ودفاع عن القيم والمثل . . . ودفاع عن العرض والأهل والنفس . . . لذا قال لابنه الحسن، يعلمه ويوصيه:

« لا تَدْعُونَ إلى مُبَارَزَةٍ . . . وإن دُعيتَ إليها فأجب، فإن الداعي باغ . . .  
والباغي مصروعٌ » .

فما رفع الإمام يده بالسيف قط، إلا بسطها للسلام<sup>(١)</sup>.

لقد صلى الإمام علي، في وقعة (الجمل) على القتلى من أصحابه، ومن أعدائه على السواء . . .

وعفا عن (عبد الله بن الزبير) و(مروان بن الحكم) و(سعيد بن العاص) . . . في الوقعة نفسها. وهم الذين جهزوا الجيش لمحاربته بالبصرة، بعد أن ظفر بهم . . . كما زار السيدة عائشة، بعد أن فشلت في قيادة وقعة الجمل ضده!! وأكرم وداعها . . . وسار معها في ركبها . . . وبعث معها من يخدمها، ويحميها . . . (وسيرد ذلك في كتابنا هذا في موضوع واقعة الجمل).

ومن مروءته أيضاً . . . إنه لم يمنع جند معاوية في صفين من السقاية، بالرغ من أن جند معاوية حالوا بينه، وبين الماء . . . وهم يقولون له: ولا قطرة حتى تموت عطشاً!! فلما أجلاهم عنه، دعاهم لشرب الماء . . . كما شرب جنده، الذي قال لهم:

(١) عبقرية الإمام علي - عباس محمود العقاد - ص ١٩.

«خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى عسكريكم، وخلوا عنهم، فإن الله عز وجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم».

وكانت فرصته أن يغلب أعداءه بالظماً . . كما أراد أعداءه له . .

كما أنه نهى أهله وصحبه التمثيل في قتاله . . وأوصاهم بإطعامه . . وحسن معاملته!! وأن لا يقتلوا أحداً غيره . . بعد وفاته . .

وأصدق وصف لصفاته، ما لخصه الأستاذ عباس محمود العقاد عنه :

(رجل شجاع لأنه قوي . . . وصادق لأنه شجاع . . وزاهد مستقيم لأنه صادق . . ومثار للخلاف لأن الصدق لا يدور بصاحبه مع الرضا والسخط والقبول والنفور . . وأصدق الشهادات لهذا الرجل الصادق، أن الناس قد أثبتوا له في حياته أجمل صفاته المثلى . . فلم يختلفوا على شيء منها، إلا الذي اصطدم بالمطامع، وتفرقت حوله الشبهات . . وما من رجلٍ تتعسف المطامع أسباب الطعن فيه، ثم تنفذ منه إلى صميم . .) (١).

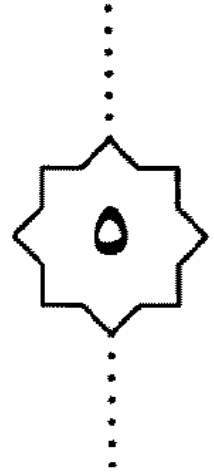
. . . لذلك كان علي هو الفتى الذي لا فتى غيره . .

والبطل الذي لا بطل سواه . . والشجاع الذي خرت أمامه الشجعان . . والقوي الذي هزم بقوته الفرسان . . فكان حقاً :

(لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار . .).

---

(١) المصدر السابق.



## وداعاً... يا روابي مكة

(مكة بلد الأباء والأجداد.. مدينتنا التي حملت ذكريات طفولتنا.. فيها  
عرفت الله.. وتعلمت على يد رسوله.. بها بدأ كفاحنا دفاعاً عن ديننا  
الحنيف..)

تلك مشاعر خاصة، يحسبها المرء، قد اختلجت في نفس ذلك الشاب البالغ  
من العمر عشرين عاماً.. الذي وقف خارج مدينته.. مكة، مودعاً بنظراته الخاصة  
لها.. ولما تحويه من أقدس بقعة من بقاع الدنيا.. الكعبة.. تاركاً فيها حبه لها.  
وألمه على فراقها.. ثم.. واصل علي بن أبي طالب سيره بالهواشم.. آل بيت  
محمد.. والقواطم:

فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ..

فاطمة بنت أسد زوج عم النبي ﷺ .. وأم علي ..

فاطمة بنت حمزة بنت عم محمد ﷺ وعلي ..

فاطمة بنت الزبير بنت عمه رسول الله ﷺ وعلي ..

ومع القواطم بعض من نساء آل البيت ..

واصل ذلك الشاب مسيرته، أمام قافلته إلى يثرب.. وكله شوق وحنين إلى  
لقيا حبيبته.. ورفيقه.. ومعلمه.. وابن عمه محمد ﷺ هناك في يثرب.. المدينة  
التي هاجر إليها قبله بثلاثة أيام.. عدها علي ثلاثاً من السنين..

لأنه لم يفارقه أبداً.. ولم يتعد عنه.. بل كان ملازماً له في مكة..  
وشعابها.. وحرائها وجبالها.. حتى هجرتهم الأولى إلى الطائف، لم يفترقا..  
كان آخر لقاء لهما بمكة.. في ذلك البيت الذي جمعهم..

الرسول ﷺ . . . أم المؤمنين خديجة . . . وعلي . . . والذي أصبح فيما بعد يخلو من تلك السيدة الفاضلة بعد وفاتها . . .

قال النبي ﷺ لعلي في ذلك البيت :

«يا علي لقد أوحى إليّ ربي أن أهجّر دار قومي، وأنطلق إلى غار ثور في ليلتي هذه . . . وأن أمرك بالمبيت على فراشي ليخفى بمبيتك عليهم أمري . . .» .

أجابه علي بن أبي طالب، متسائلاً:

«أو تسلّم أنت يا رسول الله إن فديتك بنفسي؟؟»

رد عليه النبي ﷺ :

«نعم بذلك ما وعدني ربي» .

ثم أوصاه برد الودائع إلى أصحابها والتي كانت مودعة لدى رسول الله ﷺ وأوصاه أن يبقى ثلاثة أيام يستكمل فيها رد الودائع . . . وبعدها يلتحق به في يثرب . . . ومعه آل بيته . . .

. . . جاء إليه من أودع وديعته لدى رسول الله ﷺ ليستردها ممن أئتمنه الأمين ﷺ عليها . . . أعادها الإمام علي . . . أعاد الودائع لأصحابها بعد التأكد من صحة إدعائاتهم بودائعهم . . .

على أن أعداء الدين الجديد، حاولوا استغلال ذلك . . . غياب محمد ﷺ (المؤمن على الودائع) وكثرة المودعين . . . وتنوع الودائع . . . !!

حاولوا الإساءة إلى ذلك (الأمين) . . . للطعن في أمانته المشهودة!!

فقد أمر حنظلة بن . . . (أبي سفيان)!!

أمر عمير بن وابل الثقفي، أن يدعي أن لديه وديعة لدى محمد ﷺ . . . هي ثمانون مثقالاً من الذهب!!

لاحظ الإمام أن كل وديعة عليها اسم مودعها . . . ولم تكن هناك وديعة مثلما

ادعى بها عمير . ولا يوجد له اسم مع المودعين!!



عندها علم سبب ومغزى ادعاء هذا المدعي الكاذب!.. فقدم له بعض النصح والإرشاد. إلا أن عميراً أصر على ما ادعى به، وطالب باسترداد وديعته، وقال:

لي سند بادعائي هذا، وهم شهود من قريش... أمثال أبي جهل!! وأبي سفيان!! وعقبة بن أبي معيط!.. وحنظلة!..

عندها قال الأمام: «مكيدة تعود إلى من دبرها».

وهنا استعمل الإمام حكمته.. وشجاعته معاً.. وتوجه إلى عمير قائلاً، بعد أن فرق شهوده:

«يا أخا ثقيف أخبرني الآن حين دفعت وديعتك هذه إلى رسول الله ﷺ أي الأوقات كان؟»

أجابه: سلمتها لمحمد في ضحوة النهار.. وسلمها إلى عبده.. ثم استدعى أبا سفيان!! وسأله عن ذلك.. عن الوقت!! أجابه: (دفعها عمير إلى محمد، عند غروب الشمس.. وتركها في كفه!..).  
أما الشاهد الآخر.. حنظلة، فقد قال:  
(كان عند وقوف الشمس في كبد السماء.. وتركها بين يديه إلى وقت انصرافه!).

وجاء دور شهادة، الشاهد عكرمة.. حيث قال:

(سلم عمير وديعته إلى محمد.. عند بزوغ الشمس.. أخذها فأنفذها من ساعته إلى بيت فاطمة..!).

أما آخر شاهد.. عقبة بن أبي معيط.. قال:

(تسلمها بيده، وأنفذها في الحال داره.. وكان وقت العصر...!!).

...مرت تلك الشهادات، المختلفة في أقوالها.. المجتمعة في زورها

وبهتانها، أمام الإمام علي بن أبي طالب.. ومعه عمير بن وابل الثقفي.. المدعي، بوديعة كاذبه...!

قال علي له:

«أراك قد اصفر لونك، وتغيرت أحوالك يا عمير!!!» .

عندها . . انهار ذلك المدعي المدفوع له!! . . قال للإمام متوسلاً:

(أقول الحق، ولا يفلح غادر . . وبيت الله! ما كان لي عند محمد وديعة . .  
وإنهما حملاني على ذلك . . وهذه دنائير، عقدت هند زوجة أبي سفيان عليها،  
واسمها مكتوب).

فشل أعداء رسول الله ﷺ ما حاولوا استغلاله . . حيث كان لهم الإمام علي  
راداً لكيدهم بدهائه . . وحكمته . . وشجاعته . . والذي فرق بين الشهود في أول  
قضية نظر بها . . فكان أو من فرق بين الشهود بالإسلام . . .

واصل الأمام علي (ع) تنفيذ ما أمره النبي ﷺ مطيعاً لتلك الأوامر كعادته . .  
وقد قال في ذلك:

«ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد ﷺ أنني لم أرد<sup>(١)</sup> على  
الله ولا على رسوله ساعة قطُّ ولقد واسيته<sup>(٢)</sup> بنفسي في المواطن التي  
تنكص فيها الأبطال . وتأخر فيها الأقدام، نجدة<sup>(٣)</sup> أكرمني الله بها» .

ها هو الآن . . . (الإمام) . . . في طريقه إلى المدينة التي أصبحت تسمى . .  
ب(مدينة الرسول) . . . بعد أن كانت . . . (يثرب) . . . أو (طيبة) . . .

قاد علي بن أبي طالب قافلته في وضح النهار . . دون خوف من قريش . .  
لأنه يعلم علم اليقين . . . أن رجالها لا يتعرضوا لقافلة يقودها علي . . . فكانت  
قافلته . . أول قافلة من قوافل المسلمين المهاجرة من مكة إلى يثرب، بعد هجرة  
الرسول ﷺ، تُهاجر نهاراً تحت أنظار قريش . . . وعيونها<sup>(٤)</sup>!!

. . . وأخيراً . . . وصل الإمام علي، ومن معه إلى بلد الهجرة . . حيث

(١) لم يعارضها .

(٢) أشركته .

(٣) شجاعة .

(٤) لقد هاجر عمر بن الخطاب (رض) قبل النبي وفي وضح النهار أيضاً فيكون أول من هاجر جهاراً  
قبل النبي ﷺ هو عمر . وأول من هاجر جهاراً بعد هجرة النبي ﷺ هو علي . . .

التقى مع ابن عمه . . رسول الله ﷺ . . . واجتمع الشمل مرة أخرى . . .  
طلب النبي ﷺ من (الأنصار) . . . وهم أهل يثرب الذين رحبوا بقدومه  
ويمن معه من المسلمين . . . أن يتخذ كل واحد منهم له أخاً . . من  
(المهاجرين) . . وهم الذين هاجروا مع محمد ﷺ من مكة إلى يثرب . .  
حتى يسكن كل مهاجر مع مَنْ آخاه من الأنصار . . وليقتسم معه العيش . .  
وليبداً حياة جديدة معاً . .

إنها فكرة حكيمة . . رائعة . . عظيمة . . من أفكار ذلك الرجل  
العظيم . . .

(المؤاخاة) . . تلك صارت تسمية هذه العملية الجبارة . . التي جعلت  
المهاجرين يندمجون مع سكان المدينة الغربية عنهم . . وليتعاشوا معهم . . دون  
الشعور بالغربة . . والوحدة . . وفراق الأهل والأحبة . .  
. . رأى رسول الله ﷺ لزماً عليه، أن يكون قدوة للمسلمين . . وهو  
قدوتهم في كل شيء . . وفي هذا الجانب . . عليه أن يكون قدوتهم في المؤاخاة . .  
ليقتدوا به . . .

إذن ليكن هو ﷺ أول المؤاخين . . وكان من الطبيعي أن يتخذ له أخاً من  
المسلمين ليؤاخيه . ولكن يجب أن يكون ذلك الأخ له من المواصفات  
الشخصية . . من الإيمان والتقوى . . من العلم والمعرفة . . قريبة على ما اتسمت به  
شخصية رسول الله ﷺ من تلك الخصائص التي اختص بها محمد ﷺ دون  
غيره . . .

. . . ولم يجد إلا مَنْ هو ربه، وغرس في قلبه ذلك الإيمان . . . وتلك  
التقوى . . . وعلمه بعمق معرفة الخالق . . وعبادته . . كما عرفه بالمعارف  
والعلوم . .

إنه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . . ولم يجد غيره أن يكون له أخاً . . .  
تلك الخصائص التي اختص بها علي . . جعلته أن يكون مرشحاً . . بل أهلاً  
لتلك (المؤاخاة) مع صاحب فكرة المؤاخاة . . الرسول الأعظم ﷺ .

لم يتردد النبي ﷺ . . . ولو للحظات . . . للمقارنة . . . في اختيار تلميذه وربيّه، أن يكون له أخاً في دنياه . . . كما هو أخوه في آخرته . . .

أعلن محمد ﷺ أمام جمع المسلمين مؤآخاته لعلي بن أبي طالب . . . دون غيره من المسلمين!

وقد ذكر ذلك الإمام علي بعد حين، وقال:

« . . . أنا عبد الله، وأخو رسول الله ﷺ . . . وأنا الصديق الأكبر، لا

يقولها بعدي إلا كاذب . . . آمنت قبل الناس بسبع سنين» .

هذا الحديث أخرجه ابن ماجة . . . وابن أبي شيبة . . . وابن أبي عاصم في (السنة) ج ٢ ص ٥٩٨ وابن جرير في (التاريخ) ج ٢، ص ٢١٢ . . . والحاكم . . . وأبو نعيم في (معرفة الصحابة) . . . وابن الجوزي في (الموضوعات) ج ١ ص ٣٤١ . . . والحافظ المزي في (تهذيب الكمال) . . .

كما أخرجه البخاري في (الكبير) . . . والعقيلي في (الضعفاء) . . . وابن عدي في (الكامل) . . .

كما ذكر ذلك أحمد بن سليمان الرّهاوي . . . قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: حدثنا العلاء بن صالح، عن المنهال بن عمرو . . . عن عباد بن عبد الله<sup>(١)</sup> .

على أن مؤاخاة النبي ﷺ لعلي في مكة . . . سبقت مؤاخاته له في المدينة . . .

ولكن . . . تلك المؤاخاة . . . مؤاخاة النبي ﷺ لعلي . . . في يثرب . . . أضافت ميزة أخرى امتاز بها على كل صحابة رسول الله ﷺ . . . ومنقبة أخرى من مناقبه . . . حتى عدها (الزمخشري) واحدة من ثماني عشرة منقبة اختص بها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . . . والتي ذكرها في (باب مناقب علي) . . .

. . . عاش علي مع النبي ﷺ . . . واستقرا في بيت واحد جمعهما مرة

(١) الإمام الحافظ النسائي في (خصائصه) ص ٢٩.

أخرى . . ولكن . . في مدينة الرسول (يثرب) . . بعد أن عاش معه في (مكة) . .  
لذا يكون النبي ﷺ قد احتضن علياً صبيّاً في صباه . . ثم فتى، وشاباً في  
شبابه . .

حتى سبق المسلمين في احتضان النبي ﷺ له . . . ورعايته لشؤونه . .  
وتعليمه من علمه . .  
وسبقهم في الشجاعة والفداء<sup>(١)</sup> .

---

(١) لهذا الحديث صلة في موضوع (المؤاخاة . .) من الفصل الخامس والذي سيكون مكماً لهذا  
الحديث .

## مع بنت رسول الله ﷺ

- ١- الزهراء (أم أبيها) ... وبيت الزوجية.
- ٢- ذرية الرسول ﷺ ... من صلب علي..
- ٣- أيام الحزن..
- ٤- تركة رسول الله ﷺ .. ومنها (فدك).
- ٥- خطبة الزهراء.. البليغة..
- ٦- جواب... علي جواب.
- ٧- الهموم... والرحيل.
- ٨- الإمام علي... زوجاته.. وأولاده.



## الزهراء (أم أبيها) .. وبيت الزوجية



... في هذا البحث سوف نستعرض كل المواضيع المتعلقة ببضعة رسول الله ﷺ (فاطمة) .. ابتداء من زواجها .. حتى وفاتها .. دون الالتزام بالتسلسل التاريخي للأحداث المتسلسلة في هذا الكتاب ..

ذلك ليكن ما نرويه عنها محصوراً بهذا البحث .. غير موزع، أو مجزئ بين مواضيع أخرى .. حتى ولو كان مرتبطاً بها ..

القصد من ذلك .. إعطاء الأهمية اللازمة لبعض من حياة سيدة نساء العالمين .. التي أصبح نسل أبيها وذريته .. منها .. من فاطمة!!  
على أن يكون ذلك فيه إيجاز .. وبه اختصار ..

في الآية ٣٣ من سورة الأحزاب .. جاء في محكم كتابه الكريم:  
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ  
تَطْهِيراً﴾

ذكر البخاري في (صحيحه):

حدثنا أبو الوليد .. حدثنا ابن عيينه .. عن عمرو بن دينار .. عن ابن أبي مليكة .. عن المسور بن مخرمة:

إن رسول الله ﷺ قال في (فاطمة):

«فاطمة بضعة مني .. فمن أغضبها أغضبني» ورد ذلك في صحيح البخاري وصحيح الترمذي .. ومستدرک الصحيحين للحاكم وفي الخصائص للنسائي .. وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة ..

وهذا الحديث، أخرجه مسلم في (صحيحه) .. وابن أبي شيبة .. وأبو



داود.. وابن ماجه... وابن حجر في صواعقه وفي كنز العمال.. وفي حلية الأولياء لأبي نعيم.

.. كانت فاطمة أشبه الناس بأبيها رسول الله ﷺ، وجهاً.. وشبهاً..  
سميت (الزهراء).. لبياضها المائل للحمرة..

وهي أحب النساء لأبيها.. وقد بشرها النبي ﷺ بمكانتها عند الله سبحانه وتعالى.. إنها من خير نساء الجنة.. حيث أخبرها ﷺ:  
«حسبك إن خير نساء العالمين:

مريم ابنة عمران..

خديجة بنت خويلد..

فاطمة بنت محمد..

وآسيا امرأة فرعون.. فأنتِ إحداهن..»

أخرجه السيوطي في الدر المنثور والطبري في تفسيره.. وفي مستدرک الصحیحین رواه الحاكم والإمام أحمد في مسنده والخطيب البغدادي في تاريخه عن أبي هريرة، قال:

(أبطأ علينا رسول الله ﷺ يوماً صبور النهار..

فلما كان العشي.. قال له قائلنا:

يا رسول الله، قد شق علينا لم نرك اليوم..

قال ﷺ:

«إن ملكاً من السماء، لم يكن زارني.. فاستأذن الله في زيارتي..

فأخبرني وبشرني..»

إن فاطمة بنتي سيدة نساء أمتي.. وإن حسناً وحسيناً سيدا شباب أهل

الجنة...»<sup>(١)</sup>

(١) حياة الإمام علي - محمود شلبي - ص ٥٥.

ذكر الترمذي عن عبد الله بن عطاء . . عن ابن بريدة، قال :  
جاء رجل إلى أبي، فسأله :

أي الناس كان أحب إلى رسول الله؟

قال : من النساء فاطمة . . ومن الرجال علي (رض) (١) . .

والحديث أخرجه السهمي في (تاريخ جرجان) من طريق آخر . . .

فاطمة الزهراء . . . كريمة رسول الله ﷺ . . كرمها الله سبحانه وتعالى :

- لتكون بنت حبيبه . . ونبيه . . وخاتم رسله . .

- وإن تكون أمها . . أول سيدة أسلمت ، وآمنت بالإسلام . . وأول من سميت

بـ (أم المؤمنين) وجاهدت لدين الله بأموالها . . ووقوفها إلى جانب زوجها

رسول الله ﷺ . . . إنها السيدة (خديجة بنت خويلد) من خير نساء العالمين في

الدنيا والآخرة . .

- كما كرمها خالقها . . أن يكون ذرية النبي ﷺ من أولادها . . ولكن من

صلب علي بن أبي طالب . .

- وأن جعل سبحانه عز شأنه . . في صلاة المسلمين . . صلاة عليها مع أبيها

وآل بيته . . عند قولهم . . قول كل المسلمين ، في صلاتهم :

(اللهم صلّ وسلم وبارك على محمد، وعلى آل محمد . .).

كان لتلك السيدة الطاهرة . . المقام المحمود بين الهاشميات على صغر

سنها، لشخصيتها الفذة . . وتربيتها النبوية . . وعلمها بأمر الدين الإسلامي

الحنيف . . ولحفظها القرآن الكريم . .

وفضلاً عن ذلك . لها القابلية الخطابية البليغة . . والتحدث إلى الآخرين

بأحاديث تسندها بسورٍ من الكتاب الكريم . . والأحاديث النبوية . . والحجج

المنطقية . .

كيف لا !! ومن أدبها . . أدبه ربه . . ومن علمها . . علمه ربه . . إنه

رسول الله ﷺ الذي قال :

(١) الإمام الحافظ النسائي في (الخصائص) ص ١٠٨ .

«أدبني ربي فأحسن تأديبي» ..

قالت السيدة عائشة عن صدقتها:

(ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة غير أبيها ..) رواه الحاكم في المستدرک وابن عبد البر في استيعابه وكذلك في حلية الأولياء ... وغيرهم .  
علماً كان بينهما ما كان بين الفتاة وزوجة أبيها!!  
دعاها والدها .. صلوات الله عليه وسلامه ... وهو على فراش المرض الذي مات منه ... فهمس لها سرّاً .. فبكت .. ثم همس لها سرّاً آخر .. فضحكت!!

بعد حين أخبرت الإمام علي عن ذلك .. وقالت له :

(أخبرني رسول الله ﷺ إنه ميت من مرضه هذا .. فبكيت ..  
ثم أخبرني أني أسرع أهله لحوقاً به .. فضحكت ..) .. أخرجه الترمذي ... وأبو حفص بن شاهين في (مناقب فاطمة) وكذلك ابن أبي شيبة .  
والبخاري في صحيحه .. وفي حلية الأولياء لأبي نعيم .. وغيرهم ...  
أراد كل صحابي من صحابة رسول الله ﷺ .. ممن لهم الفضل ، والسابقة في الإسلام .. ومن لهم المكانة المرموقة من قريش .. جاهاً .. ومالاً .. أن تكون فاطمة زوجة له .. ليكون له شرف القرابة والنسابة من النبي ﷺ .. وآل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ...  
وكم تمنوا ذلك .. وجاهدوا له .. وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب .. وبعده أبو بكر<sup>(١)</sup> .

... ذكر الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد .. عن عبد الله بن بريدة .. عن أبيه ، قال :

(خطب أبو بكر ، وعمر فاطمة .. فقال رسول الله ﷺ : إنها صغيرة .  
فخطبها علي فزوجها منه ..)<sup>(٢)</sup>

(١) محمد رسول الحرية - عبد الرحمن الشرقاوي ص ١٣٤ .

(٢) الخصائص - للإمام الحافظ النسائي ص ١١٤ .

إلا أن أباهما . . . رسول الله ﷺ . . . لم يجب أحداً منهم . . . لأنه كان يعلم أن الله هو الذي سيختار لها بعلاً كفوءاً . . . يليق بسيدة نساء العالمين . . .  
. . . جاءه علي بن أبي طالب . . . وقال له :

«فداك أبي وأمي، إنك لتعلم أنك أخذتني من عمك أبي طالب، ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي . . . فغذيتني بغذائك . . . وأدبتني بأدبك . . . فكنت إلي أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البرِّ والشفقة . . . .»

وإن الله هداني بك، وعلى يديك . وإنك والله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة . يا رسول الله . . . فقد أحبيت مع ما شأ الله من عضدي بك، أن يكون لي بيت . . . وأن يكون لي زوجة، أسكن إليها . . .

وقد أتيتك خاطباً . . . راغباً، أخطب إليك ابنتك فاطمة . . .  
فهل أنت مزوجي . . . يا رسول الله»<sup>(١)</sup> .

لم يجب النبي ﷺ علياً . . . بل دعا المهاجرين، والأنصار . . . فقال ﷺ لهم :

«إن الله جعل المصاهرة سبباً لاحقاً، وأمرأ مفترضاً . . . أوشج به الأرحام وألزم الأنام . فقال عز من قائل : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُمْ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية : ٥٤] .

فأمر الله تعالى يجري إلى قضاؤه . . . وقضاؤه يجري إلى قدره . . . ولكل قدر أجل . . . ولكل أجل كتاب . . . ﴿يَمَحُّوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [سورة الرعد، الآية : ٣٩] .

(١) فاطمة الزهراء المرأة النموذجية في الإسلام - الشيخ إبراهيم الأميني ص ٤٢ .

ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوجَ فاطمة بنت خديجة من علي بن أبي طالب . . .

فاشهدوا أنني زوجته على أربعمئة مثقال فضة» .

كان ذلك بعد الهجرة بسنتين ، أو ثلاث على اختلاف المصادر والرويات . . . وكان عمرها لا يتجاوز الخامسة عشر . . . أو الرابعة عشر . . . وفي بعض الروايات أقل من ذلك . . .

أما الإمام علي ، فهو أسنَّ منها بعشر سنين . . .

أمره النبي ﷺ أن يُحضَرَ أمره لتنفيذ ما أمر به سبحانه وتعالى . . . على أن لا يكون ذلك المقدار من المهر ثقيلاً عليه . . . وكيف يكون مهر بنت رسول الله . . . مهر الزهراء ثقيلاً عليه ، وهي التي مهرها يعادل ما تكنزه الدنيا من كنوز!!

كان علي لا يملك ذلك المهر . . . إلا أنه باع درعه بما يُعادل ما حدده له أبوها ﷺ من مقدار المهر . . . وقدمه لها مع ثوب مصنوع باليمن من القطن . . . وكذلك جلد ذبيجة بصوفه لم يُدبغ . . . وعباءة صغيرة بيضاء . . . ومنشفة وفراش من ليف ، والآخر من صوف . . . ومخدة ليف . . . وأربعة متكآت حشوها بنبات الأرض . . .

سرير من جريد النخل . . . وحصير . . . وستار من صوف . . . قدح من خشب مع رحي للطحن . إناء من نحاس للعجن والغسيل . . . قربتان مع وعاء من ورق النخل مُزَقَّت . . . جرة خضراء مع كوزان خزف ، ومنخل للنخل<sup>(١)</sup> . . .

عن عبد الله بن عباس (رض)، قال :

لما زوج رسول الله ﷺ فاطمة من علي . . . كان فيما أهدى معها :

سرير مشروط . . . ووسادة من أديم حشوها ليف . . . وقربه . . . وجاء ببطحاء من الرمل ، فبسطوه في البيت . . .

(١) حياة الإمام علي - محمود شلبي - ص ١١٤ .

وقال النبي ﷺ لعلي :

«إذا أتيت بها، فلا تقربها حتى أتيتك . . .» .

فجاء رسول الله ﷺ . . . فدق الباب، فخرجت إليه أم أيمن . . . فقال :

- أعلم أخي؟ قالت :

- وكيف يكون أخاك وقد زوجته، ابنتك!! قال ﷺ :

- إنه أخي . . . ثم أقبل على الباب، ورأى سواداً . فقال : من هذا؟ قالت :

أسماء بنت عميس . . . فأقبل عليها، فقال لها :

- جئت تكرمين ابنة رسول الله؟ . . .

دعا النبي ﷺ فاطمة . . . فأقبلت تعثر في ثوبها حياءً من أبيها . . . ثم قال

لها :

«يا ابنتي، والله ما أردت أن أزوجك إلا خير أهلي . . .»<sup>(١)</sup> .

. . . كان مهر فاطمة، مهراً متواضعاً زوج به الرسول ﷺ ابنته التي أحبها

ورعاها، ورعته حتى قال عنها: (أم أبيها) . . . لأنها كانت ترعى شؤونه، وتُداري احتياجاته . . .

زوَّجها . . . بذلك المهر المتواضع، لكي يكون قدوةً للأباء في تزويج بناتهم

على مهور متواضعة، غير ثقيلة، لتسهيل عملية الزواج بين الشباب، وتشجيعها . . . وهو القائل :

«تزوجوا تناكحوا، حتى أباهي بكم الأمم» .

أهدى النبي ﷺ العروس . . . فاطمة . . . بساطاً من الصوف الأبيض . . .

وكذلك نساء صحابة رسول الله ﷺ . . . أهدين فاطمة بعض الملابس،

والخُلي . . . وما نُدِّر من المجوهرات . . . والطيب . . . والبخور . . .

قال رسول الله لابن أبي طالب :

(١) الخصائص - للنسائي ص ١١٤ .

«يا علي لا بد للعرس من وليمة . . .» .

فقال أحد الصحابة :

أنا عندي كبش الوليمة . . يا رسول الله . . وسأعده ليكون طعاماً  
للمدعوين . .

دعا النبي ﷺ ، أصحابه ، ومَنْ كان في المسجد . . وأقبلوا على مائدة الطعام  
التي بارك فيها الله سبحانه وتعالى . . .

كان محمد ﷺ يستقبل ضيوفه ويقدم لهم بيده الكريمة من المائدة ما  
طاب . . أما علي فكان مع أخيه عقيل ، يشاركان نبي الرحمة ﷺ الترحاب  
بالمدعوين . .

عند الزفاف كانت مع فاطمة (أسماء بنت عميس) تقوم لها مقام الأم . . بناء  
على توصية أمها أم المؤمنين السيدة خديجة لأسماء . . عند احتضارها . .

كما أمر الرسول ﷺ الهاشميات . . وبعضاً من نساء الأنصار ، والمهاجرين  
أن يصحبن فاطمة في زفافها إلى بيت الزوجية ، المجاور لبيت النبي ﷺ . .

وفي ذلك البيت ، دعا ﷺ العروسين . . وطلب من أسماء بنت عميس أن  
تأتيه بإناء فيه ماء مخلوط بالعطر والطيب . . .

رَشَّ منه النبي ﷺ على رأسيهما . . وأمر علياً أن يتوضأ منه ، بعد أن توضأ  
هو منه . . ثم أفرغه على علي . .

ودعا لهما . . فخص فاطمة بدعاء لها . . .

«اللهم إنها مني وإني منها . . اللهم كما أذهبت عني الرجس

وطهرتني . . فطهرها . . اللهم إني أعيذها . . وذريتها بك من الشيطان

الرجيم . . .» .

ثم قال عليه صلاة الله وسلامه :

«اللهم بارك فيهما . . وبارك عليهما . . وبارك لهما في

نسلهما . . .»<sup>(١)</sup> .

(١) الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين - محمد رضا ص ٧.

وبعدها كرر النبي ﷺ قوله :

«اللهم هؤلاء هم أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً»<sup>(١)</sup>.

... زار الرسول ﷺ بيت فاطمة في اليوم الرابع من زواجها.. سألها عن زوجها.. فقالت له: خير زوج..

ولكن بعضاً من النساء قلن لي: زوّجك أبوك من رجل فقير لا مال له.. وهي في قولها هذا، تنقل لأبيها ما سمعته فقط.. دون أن تكون شاكية له عن ذلك.. ذلك لأنها أعلم منهم عن زوجها الله تعالى به!!

أجابها النبي ﷺ :

«يا ابنتي.. ما أنا، ولا بعلك فقيران.. وأنتِ تعلمين قد عرضت علي أموال الدنيا.. فاخترت ما عند ربي.. والله زوجتك إلى مَنْ هو أقدمهم إسلاماً.. وأعظمهم إيماناً.. وأكثرهم علماً وحلماً..».

هنيئاً لك يا بن أبي طالب.. يُقسمُ رسول الله ﷺ.. يُقسم بالله ربه ورب العالمين.. وهو رسوله ونبيه إلى خلقه!! يُقسم.. إنك أعظمهم.. أعظمهم إيماناً... و... وأكثرهم علماً... وحلماً!!

تلك شهادة ما بعدها شهادة.. من سيد المخلوقات... وحبیب خالقهم.. من خاتم النبيين والمرسلين.. ووسام رائع المعاني من النبي لعلي..

... أوصى رسول الله ﷺ ابن عمه، وزوج ابنته.. بابنته، حيث قال له:

«فاطمة بضعة مني يؤلمني ما يؤلمها، ويسرني ما يسرها».

ثم قال لهما:

«يا علي نعم الزوجة زوجتك.. ويا فاطمة نعم البعل بعلك..».

وفي ذلك البيت الذي جمع مَنْ رباهما، وعلمهما رسول الله ﷺ تربية

(١) علي إمام المتقين - عبد الرحمن الشرفاوي ج ١ ص ٣٥.



واحدة.. عاش الزوجين بأسعد حياة.. يسودها الانسجام الكامل.. والتفاهم  
التام.. لأن موردهما في الخُلُقِ واحد.. ونشأتها في بيت واحد.. هو بيت نبي  
الرحمة ﷺ ..

على أن شظف العيش.. وبساطته، لم يُثني الزوجين المباركين من قبل  
النبي ﷺ .. عزمهما في أن يكون بيتهما مكللاً بالسعادة.. والقناعة.. والرضى  
بما هو مقدر لهما، تقديراً ربانياً.. ولم يثنيهما كذلك، من مواصلة دراسة علوم  
القرآن الكريم، وحفظه.. والمناقشة بأمر دينهم.. والتسابق في عبادة الله،  
ومناجاته..

وكانا سوية مثلما يتدارسان أمور دينهم.. يتعاونان في أمور دنياهما..  
فعلي كثيراً ما ساعد فاطمة في ترتيب ما يحتاجه بيتها من إدامة وتحضير..  
زارهما النبي ﷺ ووجدهما يطحنان بالرحى.. وقال لهما ﷺ: أيكما أعيا؟  
فقال علي: فاطمة يا رسول الله.. فأخذ الرسول ﷺ مكان ابنته ليطحن ما  
كانت تطحنه من شعير..

سأل علي النبي ﷺ قائلاً:

«يا رسول الله، أنا أحب إليك.. أم فاطمة».

قال:

«هي أحب إلي منك.. وأنت أعز عليّ منها..»<sup>(١)</sup>.

جاء الإمام علي إلى جاره (شمعون).. وهو من يهود يثرب.. طلب منه أن  
يزوده ببعض من الصوف الذي يشتغل به، ليذهب به إلى زوجته فاطمة.. حتى  
تغزله له لقاء أجر محدود!! ففعل ذلك وذهب به إلى بنت رسول الله ﷺ.. ثم  
رجع به مغزولاً، بعد فترة.. واستلم من شمعون ثلاثة أصوع من شعير..

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، وابنه في (زوائد على فضائل الصحابة). وابن معين في (حديثه).  
وسعيد بن منصور في (سننه). والحميدي، وابن سعد، والكلاباذي في (مفتاح المعاني) من طريق  
سفيان بن عيينه.

أخذت فاطمة صاعاً منه وطحنته، وعجنته، وخبزته، وحضرتة لزوجها الذي كان صائماً حتى يفطر عليه، بعد عودته من المسجد . .

عندما عاد الزوج إلى البيت . . وبينما هو على مائدة الإفطار، في أول لقمة بدأ بها . . إذ (بمسكين) يطرق الباب وينادي :

(يا أهل بيت محمد . . أنا مسكين من مساكين المسلمين . . اطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة).

أطعمه علي ذلك الطعام الذي لم يذقه بعد . . وباتوا جوعاً . . واستمر صومه !!

وفي اليوم التالي . . أخذت فاطمة صاعاً ثانياً من ذلك الشعير . . وعملت به مثلما عملت بالصاع الأول . . ووضعت له ليفطرا منه . . .

إذ (يتيم) يقف على بابهما وينادي :

أنا يتيم من أولاد المهاجرين جائع . . هلا لكم أن تطعموني يا آل بيت رسول الله؟

وكان له طعامهما . . . وباتا كما باتا ليلتهما السابقة !!

وعند الليلة الثالثة . . كررت فاطمة ما قامت به في الليلتين الماضيتين . . وكان آخر صاع عندها . . ومدّ علي بن أبي طالب يده ليقدم أول لقمة لزوجته التي شاركته الصوم والجوع . . إلا أن طارقاً آخر، طرق الباب معلناً عن نفسه إنه . . (أسير) قائلاً :

السلام عليكم يا أهل بيت النبوة . . تأسرونا ولا تطعمونا . .

فأطعموه الصاع الأخير، الذي كان عندهم . . مطحوناً . . ومعجوناً . . ومخبوزاً !! وأصبحوا هم الجوع الذين يطعمون . . ولا يطعمون !! لكن هنيئاً لهم، لأن الله سبحانه وتعالى، أطعمهم من فضله . . وخصهم بآيات من ذكره، بسورة الإنسان : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ [سورة الإنسان، الأيتان: ٨ و٩] إلى قوله تعالى : ﴿ وَجَزَّئُهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [سورة الإنسان، الآية: ١٢] .

... في تلك الفترة الحرجة من حياتهما... أيام المعارك الإسلامية لنشر الدعوة، والتي كان الإمام علي كرم الله وجهه فيها يقود تلك المعارك إلى جانب قيادة القائد الأول لها رسول الله ﷺ... مضحياً بحياته في مبادئ الإسلام... مع احتمال استشهاده وبالتالي كانت زوجته فاطمة معرضة في أي وقت أن تصبح أرملة باستشهاده..

إلا أنها كانت كالطود الشامخ.. تشجع زوجها، وأبيها.. وتُبارك لهما النصر.. والظفر.. وعند عودته تغسل له سيفه، وملابسه من دماء المشركين.. وتضمّد جراحه.. وتهبأ له متطلبات الراحة والسعادة في بيت الزوجية التي كانت هي وحدها تتحمل مسؤوليته في زمن المعارك..

لذا فإن فاطمة الزهراء.. كانت لبعلاها خير زوجة... وخير ربة بيت... وخير رفيقة..

ولم يتزوج الإمام علي على فاطمة أية زوجة بحياتها.. لأنها هي الزوجة القرينة له بعلمها.. وإيمانها.. ومكاتها بالإسلام... ولأنها بنت رسول الله ﷺ الذي قال عنها:

«فاطمة بضعة مني. فمن أغضبها أغضبني، ومن أغضبني أغضب الله».

بينما تزوج بعد وفاتها على مَنْ تزوجها.. نعم تزوج على زوجاته في حياتهن..

## ذرية رسول الله ﷺ ... من صُلبِ علي

قال النبي ﷺ :

«إن الله جعل ذرية كل نبي من صُلبه خاصة، وجعل ذريتي من صُلبِي  
ومن صُلبِ علي بن أبي طالب» ذكره الحاكم في مستدرك  
الصحيحين.. والخطيب البغدادي في تاريخه... والهيثمي في  
مجمعه وغيرهم..

أنجبت فاطمة الزهراء، خمسة أطفال: الحسن.. الحسين.. ومحسن..  
وهذا الأخير، قيل مات جنيناً.. وقيل مات طفلاً... وعندنا الرواية الثانية هي  
الأصح... ذلك أنه سُمِّي محسناً.. والجنين عادة لا يسمى، بل يهيا له اسم  
أحياناً

أما من البنات فلهما زينب... وأم كلثوم...

لذا فإن نسل الرسول ﷺ يمتد من خلال حفيديه الحسنين (الحسن  
والحسين).. وكفى بهما من ذرية حسنة.. ونسل مبارك..

كان الإمام علي (ع) يخاف عليهما في المعارك، ويحرص عليهما.. لا  
بسبب العاطفة الأبوية وحدها.. وإنما كان مجتهداً في الحفاظ على ذرية  
رسول الله..

وقد قال ذلك في مواقف مختلفة ومرات عدة... منها في صفين:

«.. فعلمت أن هذين<sup>(١)</sup> إن هلكا.. انقطع نسل رسول الله ﷺ من

(١) يقصد الحسن والحسين.

هذه الأمة . . وكرهت ذلك . .» (١) .

أحب النبي ﷺ الحسن والحسين كثيراً . . وساهم في تربيتهما، وعلمهما  
كما علم من قبل أبويهما . . علياً وفاطمة . . .

فكان صلاة الله عليه وسلامه يحيطهما بالرعاية والحب والحنان . . والاهتمام  
التام بهما . . وكثيراً ما قال أمام الصحابة قولاً يُظهر فيه ذلك . . ويوصيهم بهما . .  
ويكرر قوله دائماً :

«الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا» .

ومن ذلك القول سمياً . . (بريحتي رسول الله) و(سبطي رسول الله) وهما  
من أصحاب الكساء . .

لقد قال جدهما ﷺ في مناسبات عدة عنهما :

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» . .

وهذا ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل . . وابنه في (زوائد السند) . . كما  
أخرجه ابن أبي شيبة . . وأبو يعلى . . ويعقوب بن سفيان في (التاريخ) . . وابن  
حبان . . والمصنف في (تحفة الأشراف) . . وأبو نعيم في (الحلية) . .

كما أخرجه الترمذي . . والحاكم عن أبي سعيد الخدري . . وغيرهم .  
وأخرج الترمذي أيضاً، عن أسامة بن زيد قال :

رأيت النبي ﷺ والحسن والحسين على وركيه . . فقال :

«هذان ابناي، وابنا ابنتي . . اللهم إني أحبهما، فأحبهما وأحب من  
يحبهما» .

وذكر إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه قال :

أخبرنا جرير عن يزيد بن أبي زياد . . عن عبد الرحمن بن أبي نعم . . عن

أبي سعيد، قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) حياة الإمام علي - محمد شلبي ص ٥٤٩ .

«الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة . . وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، إلا ما كان من مريم بنت عمران . .» .

وعن ابن سعد . . عن عمران بن سليمان ، قال :

الحسن والحسين ، إسمان من أسماء أهل الجنة . . ما سمى العرب بهما في الجاهلية ، وذكر المفضل ، أن الله حجب اسم الحسن والحسين . . حتى سمى بهما النبي ﷺ ابنه (الحسن والحسين) . .

كان الحسن كثير الشبه بجده محمد ﷺ . . ولم يكن أحد أشبه منه بجده ﷺ . . فكانت أمه الزهراء تلاعبه ، وتُنشد له في طفولته :

أشبهه أباك يا حسن      واخلع عن الحق الرسن  
واعبد إلهاً ذا منن      ولاتوال ذا الإحن

جاءت فاطمة بالحسن والحسين إلى أبيها ﷺ ، فقالت له :

يا رسول الله ، هذان إبنك فورثهما شيئاً . . فقال ﷺ :

«أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددي . . وأما الحسين فإن له شجاعتي وجودي» .

عندما نزلت الآية الكريمة :

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

[سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣]

خص الرسول ﷺ نفسه وعلياً وفاطمة والحسن والحسين بهذه الآية الشريفة تخصيصاً وأدخلهم تحت كسائه وقال :

«اللهم هؤلاء أهلي ، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»<sup>(١)</sup> .

في آية (المباهلة) . . حيث قال عز من قائل في سورة آل عمران ، الآية :

: ٦١

(١) صحيح مسلم في باب فضائل أهل البيت ج ٢ ص ٢٦٨ .

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا  
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ  
عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ .

فدعى الرسول ﷺ علياً... وفاطمة... والحسن... والحسين...

وقال:

«هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا، اللهم هؤلاء أهلي...» .

... كان النبي ﷺ دائم الإعلان عن حبه للحسن والحسين... وكثيراً ما  
كان يصحبهما معه ويرافقانه وهما صغيران... وبقيا مع جدهما ﷺ يستمدان منه  
العون... والعلم... والتربية والإيمان... حتى انتقله إلى الملائكة الأعلى... عليه  
صلاة الله وسلامه...

ختاماً لهذا البحث لا يفوتنا أن نذكر أن معاوية بن أبي سفيان... مؤسس  
الدولة الأموية... والذي أول من نقل الخلافة من خلافة إسلامية إلى ملكية وراثية  
عضوض!!

معاوية هذا تأمر على الحسن حفيد رسول الله ﷺ وسبطه... حيث دس له  
السم في العسل بواسطة أعوانه... وقال في ذلك: (إن لله جنوداً من عسل)!! حتى  
قضى الحسن من ذلك السم نحيه!!

وابن معاوية... يزيد، قتل السبط الثاني... حفيد النبي ﷺ وريحانته...  
الحسين... قتله شر قتله... ومثل بجثته... وقطع رأسه... وسبى أهله... وهم أهل  
رسول الله ﷺ وذريته... ولم يذكر التاريخ مثل تلك البشاعة التي عامل بها  
يزيد بن معاوية آل بيت محمد ﷺ!!

وكان قبلهما... أعني (الحسن والحسين)... كان قد سبقهما أبوهما الإمام  
علي... عندما أصبح خليفة للمسلمين... وهو الخليفة الوحيد من الخلفاء المنتخب  
بصورة مباشرة من عامة المسلمين الذي أجمعوا عليه دون اختلاف... قد حاربه  
معاوية، وشق صفوف المسلمين بتمرده عليه... حتى أصبح بحق زعيم (الفئة  
الباغية) التي سماها رسول الله ﷺ عندما قال لعمار بن ياسر (رض):

«يا عمار تقتلك الفئة الباغية» . . . وقتل عمار، ذلك الصحابي الجليل من قبل معاوية وأصحابه . . . لذا حق عليهم قوله ﷺ ووصفه له ولأصحابه بـ (الفئة الباغية) . . . تلك الفئة التي حاربت ثلاثة من أصحاب الكساء . . . كساء رسول الله ﷺ وأحبهم إليه من آل بيته الكرام!! (وسنخصص لذلك فصلاً خاصاً من هذا الكتاب . . .)

آل بيت رسول الله ﷺ الذين قال عنهم أحدهم . . . وهو الإمام علي كرم الله وجهه . . . ويوصف مختصر في الكلمات . . . وواسع في المعاني:

«إن الله تعالى طهرنا وعصمنا نحن آل البيت، وجعلنا شهداء على خلقه وحججاً على عباده . . . وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا . . .» .

وهكذا كان علي . سابق المسلمين، وآل البيت جميعاً في مشاركة النبي ﷺ بذريته . . . كما شاركه كفاحه . . .

حيث جعل سبحانه وتعالى ذريتهما . . . محمداً . . . وعلياً . . . ذرية واحدة . . . مشتركة . . . واختص عز وجل ابن أبي طالب وحده . . . دون غيره بتلك المشاركة المشرفة . . . بالرغم من مصاهرة رسول الله ﷺ لغيره من الصحابة والقراة، فكان حقاً سابق المسلمين . في كل سبق . . .





## أيام الحزن

اختار الله سبحانه وتعالى نبيه ورسوله ﷺ إلى جواره... بعد أن أكمل رسالته، وأتم دين الله، وتعاليمه للبشرية جمعاء.. وفي هذا الموضوع.. (وفاة النبي ﷺ).. لا نأتي عليه هنا تفصيلاً.. بل سنبحث فيه فقط الجانب المتعلق بموضوعنا هذا.. وهو الخاص ببضعه.. ابنته فاطمة الزهراء (ع).. وتأثير فراقها لأبيها عليها.. ونتائجه.. أما تفصيل ذلك، سنأتيه ببحث واسع، في فصل خاص من هذا الكتاب إن شاء الله.

لازمت فاطمة رسول الله ﷺ بعد ما اشتد عليه المرض، وزاد عليه الوجع.. ثم انتقلت هي وزوجها علي بن أبي طالب.. وولداها الحسنان، إلى بيت أبيها ﷺ لتمرضه.. وتقضي معه ما تبقى من أيامه الطاهرة.. وكثيراً ما كانت تذرف دموعها بغزارة على أعز مخلوق عندها.. وأحبهم إلى نفسها.. وأكرمهم عند الله سبحانه وتعالى.. أما رسول الله ﷺ على شدة مرضه كان مواسياً لها.. يهون عليها حزنها.. ويطلب منها أن لا تجزع.. ولا تتألم على أمر أراده خالق الأنفس وبارئها.. ولا اعتراض على إرادة الله سبحانه وتعالى.. ثم إنه عليه الصلاة والسلام.. أوصى بها، وكرر ما قاله في حقها.. وأوصى بآل بيته خيراً..

... صاحت فاطمة الزهراء.. صيحة حزن شديدة.. ومن أعماق قلبها:  
(يا رسول الله.. فديتك نفسي.. يا نبي الله.. يا أبتاه.. على الدنيا بعدك  
الهوان...)

وتعالى وراء صراخها، الصراخ والعيول من قبل آل النبي ﷺ وصحابته . .  
وفي مقدمتهم الإمام علي الذي كان رأس رسول الله الكريم ﷺ في حجره . .  
وكذا الحسن والحسين . . والسيدة عائشة . . وأبو بكر . . وعمر رضي الله عنهم  
جميعاً . .

دموع الأسي، والألم . . تنهار سيولاً من أعينهم . . تختلط مع حرارة  
الحزن وعظم المصيبة . . وهول الرزية . . وذهول من كان لا يصدق أن النبي ﷺ  
قد مات . . أو من كان لا يريد أن يصدق ذلك . . .

إنا لله . . وإنا إليه راجعون . . تلك الكلمات كانت تتصاعد من أفواه  
الحاضرين . . ومعها لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . . نعم على الدنيا  
الهوان، بعدك يا رسول الله . . كما قالتها فاطمتك . . الزهراء . . السيدة التي  
كانت أحب الناس إليك . .

لقد فقدت الدنيا . . الدنيا كلها خاتم المرسلين، وسيد الكائنات . . ونبي  
الرحمة . . كان ذلك في أوائل السنة الحادية عشرة للهجرة . .

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ  
أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ  
الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٤٤].

. . بدأت أيام الحزن عند فاطمة الزهراء . . بفقدانها لأبيها الذي كان لها  
وللمسلمين صرحاً شامخاً . . وقدوة عظيمة لهم . .

بعده . لم تعرف الابتسامة طريقاً لها على محيا الزهراء . .  
ولم تُفارق عينيها دموع ذكراه الخالدة في نفسها . . العميقة في أعماق  
قلبيها . .

كانت دائمة الزيارة لقبر والدها . . ومشواه . . . تناجيه وتخاطبه . . بل تعرض  
عليه همومها شاكية له ما أصابها بعده . .

## تركة رسول الله ﷺ .. ومنها (فدك)

سُئل أحد أحفاد رسول الله ﷺ .. وهو (علي بن موسى الرضا) .. هل ترك جدك محمد ﷺ تركة، غير أرض فدك؟

أجاب: (نعم ستة أفراس .. وثلاث نوق: «العضباء .. الصهباء .. والديباج» وبغلتين: الشهباء .. والدلدك .. وحماره «يعفور»

شاتين حلوبتين .. أربعين ناقة حلوباً .. وسيفه مع درعه .. وعمامته .. خاتم .. وعباءتين قطنيتين .. وفراشاً ..

وكذلك ترك البيوت، التي كانت كل زوجة من زوجاته تسكنه ..

وهن أمهات المؤمنين: «السيدة عائشة .. السيدة أم سلمى .. السيدة زينب .. والسيدة أم حبيبة».

.. لم يذكر علي بن موسى الرضا، كيفية تقسيم تركة الرسول ﷺ من التركة التي ذكرها عدا مساكن زوجاته ..

والمعلوم أنها، وأعني التركة، قد ورثها الورثة دون أن تضاف إلى بيت مال المسلمين .. عدا عمامته .. خاتمه .. سيفه .. ودرعه .. كان قد أوصى بها إلى الإمام علي ..

أما المساكن .. فقد بقيت كل زوجة في مسكنها الذي سكنته في حياة النبي ﷺ حيث مُلكت كل زوجة سكنها .. وبقيت كل واحدة منهن فيه ..

وقد أقرت فاطمة الزهراء ذلك .. باعتبارها وريثة من الورثة .. للحفاظ على أمهات المؤمنين .. وتكريماً لمكانتهن بين المسلمين ..

وهذا يعني أن أمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ .. ورثن بيوتهم ..

بكل محتوياتها.. إضافة إلى ما تركه النبي ﷺ لهن من تركة مر ذكرها.. علماً أن الرواة لم يذكرها كيفية تقسيمها!!

نعم ورث ورثة رسول الله ﷺ، ما ورثهم من إرث..

سوى... سوى فدك!!

وفدك.. هي أرض زراعية مثمرة النخيل، والبساتين.. تقع في قرية فدك، التي تبعد فراسخ معدودة عن يثرب.. أي مسيرة يومين عنها.. وهي كانت مملوكة لليهود.. سكنوها منذ زمن بعيد.. وزرعوها..

عند فتح المسلمين لخيبر في العام السابع للهجرة.. خاف أهل فدك من المسلمين.. وساورهم الرعب منهم..

وخوفاً من المصير الذي آلت إليه (خيبر).. رغم الاحتياطات التي احتاط لها أهل خيبر..

أرسل أهل فدك رسولاً منهم إلى رسول الله ﷺ يصلحونه مسبقاً دون قتال.. لقاء إعطائه نصف فدك.. وكانت ملكاً كبيراً، وأرضاً واسعة الأطراف..

قبل الرسول ﷺ ذلك.. حيث أصبحت خالصة له وحده.. لأنه لم يوجف عليها بخيل، ولا ركاب.. ولم يأخذها المسلمون بمعارك أو قتال.. لذا فلا تُقسم قسمة الغنائم..

ويقال أن النبي ﷺ، بعث إلى أهالي فدك (محيصة بن مسعود) يدعوهم إلى الدخول في الإسلام.. إلا أنهم رفضوا ذلك.. وصالحوه على فدك.. وقبل ﷺ منهم ذلك وأخذها النبي ﷺ.. وغرس بيده الكريمة إحدى عشرة نخلة..

ذكر البلاذري.. أن يهود فدك سلموا نصف فدك للنبي ﷺ، مقابل الصلح.. أو أنهم أعطوه نصف الأشجار والثمار..

إذن ففدك.. هي من الأموال الخالصة لرسول الله ﷺ.. لأنها غنمت من غير أن يوجف عليها بخيل، ولا ركاب (كما أسلفنا)..

وتطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ  
وَأَبْنِ السَّبِيلِ كُنْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا  
نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ [سورة الحشر، الآيتان: ٦ و٧].

كان رسول الله ﷺ يأخذ من ثمار فذك، ما يسد عيشه . . وآل بيته . .  
وكذلك ينفق منها على الفقراء من بني هاشم من ذوي القربى . . . وعلى اليتامى . .  
وكذا المساكين . .

وبما أن فذك هي ملك خالص للنبي ﷺ . . إذن فله الحق . . كل الحق أن  
يتصرف بها تصرف المالك . . كما يشاء . . أو يهبها لمن يشاء . .  
لم يجد رسول الله ﷺ، أحب إلى نفسه الكريمة من فاطمة وزوجها  
وبنيهما . .

فأهدى تلك الأرض لهم . . وعلى وجه التخصيص أهداها إلى فاطمة  
الزهاء، حيث كانت تأخذ منها ما يقيم أود عائلتها من النزر اليسير لمدة عام . . أما  
الباقي، فتنفقه كما كان ينفقه أبوها محمد ﷺ . . .

عندما تولى الخلافة الخليفة أبو بكر الصديق (رض) . . بعد انتقال النبي ﷺ  
إلى الرفيق الأعلى . . استولى على أراضي فذك . . وسرح ناظرها الذي نصبته  
فاطمة لتولي شأن إدارتها . . وعين الخليفة إدارة جديدة لها من قبله . . وألحقها  
ببيت مال المسلمين . .

جاءه الإمام علي كرم الله وجهه . . محتجاً على ذلك . . . بعد أن علم ما  
كان . .

فاحتج الخليفة مبرراً اجتهاده بما قام به . . إنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«إنا معشر الأنبياء لا نُورث . . وما تركناه فهو صدقة . . .» .

أجابه الإمام علي (ع):

«إن ما رواه هو، من أحاديث الأحاد التي يرويها هو وحده دون غيره

من صحابة رسول الله ﷺ . .

ولو أن النبي ﷺ أراد ذلك لأخبرنا نحن ورثته بالعلم . . . والإيمان . . .  
 والتقوى . . . وورثته بما تركه من إرث وتركته»  
 ثم إن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم:  
 ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [سورة النمل، الآية: ١٦].  
 وقوله تعالى على لسان نبيه زكريا (ع):

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۗ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية: ٥ و٦] وقوله تعالى في محكم كتابه العزيز:  
 ﴿يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [سورة النساء، الآية:  
 .[١١]

وهذه الآية الكريمة عامة، لا استثناء فيها لنبي . . . أو غير نبي!!  
 إلا أن الخليفة أبو بكر (رض) . . . أصرَّ على موقفه، واجتهاده . . . مستنداً على  
 ما احتج به من حديث سمعه، هو وحده من رسول الله ﷺ . . .  
 قال الإمام علي (ع) في نهجه . . . نهج البلاغة . . .  
 «بلى كانت في أيدينا فذك من كل ما أظلمته السماء، فشحت عليها  
 نفوس قوم . . . وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله . . .  
 وما أصنع بفسادك، وغير فسادك والنفس مظانها في غد جدث (القبر)،  
 تنقطع في ظلمته آثارها . . . وتغيب أخبارها»<sup>(١)</sup>.

. . . أقول أن ما احتج به الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من الآيات  
 القرآنية الكريمة . . . وما قاله بعدها . . . وما ادعى به عنها . . . لا يمكن أن يكون هناك  
 أدنى شك في صحة ادعائه . . . وصدق أقواله . . . وهو أعلم الناس والمسلمين بعلم  
 المواريث . . . وأحفظهم للأحاديث . . . أقدمهم إسلاماً . . . وأكثرهم إيماناً . . .  
 وأقضاهم أحكاماً . . .

(١) نهج البلاغة - محمد عبده ج ٣ ص ٧١.

هو الذي باع دنياه بأخرته . . العالم بكل آية . . متى نزلت . . وأين وفيمن نزلت . . وتفصيل معانيها وحكمها وأحكامها . . وقد قال في ذلك :

«والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت . . وعلى من نزلت إن ربي وهب لي قلباً عقولاً . . ولساناً صادقاً ناطقاً»<sup>(١)</sup>.

كما قال عنه أستاذه العظيم محمد ﷺ :

«علي باب علمي، ومبين لامتي ما أرسلت به من بعدي»<sup>(٢)</sup>.

ثم إنه استفناه صحابة رسول الله ﷺ جميعاً في أمور دينهم . . ودنياهم . . فالخليفة الأول . . أول من كان يستشير ويستفتيه . . ويعمل . . بما يشيره ويفتيه!! لم يخالف له رأياً . . إلا ما أبداه له . . عن فذك!!

كذلك كان يفعل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض)، الذي أيد ما ذهب إليه الخليفة الأول بما قرره بأمر فذك!! . . دون أن يسمع ذلك الحديث . . أو يؤيد سماعه من النبي ﷺ . . بل ساند ما استند إليه أبو بكر (رض) . . في حديث للرسول ﷺ . . رسول الله ﷺ الذي قال :

«إذا جاءكم حديث عني فأعرضوه على كتاب الله . . فإن وافق كتاب الله فأعملوا به . . وإن خالف كتاب الله . . فاضربوا به عرض الجدار . .» .

ومعارضة هذا الحديث لأحكام كتاب الله واضحة المعالم . . إضافة لروايته الأحادية المنفردة . . لم يسند أحد من الصحابة ذلك الحديث الذي يناقض النقل والعقل . . وأحكام الآيات القرآنية الكريمة . . والحديث لا ينسخ الآيات التي وردت في القرآن حول التركة والإرث . .

والحديث الذي يخالف القرآن لا اعتبار له . . إنما الأحاديث المعتمدة هي الأحاديث التي جاءت موافقة لأحكام الكتاب . .

(١) أخرجه ابن سعد .

(٢) أخرجه أبو نعيم في (الحلية) والحاكم وابن عساكر والديلمي .

ثم هل من الممكن القول أن الإمام علياً يدعي غير الحق . . وهو الذي كان دائماً مع الحق!! والحق معه يدور . . كما قال عنه رسول الله ﷺ!!

والسيدة فاطمة . . الزهراء . . بنت محمد ﷺ نبي الله ورسوله . . التي بشرها أبوها أن تكون من خيرة نساء العالمين في الدنيا والآخرة . . .

وأن تكون ذرية النبي ﷺ منها . . ربيبة رسول الله ﷺ وتلميذته . . والتي كان يسميها: (أم أبيها) . . .

تلك الصديقة الطاهرة . . النقية . . التقية الفاضلة . . هل يجوز لها أن تدعي بما ليس لها!! . . أو تجادل في حق ليس لها فيه حق . . أو تطالب بحق غير حقها!!

هل من الممكن أن تكون تلك البتول تجافي الحق، وتخالف تعاليم الدين الحنيف . . . أو تخالف ما أوصى بها خاتم الأنبياء!

فإن كان الأنبياء لا يورثون . . ويتركون ما تركوا صدقة . . فكيف لها تخالف أحكام الأنبياء والرسول!!

وهيئات لآل بيت النبوة مخالفة تعاليم النبوة . . لاسيما الإمام علي وعقيلته الزهراء . . اللذان عاشا مع ذلك النبي العظيم . . سيد الكائنات والبشرية جمعاء . . وخاتم المرسلين . . وهما من اقتديا به . . وانتهلا من علمه . . وإيمانه . . وتقواه . .

ثم إن الإمام علياً (ع) . . وفاطمة بنت محمد . . من آل بيت رسول الله ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . . تطبيقاً للآية الكريمة:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً ﴾ [سورة الاحزاب، الآية: ٣٣].

تلك الآية التي نزلت في حق النبي ﷺ . . وعلي . . وفاطمة . . والحسن . . والحسين . . وهذا ما أجمع عليه المسلمون كافة على اختلاف مذاهبهم ونحلهم . . وهي تعني إذهاب الرجس عنهم بكل أشكاله . . بما فيه من ذنوب ومعاصٍ وردائل . . ومخالفة الشريعة السمحاء . .

فأهل البيت طهرهم الله سبحانه وتعالى . . طهارة روحية، غسلت العقل



والقلب . . فلم تترك لوساوس الشيطان، ولا ارتكاب المعاصي والآثام مكاناً في نفوسهم . . ولا للتعلق بالدنيا طمعاً . . ولا للكسب غير المشروع لهم همأ . .

فكيف بالزهراء البتول . . ابنة الرسول العظيم ﷺ . . تدعي بما ليس لها من حق . . وتطلب من الخليفة بما لا يرضي الله سبحانه وتعالى .

لذا فإن شهادتيهما . . وأعني الإمام علي . . وفاطمة . . لا تقبل الجدل ولا التمحيص . . ولا حتى الرد . . لأنهما يحملان خلق رسول الله ﷺ . . في صدقه . . وأمانته . . وإيمانه . . وقد قال علي بن أبي طالب عن فذك لاحقاً مؤكداً على حق زوجته فيها . . وذلك عندما توجه إلى قبر رسول الله ﷺ . . مخاطباً له، بعد دفنه للسيدة فاطمة :

« . . . فبعين الله تدفن ابتك سراً . . ويهتضم حقها قهراً . . ويمنع إرثها جهراً . . » .

. . ثم إن السيدة فاطمة الزهراء قالت لأبي بكر (رض) أن أباها وهبها أرض فذك . . فهي لم تكن إرثاً . . بل هي هبة لها منه . .

وهذا ما هو ثابت من الوقائع والأحداث . . . لأنها وحدها هي التي طالبت بذك دون ورثة النبي ﷺ الآخرين . .

وطلب الخليفة منها شهوداً . . فاستشهدت بزوجها علي بن أبي طالب . . والسيدة أم أيمن . .

رد عليها الخليفة . . إن الشهادة التامة يجب أن تكون من رجلين . . أو رجل وامرأتين .

لكن الإمام علي أفتى له (وهو أفضى المسلمين جميعاً بعد النبي ﷺ) أن الشهادة ممكنة برجل . . وامرأة واحدة مع حلف اليمين . . وتجاوز بشاهد واحد مع حلف اليمين . . ومع ذلك رد أبو بكر (رض) هذا الرأي . .

وأصرَّ على رأيه . . . وقرر أن تعود فذك إلى بيت مال المسلمين . . . مكرراً ما كرره وأعاد ما قاله من قول سمعه من رسول الله ﷺ . . . (نحن الأنبياء لا نورث . . .)

بعد حين جاء الخليفة الأول مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . . لزيارة السيدة فاطمة الزهراء ليرضيها . . بعد أن نزع ملكية فدك منها . . فاستأذناها للدخول . . فلم تأذن لهما!!

إلا أن زوجها علي ابن أبي طالب (ع) أذن لهما أن يزوراها . . بعد أن كلماه . . وطلبا منه ذلك . . .

وبعد أن كلمها . . وطلب منها الإذن لهما بزيارتها . .

قال لها أبو بكر . . بعد أن سلّم عليها:

(يا حبيبة رسول الله . . . والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي . . وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي . .

ولوددتُ يوم مات أبوكِ إنني متُّ، ولا أبقى بعده . . .

أفتراني أعرفك، وأعرف فضلك . . وشرفك . . وأمنعك حقك، وميراثك من رسول الله!!

إلا إنني سمعت أباكِ رسول الله ﷺ يقول:

نحن الأنبياء لا نورث ذهباً، ولا فضة، ولا داراً، ولا عقاراً . .

وإنما نورث الكتاب، والحكمة، والعلم، والنبوة . . . وما تركناه فهو صدقة . . .)

فقالت الزهراء لأبي بكر وعمر:

(أرأيكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ . . تعرفانه . . . وتعملان

به؟)

قالا: نعم . . . فقالت:

(نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول:

«رضا فاطمة من رضاي . . وسخط فاطمة من سخطي . .

فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني . . ومن أرضى فاطمة ابنتي فقد

أرضاني . . . ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني!!» .

قالا: نعم.. سمعناه من الرسول ﷺ...

قالت:

(فإني أشهد الله وملائكته، أنكما أسخطتماني.. وما أرضيتماني.. ولئن لقيتُ النبي لأشكونكما إليه..).

فقال أبو بكر:

(أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة..!!).

فقالت لأبي بكر:

(والله... لا أكلمك أبداً..)<sup>(١)</sup>.

### ماذا يعني سكوت أمهات المؤمنين عن فدك..!

... يقول الخليفة الأول... أبو بكر (رض) في معرض مخاطبته لفاطمة بنت رسول الله ﷺ في كلامه الذي مر ذكره.. والذي يقول فيه نقلاً عن النبي ﷺ:

(... نحن الأنبياء لا نورث ذهباً... ولا فضة.. ولا داراً.. ولا عقاراً..).

أقول.. إن أبا بكر (رض) ترك أمهات المؤمنين.. زوجات رسول الله ﷺ.. كل واحدة منهن ترث من النبي ﷺ بيتها.. ومحتوياته التي كانت تسكنه!!

ثم إنه لما حضرته الوفاة.. أوصى أن يدفن في بيت رسول الله ﷺ إلى جانب النبي ﷺ بعد أن استأذن ابنته.. السيدة عائشة، أم المؤمنين.. زوج الرسول ﷺ باعتبارها هي مالكة لذلك البيت الذي ورثته من إرث زوجها..

استأذنها لتوافق أن يدفن بعد موته في بيتها.. المدفون فيه النبي ﷺ.. وأذنت له بذلك... كما أذنت بعده بدفن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) إلى جانب زوجها وأبيها في بيتها..

(١) علي إمام المتقين - عبد الرحمن الشرقاوي - ج ١ ص ٧٠.

بينما منعت الحسين بن علي بن أبي طالب، بدفن أخيه الحسن عند موته معهم!!

فلو أن ذلك البيت أو الحجرة التي دفن بها الرسول ﷺ مالا من أموال المسلمين.. لأصبحت الحاجة إلى أخذ موافقة السيدة عائشة منتفية.. منتفية تماماً!!

فليس لها أن توافق على دفن ذاك في ذلك البيت المؤال إلى المسلمين.. ولا حق لها في منع هذا من الدفن فيه!!

وهذا يعني أن أم المؤمنين السيدة عائشة (رض).. ورثت بيتها عن النبي ﷺ.. ذلك البيت الذي عاش به.. ودفن فيه..

وكذلك بقية تركة رسول الله ﷺ التي مر ذكرها في صدر هذا الموضوع.. ورثها ورثته.. دون أن تضاف إلى بيت مال المسلمين..

فلو كان الرسول ﷺ قد قال ما قاله أبو بكر (رض).. لكان أولى بريبه وتلميذه علي بن أبي طالب.. وربيته.. ابنته فاطمة، أن يعلموا ذلك.. وهما اللذان يحفظان عنه كل ما قاله وما نقله!!

وفدك.. على ما يظهر من سير الأحداث.. وما يرويه المؤرخون، كانت ملكاً لفاطمة الزهراء.. بعد أن وهبها لها أبوها ﷺ..

ويؤيد ذلك، سكوت زوجات النبي ﷺ عن المطالبة بحصتهن.. أو حقهن في فدك.. فيما لو كانت ضمن تركة رسول الله ﷺ.. وغير مملكة لفاطمة

بينما حصلت.. بل طالبت كل واحدة من أمهات المؤمنين حقها في التركة.. ومنها البيت الذي تسكنه وما يحتويه..

ومجرد سكوتهن عن فدك.. كتركة فيما لو كانت تركة.. يؤيد علمهن بواقعة الهبة.. ويؤيد ذلك أيضاً قول الإمام علي.. بعد حين:

«بلى كانت في أيدينا فدك»..

وهذا يعني.. في أيدينا.. في حوزتنا.. أي حيازة ملكية فدك..

وحيازتهم لما تُدره فذك من غلال والحيازة خير سند للملكية . . وإلا لماذا كانت في أيديهم . . . ولم تكن في أيدي النبي ﷺ !!

ثم لِمَ لَمْ يضم النبي ﷺ ملكية فذك إلى بيت مال المسلمين في حياته . . !!  
ولماذا جعلها في يد فاطمة وعلي !!

. . نعم قول الإمام علي . . في أيدينا فذك . . هي خير شهادة لخير شاهد وكفى بقوله . . وشهادته إثباتاً ودليلاً . . وهو إمام المؤمنين . . إمام المتقين . . وإمام المساكين . .

وأيدت تلك الشهادة التي لا تحتاج إلى تأييد، شهادة السيدة أم أيمن . . وفي رأينا، إنه عندما يقع خلاف في حق ما . . يفترض أن يلتجأ المتخاصمون إلى التحكيم أو القضاء للقضاء على ذلك الخلاف . . وإعادة الحق إلى من له الحق فيه . . دون سواه . .

لكن الزهراء . . بنت رسول الله ﷺ وربيته . . جُردت من هذا الحق أيضاً!!  
كما أن مطالبة السيدة فاطمة الشديدة . . والدفاع الحار عن حقها في فذك . . ومناقشتها الواسعة المقرونة بأوسع الحجج للخليفة الأول . . وخطبتها الشهيرة (التي سنذكرها كاملة) التي أوردت بها حججها وأسانيداً لملكيتها . .

وكذلك سخطها على أبي بكر . . وعمر . . ومقاطعتها لهما . . وعدم رضاها عنهما . . لهو دليل آخر يضاف إلى الأدلة المتقدمة . . أن فذك . . هي ملك لها . . وهبها لها أبوها . . وبالتالي لا تدخل ضمن التركة . .

ومن يشعر بحق خالص له من حقوقه قد سلب منه دون وجه حق . . يتألم غاية الألم . . ويأسى غاية الأسى . . ويدافع عنه دفاع المظلومين . . لاسيما أنها شعرت أيضاً . . أن قرار الخليفة كان قراراً سياسياً . . خالف به ما ينبغي أن يُطبق من أحكام الإرث . . وتلك سنة رسول الله ﷺ فيما استنه في حياته بأمر من ربه سبحانه وتعالى . .

﴿وَمَا ءَأَنكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر، الآية: ٧] وحتى لا يكون ذلك سابقة في الإسلام لمخالفة أحكام الله ورسوله . .

فهي إذن تطالب في فذك دفاعاً عن شريعة الإسلام (أولاً) . . وعن حقها فيها (ثانياً) . .

دافعت السيدة البتول عن حقها الشرعي من خلال مفهومين . . أو جانبين . . هما :

أولاً : جانب . . أو مفهوم الهبة . . حيث كانت فذك ملكاً خالصاً لها . . بعد أن وهبها لها أبوها ﷺ . . وقد بينا طرق دفعها . . وإثباتاتها في ذلك . . ابتداء من خير شهادة لخير شاهد . . وهو الإمام علي . . إلى ما قدمته من وسائل ثبوتية لتثبت حقها فيها . .

ثانياً : الجانب الآخر . . من خلال السبب الوراثي . . حيث هي الوريثة الرئيسة في وراثة تركة أبيها . . وأبوها ﷺ كسائر الأنبياء يرث . . ويورث . . وهو كبقية المسلمين . . عليه تنطبق تطبيقات الشريعة الإسلامية السمحاء . . بل هو أول من يلتزم بها . . ويعمل بمبادئها دون استثناء . . وهو القدوة في تنفيذها . . ولا نجد ما يؤيد خلاف ذلك !!

فإن كان . . فالإمام علي في مقدمة العالمين به !!  
لا يحيد عنه . . ولا يجانبه أبداً . . لأنه لا يمكن أن يكون في موقف مخالف لرسول الله ﷺ . . وبالتالي يخالف المبادئ التي قاتل عنها مدافعاً . . وضحي لها من أجل رفع رايته خفاقة إلى أبد الأبدين !!  
ذكر ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة . . نقلاً عن السيدة أم هانيء . . إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قالت لأبي بكر (رض) :

- من يرثك إذا مت؟ قال :
- ولدي وأهلي . . . قالت :
- فما بالك ترث رسول الله دوننا !! قال :
- يا ابنة رسول الله ، ماورث أبوك داراً ، ولا مالاً ، ولا ذهباً ، ولا فضة . .

قالت :

- وسهم الله الذي جعله لنا . . وصار فيئنا الذي بيدك !! فقال :
- سمعت رسول الله يقول :
- (إنما هي طعمة أطعمنا الله ، فإذا مت كانت بين المسلمين . . .)

(سهم الله) . . الذي ذكرته السيدة الزهراء . . هو بقية خمس خيبر . . حيث افتتح المسلمون خيبر في السنة السابعة من الهجرة الشريفة . . فكانت من الأراضي المفتوحة . . التي أصبحت للمسلمين .

فقسم النبي ﷺ الأموال المنقولة منها بين المقاتلين . . . وأبقى خمسها للمصارف المعينة التي نصَّ عليها كتاب الله سبحانه وتعالى :

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ  
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٤١].

فكان النبي ﷺ يُقسم الخمس من الغنائم على اليتامى . . . والفقراء . . وأبناء السبيل . . ثم يأخذ قوته منه . . وينفق الباقي في سبيل الله . . وكذلك فعل في خمس غنائم خيبر . . أموالها . . وأراضيها<sup>(١)</sup> .

أما بعد وفاة النبي ﷺ مُنعت فاطمة من حقها في فدك . . . ومن بقية حقها في خمس خيبر . .

وكذلك بني هاشم من سهم ذوي القربى .

. . . من كل ما تقدم نرى أن السيدة فاطمة الزهراء . . سيدة نساء العالمين وحبيبة أبيها . . قدمت . . وعرضت كثيراً من الحجج والبراهين، لإثبات حقها فيما كانت تطالب به . . ومن تلك الحجج والبراهين، الآيات القرآنية الكريمة . . وشهادات موثقة لخير شهود . . .

أما الخليفة أبو بكر (رض) . . . لم يرد على تلك الحجج والإثباتات سوى ما كان يكرره من قول . . يقول ما سمعه عن رسول الله ﷺ وهو :

(نحن الأنبياء لا نورث ذهباً . . ولا فضة . . ولا داراً . . .).

. . بعد ذلك بأجيال . . عندما وصل إلى الخلافة الخليفة العادل (عمر بن العزيز) أعاد فدك إلى ورثة السيدة فاطمة الزهراء باعتبارها صاحبة الحق فيها . . حيث أمر وإليه في المدينة المنورة أن يُنفذ هذا . .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢.

وهذا هو مؤشر يؤيد ما طالبت به الزهراء . . . ولو بعد حين!! . . .

ذكر الدكتور نوري جعفر في تعليقه على هذا الموضوع الذي نحن بصدده . . .

قال :

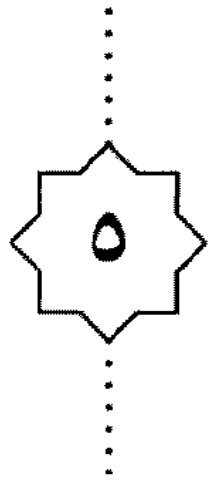
كان علي الخليفة (الأول) وقد أرتأى انتزاعها (فدك) منها - أن يبقيها تحت تصرفها مجاملة للرسول ولها . . . ويقترح - في حالة اختلافه معها - إنفاق بعض غلتها في وجوه الخير التي يتفق عليها الطرفان . . . هذا إذا سلمنا جدلاً بأنها لا ترث أباه . . . وأن النبي ﷺ لم يهبها إياها في حياته . . .

كما كان علي الخليفة كذلك من الناحية القانونية العرفية، وقد قرر أن ينتزعها من السيدة، إن استبقياها في يدها إلى أن يثبت له عدم أحقيتها بها<sup>(١)</sup> . . .

---

(١) علي ومناوئوه - د. نوري جعفر ص ٥٢.





## خطبة الزهراء.. البليغة

ونحن بصدد.. الزهراء.. وحقها في فذك.. نرى لزماً علينا ذكر خطبتها  
كاملة..

تلك الخطبة العصماء البليغة.. ليلمس القارىء من خلالها مدى علمها..  
وإيمانها.. وبلاغتها.. وسعة معرفتها بدين أبيها ﷺ وتفقهها به أولاً..

وللرد من خلالها على مَنْ يدعي أن الإسلام انتقص من مكانة المرأة في  
مجتمعه ثانياً.. فهذه السيدة فاطمة الزهراء.. سيدة نساء العالمين، تقف أمام  
جمهرة من المسلمين.. تخطب.. وتناقش.. وتدافع عن حقوقها بموضوع واحد  
من أهم الأمور التي صادفتها بعد رحيل رسول الله ﷺ..

دخلت تلك السيدة الجليلة المهابة.. على الخليفة أبي بكر (رض).. ومعه  
حشد من المهاجرين والأنصار والصحابة.. وجمع من بقية المسلمين.. وهي  
محاظة بآل بيت رسول الله ﷺ.. في موكب مهيب.. وابتدأت.. وبادرت بعد  
أن سكت كل من كان هناك حاضراً.. احتراماً لمكانتها.. ولموقعها من أبيها  
والمسلمين..

وليستمع الحاضرون إلى ما ستقوله من هي أكثرهم شبهاً وخُلُقاً  
بنيهم ﷺ.. فقالت:

(... الحمد لله على ما أنعم... وله الشكر على ما ألهم.. والثناء بما قدم  
من عموم نعم ابتدأها.. وسبوغ آلاء أسداها.. وتمام منن أولاهها..)

جَمَّ عن الإحصاء عددها.. ونأى عن الجزاء أمدها.. وتفاوت عن الإدراك  
أبدها.. وندبهم لإستزادتها بالشكر لاتصالها..

وأستحمد إلى الخلائق بإجزالها . . وثنى بالندب إلى أمثالها . .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . .

كلمة جعل الإخلاص تأويلها . . وضمن القلوب موصولها . . وأثار في التفكير معقولها . . الممتنع من الأبصار رؤيته . . ومن الألسن صفته . . ومن الأوهام كيفيته . . ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها . .

وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها . .

كونها بقدرته . . وذراها بمشيئته من غير حاجة إلى تكوينها . . ولا فائدة في تصويرها، إلا تثبيتاً لحكمته . . وتنبيهاً على طاعته . . وإظهاراً لقدرته تعبداً لبريته . . وإعزازاً لدعوته . .

ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته . .

زيادة لعباده من نعمته . . وحياشته<sup>(١)</sup> لهم إلى جنته . .

وأشهد أن أبي محمداً ﷺ عبده ورسوله . . اختاره قبل أن أرسله . . وسماه قبل أن اجتبه . .

واصطفاه قبل أن ابتعثه . . إذ الخلائق بالغيب مكنونة . . ويستر الأهاويل مصونه . . وبنهاية العدم مقرونة . .

علم من الله تعالى بمآلي الأمور . . وأحاط بحوادث الدهور . . ومعرفة بمواقع الأمور . . ابتعثه الله إتماماً لأمره . . وعزيمة على إمضاء حكمه . . وإنفاذاً لمقادير حتمه . . فرأى الأمم فرقا في أديانها . . عكفاً على نيرانها . . عابدة لأوثانها . . منكرة لله مع عرفانها . .

فأنار الله بأبي محمد ﷺ ظلمهم . . وكشف عن القلوب بهمها<sup>(٢)</sup> . . وجلى عن الأبصار غمها<sup>(٣)</sup> . .

(١) جمعه لهم ودفعهم إلى جنته .

(٢) بهمها: ما غمض من الأمور .

(٣) جمع غمه: المبهم والملتبس .

وقام في الناس بالهداية . . . فأنقذهم من الغواية . . . وبصرهم من العمية . .  
 وهداهم إلى الدين القويم . . . ودعاهم إلى الطريق المستقيم . . .  
 ثم قبضه الله إليه ، قبض رأفة واختيار . . . ورغبة وإيثار . . .  
 فمحمد ﷺ من تعب هذه الدار . . . قد خُصَّ بالملائكة الأبرار . . . ورضوان  
 الرب الغفار . . . ومجاورة الملك الجبار . . .  
 صلى على أبي . . . نبيه . . . وأمينه . . . وخيرته من الخلق وصفيه . . . والسلام  
 عليه ورحمة الله وبركاته . . .  
 أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه . . . وحملة دينه ووحيه . . .  
 وأمناء الله على أنفسكم ، وبلغائه إلى الأمم . . . زعيم حق له فيكم . . . وعهد  
 قدمه إليكم . . . وبقية استخلفها عليكم . . .  
 كتاب الله الناطق . . . والقرآن الصادق . . . والنور الساطع . . . والضياء  
 اللامع . . . بينة بصائره . . . منكشفة سرائره . . . منجلية ظواهره . . .  
 مغتبطة به أشياعه . . . قائداً إلى الرضوان أتباعه . . . مؤدّاً إلى النجاة استماعه . . .  
 به تنال حجج الله المنورة . . . وعزائمه . المفسرة . . . ومحارمه المحذرة . . . وبيناته  
 الجالية . . . وبراهينه الكافية . . .  
 وفضائله المندوبة . . . ورخصه الموهوبة . . . وشرائعه المكتوبة . . . فجعل الله  
 لإيمان تطهيراً لكم من الشرك . . . والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر . . .  
 والزكاة تزكية للنفس ، ونماء في الرزق . . .  
 والصيام تثبيتاً للإخلاص . . . والحج تشييداً للدين . . .  
 والعدل تنسيقاً للقلوب . . .  
 وطاعتنا نظاماً للملة . . . وإمامتنا أماناً للفرقة . . .  
 والجهاد عزاً للإسلام . . . والصبر معونة على استجباب الأجر . . .  
 والأمر بالمعروف مصلحة للعامة . . .

وبر الوالدين وقاية من السخط . . . وصلة الأرحام منسئة في العمر<sup>(١)</sup> ، ومنمأة للعدد . . . والقصاص حقنا للدماء . . . والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة . . .

وتوفية الماكييل والموازين تغييراً للبخس . . .

والنهي عن شرب الخمر، تنزيهاً عن الرجس . . .

واجتناب القذف، حجاباً عن اللعنة . . . وترك السرقة، إيجاباً للعفة . . .

وحرمة الله الشرك، إخلاصاً له بالربوبية . . .

فاتقوا الله حق تقاته . . . ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . . .

وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه . . . فإنه إنما يخشى الله من عباده

العلماء . . .

أيها الناس :

اعلموا أنني فاطمة . . . وأبي محمد ﷺ . . .

أقول عوداً وبدواً . . . ولا أقول ما أقول غلطاً . . . ولا أفعل ما أفعل شططاً<sup>(٢)</sup> . . .

لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . . عزيز عليه ما عتتم<sup>(٣)</sup> . . .

حريص عليكم بالمؤمنين . . . رؤوف رحيم . . .

فإن تعزوه<sup>(٤)</sup> وتعرفوه، تجدوه (أبي) من دون نساتكم . . .

و(أخا) ابن عمي دون رجالكم . . .

ونعم المعزى<sup>(٥)</sup> إليه ﷺ . . . فبلغ الرسالة صادعاً<sup>(٦)</sup> بالنداره<sup>(٧)</sup> . . . مائلاً عن

(١) مطولة للعمر .

(٢) البعد عن الحق .

(٣) أنكرتهم وجحدتم .

(٤) تنسبه .

(٥) النسب .

(٦) الإظهار .

(٧) الإنذار .

مدرجة<sup>(١)</sup> المشركين .. ضارباً ثبجهم<sup>(٢)</sup> ..  
أخذاً بأكظامهم<sup>(٣)</sup> .. داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ..  
يجف<sup>(٤)</sup> الأصنام .. وينكت إلهام ..  
حتى انهزم الجمع ، وولوا الدبر .. حتى تفرى الليل عن صبحه<sup>(٥)</sup> .. وأسفر  
الحق عن محضه ..  
ونطق زعيم الدين .. وخرست شقائق<sup>(٦)</sup> الشياطين ..  
وطاح وشيظ النفاق<sup>(٧)</sup> .. وانحلت عقد الكفر والشقاق ..  
وفُهِت بكلمة الإخلاص<sup>(٨)</sup> .. في نفر من البيض الخماص<sup>(٩)</sup> ..  
وكتتم على شفا حفرة من النار ..  
مذقة الشارب .. ونهزة الطامع .. وقبسة العجلان<sup>(١٠)</sup> .. موطن الإقدام ..  
تشربون الطرق<sup>(١١)</sup> .. وتقتاتون القد<sup>(١٢)</sup> ..  
أذلة خاسئين .. تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ..  
فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ بعد الليتا والتي ..  
وبعد أن مني بهم<sup>(١٣)</sup> الرجال .. وذؤبان العرب .. ومردة أهل الكتاب ..

- 
- (١) الطريق والمسلك .
  - (٢) وسط الشراء ومعظمه .
  - (٣) مخرج النفس من الغم .
  - (٤) يكسر .
  - (٥) انشق الليل حتى ظهر وجه الصباح .
  - (٦) شيء يخرج البعير من فيه إذا هاج .
  - (٧) هلك السفله من الناس .
  - (٨) كلمة التوحيد .
  - (٩) المراد بهم آل البيت .
  - (١٠) مثل في الاستعجال .
  - (١١) المطر .
  - (١٢) سير يُقَد من جلد غير مدبوغ .
  - (١٣) شجعانهم .

كلما أوقدوا ناراً للحرب، أطفأها الله . . . أو نجم قرن الشيطان . . . أو فغرت  
 فاغرة<sup>(١)</sup> من المشركين، قذف أخاه في لهواتها<sup>(٢)</sup> . . .  
 فلا ينكفيء<sup>(٣)</sup>، حتى يطأ جناحها بأخمصه<sup>(٤)</sup> . . . ويخمد لهيها بسفيه . . .  
 مكدوداً في ذات الله . . . مجتهداً في أمر الله . . .  
 قريباً من رسول الله . . . سيداً في أولياء الله . . .  
 مشمراً، ناصحاً، مجدداً، كادحاً . . .  
 لا تأخذه في الله لومة لائم . . .  
 وأنتم في رفاهية من العيش . . . وادعون . . . فاكهون<sup>(٥)</sup> . . . آمنون . . . تتربصون  
 بنا الدوائر<sup>(٦)</sup> .  
 وتتوكفون الأخبار<sup>(٧)</sup> . . . وتنكصون عند النزال . . . وتفرون من القتال . . .  
 فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه . . . ومأوى أصفياه . . .  
 ظهر فيكم حسكة<sup>(٨)</sup> النفاق . . .  
 وسمل جلباب الدين . . . ونطق كاظم الغاويين . . . ونيغ خامل<sup>(٩)</sup> الأقلين . . .  
 وهدر<sup>(١٠)</sup> فثيق<sup>(١١)</sup> المبطلين . . .  
 فخطر<sup>(١٢)</sup> في عرصاتكم . . . وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم . . .

- 
- (١) طائفة منهم .  
 (٢) اللهاة: اللحم في أقصى شفة الفم .  
 (٣) يرجع .  
 (٤) الأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم .  
 (٥) ساكنون ناعمون .  
 (٦) كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا .  
 (٧) تتوقعون أخبار المصائب .  
 (٨) عداوته .  
 (٩) من خفي ذكر .  
 (١٠) الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرتة .  
 (١١) الفحل المكروم من الإبل الذي لا يركب .  
 (١٢) خطر البعير بذنبه: إذا رفعه مرة بعد مرة، وضرب به فخذه

فألفاكم لدعوته مستجيبين . . . وللعزة فيه ملاحظين . . .

ثم استهضكم ، فوجدكم خفافاً . . .

وأحمشكم فألفاكم غضاباً<sup>(١)</sup> . . .

فوسمتم غير إيلكم . . . ووردتم غير مشربكم . . .

هذا والعهد قريب . . . والكلم<sup>(٢)</sup> رصيب<sup>(٣)</sup> . . .

والجرح لما يندمل . . . والرسول لما يقبر . . .

ابتداراً زعمتم خوف الفتنة . . . ألا في الفتنة سقطوا . . . وإن جهنم لمحيطة

بالكافرين . . .

فهيئات منكم . . . وكيف بكم . . . وأنى تؤفكون!!

وكتاب الله بين أظهركم . . . أموره ظاهرة . . . وأحكامه زاهرة . . . وأعلامه

باهرة . . . وزواجه لائحة . . . وأوامره واضحة . . .

وقد خلفتموه وراء ظهوركم . . .

أرغبة عنه تريدون! . أم بغيره تحكمون!!

بئس للظالمين بدلاً . . .

ومن يتبع غير الإسلام ديناً، فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين . . .

ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها<sup>(٤)</sup> . . . ويسلس<sup>(٥)</sup> قيادها . . .

ثم أخذتم توروون وقدتها . . . وتهيجون جمرتها . . .

وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي . . . وإطفاء أنوار الدين الجلي . . . وإهمال

سنن النبي الصفي .

(١) أي حملكم على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه .

(٢) الجرح .

(٣) واسع .

(٤) نفرت الدابة: جزعت وتباعدت .

(٥) يسهل .

تشرّبون حسواً<sup>(١)</sup> في ارتغاء<sup>(٢)</sup> . . .

وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء . .

ويصير منكم على مثل حزّ المدى<sup>(٣)</sup> . . ووخز السنان في الحشى . .

وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا!!

أفحكّم الجاهلية تبغون!!

ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون . . أفلا تعلمون!! . .

بلى . . قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أني ابنته . .

أيها المسلمون:

أأغلب على إرثي!! . .

يا ابن أبي قحافة:

أفي كتاب الله ترث أباك، ولا أرث أبي!!

لقد جئت شيئاً فرياً . .

أفعلّى عمد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم . .

إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ [سورة النمل، الآية: ١٦].

وقال في ما اقتص من خبر يحيى بن زكريا . . إذ قال:

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [سورة مريم، الآية:

٥ و٦].

وقال:

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٧٥].

وقال:

(١) الشرب شيئاً فشيئاً.

(٢) شرب الرغوة (وحسواً في ارتغاء) هو مثل يُضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره.

(٣) حز المدى: قطع السكاكين.



﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنِ﴾ [سورة النساء، الآية :

. [١١]

وقال :

﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾

[سورة البقرة، الآية : ١٨٠].

وزعمتم أن لا حظوة لي ، ولا أرث من أبي . . ولا رحم بيننا . .

أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها !!

أم هل تقولون :

إنا أهل ملتين لا يتوارثان !! أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة !!

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي !! .

فدونكما مخطومة<sup>(١)</sup> ، مرحولة<sup>(٢)</sup> . . تلقاك يوم حشرك . .

فنعم الحكم الله . . والزعيم محمد . . . . . والموعود القيامة . . وعند الساعة

يخسر المبطلون . . . ولا ينفعكم إذ تندمون . . ولكل نبا مستقر . .

وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه . . ويحل عليه عذاب مقيم . .

(ثم وجهت كلامها نحو الأنصار . . واسترسلت):

يا معشر النقيبة<sup>(٣)</sup> . . وأعضاء الملة . . وحضنة الإسلام :

ما هذه الغميمة<sup>(٤)</sup> في حقي ؟

والسنة<sup>(٥)</sup> عن ظلامتي ؟

أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول :

(١) الخطام : ما يدخل في أنف البعير ليقاد به .

(٢) الرحل : هو للناقة كالسرج للفرس .

(٣) الفتيه .

(٤) ضُعب في العمل .

(٥) بالكسر) النوم الخفيف .

«المرء يحفظ في ولده» .

سرعان ما أحدثتم . . . وعجلان ذا إهالة<sup>(١)</sup> . . .

ولكم طاقة بما أحاول . . . وقوة على ما أطلب وأزاول . . .

أتقولون مات محمد ﷺ ؟

فخطب جليل . . . استوسع وهنه<sup>(٢)</sup> . . . واستنهر<sup>(٣)</sup> فتقه . . . وانفتق رتقه .

وأظلمت الأرض لغيبته .

وكسفت الشمس والقمر . . . وانتثرت النجوم لمصيبته . . .

وأكدت<sup>(٤)</sup> الآمال . . . وخشعت الجبال . . .

وأضيع الحريم . . . وأزيلت الحرمة عند مماته . . .

فتلك والله النازلة الكبرى . . . والمصيبة العظمى . . .

لا مثلها نازلة . . . ولا بائقة<sup>(٥)</sup> عاجلة . . .

أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه . . . في أفئنتكم . . . وفي ممساكم . . .

ومصبحكم، يهتف في أفئنتكم هتافاً وصراخاً، وتلاوة، وألحاناً . . .

ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله . . .

حكم فصل . . . وقضاء حتم . . .

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ

أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ

الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٤٤] .

(١) مثل يضرب لصيرورة الشيء قبل آوانه .

(٢) خرقة .

(٣) اتسع .

(٤) قل خيرها .

(٥) واهمة .

إيها بني (قيلة)<sup>(١)</sup> ..

أهضم تراث أبي!! وأنتم بمرأى مني ومسمع وممتدى<sup>(٢)</sup> ومجمع .. تلبسكم  
الدعوة .. وتشملكم الخبرة .. وأنتم ذوو العدد والعدة .. والإدارة والقوة .. !!  
وعندكم السلاح والجهّة<sup>(٣)</sup> ..

توافقكم الدعوة، فلا تجيبون .. وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون!!  
وأنتم موصفون بالكفاح .. معروفون بالخير والصلاح ..  
والنخبة التي انتخبت .. والخيرة التي أختيرت لنا أهل البيت ..  
قاتلتم العرب .. وتحملتكم الكدّ والتعب .. وناطحتم الأمم .. وكافحتم  
البهيم ..

لا نبرح<sup>(٤)</sup> أو تبرحون .. نامركم فتأتمرون ..

حتى إذا دارت بنا رحي الإسلام .. ودر حلب الأيام ..

وخضعت ثغرة الشرك .. وسكنت فورة الإفك ..

وخمدت نيران الكفر .. وهدأت دعوة الهرج ..

واستوسق<sup>(٥)</sup> نظام الدين ..

فأنى حزتم بعد البيان؟ .. وأسررتم بعد الإعلان!!

ونكصتتم بعد الإقدام؟ .. وأشركتم بعد الإيمان!!

بؤساً لقوم نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم .. وهموا بإخراج الرسول وهم  
بدؤكم أول مرة ..

(١) قبيلتنا الأنصار (الآوس والخزرج).

(٢) المجلس.

(٣) بالضم) ما أستر به من السلاح.

(٤) لا نزال.

(٥) اجتمع.

أتخشوهم في الله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين!  
ألا وقد أرى أن قد أخلدتم<sup>(١)</sup> إلى الخفض<sup>(٢)</sup> .. وأبعدتم من هو أحق بالبسط  
والقبض ..

وخلوتم بالدعة<sup>(٣)</sup> .. ونجوتم بالضيق من السعة ..  
فمجبجتم ما دعيتم .. ودسغتم<sup>(٤)</sup> الذي تسوغتم<sup>(٥)</sup> ..  
فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً، فإن الله غني حميد ..  
ألا وقد قلت هذا على معرفة مني بالجدلة<sup>(٦)</sup> التي خامرتكم<sup>(٧)</sup> ..  
والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ..  
ولكنها فيضة النفس .. ونفثة الغيظ .. وخور<sup>(٨)</sup> القناة<sup>(٩)</sup> ..  
وبثة الصدر .. وتقدمة الحجّة ..  
فدونكموها فاحتقبوها<sup>(١٠)</sup>، دبيرة<sup>(١١)</sup> الظهر .. نقبة الخف<sup>(١٢)</sup> ..  
بافية العار .. موسومة بغضب الجبار ..  
وشنار إلى الأبد .. موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة ..  
فبعين الله ما تفعلون ..

- 
- (١) ملتم .
  - (٢) السعة والخصب واللين .
  - (٣) الراحة والسكون .
  - (٤) القبيء .
  - (٥) شربه بسهولة .
  - (٦) ترك النصر .
  - (٧) خالطتكم .
  - (٨) الضعف .
  - (٩) الرمح .
  - (١٠) احمलोها على ظهوركم .
  - (١١) دبر البعير: إصابته الدبيرة، وهي جراحة تحدث من الرجل .
  - (١٢) ثقب خف البعير: رق وثقب .

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . .  
وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد . .  
فاعلموا إنا عاملون . . وانتظروا إنا منتظرون . .<sup>(١)</sup>

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٣١ - ١٤١.

## جواب.. على جواب

بعد أن أنهت السيدة البتول.. فاطمة الزهراء.. بنت سيد المرسلين وخاتم الأنبياء.. تلك الخطبة البليغة التي هزت ذلك المجلس.. والتي بكى لها كثير من المسلمين... وتعاطف معها الكثير من الحاضرين..

نهض الخليفة الأول.. أبو بكر (رض).. ليرد على خطبة أم الحسين.. عليها سلام الله.. فقال في معرض جوابه على كلمتها البليغة..

بعد أن حمد الله.. وأثنى عليه.. وصلى على نبيه المصطفى (ص):  
يا بنت رسول الله..

لقد كان أبوكِ بالمؤمنين عطوفاً.. كريماً.. رؤوفاً.. رحيماً..

وعلى الكافرين عذاباً أليماً.. وعقاباً عظيماً..

إن عزوانه، وجدناه أباكِ.. دون النساء..

وأخا إلفك.. دون الأخلاء.. أثره على كل حميم.. وساعده في كل أمر

جسيم..

لا يحبكم إلا سعيد.. ولا يبغضكم إلا شقي بعيد!!

فأنتم عترة رسول الله الطيبون.. الخيرة المنجبون..

على الخير أدلتنا.. وإلى الجنة مسالكتنا..

وأنت.. يا خيرة النساء.. وابنة خير الأنبياء..

صادقة في قولك.. سابقة في وفور عقلك.. غير مردودة عن حقلك.. ولا

مصدودة عن صدقك..

والله ما عدوت رأي رسول الله.. ولا عملت إلا بإذنه..

والرائد لا يكذب أهله . .

وإني أشهد الله . . وكفى به شهيداً . .

إني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة . . ولا داراً . . ولا عقاراً . .

وإنما نورث . . الكتاب . . والحكمة . . . والعلم . . والنبوة . . وما كان لنا من  
طعمة، فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه . .» .

وقد جعلنا ما حاولته في الكراع، والسلاح يقاتل بها المسلمون . .  
ويجاهدون الكفار . . ويجالدون المردة الفجار . .

وذلك بإجماع المسلمين . . لم أنفرد به وحدي . .

ولم أستبد بما كان الرأي عندي . . وهذه حالي . . ومالي . .

هي لك . . وبين يديك . . لا تزوى عنك . . ولا ندخر دونك . .

وإنك . . وأنت سيدة أمة أبيك . . والشجرة الطيبة لبنيك . .

لا ندفع مالك من فضلك . .

ولا يوضع في فرعك وأصلك . . . حكمك نافذ فيما ملكت يداي . .

فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك ﷺ؟! (١)

. . . أجابت خيرة النساء . . وابنة خير الأنبياء . .

أجابت السيدة الزهراء على جواب الخليفة . . فقالت :

(سبحان الله!!)

ما كان أبي رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفاً . . ولا لأحكامه مخالفاً بل

كان يتبع أثره . . ويقفو سوره . .

أفتجتمعون على الغدر إعتلالاً عليه بالزور!!

وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل (٢) في حياته . .

(١) المصدر السابق .

(٢) المهالك .

وهذا كتاب الله حكماً عدلاً . . . وناطقاً فصلاً . . . يقول :

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ .

ويقول :

﴿ . . . وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ . . . ﴾

وبين عز وجل فيما وزع من الأقساط . . . وشرع من الفرائض والميراث . . .  
وأباح من حظ الذكران والإناث . . .

ما أزاح به علة المبطلين . . . وأزال التظني (١) والشبهات في الغابرين . . .

كلا ، ، بل سولت لكم أنفسكم أمراً . . . فصبر جميل ، والله المستعان على ما  
تصفون !)

بقيت فدك . . . كما أراد لها الخليفة أبو بكر (رض) أن تبقى . . .

مضافة إلى بيت مال المسلمين ، بعد أن نُزعت ملكيتها من السيدة البتول . . .

وهناك رأي يرى . . . أن قرار الخليفة . . . قراره بمصير فدك . . . ما هو إلا قرار

سياسي!! . . . دوافعه سياسية ، إضافة لدوافع أخرى ! ونحن نميل إلى الأخذ بهذا

الرأي . . . ذلك لأن الخليفة استعمل (فدك) كورقة سياسية لإخضاع السيدة فاطمة

وزوجها لأوامره ، بقصد إرغامهما على مبايعته بالخلافة وبعد أن امتنعا عن ذلك . . .

ولا نريد الخوض في هذا الموضوع بتفاصيله المفصلة . . . وحرى بنا أن نذكر

الخليفة الصديق (رض) . . . وهو على فراش الموت . . . يودع الحياة بلحظاتها

الخاتمة لحياته . . . في تلك اللحظات استعبر وبكى . . . لأنه يأسى على أكثر من شيء

فعله . . . وأول ما يأسى عليه . . . مما فعل في ترويع فاطمة (٢)!! . . .

إلا أننا نذكر بعض الوقائع التاريخية التي تؤيد الرأي القائل . . . إن ذلك

القرار . . . هو قرار سياسي . . . وإلا لِمَ فدك وحدها شملها قول الرسول ﷺ دون

غيرها من التركة!!

(١) التظني : الظنون .

(٢) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج ١ ص ٨٨ .



ونضيف أن أرض فدك .. أو مشكلة فدك!! أصبحت مقياساً لقياس درجة علاقة ولاة الأمر بعد خلافة الخليفة الأول (رض).. بآل البيت .. والهواشم! فعلى سبيل المثال:

لما ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان .. وهب ثلث فدك إلى عمر بن عثمان بن عفان .. ووهب الثلث الآخر إلى ابنه يزيد بن معاوية .. .  
أما الباقي فكان من حصة .. مروان بن الحكم!! .  
وكان معاوية .. هو الوارث الشرعي لرسول الله ﷺ لا ابنته فاطمة الزهراء .. عليها وعلى أبيها أفضل الصلاة والسلام!!  
بعدها صارت كلها إلى مروان بن الحكم، أيام خلافته .. .  
ثم وهبها إلى ابنه عبد العزيز .. .

ثم آلت إلى ابنه الخليفة عمر بن عبد العزيز .. الخليفة العادل .. وبسبب من إيمانه الشديد .. أعادها إلى ورثة فاطمة .. حيث ردها عمر بن عبد العزيز إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .. .  
وعندما تولى يزيد بن عاتكة .. أخذها منهم .. وجعلها في أيدي آل مروان!!

ولما وصلت الخلافة إلى العباسيين سلمها أبو العباس السفاح إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .. .  
ثم تدنت العلاقة مع الهاشمين في زمن أبو جعفر المنصور .. استردها من ولد الحسن!

وعندما وصل المهدي إلى سدة الحكم .. أعادها إليهم!!  
ثم .. استردها مرة أخرى منهم .. هارون الرشيد!!  
إلى أن جاء ابنه المأمون، وسلم أرض فدك إلى ورثة فاطمة سنة عشرة ومئتين للهجرة .. .

ولما جاء الخليفة المتوكل إلى الخلافة .. أقطعها إلى عبد الله بن عمر البازيار!!

... وهكذا كانت القرارات السياسية هي التي تتحكم في مصير أرض  
فدك!! أرض فاطمة الزهراء.. التي ورثتها عن أبيها كأبي وريث شرعي يرث  
بموجب أحكام الشرعية الإسلامية السمحاء..  
أو كأية مالكة لملك ملكها.. أو وهبها لها من كان يملكها.. وهو أبوها..  
رسول الله ﷺ

قال تعالى في محكم كتابه الكريم في سورة مريم، الآية: ٢-٦.  
﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ  
إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي  
خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِنُ  
وَيُرِيثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [سورة مريم، الآيات: ٢-٦].

في خلافة الخليفة الثالث.. عثمان بن عفان (رض) جاءت أم المؤمنين  
عائشة بنت أبي بكر ومعها أم المؤمنين حفصة بنت عمر، إلى الخليفة...  
وطلبنا منه تقسيم إرثهما من النبي ﷺ..

فاستوى الخليفة في جلسته.. وقال لعائشة:

لقد شهدتما أمام الخليفة الأول.. أبي بكر (رض).. إن رسول الله ﷺ  
قال:

(نحن معشر الأنبياء لا نورث..).

فإذا كان الرسول ﷺ لا يورث.. فماذا تطلبان بعد هذا!!

وإذا كان الرسول يورث.. لماذا منعتم فاطمة من حقها؟؟

فخرجت أم المؤمنين عائشة (رض) من عند الخليفة عثمان (رض)

غاضبة.. وقالت:

(اقتلوا نعثلاً.. فقد كفر..!!)(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج ١٦ - ص ٢٢٠.



## الهموم.. والرحيل

لم يكن محمد ﷺ أباً لفاطمة كبقية الآباء..

إنه رسول من الله.. ونبية للبشرية جمعاء.. ذلك العظيم الخالد في وجدان التاريخ.. والهادي للخلق بدين الخالق.. والمطهر للنفوس بمبادئ ذلك الدين..

ثم ذلك الأب.. والمربي.. والمعلم.. والقُدوة لابنته التي أوصاه الله سبحانه وتعالى بها.. وزوجها بأمر منه.. وجعلها سيدة نساء العالمين.. ومن خيرة النساء في الجنة.. فمن الطبيعي أن تحب فاطمة ذلك الأب حباً جماً، يفوق حبها لنفسها ولولديها ولزوجها.. وتفتديه كل عزيز وغالٍ.

كيف لا.. وكفاها أن يكون أبوها محمداً رسول الله ﷺ..!!

ومن لها أبٌ كأبيها، كيف لا تُفديه بنفسها.. أو بأعز عزيز لها غيره!!

وكم وصية أوصى بها.. حتى قال عنها ﷺ:

«فاطمة بضعة مني.. فمن أغضبها أغضبني».

كما خص زوجها الإمام علياً (ع) بوصيته فيها.. فقال له:

«فاطمة بضعة مني.. يؤلمني ما يؤلمها.. ويسرنني ما يسرها..».

وفي رواية أخرى قال عليه الصلاة والسلام:

«فاطمة بضعة مني.. يرينني ما رابها.. ويؤذيني ما أذاها..».

وقال لها ﷺ:

«إن الله يغضب لغضبك.. ويرضى لرضاك».

وقد أورد تلك الأحاديث: البخاري في صحيحه<sup>(١)</sup> .. والإمام أحمد بن حنبل في مسنده<sup>(٢)</sup> .. وابن ماجه<sup>(٣)</sup> .. وجامع الترمذي<sup>(٤)</sup> .. وصحيح مسلم<sup>(٥)</sup> .. والصواعق المحرقة<sup>(٦)</sup> .. والمستدرک<sup>(٧)</sup> .. وذخائر العقبى<sup>(٨)</sup> .

ذكر الإمام النسائي في (خصائصه):

إن أم المؤمنين عائشة (رض) قالت، وهي بصدد ذكر الإمام علي:

(ما رأيت رجلاً، أحب إلى رسول الله ﷺ من امرأته ..) <sup>(٩)</sup> . ولا امرأة أحب إلى رسول الله ﷺ من امرأته ..

في أوائل السنة الحادية عشرة للهجرة .. اختار الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ إلى جواره ..

عندها فقدت فاطمة أحب الناس إلى نفسها .. كما فقدته كافة المسلمين ..

وبدأت رحلة العذاب والهموم عندها ..

فلم تذق أي مذاق للراحة .. ولم تعرف بعده طعماً للسعادة .. ولا للابتسامة .. حتى لم ترسم عليها أية بسمة إلى نهاية حياتها ..

وكانت وفاة أبيها ﷺ قد تركت عليها أثراً كبيراً .. وحرزناً عميقاً لا حدود

له ..

لازمت ضريحه .. تزوره .. وتبكيه .. تناجيه .. وتشكوه على ما أصابها من

مصيبة فراقه .. وتشكوه المصائب التي حلت بها بعد وفاته ..

(١) ج ٥ - ص ٢٧٤ .

(٢) ج ٤ - ص ٣٢٨ .

(٣) ج ١ - ص ٢١٦ .

(٤) ج ٢ - ص ٢١٩ .

(٥) ج ٤ - ص ٢٦١ .

(٦) ص ١٠٥ .

(٧) مستدرک الحاكم ج ٣ - ص ١٥٤ .

(٨) ص ٣٩ .

(٩) الخصائص - للإمام الحافظ النسائي - ص ١٠٧ .

فبعد تلك النكبة العظيمة، صاحبها انتكاسات وهموم في مجرى حياتها عند وفاته وبعد وفاته . . .

فبينما النبي ﷺ مُسجى في بيته قبل أن تتم مراسيم الدفن . . . اجتمع بعض من القوم في سقيفة بني ساعدة . . . ليختاروا من يخلف رسول الله ﷺ دون الانتظار حتى يدفن جثمان النبي ﷺ الطاهر . . .

ودون حضور آل بيته للمشاركة في انتخاب خليفته!!

حتى أنها قالت لمن جاءها من الصحابة . . . وفيهم أبو بكر وعمر . . . (تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا . . . وقطعتم أمركم بينكم . . . ولم تستأمرونا!!).

وكان القوم استغلوا انشغال بني هاشم في أمر النبي ﷺ . . . وهو مُسجى!! ليتسابقوا على الوصول إلى الخلافة . . . دون أن يكون لآل البيت . . . آل بيت الرسول ﷺ مشورة أو رأي!

وهذا ما تعنيه في قولها . . . (ولم تستأمورنا) . . .

وقد تمخض عن ذلك تجاوز لحقوق الهاشميين في حقهم بالخلافة . . . أو التصويت عليها . . . أو الترشيح لها . . .

ثم إنها حسبتها أن تكون لأقرب الناس إلى رسول الله ﷺ . . . هو زوجها الإمام علي . . . لكنهم جاوزوا حقه . . . وتقمصوها منه!!

ولم تنتهي همومها إلى هذه الحدود من الهموم . . .

فقضية أرض فدك . . . وملابساتها . . . وإشكالاتها مع الخليفة الأول والتي مر ذكرها في موضوع (تركة رسول الله . . . ومنها فدك) . . .

وكذلك سهمها في خمس خيبر . . . حتى إنها غضبت منه . . . وغاضبته . . . فلم تكلمه بعد ذلك مطلقاً حتى نهاية حياتها . . .

كما كان لها من الهموم الأخرى . . . هموم أم تخاف على أولادها اليتيم . . . بعد أن كانت تعلم إنها ستكون في رحاب الله عز وجل قريباً . . . بعد أن أخبرها أبوها بذلك . . .

على أن تلك الهموم والآلام . . . كانت سبباً لمرضها، وملازمتها الفراش . . .  
وانصرافها التام للعبادة . . . وتهيئة نفسها للملاقات ربه . . . وأبيها . . .

كانت نسوة المسلمين . . . لاسيما نسوة الصحابة منهم . . . يعدنها للتخفيف  
عنها في مرضها . . . وتلبية احتياجاتها في مختلف الخدمات . . .  
سألتهما إحداهن:

كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟

أجابت فاطمة . . . وهي على فراش مرضها:

(أصبحتُ والله عائفة<sup>(١)</sup> لدنياكن . . . قالية لرجالكن . . . لفظتهم بعد إذ  
عَجَمْتُهُمْ<sup>(٢)</sup> . . . وشتنتهم<sup>(٣)</sup> بعد أن سبرتهم<sup>(٤)</sup> . . .  
فقبحاً لفلول الحد . . . وخطل العقول . . . وخور القناة . . .  
وبئسما قدمت لهم أنفسهم . . .  
إن سخط الله عليهم . . . وفي العذاب هم خالدون . . .  
لا جرم والله، لقد قلدتهم ربقتها . . . وشتت عليه غارتها . . . فجدعاً . . .  
وعقراً . . .

ثم قالت:

ويحهم أنى زحزحوها<sup>(٥)</sup> عن رواسي الرسالة . . . وقواعد النبوة . . . ومهبط  
الروح الإمين الطين<sup>(٦)</sup> بأمر الدنيا والدين . . . ألا ذلك هو الخسران المبين . . .  
وما الذي نقموا من أبي الحسن!!

نقموا والله منه نكير سيفه . . . وشدة وطأته . . . ونكال وقعته . . . وتنمره في ذات

الله . . .

(١) كارهة .

(٢) بلوتهم وخبرتهم .

(٣) أبغضتهم .

(٤) علمت أمورهم .

(٥) الخلافة .

(٦) الخبير .

وتالله . . لو تكافأوا<sup>(١)</sup> على زمام نَبْذِه<sup>(٢)</sup> إليه رسول الله ﷺ ، لاعتقله ، وسار بهم سيراً سجعاً لا يكلم خشاشه . . ولا يتتبع راكمه . .  
ولأوردهم منهلاً رويًا فضفاضاً<sup>(٣)</sup> تطفح ضفتاه . . ولا يترنم جانباه . .  
ولأصدرهم بطانة . . ونصح لهم سرّاً وإعلاناً . .  
غير متحل منهم بطائل إلا يغمر الناهل<sup>(٤)</sup> . . وردع سورة الساعب<sup>(٥)</sup> . .  
ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض . . وسياخذهم الله بما كانوا يكسبون . .

وما عشت أراك الدهر عجباً . . وإن تعجب فقد أعجبك الحادث . . إلى أي لجأ لجأوا . . وبأي سند استندوا . . أم بأي عروة تمسكوا!!  
لبئس المولى ، ولبئس العشير . . وبئس للظالمين بدلاً .  
استبدلوا والله الذنابا بالقوادم . . والعجز بالكاهل .

فتعساً لقوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . . ألا أنهم هم المفسدون . . ولكن لا يشعرون . ويحهم ! أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع ، أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون . .

أما لعمر الله . . لقد لقحت . . فنظرة ريشما تُتَّج . .  
ثم احتلبوها طلاع العقب دماً عبيطاً . . ودُعاقاً مُمقراً . . هنالك يخسر المبطلون . . ويعرف التالون غبّ ما أسس الأولون . .

ثم طيبوا عن أنفسهم نفساً ، واطمثنوا للفتنة جأشاً . .  
وابشروا بسيف صارم . . وهرج شامل . . واستبداد من الظالمين . .  
يَدْعُ فيئكم زهيداً . . وجمعكم حصيداً . .

(١) تساوا .

(٢) ألقاه إليه .

(٣) يفيض منه الماء .

(٤) ري الضمان .

(٥) كسر شدة الجوع .

فيا حسرة عليكم .. وأنى لكم وقد عُميثُ عليكم ..

وأنتم لها كارهون!!

والحمد لله رب العالمين .. وصلاته على محمد خاتم النبيين .. وسيد المرسلين<sup>(١)</sup>.

.. اشتد المرض على الزهراء .. بنت سيد المرسلين ﷺ .. حيث أخذ المرض مأخذه من جسمها النحيف ..

الإمام علي (ع) يمرضها .. ويواسيها دون أن يفارقها إلا في أوقات الصلاة، عندما يذهب إلى المسجد لأداء الفريضة .. ثم يعود لزوجته، ليعاود رعايته لها .. كانت السيدة أم سلمى تشارك الإمام في رعايته لفاطمة ..

ذكرت أم سلمى .. أن فاطمة اشتكت شكواها التي قبضت فيها، فكنت أمرضها .. فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكواها تلك ..

وخرج علي (ع) لبعض حاجته .. فقالت:

يا أم سلمى .. اسكبي لي غسلاً ..

فسكبت لها .. فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل .. ثم قالت:

يا أمه .. قدمي لي فراشي وسط البيت ..

ففعلت .. واستقبلت القبلة .. وجعلت يدها تحت خدها .. ثم قالت:

يا أمه .. إني مقبوضة الآن .. وقد تطهرت، فلا يكشفني أحد ..!

فجاء الإمام علي، فأخبرته بما حدث .. فقام بتجهيزها .. ودفنها كما أرادت

هي .. وفي رواية أخرى ..

أن عبد الله عباس .. ابن عم أبيها، وابن عم زوجها .. روى:

أن فاطمة أوصت الإمام علياً (ع)، وصية مكتوبة، قالت فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله ﷺ ..

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ - ص ٢٣٣ - بلاغات النساء ص ١٩.



أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله . . وإن الجنة حق . .  
والنار حق . . وأن الساعة آتية لا ريب فيها . . وأن الله يبعث من في القبور . .  
يا علي . . أنا فاطمة بنت محمد . .

زوجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة . . أنت أولى بي من غيري . .  
حطني . . وغسلني . . وكفني بالليل . . وصل علي . . وادفني بالليل . . ولا تعلم  
أحدًا . .

وأستودعك الله . . وقرأ علي ولدي السلام إلى يوم القيامة . . (١)

أسرع زوجها الإمام علي كرم الله وجهه بتنفيذ وصية بنت رسول الله ﷺ . .  
غسلها . . وجهازها . . وكفنها . . ثم صلى عليها . .

بعدها . . غطى نعشها بغطاء كبير . . ونعشها أول نعش يغطى في الإسلام . .  
ثم شيعها سرًا . . ومعه الحسن والحسين . . وعقيل . . وسلمان الفارسي . .  
وأبو ذر الغفاري . . والمقداد . . وعمار بن ياسر . . وبريده . . والعباس بن عبد  
المطلب . . وابنه الفضل . . وكذلك ثلثة من الصحابة الآخرين .

نزل في قبرها كل من زوجها علي . . والعباس . . وابنه الفضل . . حيث  
دُفنت بالبقيع . . وهي مقبرة دُفن بها شهداء المسلمين . . وبعض صحابة  
رسول الله ﷺ . . وقبرها مجاور للبيت الذي فيه قبر النبي ﷺ . . وهناك رواية  
تروي أن الزهراء دُفنت في بيتها التي كانت تسكنه . . ثم ساوى القبر مع الأرض . .  
دون أن يكون عليه أثر . . وذلك تطبيقاً لما أوصت به! ! ويبدو أن ذلك مظهر من  
مظاهر الاحتجاج . .

أو استمرار لما أظهرته من احتجاج في حياتها من مغاضبة أبو بكر . .  
وعمر . . ومقاطعتها لهما! وإنما أرادت لذلك الاحتجاج استمراراً . . حتى بعد  
مماتها . .

وقد ذكر ذلك كل من :

(١) البحار ج ٤٣ - ص ٢١٤ .

البخاري<sup>(١)</sup> . . . ومسلم<sup>(٢)</sup> في صحيحهما . . . والطبري<sup>(٣)</sup> في تاريخه . . .  
والإمام أحمد<sup>(٤)</sup> بن حنبل في مسنده والبيهقي<sup>(٥)</sup> في سننه . . .

كما ورد في الإمامة والسياسة<sup>(٦)</sup> . . . إنها كانت تدعو على أبي بكر في كل صلاة . . . كما ذكر الجاحظ<sup>(٧)</sup> ذلك في رسائله . . . وكذلك في أعلام النساء<sup>(٨)</sup> .

. . . بكى الإمام علي (ع) أحر بكاء، وحزن عليها أشد حزن . . . وقال وهو يلقي النظرات الأخيرة على قبرها:

«أرى علل الدنيا عليّ كثيرةً      وصاحبها حتى الممات عليلُ  
لكل اجتماع من خليلين فرقة      وكل الذي دون الممات قليلُ  
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد      دليل علي أن لا يدوم خليلُ»

ثم توجه إلى قبر أبيها . . . رسول الله ﷺ . . . ووقف عنده، فقال:

«السلام عليك يا رسول الله ﷺ . . . السلام عليك من ابنتك،  
وحبيبتك، وقرّة عينك، وزايرتك . . . البائتة في الثرى بيقعتك . . .

قلّ يا رسول الله عن صفتك صبري . . . وضَعَفَ عن سيدة النساء  
تجلدي . . .

إلا أن في الناسي لي بسنتك . . . والحزن الذي حلّ بي لفراقك موضع  
التعزي . . .

ولقد وسَدَتك في ملحودة قبرك . . . بعد أن فاظت نفسك على

(١) ج ٥ - ص ٥٠.

(٢) ج ٢ - ص ٧٢.

(٣) ج ٣ - ص ٢٠٢.

(٤) ج ١ - ص ٦.

(٥) ج ٦ - ص ٣٠٠.

(٦) ج ١ - ص ١٤.

(٧) ص ٣٠١.

(٨) ج ٣ - ص ١٢١٥.

صدري . . وغمضتك بيدي . .

وتوليتُ أمرَك بنفسِي . .

نعم وفي كتاب الله أنعم القبول . . إنا لله وإنا إليه راجعون . .

قد استرجعت الوديعة . . وأخذت الرهينة . . واختلست الزهراء . .

فما أقيح الخضرَاء ، والغبراء يا رسول الله . .

أما حزني فسرمد . . وأما ليلي فمسهد . .

لا يبرح الحزن من قلبي . . أو يختار الله لي دارك التي فيها أنت

مقيم . . كمد مقيح ، وهم مهيج . .

سرعان ما فرق الله بيننا . . وإلى الله أشكو . .

وستنبئك ابتك بتظافر أمتك علي . . وعلى هضمها حقها . .

فأستخبرها الحال . . فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه

سبيلاً . .

وستقول ويحكم الله ، وهو خير الحاكمين . .

سلام عليك يا رسول الله . . سلام مودع لا سئم ولا قال . .

فإن أنصرف فلا عن ملالة . . وإن أقم فلا عن سوء ظني بما وعد الله

الصابرين . . والصبر أيمن وأجمل . .

ولولا غلبة المستولين علينا . . لجعلت المقام عند قبرك لزاماً . .

وللبثت عنده معكوفاً ولأعولت أحوال الثكلى على جليل الرزية . .

فبعين الله تُدفن بتك سراً . . ويهتضم حقها قهراً . . ويُمنع إرثها

جهرأ . . ولم يطل العهد . . ولم يخلق منك الذكر . .

فإلى الله يا رسول الله المشتكى . . وفيك أجمل العزاء . .

وصلوات الله عليك وعليها ورحمة الله وبركاته»<sup>(١)</sup>.

صدقت يا رسول الله، وأنت أصدق الصادقين.. عندما همست لها تُنبئها بسرعة لحاقها بك. وهي أول مَنْ يلتحق بك من آل بيتك..

كان ذلك في السنة الحادية عشرة من الهجرة.. وبعد وفاة النبي ﷺ بأشهر، اختلف على عددها المؤرخون..

لكن الذي اتفقوا عليه هو أن رسول الله ﷺ انتقل إلى جوار ربه في أوائل السنة نفسها التي توفي الله فيها فاطمة الزهراء.. عليها سلام من الله سبحانه وتعالى..

وهكذا عاشت حبيبة رسول الله ﷺ.. نحو تسع سنوات.. على أكثر الروايات من حياتها الزوجية مع الإمام علي (ع).. الذي كان لها خير زوج.. وكانت له خير زوجة..

ولم يتزوج زوجها علي عليها في حياتها إجلالاً لمكانتها عند الله.. ورسوله.. وعنده هو.. وحتى لا يُغضبها.. ويغضب لغضبها رسول الله ﷺ.. وبالتالي يغضب الله تعالى..

لكنه.. بعدها تزوج الإمام علي من زوجها..

(١) فاطمة الزهراء المرأة النموذجية في الإسلام - الشيخ إبراهيم الأميني - ص ١٧١.

## الإمام علي.. زوجاته وأولاده



كانت فاطمة الزهراء، هي أول زوجة له..

لم يقرن بها زوجة أخرى بحياتها، كما ذكرنا.. لمكانتها الكبيرة عنده..  
ولكرامة منزلتها عند أبيها ﷺ..

ولأنه لا يستطيع أن يعدل بينها وبين زوجة ثانية.. فيما لو تزوج عليها  
بأخرى.. لأن الأخرى لا يمكن أن تكون بالمستوى الذي فيه فاطمة.. من كل  
الجوانب.. علماً.. وأدباً.. وورعاً.. وفصاحة وإيمان وتقوى.. وهذا يعني أن  
فاطمة لا مثيل لها بين النساء.. ولا مقارنة لغيرها بها..

وبالتالي يعجز عن تنفيذ أمر الله في العدل بين زوجة وأخرى..

كيف له أن يساوي بين بنت رسول الله ﷺ التي رباها من ربه الوحي!!  
وبين امرأة.. أو زوجة ثانية.. لا يمكن أن تكون قرينة بسيدة نساء العالمين!!..

ولدت الزهراء ابنها البكر.. الحسن.. ثم الحسين.. ومحسناً الذي توفي  
صغيراً.. ومن البنات.. زينب الكبرى التي تزوجها عبد الله بن جعفر  
الطيبار (رض).. وكذلك أم كلثوم الكبرى.. التي خطبها عمر بن  
الخطاب (رض)..

قال رسول الله ﷺ عن أولاد فاطمة:

«كل ولد أب، فإن عصبتهم لأبيهم.. ما خلا ولد فاطمة،، فإنني أنا أبوهم  
وعصبتهم..»<sup>(١)</sup>

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى - محب الدين الطبري ص ١٢١.

ويقصد النبي ﷺ في ذلك الحسن . . والحسين ونسلهما . . واحتراماً لهذا القول كان الإمام علي يقول لولده:

«أنتم أولادي . . والحسن والحسين ولدا رسول الله ﷺ» . .

. . بعد وفاة فاطمة الزهراء . . زوجة الإمام علي (ع) الأولى . . تزوج (بأم البنين بنت حُذام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد . .) من بني كلاب . . وولدت له . . العباس . . وجعفر . . وعبد الله . . وعثمان . .

وهؤلاء استشهدوا جميعاً مع أخيهم الحسين في واقعة كربلاء سنة 6٠ للهجرة . . وذلك عندما ثار الحسين على ظلم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . . بعد خروجه عن مبادئ الإسلام الحنيف . .

ولم يكن لأولاد أم البنين ذرية . . سوى أكبرهم العباس . . حيث ولد له (الفضل) . .

كما تزوج الإمام علي (ع) من (ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية) وله منها:

عبيد الله . . وأبو بكر . . وقد استشهدا مع سيد الشهداء الحسين بكربلاء أيضاً . .

أما (أسماء بنت عُميس الخثعمية) فزوجته الثالثة . . وولدت له:

محمد الأصغر . . ويحيى . . وعوناً . .

وقد نال الأول شرف الشهادة مع أخيه الحسين في كربلاء:

وتزوج الإمام علي (ع) (الصهباء أم حبيب بنت ربيعة التغلبية).

وهي من سبايا خالد بن الوليد، عندما أغار على عين التمر القرية على مدينة كربلاء . . وله منها:

(عُمَر) الذي عمّرَ خمساً وثمانين سنة . . وقد ورث نصف ميراث أبيه الإمام

علي . . ومات بينبع . .

وله أخت من أبيه وأمه . . اسمها رُقيه . .

ثم اقترن الإمام بـ (إمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العُزى بن عبد شمس) . . وهي بنت زينب بنت النبي ﷺ . . أي ابنة أخت أول زوجة له . . وهي السيدة فاطمة الزهراء التي أوصته قبل مماتها أن يقترن بها بعدها، حتى ترعى شؤون ولديها الصغيرين . . الحسن والحسين . .

ولدت للإمام علي إمامة . . ولداً واحداً . . هو محمد الأوسط . .

أما (خولة بنت جعفر بن قيس بن مَسْلَمَة) من بني حنيفة . . فولدت له (محمدأ بن الحنفية)

ثم تزوج الإمام من (أم سعيد بنت عُروة بن مسعود الثقفية).

فولدت له أم الحسن . . ورملة الكبرى . . وأم كلثوم . .

وكانت آخر زوجاته (مُحَيَّاة بنت أمرىء القيس بن عدي الكلبية) والتي ولدت له بنتاً فقط . .

ثم إن للإمام علي (ع) بنات من أمهات أولاد . . منهن:

جمانه . . نفيسة . . أم هانئ . . زينب الصغرى . . رملة الصغرى . .  
خديجة . . فاطمة . . أم كلثوم الصغرى . . أم جعفر . . أم الكرام . . أم أبيها . . أم سلمى . . ميمونه . . وأمامة . .

نخلص مما تقدم . . وحسب ما تذكره كتب التاريخ أن للإمام علي:

(أربعة عشر) من الذكور . . (وتسع عشرة) من الإناث . . كما ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته<sup>(١)</sup>.

أما أولاده الذين أنجبوا . . واستمر نسلهم:

الحسن . . الحسين . . محمد بن الحنفية . . العباس بن أم البنين . .  
وعمر بن الصهباء التغلبية . .

(١) الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء - محمد رضا - ص ٩.

والجدير بذكره.. أن الإمام علياً معروف عنه أنه كان وافر الحظ من الذرية.. وأباً سمحاً يستريح الأبناء لعطفه..

ويجترون على مساجلته الرأي في أخطر ما ينوبه من الأحداث الجسام..

وكان يزهيه أن يحيط به أبنائه في محافل الورع، ومشاهد الزخرف..

فيخرج إليها، وهم حافون به.. عن يمينه وشماله..

منهم من يحمل اللواء بين يديه.. وهذا زهو الشجاع الفخور بأشباله

الشجعان..

كما اشتهر بالعطف على صغارهم.. ومودة كبارهم..

فكان أحب شيء إليه أن يداعبهم.. أو يرى من يداعبهم<sup>(١)</sup>

ومن قوله في حق الوالد على الولد.. وحق الولد على الوالد:

«إن للوالد على الولد حقاً، وأن للولد على الوالد حقاً.. فحق الوالد

على الولد أن يطيعه في كل شيء إلا في معصية الله سبحانه.. وحق

الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويعحسن أده، ويعلمه القرآن..».

---

(١) عبقرية الإمام علي - عباس محمود العقاد - ص ٢١٤.

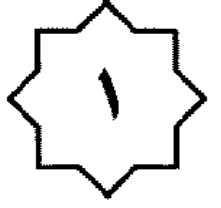




## الجهاد في سبيل الله

- ١- الإيمان.. والفضاء.
- ٢- معركة بدر
- ٣- أحد.. وخسارة المسلمين بجمزة.
- ٤- ويمضي سيف علي للدفاع عن دين الله.
- ٥- معركة الخندق
- ٦- من غزوة خيبر.. إلى معركة حنين.
- ٧- تبوك.. واستخلافه على المدينة.
- ٨- الجهاد بالموعظة.. بعد الجهاد بالسيف.





## الإيمان... والفداء

لم يكن الإمام علي (ع) إلا أول المسلمين إسلاماً . .  
وأقدمهم إيماناً . . وأكثرهم تضحية وإقداماً . .

قال عبد الله بن عباس . . وأنس بن مالك . . وسلمان الفارسي . . وزيد بن  
أرقم . . وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ :  
(إن علياً . . أول من أسلم)<sup>(١)</sup> .

أخرج ابن عدي عن مالك بن الحويرث قال :

(كان عليُّ أول من أسلم من الرجال . . وخديجة أول من أسلم من النساء)  
كما أخرج هذا الحديث العقيلي عن عمر بن عبد الله بن يعلي بن مرة . . عن  
أبيه . . عن جده يعلي بن مرة الثقفي . .

وحديث أبي رافع (رض) الذي أخرجه البزار وفيه :

(. . نبيء النبي ﷺ يوم الاثنين . . وأسلم عليُّ رضي الله عنه يوم  
الثلاثاء . .).

أخرج الحاكم، عن يوسف بن صهيب . . عن عبد الله بن بريدة . . عن أبيه  
قال : (انطلق أبو ذر، ونعيم ابن عم أبي ذر، وأنا معهم نطلب رسول الله ﷺ وهو  
بالجبل مكتتم . . فقال أبو ذر :

يا محمد، أتيناك نسمع ما تقول . . وإلى ما تدعو؟

فقال رسول الله ﷺ :

(١) الخصائص - للإمام الحافظ النسائي - ص ٢٦ - راجع موضوع (نشأته . . وصباه) .

أقول لا إله إلا الله . . وإني رسول الله . .

فأمن به أبوذرٍ وصاحبه . . وآمنت به . . وكان عليُّ في حاجة لرسول الله ﷺ أرسله فيها . . وأوحى إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين . . وصلى عليُّ يوم الثلاثاء . .).

وفي رواية أخرى . . ذكر علي بن المنذر الكوفي قال:

أخبرنا ابن فضيل . . عن الأجلح ابن عبد الله الكندي عن عبد الله بن أبي الهذيل . . عن علي بن أبي طالب، قال:

(ما أعرف أحداً عَبَدَ الله بعد نبينا غيري . عبدتُ الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة . .) (١)

وفي قول للإمام علي . . رواه عثمان بن سعيد الخزاز . . عن علي بن حزار . . عن علي بن عامر . . عن أبي الحجاف . . عن حكيم مولى زاذان . . قال: سمعت علياً يقول:

«صليتُ قبل الناس سبع سنين . وكنا نسجد ولا نركع . . وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر . .» .

فقلت يا رسول الله: ما هذا؟ . . قال:

«أمرت به . .» .

كان علي مرافقاً للنبي ﷺ قبل أن يُبعث . . . وبعد ما بُعث . . وله القدوة الحسنة فيه . . وهو معلمه ومُربيه . .

لذا فإن مبادئ الإسلام وقيمه التي بشر بها ذلك القائد العظيم ﷺ، دخلت إلى أعماق فكر الإمام علي . . وتغذت بها روحه . . وعاش لها . . وضحي من أجلها . . وقاتل دفاعاً عنها . .

لأنه أول من آمن بها إيماناً عميقاً مبنياً على المعرفة والحكمة . .

فلا عجب إذا شارك في معارك الإسلام جُلها . . دفاعاً عن ما آمن به من مبادئ ضد من كفر بها . .

(١) راجع كتاب الخصائص - للإمام النسائي .

مجاهداً في سبيل الله لنشر راية الإسلام التي أمر سبحانه وتعالى بنشرها على كل خلقه . . دون استثناء . .

وصف الإمام علي الجهاد . . أنه :

«باب من أبواب الجنة» . .

وهو :

«لباس التقوى» . .

وأنه :

«درع الله الحصينة، وجته الوثيقة . .»

والجهاد هو :

«عز للإسلام» . .

حيث قال :

«أما بعد فإنَّ الجِهَادَ بَابٌ من أبوابِ الجنةِ . . فَتَحَهُ اللهُ لخاصةِ

أوليائِهِ . . وهو لباسُ التقوى . . ودرعُ اللهِ الحصينةُ، وَجُتَّتْ<sup>(١)</sup>

الوثيقةُ . . فمن تَرَكَهُ رغبةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُ ثوبَ الذُّلِّ . . وشملةَ البلاءِ .

وَدُيِّتَ<sup>(٢)</sup> بِالصُّغَارِ وَالقَمَاءِ<sup>(٣)</sup> . .

وَضُرِبَ على قلبِهِ بالأسَدَادِ<sup>(٤)</sup> . . وأدبِلَ الحقُّ منه بتضيقِ الجهادِ وَسِيمِ

الخشفِ<sup>(٥)</sup>، وَمُنِعَ النُّصْفَ

شارك علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مع رسول الله ﷺ في بث الدعوة

في كل مراحلها، السرية منها والعلنية . .

(١) وقايته .

(٢) ديشه : ذلله .

(٣) القماءة : الذل والصغر .

(٤) ذهاب العقل .

(٥) أن يسلط عليه من يقلبه على أمره فيظلمه .

فكان معه يدفع عنه إيذاء المشركين في مكة . . ويحارب معه في يثرب . .  
وهو الحامل لراية الإسلام، أمام المسلمين في جهادهم . .  
وبالجهاد في سبيل الله الذي هو ركن من أركان الإسلام . . كانت تتلپسه  
الشجاعة النادرة والقوة البدنية الخارقة . .  
وكان وراء تلك القوة الخارقة . . قوة إلهية . . كما قال هو في ذلك . . .  
تلك القوة المتأتية من ذلك الإيمان . . الإيمان المطلق بالسماء وبمبادئها . .  
والواقع أن عمق إيمانه بما آمن به من مبادئ إلهية . . لهو مصدر من  
مصادر قوته . . وسبب من أسبابها . .

## معركة بدر



في أول معركة من معارك المسلمين التي كانت بمثابة صدام مسلح واسع بين المسلمين والمشركين . . وهي معركة بدر . . في السنة الأولى من الهجرة . . في شهر رمضان . . السابع عشر منه . . وكان يوماً من أيام الجمع . .

كان علي في نحو العشرين من عمره . .

قائداً من قواد المسلمين . . وهو في ذلك العمر ! !

يقود كتيبة من كتائب المسلمين . . وراء قيادة القائد العظيم . . النبي الكريم ﷺ . . وجيش الإسلام آنذاك . . لا يتجاوز عدده (٣١٣) رجلاً . . . بينما عدد المشركين . . أكثر من ذلك بثلاثة أضعاف . .

وعُدتهم مضاعفة لعدة المسلمين . .

لكن المسلمين تسلحوا بأقوى، وأعظم سلاح . . وهو الإيمان . . وطلب الشهادة . . والإيمان يجعل المقاتل يندفع إلى الموت دون خوف منه . . أو حرص على حياته . .

قال ابن الأثير :

كان المشركون تسعمائة وخمسين رجلاً . . وكانت خيلهم مائة فرس . .

ومعهم سبعمائة بعير . .

أما المسلمون، فكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً . . ولم يكن فيهم غير

فارسين . .

والإبل سبعين بعيراً . .



فكانوا يتعاقبون عليها . .

البعير بين الرجلين . . والثلاثة والأربعة . .

فكان بين النبي ﷺ وعلي، وزيد بن حارثة . . بعير واحد . .

وبين أبي بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف . . بعير . . وهكذا . .

وكان لوائه مع مصعب بن عمير . .

ورايته مع علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup> . .

. . في معركة (بدر) . . زج المشركون من قريش أشجع مقاتليهم . . وأقوى

فرسانهم . . منهم :

أبو جهل . . أبو الحكم بن هشام . . عتبة بن ربيعة . . شيبة بن ربيعة . .

الوليد بن عتبة . . أبو البخترى ابن هشام . . أمية بن خلف . . الأسود بن عبد

الأسد . . زمعة بن الأسود . . ونوفل بن خويلد . .

تلك الجمهرة من العتاة . . والأبطال من قريش ليرهبوا المسلمين

ويتحدوهم . . ليقضوا على محمد ﷺ وعلي مبادئ دينه . .

هؤلاء طلبوا من النبي ﷺ . . قائد جيش المسلمين . .

طلبوا منه خيرة مبارزيه لمبارزتهم . .

وقد ظهر من صناديدهم . . عتبة بن ربيعة . . أخوه شيبة . . وابنه الوليد بن

عتبة . .

حيث نادوا على المسلمين طالبيين منهم المبارزة . .

فخرج لهم فتية من الأنصار . . وأبدوا استعدادهم للمبارزة . .

إلا أن عتبة بن ربيعة قال . . بتغطرس وكبرياء :

(لا نريد هؤلاء . . وليبارزنا من بني أعمامنا من بني عبد المطلب . .) !!

فطلب النبي ﷺ ممن خرج لهم . . من الأنصار أن يعودوا . .

وأمر وهو القائد للمسلمين كل من :

(١) حياة الإمام علي - محمود شلبي ص ١٢٥ .

(علي بن أبي طالب .. حمزة بن عبد المطلب .. وعبيدة بن الحارث ..).  
الإمام علي .. قابل مبارزاً .. الوليد بن عتبة ..  
وبدأ علي مقاتلة الوليد .. حيث ختمها بضربة قاصمة .. تمثل فيها فن نادر  
من فنون القتال ..

ضربة قاضية للوليد بسيف علي بن أبي طالب، لسيف الوليد بن عتبة، الذي  
ارتفع إلى أعلاه .. ومن ثم نزل عليه .. فأصاب منه مقتلاً .. وكبر لها  
المسلمون .. وسرَّ بها رسول الله ﷺ وكبر ..

.. أما حمزة بن عبد المطلب .. أحد قادة المسلمين .. وبطل من  
أبطالهم .. فبرز لعُتبة بن ربيعة .. فصرعه شر صرعة .. كبرَّ لها المسلمون أيضاً ..  
ثم ساعد حمزة .. وابن أخيه علي .. عبيدة بن الحارث في قتل شيبة بن ربيعة ..  
بعد أن استطاع شيبة قطع رجل عبيدة ..

بعد ذلك اشتد وطيس المعركة بين المسلمين والمشركين .. فأبلى كل من  
حمزة وعلي، في قتال أعداء الدين، بلاءً له الفضل في انتصار المسلمين في معركة  
بدر ..

حتى نزلت الآية الكريمة:

﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة ص،

الآية: ٢٨].

فالذين آمنوا هم:

حمزة .. علي .. وعبيدة ..

والذين أفسدوا في الأرض هم:

عُتبه .. شيبة .. والوليد ..

قال الإمام علي (ع):

«قاتلت يوم بدر قتالاً، ثم جئت إلى النبي ﷺ فإذا هو ساجد .. ثم ذهبت

فقاتلت، ثم جئت فإذا النبي ساجد .. ففتح الله عز وجل عليه ..».

لقد قُتل من المشركين في معركة بدر سبعون مقاتلاً ..

منهم . . أبو جهل . . وأسر منهم سبعون آخرون . .  
أما حصيلة قتلى الإمام علي وحده منهم ٢٢ أو ٣٥ مقاتلاً . . كانوا من قادة  
قريش من المشركين . . ومن ذوي الشهرة في معاداة الإسلام والمسلمين . .  
ومن تلك الحصيلة التي أهلكها علي بن أبي طالب في تلك المعركة هم:  
الوليد بن عتبة . . وهو أخو هند (آكلة الأكباد - زوجة أبي سفيان) . . حنظلة بن أبي  
سفيان . . العاص بن سعيد (وهو والد عمرو بن العاص، أحد قادة الفئة الباغية،  
الذي حارب مع معاوية بن أبي سفيان، الإمام علي زمن خلافته) وعقبة بن أبي  
معيط . . وكذلك النظر بن الحارث . . طعيمة بن عدي . . حرملة بن عمرو . . أبو  
قيس بن فاكه . . ونوفل بن خويلد . . كما شارك في قتل شيبة بن ربيعة . .  
وآخرون غيرهم كانوا من صرعاة . . أمثال:  
سيد بني جمح . . وسيد بني عامر بن لؤي . . إلى جانب من قتلهم من  
أصحاب ألوية قريش . . وسادتهم . . وزعمائهم . .  
. . أبصر النبي ﷺ رهطاً من المشركين، فأمر الإمام علياً (ع) أن يحمل  
عليهم . . فحمل عليهم . . وفرق جمعهم . . ولا ذوا بالفرار . .  
وتكررت هذه المحاولة اليائسة منهم . . وكانت نتيجتها كسابقتها!!  
وقد بلغ شهداء المسلمين في هذه المعركة أربعة عشر مسلماً . . بينهم أخو  
سعد بن أبي وقاص . . وزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب (رض) . .



## أحد.. وخسارة المسلمين بحمزه..

أصاب قريش حالة كبيرة من خيبة الأمل، لنتيجة لم توقعها.. في أول معركة نظامية بينها.. وبين المسلمين الذين هم بعددتهم المحدودة.. وبعدهم المعدود.. استطاعوا.. (أصحاب محمد ﷺ) أن ينتصروا على المشركين الذين كانوا بعدة ثقيلة.. وعدد كبير..

عاد المنهزمون، يجرون أذيال الفشل والهزيمة من ورائهم.. ووراءهم تركوا قتلاهم.. وقتلاهم، أكثرهم سادة وزعماء لأقوامهم..

نُصبت المآتم.. ودُقَّت دفوف الحزن.. وأقيمت المناحات..

فتعالت صيحات المطالبة بالثأر والقصاص من محمد ﷺ ومن رفاقه المسلمين.. لاسيما الأبطال منهم.. كحمزة.. وعلي..

كان شعارهم.. (الثأر.. الثأر لقتلى بدر..!!).

أما نساء قريش، فقد ناحت قتلاها شهراً كاملاً.. فجززن شعر رؤسهن.. وكان يؤتى براحلة الرجل.. أو بفرسه فيُنْحَنَ حولها.. ويُصوتن عندها..

على أن أعظم المناحات وأشدّها.. كانت في بيت هند بنت عتبة.. وزوجها أبي سفيان.. وذلك لمقتل أبيها عتبة بن ربيعة.. وعمها شيبة بن ربيعة.. وأخيها الوليد بن عتبة.. وكثيراً من قومها.. وقوم زوجها.. السادة منهم والزعماء..

ولقد مشى نساء من قريش يوماً إليها.. فقلن لها.. بعد أن وجدن إنها لا تنوح.. ولا تبكي:

ألا تبكين على أهلك.. وأخيك.. وعمك.. وأهل بيتك!!.. فقالت:

أنا أبكيهم.. فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بنا.. ويشمت بنا نساء

الخزرج!! لا والله حتى أنار من محمد وأصحابه.. والدُّهن عليّ حرام حتى نغزو  
محمدًا.. والله لو أعلم أن الحزن يذهب من قلبي لبكيت.. ولكن لا يذهب إلا أن  
أرى ثأري بعيني من قتلة الأُحبة..

ومكثت هند لا تقرب الدهن.. ولا تقرب فراش أبي سفيان<sup>(١)</sup>!!

وأكل قلب (آكلة الأكباد) الحقد على محمد ﷺ وعلى علي والحمزة..  
حتى أصبح لا هم لها بعد الآن سوى الانتقام منهم جميعاً.. لتروي غليلها  
المتعطش لذلك الانتقام!

أو على الأقل من واحد منهم.. من زعماء المسلمين.. من أبطالهم.. من  
قاداتهم وشجعانهم!!

.. شاهدت (هند) عبداً من عبيد (جُبَيْر بن مُطعم) الذي كان عمه قد قُتل  
ببدر أيضاً.. هذا العبد اسمه (وحشي).. الذي رأت ما عنده من حسن الرماية..  
وسهولة لإصابة الهدف.. ودقة فائقة في التهديف..

عسى أن تستغل فيه تلك القابلية.. لتسفي من خلالها نفسها المريضة.. التي  
عشعشت في أعماقها شياطين السوء.. حتى أكلت قلبها.. قبل أن تأكل هي أكباد  
الآخرين..

طلبت من وحشي.. أن يستهدف أحدهم:

رسول الله ﷺ.. أو الإمام علي بن أبي طالب (ع).. أو الحمزة بن عبد  
المطلب (رض).. فإن أصاب واحداً منهم في المعركة القادمة ضد المسلمين..  
يصبح حراً.. طليقاً.. ويكرم!!

.. بدأ المشركون من قريش إعداد رجالهم.. ونفرة مقاتليهم.. لملاقاة  
جيش المسلمين في المعركة الآتية.. ليثأروا منهم عن خسارتهم بالمعركة  
السابقة.. معركة بدر.. أملين أن تكون نهاية المسلمين ودعوتهم.. في الجولة  
القادمة التي أعدوا لها خير إعداد!..

(١) حياة محمد - محمد حسين هيكل ص ٢٨٨.

فكانت (أحد).. هي المعركة الثانية للمسلمين مع أعدائهم المشركين..  
والتي وقعت بعد معركة بدر بعام واحد.. كما ذكرته أكثر الروايات..  
وسُميت بمعركة أحد.. نسبة إلى وقوعها عند جبل أحد..  
حشدت قريش جيشاً عدده أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل.. وكل مقاتل بعدته  
الكاملة المتعددة..

أما جيش المسلمين الذي يقل عدد مقاتليه كثيراً عن عدد مقاتلي أعدائهم..  
كانوا فقط.. ألف مقاتل.. ألف مقاتل.. مقابل ثلاثة آلاف!!  
وعُدة هؤلاء المقاتلين تقل كثيراً عن عُدة رجال قريش.. وكان من بين جمع  
المشركين.. أبطال قريش.. أمثال:

خالد بن الوليد وغيره.. وكذلك منهم ساداتهم.. مثل:

أبي سفيان.. وزوجته هند بنت عتبة..

عن سعيد بن المسيب قال:

(أصابت علياً يوم أحد ست عشرة ضربة..). رواه كذلك ابن الأثير في  
أسد الغابة وبعد أن يُضمد جراحه من كل ضربة.. يعود يقاتل أعداء الله.. بلا  
هوادة ليلحق بهم الهزيمة تلو الهزيمة..

كان علي كثير الالتصاق برسول الله ﷺ.. قريباً منه.. حتى يحميه من كل  
أذى.. ويدفع عنه كل سوء..

في هذه المعركة.. برز طلحة بن أبي طلحة.. أحد قادة جيش  
المشركين.. فقال مخاطباً المسلمين:

(يا أصحاب محمد: تزعمون إن الله يُعجلنا بأسيافكم إلى النار.. ويعجلكم

بأسيافنا إلى الجنة.. فأيكم يبرز إلي؟).

فبرز إليه الإمام علي.. وأجابه:

والله! لا أفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار..

.. طعنه علي بن أبي طالب.. طعنة أسقطته جريحاً في بركة من دمه..

حتى.. ظهرت عورته..

فتوسل طلحة إلى الإمام . . قائلاً:

(أنشدك الله والرحم يا ابن العم!!).

عجباً لذلك الجبان المدعي البطولة والشجاعة . يتوسل بالرحم . . بعد أن

صرعه الإمام . . ولا يعرف الرحم عندما بدأ بقتال ذي رحمه!!

أبقاه الإمام . . ولم يجهز عليه . . وعاد إلى صفوف المسلمين الذين سألوه

عن سبب تركه له دون أن يقتله . . أجابهم:

(ناشدني الله، ولن يعيش . . .).

بقي طلحة بن أبي طلحة في ساحة المعركة ينزف حتى لفظ أنفاسه . .

صدق الإمام علي في رده عليه . . حيث عاجله بسيفه إلى جهنم وبئس

المصير . .

أما هند . . زوجة أبي سفيان . . (أم معاوية!) التي كانت مع جمع المشركين

في موقعة (أحد) والتي اصطحبت معها ذلك العبد الأسود وحشي . .

لينتقم لها من أحد قادة المسلمين، ورموزها:

محمد . . أو علي . . أو حمزة . .

لاحظ ذلك الوحشي . . إن رسول الله ﷺ محمي بأصحابه . . وفي مقدمتهم

علي بن أبي طالب . . أما علي . . فكان كثير الالتفاف والحذر . . سريع الحركة

والتنقل . .

فلم يبق أمامه . . إلا عمهما . . حمزة بن عبد المطلب (رض) . . الذي كان

مكشوفاً في المعركة يقاتل عن يمينه . . ويصرع من في شماله . . حمزة الذي كان

يوم أحد كما كان يوم بدر . . أسد الله، وسيفه البتار . . قتل أرطأة بن عبد

شُرْحَيْبِل . . وقتل سَبَاع بن عبد العُزَي الغُبْشَانِي . .

استفاد (وحشي) من ذلك الكشف الذي سهّل عليه تسديد رمحه إلى ظهر

ذلك البطل العظيم . . حمزة . .

فسدد له ضربته برمحه . .

وسقط الحمزة . . بعد أن أصابه بظهره ذلك الوحش . . وحشي الغادر . .

اللئيم! بضربته اللئيمة الجبانة المسددة من الخلف لذلك البطل المقدام، الذي استشهد وضحي للإسلام.. فكان حقاً أول سيد لشهداء المسلمين في صدر الدعوة.. فسلام الله عليه..

بقي سيد الشهداء.. حمزة مضرجاً بدمه قبل أن يستشهد.. حينما أصاب جيش المسلمين حالة فقدوا فيها تنظيمهم.. وتزعزعت سيطرتهم على ساحة المعركة.. وذلك عند التفاف المشركون عليهم.. عندما ترك المسلمين مواقعهم التي ثبتها بهم قائدهم الفذ محمد ﷺ.. وهم في نشوة النصر الذي جنوه في بداية القتال!!

.. كانت هند بنت عتبة في ذلك الوقت ترقب بترصد وحماس.. ربح وحشي الذي أصاب من حمزة مقتلاً..

واقتربت.. أم معاوية!! من ذلك البطل الشهيد المسجى على رمل الصحراء.. السابح في بركة دمه..

اقتربت محفوفة بحقد شياطين الشرك.. من جسد ذلك الشهيد المحفوف برياح الجنة التي وعده الله بها..

فتناولت السكين من قاتله.. و.. ومثلت بذلك الجسد المسجى الطاهر.. مزقته.. حتى أخرجت منه كبده!!

فأكلت.. نعم أكلت قطعة من ذلك الكبد!! وكأنها كلبة عقور لم تنل من الطعام أياماً!!

فكانت بحق.. (أكلة الأكباد..).

وظلت تخضب يدها بدمه الطاهر..

ومن ثم ترفعها مهلهلة.. ومرددة: مات حمزة.. مات حمزة!!

أما زوجها أبو سفيان.. والد معاوية!! فتقدم إلى جثة حمزة.. وركلها

بقدميه! وضرب شدقه بسن حربته.. وسحق جثته بحذائه<sup>(١)</sup>!!

.. أما رسول الله ﷺ فتقدم إلى جثمان حمزة..

(١) محمد رسول الحرية - عبد الرحمن الشرقاوي ص ١٩٨.



فوجدته قد بقر بطنه . . وجدع أنفه وأذناه . . بعد أن مثلت به هند . . التي تركت عنده بعض عظام من جسد (آمنة بنت وهب) والدة النبي ﷺ . . .  
بعد أن نبشت آكلة الأكباد قبرها وهي في طريقها إلى معركة أحد . . وأخذت معها من عظامها<sup>(١)</sup> . . !!

قال رسول الله ﷺ على جثة عمه حمزة . . وهو في موقف، لم يقفه من قبل وهو في مثل تلك الحالة من الحزن :

(لن أصاب بمثلك أبداً . . ما وقفتُ قط أغيظ إلي من هذا) . .

كان الله في عونك يا سيد المسلمين . . وأنت أمام ذلك المشهد الذي ينزف له القلب ألماً . . وتعتصر الروح لبشاعته ووحشيته !!

قال الإمام علي (ع) . . بعد حين . . وعندما أستخلف . . في معرض كتابه إلى معاوية جواباً على كتابه :

« . . . حتى إذا استشهد شهيدنا<sup>(٢)</sup> قيل سيد الشهداء . . وخصه

رسول الله ﷺ بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه . .

أولاً ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكلٍ فضلٌ حتى إذا فُعلَ

بواحدنا ما فُعلَ بواحدهم . . قيل الطيار<sup>(٣)</sup> في الجنة وذو الجناحين . .

ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكرٌ فضائل جمّة

تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجُّها آذانُ السامعين . . . »

لقد بكى ذلك العظيم محمد ﷺ ومعه رفيقه علي بن أبي طالب عمهما . .

سيد الشهداء الأول . . الحمزة بن عبد المطلب . . كبطل من أبطال الإسلام . .

جاهد بنفسه في سبيل دين الله . . وقتل بشجاعة الفرسان من أجل مبادئه . .

حتى استشهد غدرًا . . وطعن حِقْدًا . .

فكان بحق أول سيد لكوكبة من شهداء الإسلام . .

(١) نفس المصدر ص ٢٠٠ .

(٢) يقصد عمه حمزة (رض).

(٣) يقصد أخوه جعفر بن أبي طالب .

ذكر الطبري . .

إن علياً قتل أصحاب الراية جميعاً . . وعددهم ثمانية، وهم من أبطال بني عبد الدار ومعهم تاسعهم بعدهم . .

وإنه بقي مع رسول الله ﷺ يقاتل . . ويدفع عنه . . ومعه نفر قليل من المسلمين منهم :

أبو بكر وأبو دانه . . وسهل ابن حنيف . . بعد أن استغل المشركون شعور المسلمين بنصرهم . . وتركهم لأماكنهم، إلتماساً للغنم . .

فالتفوا حولهم . . ونالوا منهم . . فولى المسلمون هاربين . .

وتركوا الرسول ﷺ وحده في ساحة المعركة . . ومعه ذلك العدد المحدود ممن طلب الشهادة بين يدي نبيهم ﷺ . .

وفي مقدمتهم الإمام علي بن أبي طالب كما ذكرنا . .

وقد ذكر الطبري . . وغيره من المؤرخين فرار عثمان بن عفان . . ومعه رجلان، فبلغوا جبلاً بناحية المدينة يقال له (الجعلب) . . حيث أقاموا به ثلاثة أيام !!

كما ذكر ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة أن قتلى المشركين يوم أحد . . ثمانية وعشرون قتيلاً . . قتل الإمام علي منهم . . اثني عشر قتيلاً . .

عاد رسول الله ﷺ . . ومعه علي بن أبي طالب . . بعد أن إنتشلا النصر من فشل كاد يصيب المسلمين في تلك المعركة . . التي خسر فيها المسلمون سبعين شهيداً . . كان في مقدمتهم حمزة بن عبد المطلب . . عم محمد . . وعم علي . .

عادا إلى بيت فاطمة الزهراء . . وعليهما غبار المعركة . . وهموم الشهداء . . وخاصة الخسارة الكبيرة باستشهاد . . سيد الشهداء . . الحمزة (رض) . .

خفت بنت رسول الله ﷺ من هموم أبيها . . وابن عمه . . ضمدت جراحهما . . وغسلت سيفهما . .

وقد قال لها علي، عندما ناولها سيفه :

أفأطمُ هاكِ السيف غير ذميم فليست برعديد ولا بلثيم

لعمري لقد جاهدتُ في نصر أحمد      ومرضأةُ ربِّ بالعبادِ عليم  
أريدُ ثوابَ الله لا شيءَ غيره      ورضوانه في جنةٍ ونعيم

بعدها هوتت الزهراء من حزن أبيها على عمه حمزة (رض)..

روى وحشي قاتله قائلاً:

(... فخرجت مع الناس، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة  
قلما أخطيء بها شيئاً.. فما التقى الناس خرجت أنظر حمزه وأتبصره.. حتى رأيته  
في عرض الناس مثل الجمل الأورق (ما في لونه بياض إلى سواد) يهذ الناس سيفه  
هداً.. فهزرت حربتي.. حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه.. فوقعت في ثنته..  
حتى خرجت من بين رجله.. وتركته وإياها حتى مات.. ثم أتيت فأخذت حربتي  
ورجعت إلى المعسكر وقعدت فيه.. ولم يكن لي بغيره حاجة.. إنما قتلته  
لأعتق.. فلما قدمت مكة أعتقت...)<sup>(١)</sup>.

(١) حياة محمد - محمد حسين هيكل ص ٣٠٥.



## ويمضي سيف علي للدفاع عن دين الله

بعد معركة أحد بقي المسلمون، ثلاث سنوات دون أن تكون هناك معارك تذكر بينهم... وبين المشركين...

في تلك الفترة انصرفوا إلى نشر دينهم... والدعوة له... فزاد عددهم... كذلك زادوا من تعليم بعضهم بعضاً لتعاليم الدين الحنيف... دين الإسلام... سأل رسول الله ﷺ علياً... قائلاً له:

«يا علي... كيف أنت إذا زهد الناس في الآخرة... ورجبوا في الدنيا... وأكلوا التراث أكلاً لَمّاً... وأحبوا المال حباً جَمّاً... واتخذوا دين الله دغلاً، ومال الله دولاً»<sup>(١)</sup>.

أجاب الإمام علي... .

«أتركهم وما اختاروا... وأختار الله ورسوله... والدار الآخرة... وأصبر على مصيبات الدنيا وبلواها... حتى ألحق بك إن شاء الله تعالى...».

قال رسول الله ﷺ:

«صدقت... اللهم افعل ذلك به...».

حاور النبي ﷺ جماعة من صحابته بعد أن قرأ من سورة لقمان:  
﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٢٠].

(١) الرياض النضرة، ج ٢ ص ٢٢٩.

وقال لهم ﷺ :

«ما أول نعمة رغبكم الله فيها . . وبلاكم بها؟» .

فذكروا له نعم الله العديدة عليهم من الثوابت الرئيسة الظاهرة . .

فقبل منهم النبي ﷺ دون أن يستزيدهم . .

وطلب من الإمام علي كرم الله وجهه . وهو أصغرهم سناً ، وقال له :

«يا أبا الحسن ، قل فقد قال أصحابك . .» .

فقال :

«وكيف لي بالقول ، فذاك أبي وأمي ، وإنما هدانا الله بك» .

قال رسول الله ﷺ :

«ومع ذلك فهات ، قل ما أول نعمة بلاك الله عز وجل ، وأنعم عليك

بها؟»

أجاب الإمام علي :

«أن خلقتني جل ثناؤه ولم أك شيئاً مذكوراً . .»

قال له ﷺ :

«صدقت ، فما الثانية؟» . . أجابه :

«أن أحبني إذ خلقتني فجعلني حياً لا ميتاً . .»

قال ﷺ :

«صدقت فما الثالثة؟» . . . . . أجابه :

«أن أنشأني فله الحمد في أحسن صورة ، وأعدل تركيب» .

قال له ﷺ :

«صدقت ، فما الرابعة؟» . . . . . أجابه :

«أن جعلني متفكراً راغباً لا ساهياً» . .

قال له ﷺ :

«صدقت، فما الخامسة؟» . . أجابه :

«أن جعل لي مشاعر أدرك بها ما ابتغيت، وجعل لي سراجاً منيراً» . .

قال له ﷺ :

«صدقت، فما السادسة؟» . . أجابه :

«أن هداني لدينه، ولم يضلني عن سبيله» . .

قال له ﷺ :

«صدقت، فما السابعة؟» . . . . أجابه :

«أن جعل لي مردأ في حياة لا انقطاع لها» . .

قال له ﷺ :

«صدقت، فما الثامنة؟» . . . . أجابه :

«أن جعلني ملكاً مالكاً لا مملوكاً» .

قال له ﷺ :

«صدقت، فما التاسعة؟» . . . . أجابه :

«أن سخر لي سماءه، وأرضه وما فيها وما بينهما من خلقه» .

قال له ﷺ :

«صدقت، في العاشرة؟» . .

أجابه الإمام علي في دعابة :

«أن خلقتني ذكراً، ولم يخلقني أنثى» .

فتبسم النبي ﷺ ومعه صحابته . .

وقال له رسول الله ﷺ :

«وما بعد هذا يا علي؟» . . أجابه :

«كثرت نعم الله يا نبي الله، فطابت ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [سورة إبراهيم، الآية : ٣٤] .

فتبسم النبي ﷺ ثانية، وقال له :

«ليهنتك الحكمة . . ليهنتك العلم، يا أبا الحسن . .

أنت وارث علمي . . والمبين لأمتي ما اختلفت فيه بعدي . .

مَنْ أَحْبَبَكَ ، وَأَخَذَ بِسَبِيلِكَ فَهُوَ مِمَّنْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . .

وَمَنْ رَغِبَ عَنِ هُدَاكَ ، وَأَبْغَضَكَ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا خَلَاقَ لَهُ . .»<sup>(١)</sup> .

---

(١) علي إمام المتقين - ج ١ - ص ٥٣ عبد الرحمن الشرقاوي .



## معركة الخندق....

استمر المشركون من قريش وحلفائها إعداد رجالهم . . وحشد قواهم للأخذ بثاراتهم من المسلمين، بعد أن انتصروا انتصاراً ساحقاً عليهم في المعركتين السابقتين (بدر . . وأحد) وبعد أن فقدوا أعزة رجالهم . . وأشجع أبطالهم . . وزاد في حب الانتقام من المسلمين، والرغبة في القضاء عليهم . . تلك الأفواج الكثيرة التي كانت تترك دين المشركين . . وتدخل دين عدوهم . . دين محمد ﷺ . . دين الإسلام الحنيف . . هياً أعداء الإسلام جيشاً كبيراً . . زاد عدده على عدد ما أعدوه في بدر . . وأحد . .

وقد بلغ عدد أفراد مقاتليهم أكثر من عشرة آلاف مقاتل . . وفي رواية أخرى . . أربعة وعشرين ألف مقاتل تحت قيادة (أبي سفيان) . . و(عبيدة بن حصن) . .

كما زادت عدة ذلك الجيش عن عدته بتلك المعركتين . .

أما جيش المسلمين . . فلا يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل . . بتجهيزات محدودة . . وبسلاح تقل قوته عن قوة ما عند المشركين من عدة . . وتجهيزات . . وسلاح . . كان ذلك في السنة الخامسة للهجرة . .

وبعد أن رأى المسلمون تلك الحشود غير المتكافئة . .

أشار عليهم الصحابي الجليل (سلمان الفارسي) الذي قال عنه رسول الله ﷺ : «سلمان منا أهل البيت . .» وسلمان رجل فارسي اسمه (روزبه بن مهيان) وصار سلمان عندما اختار له النبي ﷺ هذا الاسم .



أشار عليهم بحفر خندق يفصلهم عن المشركين . . ليكون مانعاً حربياً،  
يعرقل وصولهم إلى جيش المسلمين . .

لذا سميت المعركة باسم ذلك الخندق . . (معركة الخندق) . .

كما تسمى أيضاً بـ(الأحزاب) . .

إلا أن ذلك الخندق الذي حفره المسلمون . . تمكن من عبوره أقوى فرسان  
المشركين وأشدّهم بأساً وشجاعة، وقوة وهو:

(عمرو بن عبد ود العامري) الذي كان يدعى بـ(أسد الجزيرة)!!

وأن عمرو هذا لم يبارز مبارزاً إلا قتله . .

عبر . . أسد الجزيرة!! من مكان ضيق كان قد أغفله المسلمون في  
خندقهم . .

والحق أن عمراً أوقع الهلع والجزع في قلوب المسلمين بعض الشيء . .  
ولولا إيمانهم العميق بدينهم . . وبقائدهم العظيم ﷺ صاحب الدعوة  
السماوية . . لولا ذلك الإيمان . . لفر من عمرو من خاف منه . .

وفعلاً لم يتقدم أي واحد من المسلمين . . ولا حتى أحد من أبطالهم لم  
يجراً أن يفكر في مبارزته!! . .

لكن ابن أبي طالب . . الإمام علي . . ذلك الشجاع المقدم . . الذي لا ترهبه  
قوة قوي . . ولا يخيفه بأس أي أسد . .

نادى علي عمراً:

«يا عمرو إني أدعوك إلى الله عز وجل وإلى رسوله وإلى الإسلام» .

أجابه عمرو:

«لا حاجة لي في ذلك»!!

فقال له الإمام علي:

«فإني أدعوك إلى البراز . .»

رد عليه عمرو . . مستهزئاً بعلي . . لصغر سنه:

«يا ابن أخي لِمَ؟ . . . فإني ما أحب أن أقتلك . . .»  
أجابه ابن أبي طالب . . . بشدة . . . وسخرية:  
«لكنني والله أحب أن أقتلك . . .»

هنا أعرض عمرو بن عبد ود العامري (أسد الجزيرة) . . . عن الإمام علي كرم  
الله وجهه وتحاشى ما قاله له . . .!

توجه مرة أخرى إلى المسلمين . مخاطباً وداعياً لهم . . . مَنْ يبارزه!! . . .  
فأحجموا عنه . . . لم يجبه أي مسلم . . . ولم يرد عليه أي شجاع أو بطل من  
أبطال المسلمين! وبرز له الإمام علي . . . مرة أخرى وقال للنبي ﷺ:  
«أنا له يا نبي الله» .

فرد عليه رسول الله ﷺ:

«إنه عمرو بن عبد ود العامري . . . يا علي!!» .

وبقي عمرو وحده في ساحة المعركة . . . مُتبختراً بقوته . . . وشجاعته . . .  
ودونما أن يتصدى له أحد من المسلمين . . . غير علي بن أبي طالب . . .  
علي . . . أشجع شجعان المسلمين يستأذن رسول الله ﷺ لمبارزته . . . ويمنعه  
الرسول ﷺ من ذلك . . .

حتى . . . وأخيراً، أذن له النبي ﷺ . . .

فبرز له أبو الحسن . . . عندها قال نبي الله ﷺ قوله المأثور:

«برز الإيمان كله إلى الشرك كله . . .»

ورفع الرسول ﷺ يديه . . . ورأسه نحو السماء . . . نحو باعته رحمة  
للعالمين . . . داعياً سبحانه وتعالى . . . وهو يقول:

«اللهم إنك أخذت مني عبادة يوم بدر . . . وحمزة يوم أحد . . .

فاحفظ عليَّ اليوم علياً . . .

ربِّ لا تذرني فرداً، وأنت خير الوارثين . . .»

وتصدى الإمام علي . . لعمر و الذي لم يتصد له أي بطل أو شجاع . . إلا أنه  
سخر من الإمام علي!! وقال له :

من أنت!! . . أجابه :

«أنا علي بن أبي طالب»

فرد عليه عمرو :

«عندك من أعمامك، من هو أسن منك يا ابن أخي، فانصرف . . فإنني أكره  
أن أهرق دمك» .

أجابه علي بن أبي طالب :

«ولكنني والله . . ما أكره أن أهرق دمك . .»

فغضب عمرو من ذلك الفتى الذي تجرأ عليه وتحداه . . .

واستل سيفه . . وتقدم صوب الإمام علي مندفعاً بسبب من ذلك الغضب . .  
فضربه بسيفه . . ضربة غضب وحق . .

إلا أن علياً تلقى تلك الضربة القوية بدرعه الذي أثبت فيها السيف من  
شدتها!! لكنه أصيب إصابة بسيطة في رأسه . .

لم تعقه تلك الإصابة من الاستمرار في مبارزة ذلك المشرك عمرو بن عبد  
ود العامري . .

فرفع بطل الإسلام علي بن أبي طالب . . سيفه بقوة من الإيمان . . وضرب  
به عاتق عمرو ضربة أسقطته من أعلا فرسه . . حتى كشفت سوءته وسقط منه  
سيفه . .

وكتب المسلمون من أعماقهم . .

. . وانقض عليه الإمام علي ليقضي عليه . .

إلا أن عمراً بصق في وجهه . بعد أن رأى إنه مقتول لا محال!!

هنا تركه الإمام علي . . وتأخر عن حز رأسه للحظات . . ثم عاد إليه ليقضي

عليه . .

ورجع إلى جيش المسلمين وسط تكبيراتهم . . .  
فاستقبله النبي ﷺ . . . معانقاً له . . . وداعياً . . . وقائلاً:

«ذهب ريحهم . . . ولا يغزوننا بعد اليوم . . . ونحن نغزوهم إن شاء الله» .  
سأل رفاق الإمام علي علياً . . . عن سبب تأخره في القضاء عليه للحظات!!  
أجابهم:

«أردت أن يزول غضبي لنفسي . . . ويبقى غضبي لله وحده . . .»  
وفي رواية أخرى:

أن عمرو بن عبد ود، استطاع في أثناء مصادولته أن يجرح علياً مرتين بسيفه،  
بيد أن علياً لم يكن ذلك الرجل الذي ينسحب من ساحة الحرب بسبب جرحين!  
وتابع علي مجاولته . . . فضرب خصمه عمراً على يده ضربة أطاحت بسيفه . فدنا  
علي من السيف ووضع قدمه عليه، حتى لا يتسنى له تناوله . . . ثم قال له:

- يا عمرو، إن أعلنت إسلامك فلن أقتلك .

فبصق عمرو في وجه علي، وأجابه:

- لن أسلم . . .

فمسح علي وجهه، وسكن قليلاً . . . لا يتكلم ولا يتحرك . . .

بينما تابع عمرو كلامه:

- قلت لك لن أسلم، فلم لا تقتلني؟

فأجابه علي:

«لأنك حين بصقت في وجهي اعتراني الغضب . . . فلو قتلتك أنثذ لجراء

قتلي انتقاماً وثورة . . . وأنا لا أريد أن أقتلك في حالتي الثائرة هذه، لأننا

مسلمون، ونحن نحارب في سبيل الله، لا في سبيل إخماد ثورة

غضبنا . . . أيا عمرو، مع أنك بصقت في وجهي، أعود فأسألك:

إن دخلت الإسلام عزفت عن قتلك» .

فرد عمرو كلامه : لن أسلم !!

عندئذ دنا علي منه وضربه بسيفه ضربة قضت عليه . . وقد كان يرتدي درعاً  
ثمينة بحلقات ذهبية . . ففكها عنه وأرسلها إلى أخت عمرو، حتى لا يظن أحد أنه  
قتله ليربح هذا الدرع<sup>(١)</sup> .

ما أعظمك يا ربيب محمد ﷺ . . ما أعظمك يا سابق المسلمين !! مَنْ غيرك  
يستطيع أن يتحكم في ثورة عواطفه ومشاعره في لحظات مثل تلك اللحظات . .  
لحظات يتراقص فيها الموت على مسرح الحياة!!

لكنك سحقت ثورة نفسك وغضبك . . لتتجلى وتنتصر ثورتك لمبادئ دين  
الله حتى تُبقي غضبك لله وحد . . !! فحقاً إنك سبقت الأولين . . ولن يلحق بك  
الآخرون وصدق رسول الله ﷺ معلمك وأستاذك العظيم . .  
صدق حين قال :

«ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين . .» .

. . حقاً ليس لمعارك الإسلام إلا علي بن أبي طالب . .

فلا فتى إلا علي . . ولا سيف إلا ذو الفقار . .

وهذا كان هتافاً يهتف به المسلمون، عندما كان الإمام علي كرم الله وجهه  
يبرز لمقاتلة المشركين ويصرعهم . .

رثت أخت عمرو بن ود أخاها، بعد أن علمت بمصرعه من قبل الأمام  
علي . . وقالت في بعض أبياتها :

لو كان قاتل عمر غير قاتله لكنت أبكي عليه دائم الأبد

لكن قاتله من لا يعاب به أبوه مَنْ كان يدعي بيضة البلد

على أن المسلمين قد فقدوا في هذه المعركة، بطلاً من أبطالهم . . حيث

استشهد فيها (سعد بن معاذ) رئيس الأوس . . وغيره من الشهداء . .

(١) (نظرة جديدة في سيرة رسول الله) كونستانس جيورجيو - ص ٢٩٧ - الدار العربية للموسوعات -

وورد في سيرة ابن إسحاق أن المشركين من أصحاب عمرو بن ود العامري . . عرضوا على رسول الله ﷺ مبلغاً من المال في مقابل جثة عمرو . .  
فرد عليهم الرسول ﷺ :

« لا حاجة لنا بها . . وإنا لا نأخذ ثمن الموتى » . .

ولا يفوتنا أن نذكر أن عمرو بن عبد ود لم يكن هو وحده الشجاع الصريع على يد ابن أبي طالب . . بل تبعه (نوفل المخزومي) الذي لا يقل شجاعة عن شجاعة سابقه . فقد قفز نوفل بجواده إلى الخندق بعد مقتل عمرو . .

فنزل إليه علي . . لكن نوفلاً سقط من على ظهر جواده . . . . . وعندها انتظره علي حتى ينهض ويشهر سيفه دون أن ينتهز الفرصة ليقتله وهو ساقط . .

وتلك سمات البطل الحق . . والشجاع المتسم بالمروءة . . . . . وصفات المؤمن المدافع عن مبادئ ربيعة تشربت بها أعماق نفسه الممتلئة بالإيمان . .  
. . وتمكن علي من دحر خصمه نوفل . . فصرعه شر صرعه . .

وعندها خاف أبو سفيان على جثة شريكه التجاري نوفل من التمثيل وقطع رأسه، كما كانت تفعل نساء قريش برجال المسلمين بعد معركة أحد . . وعلى رأسهم (سُلافة) التي كانت تشرب بجمجمة أحد شهداء المسلمين!!

فبعث إلى علي من ينادي :

- يا علي . . أمنحك مئة جمل بشرط أن لا تقطع رأسه وتسلمنا جثته سليمة . . لكن علياً رفض ذلك العرض . . لأنه لم يقاتل إلا دفاعاً عن دين الله، دون أن يقاتل من أجل مال أو مكسب .

وردّ علي جثة نوفل، دون أن يقطع رأسه بعد قتله . . قائلاً:

«إن مبادئ الإسلام تُحرّم التمثيل بجثة القتيل حتى لو كان مشركاً» . .

## من غزوة خيبر.. إلى معركة خنئين

٦

كان رسول الله ﷺ يُسَلِّمُ راية المسلمين إلى علي بن أبي طالب في أغلب معاركه مع المشركين . .

كما أعطاه اللواء في مواطن كثيرة . .

ذكر الإمام السيوطي في (تاريخ الخلفاء) عن . . سهل بن سعد:

إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:

«لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله . . ويحبه الله

ورسوله . .» .

فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يُعطاها . .

فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ . . . كلهم يرجو أن يعطاها . .

وعن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ:

«لأعطين غداً رايتي إلى رجل يحب الله ورسوله . . ويحبه الله ورسوله . .

كرار ليس فراراً . . امتحن الله قلبه الإيمان . . .» .

وتمنى كل صحابي أن يكون هو مَنْ يحمل تلك الراية<sup>(١)</sup> . .

سأل النبي ﷺ عن علي بن أبي طالب . .

قيل له . . إنه في البيت يساعد زوجته فاطمة الزهراء بطحن الحبوب . .

وأرسل في طلبه . . حتى جاءه الإمام علي . . وهو أرمد العينين . .

(١) ورد ذلك في صحيح مسلم وصحيح البخاري .

فنفث رسول الله ﷺ في عينيه . . ودعا له . . فبريء من الرمذ . وقيل :  
بعدها لم تصب عيناه بأي مرض . .

أخرج الإمام أحمد بن حنبل . . وأبو يعلي بسند صحيح عن علي ، قال :

« ما رمدت ولا صُدعتُ منذ مسح رسول الله ﷺ وجهي . . ونفث في  
عيني يوم خيبر ، حين أعطاني الراية . . . . » .

كما أخرج أبو يعلي . . عن أبي هريرة ، قال :

قال عمر بن الخطاب :

(لقد أعطى علي ثلاث خصال ، لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن  
أعطى حُمُر النعم . . . . ) .

فَسُئِلَ . . . وما هن !! . . . قال :

(تزوجته ابنته فاطمة . . وسكناه المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له . . والراية  
يوم خيبر) (١) .

. . . دفع النبي ﷺ راية المسلمين إلى علي بن أبي طالب . . ليتقدمهم بفتح  
حصن خيبر المنيع . . الذي استكنم وراءه يهود بني قريضة . . قائلاً له :

« خذ هذه الراية . . . فتح الله عليك . . . » .

وعن أبي هريرة . . . قال رسول الله ﷺ لعلي :

« . . . إمش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك . . » (٢) .

سار الإمام علي على رأس جيش من المسلمين إلى ذلك الحصن . . وفي  
طريقه إليه قابله رجل من يهود خيبر . .

فسأله : من أنت؟ قال :

أنا علي بن أبي طالب . . فقال اليهودي :

(١) أخرجه أيضاً البلاذري في (أنساب الأشراف) .

(٢) (الخصائص) - للنسائي ص ٤١ .



(غلبتم يا معشر اليهود...).

كان ذلك في السنة السابعة للهجرة.. حينما اقترب الإمام علي برأيته من الموقع المحصن تحصيناً محكماً.. عجز عن اجتياحه غيره قبله..

وبعد أن ارتدت أول يوم كتيبة يقودها أبو بكر (رض).

ثم ارتدت في اليوم الثاني كتيبة أخرى يقودها عمر بن الخطاب (رض).. حيث حارب اليوم كله.. ولم يستطع أن يقتحم الحصن<sup>(١)</sup>...

وبدأ الإمام علي.. حامل راية رسول الله ﷺ بمهاجمة أهل ذلك الحصن من يهود خيبر.. وهو يقول:

«والله لأذوقن ما ذاق حمزة.. أو لأفتحن حصنهم..».

... خلع الإمام علي (ع) عنه الدرع.. ليكون خفيف الحركة.. وطلب من رجاله ذلك أيضاً.. وتذكر وصية رسول الله ﷺ له:

«أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم.. ثم ادعهم إلى الإسلام.. فإن لم يطيعوا فقاتلهم.. فوالله لئن يهد الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم..».

.. وتقدم حيث دعاهم لدخول الإسلام.. فسخروا منه.. وطالبهم أن يبرز له فرسانهم.. وخرج إليه الحارث.. أحد أبطالهم.. فصرعه الإمام شر صرعة..

كما خرج له فارس آخر.. فكان مصيره كمصير سابقه..

ونادى الإمام علي شجعان خيبر.. أن يبرز له رجل يثبت في المعركة..

فخرج له أشجع شجعانهم.. وهو (مرحب).

... مرحب وبيده حربة مخيفة ذات ثلاثة رؤوس.. وكل جسده الفارع في

الزرد.. والحديد يغطي رأسه وساقيه.. وليس في كل بدنه ثغرة ينفذ منها السيف..

(١) (محمد رسول الحرية) عبد الرحمن الشرقاوي ص ٢٧٤. (في رحاب علي) - خالد محمد خالد -

وتقدم إليه الإمام علي بقامته المعتدلة . . بلا درع . . وفي يده السيف وحده . . وتوقع المسلمون . . واليهود جميعاً . . إنها نهاية علي بن أبي طالب على يد (مرحب)!!

لكن الإمام استطاع أن يحسن الاستفادة من تخففه من الدروع والزرده . . وترك مرحباً يتقدم إليه بدروعه وزرده وحربته . . حتى أوشك سن الحربة أن يمس صدره . .

عندها تراجع الإمام علي فجأة . . ثم قفز في الهواء، متفادياً حربة مرحب . . بعدها اقتحم . . وأهوى بكل قوته على رأس مرحب بالسيف . وانفلق الحديد من على رأس مرحب . . وسقط سيف علي على الجمجمة . . فشقها نصفين . .

وهوى مرحب وسط ذعر اليهود وعجبهم . . وصيحات النصر ترتفع من معسكر المسلمين . . ثم اندفع علي إلى باب الحصن . . واقتحمه<sup>(١)</sup> . .

بعد أن انتصر علي على مرحب، أخذ النبي ﷺ ربيبه الشجاع وقبلة بحضور المسلمين وقادتهم . . ودعاه (أسد الله) وصار ذلك لقباً له

وفي رواية أخرى . .

أن الإمام علياً تناول باب الحصن . . وترس به عن نفسه . . وبعد أن أصاب مرحباً إصابة قاتلة طرح باب الحصن الثقيل . . حيث جعل منه معبراً للمسلمين يدخلون داخل الحصن من عليه . .

وسقط ذلك الحصن المنيع . . وأسر من فيه . . ومنه غنم المسلمون مغانم

كبيرة . .

بينما كان رسول الله ﷺ يتفقد نتائج المعركة في ميدانها . . بعد انتهائها . . وجد (بلال) يدفع فتاتين وسط قتلى اليهود . . وهما تصرخان . .

فزجره النبي ﷺ قائلاً له :

«أنزعت الرحمة من قلبك يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى

رجالهما!!» .

(١) (محمد رسول الحرية) . عبد الرحمن الشرقاوي .

وألقى برده على إحداهما.. وهي (صفية بنت حي بن أخطب) سيد بني قريضة.. استوطنت خيبر منذ قتل أبوها، وقومها في (غزوة بني قريضة).. ثم قال لها محمد ﷺ في حزن:

«أما إني لأعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك.. ولكنهم..».

فردت عليه رداً جميلاً.. ثم عرض عليها الإسلام.. فأسلمت وتزوجها.. وأصبحت من أمهات المؤمنين<sup>(١)</sup>.

بعد تلك المعركة دخل في الإسلام عدد من القبائل اليهودية.. ولم يرفض النبي ﷺ إسلامهم وإن كان يشعر إنهم غير صادقين..

سُئل الإمام علي كرم الله وجهه: كيف قلعت باب خيبر!!... أجابهم:

«والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية.. ولكن بقوة ربانية..».

وهكذا فتح الله على يديه نصر جيوش المسلمين..

..أخرج ابن إسحاق في المغازي.. وابن عساكر عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ الذي كان ضمن كتيبة علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>..

(إن علياً تناول باباً عند الحصن.. فترس به عن نفسه.. فلم يزل في يديه وهو يُقاتل.. حتى فتح الله علينا.. ثم ألقاه.. فلقد رأيتنا ثمانية نفرٍ نجهد أن نقلب ذلك الباب.. فما استطعنا أن نقلبه..)

وهكذا أضاف المسلمون نصراً آخر من انتصاراتهم على أعداء الله.. وبنصرٍ من عنده.. على قلة العدد.. والعدة..

وسنكمل هذا الموضوع في موضوع آخر هو (حديث الراية يوم خيبر)..

(١) المصدر السابق.

(٢) ذكر ذلك الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٦ ص ٨. وابن جرير الطبري في تاريخه. والفخر الرازي في تفسيره الكبير. وفي كنز العمال. والمحجب الطبري في الرياض النضرة.

## معركة حنين



على أن انتصارات المسلمين في ساحات المعارك قد توجت بنصرهم في معركة حنين . . تلك المعركة التي حشد المسلمون لها . . أكثر من اثني عشر ألف مقاتل . . ذلك لمواجهة بعض القبائل . . مثل هوازن . . وثقيف . . التي عظم عليها انتصارات المسلمين . . لاسيما بعد فتح مكة . . ودخول معظم القبائل العربية الإسلام . . وتوحيد شبه الجزيرة العربية تحت رايته . .

لذا قرر المشركون من تلك القبائل غزو المسلمين . . وحشدت لذلك قواتها في منطقة الطائف . .

. . زحف جيش المسلمين الذي يفوق جيش المشركين عدداً وعدة . . حتى إنهم قالوا: (لن نُغلب اليوم من قلة . .).

دخل المسلمون فجراً وادي حنين والتي سميت هذه المعركة باسمه . . وبينما هم كذلك . . إذ إنهالت عليهم سهام المشركين ونبالهم من المرتفعات المحيطة بالوادي . .

وبرزت كئائب بني ثقيف وحلفائهم . . تحاصر المسلمين من كل الجهات . . أدى ذلك إلى إرباك المسلمين . . لاسيما مقدمة الجيش . . حيث انسحبت دون تنظيم . . أو توجيه من قائدهم العظيم ﷺ .

وكاد أن يكون ذلك الانسحاب مؤدياً لخسارة المسلمين في تلك المعركة!!  
لولا وقوف النبي ﷺ وصموده أمامهم . . ومعه علي بن أبي طالب . . وأخوه عقيل . . وعمهم العباس بن عبد المطلب . . وأبو بكر . . وعمر بن الخطاب . . وأبو سفيان بن الحارث . . . . . والزيبر بن العوام . . وابنه عبد الله . . . . . وأسامة بن زيد . . وغيرهم . . . . .

أخذ رسول الله ﷺ ومَنْ معه ينادون المنسحبين من مقدمة الجيش . .  
ليطلبوا منهم الصمود والثبات . . وعدم الانسحاب . .  
(إلى أين أيها الناس . . هلموا إلي . . أنا رسول الله . . أنا محمد بن  
عبد الله . . .)

وخلال الهرج . . تقدم رجل من المسلمين (المشكوك في إسلامه) يحاول  
طعن النبي ﷺ بثأراً لأبٍ له مات في أحد!! ولكن عمر بن الخطاب (رض) قتل  
الرجل . .

. . . ارتفع صوت أبي سفيان من بعيد . . يقول في شماته . . وهو يجري . .  
ويغري مَنْ معه بالفرار :

(لا تنتهي هزيمتهم دون البحر!!).

وصاح أحد فتيان قريش . . وهو يفر ضاحكاً:

(ما جئنا إلا لنلتمس نساء الطائف الجميلات!!).

إن ألفين من قريش وعلى رأسهم أبو سفيان بن حرب، اعتنقوا الإسلام خوفاً  
أو طمعاً، وقد جاءوا معه اليوم لا لينصروه . . بل ليخذلوه . . وليشيعوا الانهزام بين  
المجاهدين القدماء . .

وفي هذه اللحظات الحاسمة يتذكر بعضهم قتلاه الذين سقطوا قديماً في  
بدر . . ويحاول أن يعمل سيفه في المسلمين الأوائل<sup>(١)</sup>!

. . . وتجمع المقاتلون المسلمون من جديد . . والتفوا حول رسول الله  
وصحبه . . حتى إذا اجتمع منهم مائة رجل، جعلهم النبي ﷺ تحت قيادة علي بن  
أبي طالب . . وأمرهم أن يخوضوا في قلب جيش العدو . .

اندفع علي . . فعمد إلى قائد جيش العدو الذي يحمل رايته . . فضرب ناقته  
حتى إذا هوت به . . بارزه علي فطعنه . .

وسقطت راية المشركين . . وسقط قائدهم . . فتشجع بعض الفارين من  
المسلمين إلى العودة . . والقتال . .

(١) محمد رسول الحرية - عبد الرحمن الشراقوي - ص ٣٠٩.

استمر الإمام علي كرم الله وجهه . وصحبه إلى قواد العدو يبارزونهم . .  
فيصرعونهم واحداً بعد آخر . .

حتى دب الذعر في جنودهم . . وأسرعوا إلى الفرار . .

بينما كان معظم الذين فروا من معسكر المسلمين يعودون . . . حتى بعض  
الذين كانوا يسخرون في شماته!!

ووجدوا بعض النساء يندفعن من معسكر المسلمين، فيقتلن رجالاً من  
الأعداء . . واستحيا كثير من الفارين . . فعادوا . .

وانضموا إلى إخوانهم بينما كان . . علي . . . وعمر . . والعباس . . يعمدون  
إلى سادة العدو . . يبارزونهم فيصرعونهم<sup>(١)</sup> . .

ودب الذعر في جنود العدو حين وجدوا سادتهم يسقطون الواحد بعد  
الآخر . . وانتصر المسلمون بعد أن كادوا يخسرون . . معركة حنين . .

وقد قال سبحانه وتعالى في ذلك :

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ  
عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى  
رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ  
جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة التوبة، الآيتان: ٢٥ و ٢٦].

. . . كان الإمام (ع) في تلك المعركة . . أشد المقاتلين التصاقاً  
برسول الله ﷺ . . مدافعاً عنه أشد دفاع . . ودافعاً عنه أي ضرر قد يقع عليه . .  
حتى كتب الله النصر للمسلمين . .

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ  
أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر، الآيات: ١ -  
٣] هذه نزلت على النبي ﷺ بعد انتصار المسلمين في هذه المعركة حسب ما ذكره  
بعض المفسرين والرواة . . أخذ رسول الله ﷺ يكرر من قوله :

(١) نفس المصدر .

«سبحان الله . . . استغفر الله . . .» .

ثم التفت إلى ربيبه علي . . وقال له :

«يا علي إنه قد جاء ما وعدتُ به . . جاء الفتح . . ودخل الناس في دين الله أفواجاً . . وإنه ليس أحد أحق منك بمقامي . . لِقَدَمِكَ في الإسلام . . وقربك مني . . ومصاهرتك وعندك سيدة نساء العالمين . .

وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن . .

فأنا حريصٌ على أن أراعي ذلك لولده . .» .

رواه أبو إسحاق الثعلبي في (تفسير القرآن)<sup>(١)</sup> .

كانت معركة حنين آخر الغزوات والمعارك المنظمة الرئيسة التي شارك فيها علي بن أبي طالب في عهد رسول الله ﷺ . . ومعها . .

وكانت هناك مكاسبٌ مادية جناها المسلمون عند كسبهم . . أو انتصارهم بأية معركة على أعدائهم من الكفار والمشركين . .

أعني ذلك، الغنائم التي يحصلون عليها بعد تفهقر جيوش محاربيهم . . تلك الغنائم التي كان منها سهمٌ لعلي بن أبي طالب كمقاتل . . مثلهُ كمثله سائر المقاتلين المسلمين . . لا يزيدهم . . . ولا ينقصهم بسهم . .

إلا أنه . . يأخذ حصته من الغنائم ما يديم أود عائلته وقوتهم منها . . ويدفع ما تبقى من سهمه إلى المحتاجين . . والفقراء . . . والمساكين . .

(١) حجج النهج - ٥ - سعيد السامرائي - ص ٢٠٣ .



## تبوك.. واستخلافه على المدينة

شارك الإمام علي (ع) في كل معارك المسلمين.. كبطلٍ فاعلٍ من أبطالها.. وقائد تحت راية قائدها الأول.. رسول الله ﷺ

يتفجر من أعماقه الإيمان.. ويحيط من جوانبه الفداء للعقيدة.. والتضحية من أجل مبادئ الدين الحنيف.. دين الله.. ورسالة السماء..

في غزوة (تبوك).. العام التاسع للهجرة.. أمره النبي ﷺ أن يتخلف عنها ليستخلفه على المدينة التي صارت مركزاً مهماً لتجمع المسلمين.. والانطلاق منها لنشر راية الإسلام..

أخرج الإمام أحمد بن حنبل.. والبزار من حديث أبي سعيد الخدري.. وكذلك الطبراني عن أسماء بنت عميس.. وأم سلمى.. وحبشي بن جنادة.. وابن عمر.. وعبد الله بن عباس.. والبراء بن عازب.. وزيد بن أرقم.. وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص وغيرهم:

(إن رسول الله ﷺ خلف علياً بن أبي طالب في غزوة تبوك.. فقال علي:

«يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان!».

فقال له النبي ﷺ:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟.. غير أنه لا نبي بعدي..»<sup>(١)</sup>.

(١) راجع موضوع حديث المنزلة من المواضيع القادمة، تجد لهذا الحديث كثير من الإسناد.



أعد النبي ﷺ جيش المسلمين، الذي يُعد أكثر عدداً من الأعداد السابقة للمعارك التي سبقتها..

وقد قدر بثلاثين ألف مقاتل.. خرجوا بقيادة رسول الله ﷺ لمحاربة قيصر الروم (هرقل) في غزوة تبوك، التي كانت آخر معارك الرسول ﷺ..

ذكر ابن هشام في السيرة النبوية.. أن المنافقين، والمشركين أشاعوا أن النبي ﷺ ما خلف الإمام علياً.. إلا استثقلاً له.. وتخففاً منه!!

وقد قطع قائد المسلمين ﷺ دابر تلك الأقاويل.. بقوله لعلي:

«خلفتك لما تركت ورائي.. فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك.. أفلا

ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟.. إلا أنه لا نبي

بعدي».

وهذا يعني أن رسول الله ﷺ استخلفه وهو أكثر صحابته شجاعة ومقدرة على حفظ ما تركه النبي ﷺ وراءه من عيال وأهل، ومال..

إضافة إلى ذلك، إن المدينة أصبحت بمثابة العاصمة الإسلامية.. ومركز المسلمين السياسي، والاستراتيجي..

فهي (المدينة) أصبحت مدينة لها أهميتها من كل الجوانب والأمر.. وقد اختار الرسول ﷺ من هو أكفأهم.. وأقدرهم على الحفاظ على تلك المدينة المهمة وحماتها.. وبالتالي الحفاظ على مؤخرة جيش المسلمين..

فاستخلاف علي بن أبي طالب على يثرب، هو تكليف له من قبل القائد العظيم ﷺ.. لا تقل أهميته عن تكليفه بالمشاركة في أية معركة من معارك المسلمين.. ذلك أنه تولى مسؤولية ثلاثين ألف عائلة.. مسؤولية الحفاظ على أرواحها.. وأموالها.. وأمنها.. وكذلك الحفاظ على البيت الهاشمي الذي تركه النبي ﷺ في مدينته.. وأهم من كل ذلك.. الحفاظ على مؤخرة ذلك الجيش الذي ترك أفراد ذويه وأهله ليقاتل من أجل الدعوة الإسلامية السمحاء..

واستخلاف رسول الله ﷺ لعلي على المدينة، يعتبر له تكريماً ومنقبة من مناقبه التي حصرها (الزمخشري) بثماني عشرة منقبة..

وقد ذكر الزمخشري في تلك المناقب :

إن الإمام علياً كرم الله وجهه، وبالرغم من عدم مشاركته في غزوة تبوك . .  
إلا أنه نال سهم جبريل، إضافة لسهمه . .

ذلك عندما غنم المسلمون من أموال المشركين . . قام رسول الله ﷺ  
بتقسيم السهام على المسلمين . . كل واحد منهم أخذ سهماً . .

وأعطى النبي ﷺ علياً بن أبي طالب سهمين . .

فسأله أحد الصحابة :

يا رسول الله، أوحى نزل من السماء، أم أمر من نفسك؟ . .

فقال رسول الله ﷺ :

«أنشدكم الله، هل رأيتم في رأس ميمتكم صاحب الفرس الأغر

المحجل . . والعمامة الخضراء، ولها ذؤابتان مرخاتان على كتفيه . .

قد حمل على الميمنة فأزالها وحمل على الميسرة فأزالها . . وحمل

على القلب، فأزاله؟» . .

قالوا: نعم لقد رأينا ذلك . . قال ﷺ :

«هو جبريل . . وإنه أمرني أن أدفع بسهمه لعلي . .» . .

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ  
الْجَنَّةُ يُقْلَبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي  
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ  
الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١١١].

## الجهاد بالموعظة.. بعد الجهاد بالسيف

قال الإمام علي بن أبي طالب (ع)، عن المعارك التي خاضها المسلمون ضد المشركين:

«ولقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتلُ آباءنا، وأبنائنا، وإخواننا، وأعمامنا.. ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً، وتسليماً، ومُضِيّاً على اللِّقْمِ<sup>(١)</sup>.. وصبراً على مَضَضِ الألمِ.. وَجِدّاً في جهادِ العدو.. ولقد كان الرَّجُلُ منا، والآخِرُ من عَدُوِّنا يَتَّصَاوِلَانِ تَصَاوُلَ الفحلين.. يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا<sup>(٢)</sup>، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ المُنُونِ.. فَمَرَّةً لَنَا مِنِ عَدُوِّنا.. وَمَرَّةً لِعَدُوِّنا مِنَّا.. فلما رأى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنا الكَبْتَ<sup>(٣)</sup>.. وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النُّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلَامُ مُلْقِيّاً جِرَانَهُ<sup>(٤)</sup>، وَمُتَّبِعِثاً أوطانَهُ.. وَلَعَمْرِي لو كُنَّا نَأْتِي ما أَتَيْتُمْ، ما قامَ للدينِ عَمُودٌ.. ولا اخضُرَّ للإيمانِ عُوْدٌ..».

... الإمام علي كان أشد المؤمنين بمبادئ الإسلام.. وكما آمن أن الجهاد في سبيل الله، هو ركن من أركان الدين.. آمن كذلك، إن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هو من أركانه الأساسية..

(١) معظم الطريق.

(٢) كل يطلب اختلاس روح الآخر.

(٣) الذل والخذلان.

(٤) جران البعير: مقدم عنقه عن التمكن.

لذا كان علي يُعلم المسلمين ما تعلمه من معلمه .. يعظهم في وقت السلم .. ووقت الحرب ..

يأمرهم بطاعة الله سبحانه وتعالى .. ونشر تعاليم دينه الحنيف .. وينهاهم عن معصية الخالق ..

فهو ما انفك يقاتل بسيفه المشركين .. ويضحى بنفسه من أجل الإسلام، وسلامة المسلمين بساحات الوغى .. ويدفع عن كل مَنْ آمن بدين محمد ﷺ الأذى .. ويفتدي رسول الله ﷺ بنفسه ..

وبشجاعته، وبطولاته، فقدّر الله سبحانه وتعالى له أن يكون سبباً من أسباب انتصارات المسلمين .. في حروبهم التي قومت دعائم الدين ..

وعلي بن أبي طالب، هو أول المجاهدين من المسلمين، بعد رسول الله ﷺ .. باع دنياءه لآخرته ونذر نفسه لخدمة محمد ﷺ .. ودين محمد ..

فهو أول المجاهدين بالسيف .. وأول المجاهدين بالكلمة والموعظة ..

... قضى زهرة شبابه في الدفاع عن رسول الله ﷺ .. ونشر لواء الإسلام .. وتثبيت دعائمه، غير هياب ولا وجل ..

وكلما راجعنا غزوات الرسول ﷺ وجدنا اسم علي بن أبي طالب مقروناً بها .. فتارة نجده يحمل اللواء .. وتارة يفرّق جمع الأعداء، ويلم شمل المجاهدين، ويبارز أبطال قريش أعداء الإسلام، فيصرعهم ويفتح الحصون المستعصية .. ويهدم الأصنام .. وهو صاحب الفضل في دخول همدان في الإسلام، وهي قبيلة كبيرة في اليمن، حتى خرج الرسول ﷺ ساجداً شاكرًا لله على إسلامها<sup>(١)</sup> ..

... قال لرفاقه، وإخوانه من المسلمين:

«إن أفضل ما توَسَّلَ به المتوسِّلون إلى الله سبحانه وتعالى:

(١) الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين - محمد رضا ص ٣١.

الإيمان به وبرسوله . .  
 والجهاد في سبيله ، فإنه ذروة الإسلام . .  
 وكلمة الإخلاص ، فإنها الفِطْرَةُ . .  
 وإقام الصلاة ، فإنها المِلَّةُ . .  
 وإيتاء الزكاة ، فإنها فريضة واجبة . .  
 وصوم شهر رمضان ، فإنه جُنَّةٌ من العقاب . .  
 وحج البيت واعمارة ، فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان<sup>(١)</sup> الذنوب . .  
 وصِلَةُ الرَّحِمِ ، فإنها مشاةٌ في المال . . ومنسأة<sup>(٢)</sup> في الأجل . .  
 وصدقة السر ، فإنها تكفر الخطيئة . .  
 وصدقة العلانية ، فإنها تدفع ميتة السوء . .  
 وصنائع المعروف ، فإنها تقي مصارع الهوان . . .  
 أفيضوا في ذكر الله ، فإنه أحسن الذكر . . وارغبوا فيما وعد المتقين  
 فإنَّ وعده أصدق الوعد . . واقتدوا بهدى نبيكم ، فإنه أفضل الهدى . .  
 واستثوا بسنته ، فإنها أهدى السنن . .  
 وتعلموا القرآن ، فإنه أحسن الحديث . . وتفقهوا فيه ، فإنه ربيع  
 القلوب واستشفوا بثوره ، فإنه شفاء الصدور . . وأحسنوا تلاوته ، فإنه  
 أحسن القصص . .  
 فإنَّ العالمَ العاملَ بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من  
 جهله ،

(١) غسله أو منعه .

(٢) مطال فيه ومزيد .

بل الحُجَّةُ عليه أعظمُ، والحسرةُ له ألزَمُ، وهو عندَ الله أَلومٌ<sup>(١)</sup>.

.. ما أروعك يا علي، عندما تقاتل عن الإسلام بسيف الإسلام مجاهداً،  
ومحارباً..

وعندما تقاتل للإسلام بكلمتك مجاهداً، وواعظاً..  
ولا عجب في ذلك، وأنت من الذين علّموا الأسماء، وأوتوا الحكمة وفصل  
الخطاب...

في رمضان من السنة العاشرة للهجرة (٦٣١ ميلادية).. أرسل  
رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن، ليدعو أهلها للإسلام.. بعد أن أمر خالد بن  
الوليد بالعودة من اليمن التي أقام بها ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام، فلا  
يجيبونه..

فبعث النبي ﷺ الإمام علياً (ع).. وقال له بعد أن عممه بيده الكريمة..  
وأعطاه لواء القيادة:

«امضِ ولا تلتفت.. فإذا نزلت بساحتهم، فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك».

ومضى علي بن أبي طالب ليقود ثلاثمائة فارس من المحاربين الذي سبق لهم  
وإن قاتلوا دفاعاً عن الإسلام، في المعارك السابقة بين المشركين والمسلمين..  
ونفَّذَ ما أمره رسول الله.. وبعد أن وصل إلى اليمن، دعا أهلها إلى  
الإسلام.. لكنهم ردوا دعوته.. وردوا عليه بالنبال..

فحمل عليهم.. وهزمهم شر هزيمة.. فتابعهم دون قتال، مكرراً دعوتهم  
إلى مبادئ دين الله.. بعرض تلك المبادئ.. وقراءة الآيات القرآنية عليهم..  
ومجادلتهم بالحسنى.. حتى اقتنعوا بما سمعوا منه.. وأسلم منهم رؤسائهم  
وقادتهم.. فتبعهم تابعوهم، أفراداً، وجماعات..

قدّم هؤلاء المسلمون الجدد يعد أن أسلموا كثيراً من الهدايا المختلفة والشمينة  
للإمام علي منها أموالاً، وحريراً، وأغناماً، وغنائم كسبوها قبل إسلامهم.. وقالوا  
له:

(١) أشد لوماً لنفسه بين أيدي الله لأنه لا يجد منها عذراً يقبل أو يرد.

(هذه صدقاتنا فَخُذْ منها حق الله تعالى . . .).

. . جمع الإمام ما استلم منهم، ووزعه بالتساوي على استحقاقات كل واحد منهم . وكان أحدهم . . أصابه ما أصابهم . .

أما الباقي فعاد به إلى رسول الله ﷺ، عندما التقى معه في حجته بسكة المكرمة . . ولما عَجَّل الإمام للقاء النبي ﷺ بعد أن غاب عنه في حملته إلى اليمن، لينظم إليه في تأدية مناسك الحج . . ترك على رجاله رجلاً من جُنده . . واستبقهم للقاء النبي ﷺ حتى يكون معه في حجة الوداع أو (الحج الأكبر) . .

وعندما، اقترب جيش علي من مكة . . خرج لاستقباله هو . . فوجد رجاله وعليهم من حُلل الغنائم، التي هي من حق المسلمين التي عاد بها إلى رسول الله ﷺ . . بعد أن أخذ كل مقاتل حقه منها . .

ولما رأى ذلك الإمام اغتاظ . . وقال متتهراً لمن ولاء عليهم:

- ويلك ما هذا!! أجابه:

- كسوت القوم ليتجملوا! رَدَ الإمام عليه:

- إنزعها، ويلك، قبل أن تنتهي إلى رسول الله . .

وامتثل ذلك القائد لأمر قائده، وانتزع الحلل عن المقاتلين، وأعادها إلى ما كانت عليه . .

. . علي بن أبي طالب، لا يخاف في الحق لومة لائم . . ولا يسكت أبداً عن غير الحق . . رأى أن باقي الغنائم هي من حق باقي المسلمين . . لا يحق له، ولا لأصحابه أن يستعملوها كلاً أو جزءاً . . بعد أن أخذ كل منهم حقه منها . .

على أن ذلك لا يروق لبعض من المنافقين . . منهم الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم كما ينبغي . .

أو لا يروق لبعض المسلمين الذين لم يَرُقُوا في فهمهم للحق، ولا لمبادئ الدين إلى ما وصل إليه الإمام علي كرم الله وجهه . .

فاشتكى هؤلاء الإمام لدى رسول الله ﷺ . . .

فقام النبي ﷺ بالناس خطيباً . . حتى قال لهم:

« . . . أيها الناس لا تشكوا علياً . . فوالله ، إنه ليخشوشن في ذات الله . . وفي سبيل الله »<sup>(١)</sup> .

فوالله!! يقسم رسول الله ﷺ ، قسماً عظيماً . . إنه ليخشوشن في سبيل الله! حقاً إنها لكلمة صدق . . من صادق أمين في علي . . وتزكية عظيمة له ، لم يرك النبي ﷺ أحداً من الصحابة مثلما زكى تلميذه علياً بن أبي طالب . .

.. عن (بريدة) الذي كان أحد الشاكين إلى رسول الله ﷺ علياً قال :

سألني النبي ﷺ ، بعد أن شكوته علياً :

- أتبغض علياً؟ قلت له :

- نعم يا رسول الله!! قال له ﷺ :

- لا تبغضه ، وإن كنت تحبه ، فازدد له حباً . .

يقول عبد الدين بريدة :

بعدها ، ما من أحد ، بعد قول رسول الله ﷺ أحب إلي من علي<sup>(٢)</sup> . .

ذكر إسحاق بن إبراهيم بن راهوية ، قال :

حدثنا عبد الله بن بريدة ، قال : حدثني أبي ، قال :

لم أجد من الناس أبغض علياً من علي بن أبي طالب . . حتى أحببت رجلاً من قريش . . ولا أحبه ، إلا على بغض علي ، فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته . . ما أصحابه إلا على بغض علي . . قال فأصينا سبياً . . قال :

فكتب إلى النبي ﷺ أن إبعث إلينا من يُخمس . .

فبعث إلينا علياً ، وفي السبي وصيفة من أفضل السبي . .

فلما خمسه صارت في الخمس . . ثم خُمس فصارت في أهل بيت

النبي ﷺ . . ثم خُمس فصارت في آل علي . .

(١) مستدرک الصحيحین للحاکم ج ٣ ص ١٣٤ . الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٦٨ . ابن عبد البر في استيعابه ج ٢ ص ٧٣١ . الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٤٠٢ عن أبي سعيد الخدري .

(٢) الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٥ ص ٣٥٩ . وذكره الحاکم . وابن أبي شيبة .



(هذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى . . .).

. . . جمع الإمام ما استلم منهم، ووزعه بالتساوي على استحقاقات كل واحد منهم . وكان أحدهم . . . أصابه ما أصابهم . . .

أما الباقي فعاد به إلى رسول الله ﷺ ، عندما التقى معه في حجته بسكة المكرمة . . . ولما عجل الإمام للقاء النبي ﷺ بعد أن غاب عنه في حملته إلى اليمن، لينظم إليه في تأدية مناسك الحج . . . ترك على رجاله رجلاً من جنده . . . واستبقهم للقاء النبي ﷺ حتى يكون معه في حجة الوداع أو (الحج الأكبر) . . .

وعندما، اقترب جيش علي من مكة . . . خرج لاستقباله هو . . . فوجد رجاله وعليهم من حُلل الغنائم، التي هي من حق المسلمين التي عاد بها إلى رسول الله ﷺ . . . بعد أن أخذ كل مقاتل حقه منها . . .

ولما رأى ذلك الإمام اغتاض . . . وقال متتهراً لمن ولاء عليهم:

- ويلك ما هذا!! أجابه:

- كسوت القوم ليتجملوا! رد الإمام عليه:

- إنزعها، ويلك، قبل أن تنتهي إلى رسول الله . . .

وامتثل ذلك القائد لأمر قائده، وانزع الحلل عن المقاتلين، وأعادها إلى ما كانت عليه . . .

. . . علي بن أبي طالب، لا يخاف في الحق لومة لائم . . . ولا يسكت أبداً عن غير الحق . . . رأى أن باقي الغنائم هي من حق باقي المسلمين . . . لا يحق له، ولا لأصحابه أن يستعملوها كلاً أو جزءاً . . . بعد أن أخذ كل منهم حقه منها . . .

على أن ذلك لا يروق لبعض من المنافقين . . . منهم الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم كما ينبغي . . .

أو لا يروق لبعض المسلمين الذين لم يرقوا في فهمهم للحق، ولا لمبادئ الدين إلى ما وصل إليه الإمام علي كرم الله وجهه . . .

فاشتكى هؤلاء الإمام لدى رسول الله ﷺ . . .

فقام النبي ﷺ بالناس خطيباً . . . حتى قال لهم:

« . . . أيها الناس لا تشكوا علياً . . فوالله ، إنه ليخشوشن في ذات الله . . وفي سبيل الله »<sup>(١)</sup> .

فوالله !! يقسم رسول الله ﷺ ، قسماً عظيماً . . إنه ليخشوشن في سبيل الله !  
حقاً إنها لكلمة صدق . . من صادق أمين في علي . . وتزكية عظيمة له ، لم  
يزك النبي ﷺ أحداً من الصحابة مثلما زكى تلميذه علياً بن أبي طالب . .

. . عن (بريدة) الذي كان أحد الشاكين إلى رسول الله ﷺ علياً قال :

سألني النبي ﷺ ، بعد أن شكوته علياً :

- أتبغض علياً؟ قلت له :

- نعم يا رسول الله !! قال له ﷺ :

- لا تبغضه ، وإن كنت تحبه ، فازدد له حباً . .

يقول عبد الدين بريدة :

بعدها ، ما من أحد ، بعد قول رسول الله ﷺ أحب إلي من علي<sup>(٢)</sup> . .

ذكر إسحاق بن إبراهيم بن راهوية ، قال :

حدثنا عبد الله بن بريدة ، قال : حدثني أبي ، قال :

لم أجد من الناس أبغض علياً من علي بن أبي طالب . . حتى أحببت رجلاً  
من قريش . . ولا أحبه ، إلا على بغض علي ، فبعث ذلك الرجل على خيل  
فصحبه . . ما أصحابه إلا على بغض علي . . قال فأصبنا سبياً . . قال :

فكتب إلى النبي ﷺ أن إبعث إلينا من يُخمس . .

فبعث إلينا علياً ، وفي السبي وصيفة من أفضل السبي . .

فلما خمسه صارت في الخمس . . ثم خُمس فصارت في أهل بيت

النبي ﷺ . . ثم خُمس فصارت في آل علي . .

(١) مستدرك الصحيحين للحاكم ج ٣ ص ١٣٤ . الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٦٨ . ابن عبد البر في استيعابه ج ٢ ص ٧٣١ . الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٤٠٢ عن أبي سعيد الخدري .

(٢) الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٥ ص ٣٥٩ . وذكره الحاكم . وابن أبي شيبة .

فوقعت عليها، فكتب، وبعث معنا مصداقاً لكتابه إلى النبي ﷺ مصداقاً لما  
خمس علي وما قال . .

فجعلت أقرأ عليه، ويقول: صدقاً . . وأقول: صدق . .

فأمسك بيدي رسول الله ﷺ، فقال:

يا بريدة! أتبغض علياً؟ . . . قلت: نعم . . فقال:

(لا تبغضه، وإن كنت تحبه، فازدد له حباً. فوالذي نفسي بيده لنصيب آل

علي في الخمس، أفضل من وصيفة . .)

فما كان أحد من الناس بعد رسول الله ﷺ أحب إليّ من علي . .

قال عبد الله بن بريدة:

والله ما في الحديث بيني، وبين النبي ﷺ غير أبي<sup>(١)</sup>!

وذكر أبو معاوية، عن الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش،

عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال:

«والله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، أنه لعهد النبي ﷺ:

إنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق» .

أخرج هذا الحديث مسلم في (صحيحه). والمصنف في (السنن).

والترمذي . . وابن ماجة . وابن أبي عاصم في (السنن). والحميدي . والإمام

أحمد بن حنبل في (فضائل الصحابة) وكذلك في (المسند) . .

كما أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة . وأبو يعلي . وابن حبان . والبزار .

والبلاذري في (أنساب الأشراف). وأبو بكر القطيعي في (زوائده على الفضائل).

وابن منده في (الإيمان). وأبو نعيم . والحاكم في (علوم الحديث). والخطيب في

(التاريخ). وابن النجار في (ذيل تاريخ بغداد). وابن المغازلي في (مناقب علي) . .

وغيرهم<sup>(٢)</sup> .

(١) النسائي في خصائصه ص ٩٨ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٠١ .

كما أخرج الترمذي عن، أبي سعيد الخدري، عن أم سلمى، قال:  
«كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً»..

ذكر ذلك ابن الأثير في (أسد الغابة). والطبري في (الرياض النضرة) وابن حجر العسقلاني في (الصواعق المحرقة). والسيوطي في (الدر المنثور).  
والألوسي في (روح المعاني)

وأخرج الطبراني عن جابر بن عبد الله، قال: قال النبي ﷺ:  
«الناس من شجر شتى، وأنا وعلي من شجرة واحدة»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام علي (ع) عن حقد المنافقين، وبغضهم له:

«لو ضربتُ خيشومَ المؤمنِ بسيفي هذا على أن يُبغضني ما أبغضني..  
ولو صببتُ الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني.  
وذلك أنه قضي على لسان النبي الأمي ﷺ إنه قال:  
«يا علي لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق».

.. هكذا كان علي بن أبي طالب.. المجاهد الأول في الإسلام، بسيفه،  
وكلمته الذي أحبه المؤمنون.. وأبغضه المنافقون..

.. في ديار طي.. ديار حاتم الطائي، وفيه صنمهم المشهور، المسمى  
(الفلس) والمعلق عليه سيفان شهيران.. (مخدم) و(رثوب). أهداهما  
الحارث بن أبي شمر، لذلك الصنم!

أمر النبي ﷺ علياً بن أبي طالب، أن يقود سرية من المسلمين ويتجه إلى  
ديار طي، ليقوم بهدم ذلك الصنم.. وذلك في السنة التاسعة للهجرة.  
فسار إلى تلك الديار.. وعرض عليهم الإسلام.. حيث أسلم من أسلم  
وسلم.. وحطم ذلك الصنم.. وقتل من قاتله.. وأسر من لم يقتل.. وغنم  
وسبى..

(١) تاريخ الخلفاء - الإمام السيوطي ص ٢٠٣ وورد في (مستدرک الصحیحین) ج ٢ - ص ٢٤١... وفي  
(كنوز الحقائق) ص ١٥٥... و(كنز العمال) ج ٦ ص ١٥٤ و(ذخائر العقبى) ص ١٦.

وكانت من السبايا (سفانة) بنت حاتم الطائي بعد أن فر أخوها (عدي) إلى بلاد الشام . .

عاد إلى النبي ﷺ متتصراً بعد أن نفذ ما أمره . . ثم عرض أمامه المغانم والسبايا . . ومنهم (سفانة) حيث سألتها النبي ﷺ عنها . . فقالت له :

- أنا بنت أكرم العرب!! قال الرسول ﷺ :

- أتكونين بنت حاتم الطائي! قالت: نعم . . قال ﷺ :

- لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه . .

بعدها أطلق النبي الكريم ﷺ سراحها وأكرمها بالغ الكرم إكراماً لها

ولأبيها . . وكانت (سفانة) ذات عقل ووقار . .

. . . أرسل رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن مرة أخرى قاضياً، بعد أن أرسله

سابقاً مبشراً للدين . . وذلك في شهر رمضان من السنة العاشرة للهجرة .

قال الإمام علي للنبي ﷺ :

«يا رسول الله إنهم كهول وذوو أسنان وأنا فتى . . وربما لم أصب فيما أحكم به بينهم!» .

أجابه ﷺ :

«أذهب فإن الله سيثبت قلبك، ويهدي لسانك» .

وعن عبد الله بن عباس (رض)، قال :

(إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا نعدوها . .) .

وذكر الزمخشري في مناقب الإمام علي (ع) :

(إنه أفضى الصحابة، لقول رسول الله ﷺ «أفضاكم علي» .

وسنخص قضاءه ببحث خاص عنه لاحقاً في هذا الكتاب . .

. . . لقد أحسن الإمام علي عليه السلام، الإسلام علماء، وفقهاً . . كما

أحسنه عبادة وعملاً . .

فكانت فتاواه مرجعاً للخلفاء والصحابة في عهود أبي بكر وعمر

وعثمان (رض). وندرت مسألة من مسائل الشريعة لم يكن له رأي فيها يؤخذ به أو تنهض له الحجة بين أفضل الأراء . .

إلا أن المزية التي امتاز بها الإمام بين فقهاء الإسلام في عصره أنه جعل الدين موضوعاً من موضوعات التفكير والتأمل ولم يقصره على العبادة وإجراء الأحكام<sup>(١)</sup> . .

قال الإمام في الشكر . . في الدعاء . . وفي التوبة، بعد أن سأله سائل عن هذه المواضع . . فقال:

«ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر . . ويغلق عنه باب الزيادة . .

ولا ليفتح على عبد باب الدعاء . . ويغلق عنه باب الإجابة . . ولا

ليفتح على عبد باب التوبة . . ويغلق عنه باب المغفرة . .» .

كان ذلك علي بن أبي طالب شيخ الفقهاء، وحكيم الأمة، شيخ المجاهدين بالسيف والكلمة . .

---

(١) عبقرية الإمام علي - عباس محمود العقاد ص ٤٧ .

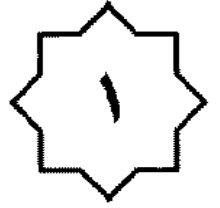


## إشكالية الخلافة بعد النبي ﷺ

- ١- حجة الوداع... أو الحج الأكبر.
- ٢- مَنْ كنت مولاه.. فهذا علي مولاه.
- ٣- مصادر حديث الغدير..
- ٤- بأبي أنت وأمي يا رسول الله... طبت حياً وطبت ميتاً.
- ٥- آل البيت.. خارج السقيفة.
- ٦- أبو بكر.. أول الخلفاء.
- ٧- كانت فلتة.. وكادت تصيح فتنة!
- ٨- الوصية.. والشورى.







## حجة الوداع.. أو الحج الأكبر

خرج رسول الله ﷺ من مقر إقامته في يثرب يوم السبت ٢٥ ذي القعدة، من العام العاشر للهجرة.. أي أواخر هذا العام.. والموافق (٦٣٢) ميلادية.. متوجهاً إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج.. بعد أن أعلن عن ذلك قبل توجهه لها.. حيث أراد أن يحشد معه أكبر عدد من المسلمين.. لأنه كان يعلم إنها ستكون آخر حجة له.. وسيكون له آخر عهد عند بيت الله الحرام..

لذا سميت تلك الحجة بـ (حجة الوداع).. أو (الحج الأكبر).. وسميها آخرون بـ (حجة البلاغ).. وغيرهم سميها بـ (حجة الإسلام)..  
وإنها حقاً تنطبق عليها كل التسميات..

فهي حجة الوداع.. لأنه حج فيها للمرة الأخيرة..  
والحج الأكبر.. لأنه حشد لها أكبر عدداً من المسلمين..  
وهي حجة البلاغ.. لأنه بلغ فيها آخر ما أمره الله سبحانه وتعالى به أن يبلغ المسلمين..

وكذلك هي حجة الإسلام.. لأنه أكمل فيها الله عز وجل للمسلمين دينهم، وبها أنهى محمد ﷺ رسالته السمحاء..

.. رأى رسول الله ﷺ لزماً عليه أن يتقدم المسلمين بأداء مناسك الحج، حتى يؤدون المناسك كما سيؤديها أمامهم، ليُعلمهم تعاليم الحج ومناسكها..  
وتعاليم الحج، خير ختام لخير دين..

قَدِمَ إلى النبي ﷺ جمع كبير من المسلمين من سائر الأقطار والأمصار على اختلاف مسافاتها ومواقها..

وسار من المسلمين مع الرسول ﷺ ما ينيف على المائة ألف رجل . . وفي رواية أخرى مائة وعشرون ألف مسلم . . وذلك في موكب عظيم يقوده ذلك القائد العظيم ﷺ . . وأخرج معه بعض نسائه ومعهم ابنته فاطمة الزهراء . .

وقبيل الوصول إلى مشارف مكة، التحق بذلك الحشد الهائل الإمام علي بن أبي طالب قادماً من اليمن بعد أن عاد منها، وقد أسلم أهلها كما مر ذكره في الموضوع السابق . .

وصل موكب النبي ﷺ الذي اتسم بالهيبة الالهية، والرهبة السماوية . . محفوقاً بمبادئ الدين الحنيف، وعمق الإيمان به . . ومناراً بنور النبوة، وجلال الخشوع . . وكلهم . . كل المسلمين بصوت هادر واحد . . يكبر . . ويحمد . . ويسبح . .

الله أكبر . . الله أكبر كبيراً . . وسبحان الله بكرة وأصيلاً . . ظهر الحق وزهق الباطل . . الله أكبر . . الله أكبر، والله الحمد . .

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَبْضُرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح، الآيات: ١ - ٥].

جمَعَ رسول الله ﷺ مَنْ صحبه في موكبه لأداء مناسك هذه الحجة الأخيرة . . حجة الوداع، في يوم عرفة . . وخطب بهم، خطبة عظيمة . . كلها مواظ وإرشاد . . وقال:

«إن الله حرم عليك دماءكم وأموالكم، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة شهركم هذا، ويومكم هذا وبلدكم هذا . . وإنكم ستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم . . وقد بلغت . .

وإن الناس في الإسلام سواء، لا فضل لعربي على أعجمي.. ولا  
أعجمي على عربي إلا بتقوى الله...

وإن الشيطان قد يئس أن يُعبد بعد اليوم.. ولكن يطاع فيما سوى ذلك  
من أعمالكم التي تحقرون، فقد رضي به..

.. إتقوا الله ولا تبخسوا الناس أشياءهم.. ولا تعثوا في الأرض  
مفسدين.. فمن كانت عنده أمانة فليؤدها..

كل دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي.. وكل ربا كان في  
الجاهلية موضوع تحت قدمي..

ثم أوصى كثيراً بالنساء وحقوقهن التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف..

وأوصى بالأخوة.. والتعاون بين المسلمين. كما أكد على التوصية بأهل  
الذمة..

«أوصيكم بالنساء، خيراً.. إنما أخذتموهن بأمانة الله.. واستحللتم  
فروجهن بكتاب الله..» ثم قال:

«ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هنَّ عوانٌ<sup>(١)</sup> عندكم.. ليس  
تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا يأتين بفاحشة مبينه.. فإن فعلن  
فأهجروهن في المضاجع.. واضربوهن ضرباً غير مبرح.. فإن  
أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً..

ألا أن لكم على نساءكم حقاً ولنساءكم عليكم حقاً.. فحقوقكم عليهنَّ  
أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن  
تكرهون..

ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهنَّ في كسوتهن، وطعامهن<sup>(٢)</sup>..

(١) عوان: جمع عانية، أي أسيرة.

(٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - محي الدين الشافعي ص ٩٢.

... أوصيكم بمن ملكت إيمانكم، فاطعموهم مما تأكلون . . .  
والبسوهم مما تلبسون . . .» .

أيها الناس :

«إنما النسيء زيادة في الكفر . . . ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم  
خلق الله السموات والأرض . . .

إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله، منها أربعة  
حُرْم . . .

أن المسلم أخو المسلم . . . لا يَغشيه، ولا يخونه، ولا يَغتابه، ولا يحل  
له دمه، ولا شيء من ماله . . .

وأعدى الأعداء على الله قاتل غير قاتله . . . وضارب غير ضاربه . . .

ومَنْ كفر نعمة موالیه، فقد كفر بما أنزل الله على محمد . . .

ومَنْ انتمى إلى غير أبيه، فعليه لعنة الله والملائكة، والناس  
أجمعين . . .

إنما أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا؛

«لا إله إلا الله، وإني رسول الله» . . .

وإذا قالوها عصموا مني دمائهم . . . وأموالهم إلا بحقٍ وحسابهم على  
الله . . .

ولا ترجعوا بعدي كفاراً مضلين يضرب بعضهم رقاب بعض . . .

أوصيكم بالجار . . . أوصيكم بالمماليك . . . أوصيكم بالعدل  
والإحسان . . .

ثم قال :

«أيها الناس . . . إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله، وعترتي أهل بيتي

فإنهما لن يفترقا حتى يراد علي الحوض.. نبأني بذلك اللطيف  
الخبير<sup>(١)</sup>...»

... وبعد أن أكمل رسول الله ﷺ خطبته العظيمة هذه في ذلك اليوم  
العظيم . خطبة حجة الوداع . . أو الحج الأكبر يوم عرفة . . .  
وقد جاء فيها ما جاء من روائع الوصاية للمسلمين . . والإفاضة في تعاليم  
الدين الحنيف ومبادئ الإسلام ومثله القيمة . .

قام بعد ذلك (صلوات الله عليه وسلامه) بقيادة المسلمين في أداء مراسيم  
الحج، حيث أدى إمامهم مناسكها، حتى يؤدي المسلمون في مواسم حجهم القادم  
نفس المناسك . .

كان الإمام علي بن أبي طالب جنبا إلى جنب مع رسول الله ﷺ يؤدي ما  
كان يؤديه . . ويتعلم منه تلك المناسك المقدسة . . ويحفظ عنه ما يرتله وما يدعو  
به . .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) . والطبراني في (معجمه الكبير) .



## مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ.. فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ

بعد أن أدى رسول الله ﷺ مع ذلك الحشد الهائل من المسلمين آخر حجة له.. وهي حجة الوداع..

عاد ﷺ معهم قاصداً المدينة.. حيث مقره هناك، بعد أن أصبحت عاصمة الدولة الإسلامية ولما وصل موكبه في طريق العودة، عند غدير خم.. وهو قريب من منطقة (الجحفة).. التي تتفرق منها طرق مختلفة، بمختلف الاتجاهات.. وبالتحديد بناحية (رابغ)..

وذلك يوم ١٨ ذي الحجة من العام العاشر للهجرة (٦٣٢) ميلادية..

أمر رسول الله ﷺ المسلمين التوقف هناك... قرب غدير خم.. وكانوا مائة إلى مائة وعشرين ألفاً على اختلاف الروايات..

أدى النبي ﷺ أمام ذلك الجمع صلاة جماعة.. بعدها صعد على ذروة راحلة.. وطلب من تلميذه ورفيقه علي أن يصعد معه على تلك الراحلة..

وقد نعى ﷺ نفسه الكريمة في خطبة ألقاها بعد الصلاة.. وقد قال فيها:

«لعلِّي لا ألقاكم بعد عامكم هذا.. ويوشك أن يأتي رسول ربي وأدعى، فأجيب...».

ثم استمر النبي ﷺ بخطبته البليغة.. حتى أشهدهم على أنفسهم.. وشهدوا بأنه ﷺ أولى بهم من أنفسهم..

بعدها رفع يد علي بن أبي طالب إلى الأعلى.. وقال:

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه.. اللهم والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ

عاداه . . وانصر مَنْ نصره، وإخذل مَنْ خذله . . وأدر الحق معه حيث دار . .»<sup>(١)</sup>.

وذكر الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في (تاريخ الخلفاء):  
إن الترمذي، أخرج عن أبي سريحة، وأبو زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال:  
«مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . .»<sup>(٢)</sup>.

وذكر د. طه حسين أن النبي ﷺ قال للمسلمين في طريقة إلى حجة الوداع:  
«مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»<sup>(٣)</sup>.

أخرج الإمام النسائي في كتاب (الخصائص)، عن زيد بن أرقم، قال:  
لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع . . ونزل غدير خم، أمر بدوحات  
فقممن . . ثم قال:

«كَأَنِّي دُعِيتُ فَأَجِبْتُ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ  
الْآخَرِ . .»

كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما . . فإنهما  
لن يفترقا حتى يردا علي الحوض . .»  
ثم قال ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ، وَأَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ».

ثم أخذ بيد علي، فقال:

«مَنْ كُنْتُ وَلِيَهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ . . وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج ١ ص ١١٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن علي، وأبي أيوب الأنصاري، وزيد بن أرقم، وعمرو ذي مر، وأبو يعلى  
عن أبي هريرة، والطبراني عن ابن عمر. ومالك بن سعيد الحويرث، وحشي بن جنادة، وجريز،  
وسعد بن أبي وقاص، وأبي سعيد الخدري، وأنس والبخاري عن ابن عباس، وعمارة، وبريدة.

(٣) الفتنة الكبرى - علي وبنوه - د. طه حسين ص ١٥.

(٤) الخصائص ص ٨٥. وأخرجه النيسابوري عن زيد بن أرقم.



كما أخرج الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده)<sup>(١)</sup> . . عن زيد بن أرقم، قال :  
نزلنا مع رسول الله ﷺ، بوادٍ يقال له وادي خم . . فأمر بالصلاة، فصلاها  
بهجير . . قال : فخطبنا . . وظلّل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من  
الشمس، فقال :

«ألستم تعلمون، أولستم تشهدون أنني أولى بكل مؤمن من نفسه» .

قالوا: بلى . . قال :

«فمن كنت مولاه، فعلي مولاه . . اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» .

كما أخرج الإمام أحمد في نفس المصدر<sup>(٢)</sup>، عن البراء بن عازب الذي

قال :

(كنا مع رسول الله، فنزلنا بغدير خم . . فنودي فينا الصلاة الجامعة . .

وكُسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين، فصلى الظهر . . وأخذ بيد علي، وقال :

«ألستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم» .

قالوا: بلى . . قال : فأخذ بيد علي . . فقال :

«من كنت مولاه فعلي مولاه . . اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه . .» .

قال : فلقية عمر بعد ذلك . . فقال له :

(هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت، وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة . .)

أما ما أخرجه مسلم في صحيحه في باب فضائل علي بن أبي طالب . .

والذي يسنده إلى زيد بن أرقم . . قال :

قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى خمأ بين مكة والمدينة . .

فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ وذكّر . . ثم قال :

«أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي

فأجيب . . وأنا تارك فيكم ثقلين :

(١) المسند ج ٤ ص ٣٧٢ .

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٨١ .

أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور . . فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به . .

فحث على كتاب الله، ورغب فيه . . ثم قال :

وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي . .  
أذكركم الله في أهل بيتي»<sup>(١)</sup> .

وذكر ابن حجر في (صواعقه)<sup>(٢)</sup> قال :

أخرج الطبراني في (المعجم الكبير) بسند صحيح عن زيد بن أرقم . . وعن حذيفة بن أسيد الغفاري . . قال :

خطب رسول الله ﷺ بغدير خم، تحت شجرات . . فقال ﷺ :

«أيها الناس، يوشك أن أدعى فأجيب . . وإني مسؤول، وإنكم مسؤولون . . فماذا أنتم قائلون؟» .

قالوا: نشهد أنك قد بلغت . . وجاهدت . . ونصحت . . فجزاك الله خيراً . .

فقال ﷺ :

«أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله . . وأن جنته حق، وأن ناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وإن الساعة آتية لا ريب فيها . . وإن الله يبعث من في القبور؟» .

قالوا: بلا نشهد بذلك . .

فقال ﷺ : «الهم إشهد» . . ثم قال ﷺ :

«يا أيها الناس إن الله مولاي . . وأنا مولى المؤمنين . . وأنا أولى بهم

من أنفسهم فمن كنت مولاه، فهذا علي مولاه . . .

اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه . . .» .

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢ .

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر العسقلاني ص ٢٥ .



## مصادر حديث الغدير..

.. حديث الغدير، لم يختلف على روايته أهل الحديث على اختلاف مذاهبهم، ولو أن بعضهم اختلف عن البعض الآخر في تفسيره.. لكنهم أجمعوا على تلك الواقعة، ولم يجرأ على نكرانها حتى من تنكر لعلي بن أبي طالب..  
وهنا لا بد لنا أن نشير إلى بعض المصادر التي أوردت حديث الغدير..  
وروته بنصه (من كنت مولاه فعلي مولاه...) وبطرق مختلفة:

- ١ - روى الحديث العلامة محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى) ص ١٠٢ وفي (الرياض النضرة) ج ٢ ص ٢٢٧ توفي سنة ٦٩٤هـ.
- ٢ - ورواه الترمذي في (صحيحه).
- ٣ - البخاري في (التاريخ الكبير) وفي (الكنى).
- ٤ - الإمام الحافظ النسائي في (الخصائص) توفي سنة ٣٠٣هـ.
- ٥ - ابن كثير في (البداية والنهاية).
- ٦ - الهيثمي في (مجمع الزوائد).
- ٧ - القندوزي في (ينابيع المودة) ص ٢١٢ - توفي سنة ١٢٩٣هـ.
- ٨ - البغوي في (مصابيح السنة) وفي تفسيره (معالم التنزيل) - توفي سنة ٥١٦هـ.
- ٩ - جلال الدين السيوطي في (الحاوي للفتاوي) وفي (الدر المنثور) ج ٢ ص ٢٩٣ - توفي سنة ٩١١هـ.
- ١٠ - ابن المغازلي في (المناقب).
- ١١ - ابن الأثير في (أسد الغابة).

- ١٢ - النابلسي في (ذخائر المنن).
- ١٣ - ابن ماجة في (سنن المصطفى).
- ١٤ - البيهقي في (الاعتقاد على مذهب السلف) وفي (المصنف) - توفي سنة ٤٥٨هـ.
- ١٥ - الهندي في (الروض الزاهر).
- ١٦ - ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) وفي (لسان الميزان) وفي (تهذيب التهذيب) وفي (الصواعق المحرقة) توفي سنة ٩٧٤هـ.
- ١٧ - المناوي في (كنوز الحقائق) وفي (الكواكب الدرية).
- ١٨ - الجاحظ في (الرسالة العثمانية).
- ١٩ - الواحدي في (أسباب النزول) ص ١٤٨.
- ٢٠ - الرازي في (تفسيره الكبير) وفي (أحكام القرآن) ج ٢ ص ٥٤٢ - توفي سنة ٣٧٠هـ.
- ٢١ - النيسابوري في تفسيره (الكشف والبيان) - توفي سنة ٤٦٨هـ.
- ٢٢ - الشيخ محمد عبده في (تفسير المنار).
- ٢٣ - الشافعي البغدادي في (روح المعاني) توفي سنة ٤٦٣هـ.
- ٢٤ - الحسكاني في (شواهد التنزيل) توفي سنة ٤٩٠هـ.
- ٢٥ - والحافظ عز الدين الموصللي الحنبلي في (تفسيره).
- ٢٦ - نور الدين ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة).
- ٢٧ - والحافظ أبو عبد الله المحاملي في (أماليه).
- ٢٨ - العلامة الكنجي في (كفاية الطالب) توفي سنة ٦٥٨هـ.
- ٢٩ - ابن عبد البر في (الاستيعاب).
- ٣٠ - الدكتور طه حسين في (الفتنة الكبرى).
- ٣١ - الحموي في (معجم البلدان) وفي (فرائد السمطين) توفي سنة ٧٢٢هـ.
- ٣٢ - العلامة ابن عساكر في (تاريخ دمشق) توفي سنة ٥٧١هـ.

٣٣ - الذهبي في (تلخيص المستدرک) وفي (تذكرة الحفاظ).

٣٤ - النبهاني في (الشرف المؤبد لآل محمد).

٣٥ - الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده).

تلك بعض المصادر التي ذكرت حديث الغدير. . وهي مصادر من أعلام وأئمة أهل السنة والتي استشهدنا بها. . دون أن نستشهد بمصادر أهل الشيعة. .  
علماً أن كتاب الغدير لعالمهم العلامة الجليل (الأميني)، والذي يقع في ثلاثة عشر مجلداً، أوسع في البحث تفصيلاً عن هذا الموضوع. . وجاء بوقائع مسندة معقولة. . .

إلا أننا تحاشينا الأخذ من ذلك الكتاب بالرغم من أنه مصدر مهم، وقيم لوقائع الغدير واستند فيه إلى مصادر من غير مذهبه. وذكر إن مَنْ رَوَوْا حديث الغدير من أهل السنة، وأخرجوه في كتبهم من القرن الأول للهجرة، وحتى الرابع عشر. . كان عددهم يزيد على (٣٥٢) عالماً ومحدثاً. .

### رواة حديث الغدير :

. . . ونحن بصدد ذكر هذا الحديث المهم. . حديث الغدير. . . نرى من المناسب بعد أن ذكرنا المصادر. . أن نذكر بعضاً من رواة الحديث. . الذي سمعوه مباشرة من رسول الله ﷺ أو الذين عاصروا ذلك الحدث ونقلوه عن الصحابة الذين شهدوا ذلك الموقف :

- ١ - السيدة فاطمة الزهراء، بنت النبي ﷺ وزوجة الإمام علي.
- ٢ - السيدة أم هاني بنت أبي طالب.
- ٣ - السيدة أم سلمى، أم المؤمنين، زوجة رسول الله ﷺ.
- ٤ - السيدة أسماء بنت عميس الخثعمية، زوجة الإمام علي.
- ٥ - أبو هريرة المتوفي ٨٧ هجرية، وعمره ٧٨ عاماً.
- ٦ - عبد الله بن عباس، ابن عم النبي ﷺ، وابن عم الإمام علي.
- ٧ - أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي.

- ٨ - الخليفة أبو بكر (رض).
- ٩ - الخليفة عمر بن الخطاب (رض).
- ١٠ - عمار بن ياسر (رض)، استشهد بصفين.
- ١١ - أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي المتوفي ٥٤ هجرية، وعمره ٧٥ عاماً.
- ١٢ - جابر بن عبد الله الأنصاري.
- ١٣ - أبو زينب ابن عوف الأنصاري.
- ١٤ - أبو فضالة الأنصاري، من أهل بدر، استشهد في صفين مع الإمام علي . وشهد بالحديث يوم الرحبة .
- ١٥ - أبو ليلي الأنصاري، استشهد بصفين، عام ٣٧ هجرية.
- ١٦ - أبو قدامة الأنصاري، شهد بالحديث يوم الرحبة .
- ١٧ - أبو عمرة بن عمرو بن محسن الأنصاري.
- ١٨ - أسعد بن زرارة الأنصاري.
- ١٩ - أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي، والمعروف بسيد القراء، والمتوفي ٣٢ هجرية.
- ٢٠ - أبو الهيثم ابن التيهان، استشهد بصفين مع الإمام علي عام ٣٧ هـ.
- ٢١ - أبو رافع القبطي، مولى النبي ﷺ .
- ٢٢ - أبو ذؤيب خويلد بن خالد، وهو شاعر جاهلي، ثم أصبح شاعراً إسلامياً توفي في خلافة الخليفة عثمان بن عفان (رض).
- ٢٣ - عبد الله بن عمر.
- ٢٤ - البراء بن عازب .
- ٢٥ - زيد بن أرقم .
- ٢٦ - عمرو بن العاص .
- ٢٧ - سعد بن أبي وقاص .
- ٢٨ - طلحة بن الزبير .

- ٢٩ - أبو ليلي بن سعيد .  
 ٣٠ - عبد الله بن مسعود .  
 ٣١ - عمرو بن مرة .  
 ٣٢ - يعلي بن مرة .  
 ٣٣ - بريدة .  
 ٣٤ - مالك بن الحويرث .  
 ٣٥ - سعد بن مالك .  
 ٣٦ - حبشي بن جنادة .  
 ٣٧ - أبو ذر الغفاري .  
 ٣٨ - حذيفة بن أسيد الغفاري .  
 ٣٩ - عبد الله بن علقمة .

ونكتفي بهذا القدر من أسماء الصحابة . . صحابة رسول الله ﷺ مَنْ شهد (الغدِير) بصورة مباشرة، أو بصورة أخرى غيرها . .

. . . وقد اعتبر فقهاء المذهب الشيعي، ما أوصى رسول الله ﷺ للإمام علي في تلك الخطبة عند غدِير خم، هي وصية له باستخلافه من بعده . .  
 وهذه الوصية هي من أهم الأسباب التي استندوا إليها . . بالإضافة لجملة من الأسباب الأخرى . . والتي سنأتي عليها لاحقاً في هذا الكتاب . .

### آية التبليغ أو . . آية البلاغ:

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦٧].

ذكر الإمام السيوطي<sup>(١)</sup>:

(١) الدر المشور - الحافظ السيوطي ج ٣.

أخرج أبو عبيدة عن محمد بن كعب القرظي، قال:

نزلت سورة المائدة على رسول الله ﷺ بعد حجة الوداع، فيما هو بين مكة المكرمة والمدينة. . وهو على ناقته، فانصدعت كتفها، حتى نزل عنها رسول الله ﷺ. . .

كما ذكر عن أبي عبيدة، عن ضمرة بن حبيب، وعطية بن قيس. . قال:

قال رسول الله ﷺ:

«سورة المائدة من آخر القرآن تنزيلاً. . فأحلوا حلالها، وحرموا حرامها».

. . . وأخرج ابن جرير، عن الربيع بن أنس، قال:

نزلت سورة المائدة على رسول الله ﷺ في المسير في حجة الوداع. . وهو راكب راحلته. . فبركت به راحلته من ثقلها. . .

وقد أيد كثير من المؤرخين، والعلماء توقيت نزولها في حجة الوداع. . وإنها من آخر القرآن تنزيلاً. .

منهم، وكما ذكرنا العلامة الإمام جلال الدين السيوطي، والإمام ابن كثير في (تفسيره)، والإمام أبو إسحاق الثعلبي في (تفسيره الكبير). والإمام الواحدي في (أسباب النزول). والحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل) ابن عساكر الشافعي في (تاريخ دمشق). والفخر الرازي في (تفسيره). والحافظ أبو نعيم في (نزول القرآن). الشهرستاني في (الملل والنحل). وابن جرير الطبري في كتابه (الولاية). بدر الدين الحنفي في (عمدة القاريء في شرح البخاري). عبد الوهاب البخاري في (تفسير القرآن). وابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة). . وغيرهم<sup>(١)</sup>.

وهذا يؤيد أقوال الفقهاء الذين أيدوا نزول تلك الآية. . ووقت نزولها، والتي سُميت بـ (آية البلاغ). . لتبليغ المسلمين ما بلغهم به رسول الله ﷺ في خطبته العصماء عند غدير خم. . التي خصَّ بها الإمام علي بن أبي طالب (ع).  
على أن هناك من الفقهاء مَنْ اختلف معهم في وقت نزولها. . وفي معناها. .

(١) مع الصادقين - الدكتور محمد النيجاني السماوي.



فقد قالوا، إن هذه الآية نزلت في بداية الدعوة، عندما كان بعض المسلمين يصحبون رسول الله ﷺ لحمايته وحراسته من أعداء الله.. حتى نزلت الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. فقال لهم رسول الله ﷺ:

«لا حاجة لي بحراسة لأن الله عصمني».

أخرج الطبراني.. وأبو نعيم.. وابن مردويه.. وابن عساكر، عن عبد الله بن عباس، قال:

كان النبي ﷺ يُحرس، وكان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجلاً من بني هاشم يحرسونه، فقال:

«يا عم، إن الله قد عصمني لا حاجة لي إلى مَنْ تبعث».

.. لقد اختلف العلماء في موعد نزول سورة المائدة.. كما اختلفوا في تفسير الآية، لكنهم اتفقوا على الخطبة وما ورد فيها..

ولندع اختلافهم فيما بينهم.. ولندع سورة المائدة الشريفة مكانها في الكتاب المقدس ولا نُعنى بموعد نزولها الآن، فيما يخص موضوعنا هذا..

لكن نتساءل... لماذا أوقف رسول الله ﷺ ذلك الحشد الهائل من المسلمين بعد أن عادوا من حجة الوداع، وهم مثقلون بمتاعب السير والسفر، عند ذلك المفترق في غدير خم بالجحفة، قبل أن يتفرقوا منه!!

لماذا جمعهم ليسمعهم تلك الخطبة، تحت وطأة ذلك القيظ الشديد الحرارة!!

لماذا لم يقل ما قاله ﷺ في خطبة حجة الوداع بمكة المكرمة!!

هل نسي رسول الله ذلك!!.. وحاشاه أن ينسى ما يريد تبليغه للمسلمين.. ثم إنه جمع ذلك الحشد.. وتلك المظاهرة من الحجيج عند ذلك الغدير، وأمرهم بالالتزام، وتنفيذ ما جاء بخطبته تلك..

هل هو عمل منه، وتحت رغبته الشخصية!! أم أنه بأمر من الله عز وجل!! الجواب.. لا يمكن لرسول الله ﷺ أن يبلغ المسلمين أي أمر من أمور دينهم ودنياهم، إلا بأمر من عند الله سبحانه وتعالى، تطبيقاً للآية الكريمة:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [سورة النجم،

الآيات: ٣-٥].

إذا واقع الحال ينطبق على ما ذهب إليه الفقهاء الذين أخذوا بالرأي الأول.. وهو زمن نزول سورة المائدة بعد حجة الوداع.. وآية التبليغ نزلت في حق الإمام علي (ع) وإنها مدنية لا مكية.. نعم لم تنزل على النبي في مكة حتى نستطيع القول إنها نزلت في بداية الدعوة.. ذلك الوقت الذي كان فيه النبي ﷺ بحاجة إلى مَنْ يحرسه ويحميه من المشركين من قريش..

وبما أنها مدنية، لذا ينتفي تفسيرها المُفسَّر من أصحاب الرأي الثاني المتعلق بالحماية والحراسة.. لأن رسول الله ﷺ وهو في المدينة لم يكن بحاجة إليهما، بعد أن توسعت الدعوة الإسلامية، وأصبح المسلمون قوة عظيمة، يحسب المشركون لها حساباً..

هذا عن التحديد الزمني لنزول آية العصمة.. وأسباب نزولها..

والحق أنها خُصصت لمكانة الإمام علي في الإسلام، حتى يوصي الرسول ﷺ به وله..

ومن غير المعقول أن يجمع النبي ﷺ ذلك الجمع من المسلمين تحت تلك الظروف القاسية المتعبة في ذلك الوقت في الظهيرة التي اشتدت حرارتها وزاد قيضها، حتى يوصيهم بعلي خيراً من بعده، بسبب من محبته له.. وقرابته منه.. ومصاهرته بزواجه من ابنته الزهراء!!

وقد سبق له وإن أوصى به.. وتحدث بأحسن الأحاديث عنه.. وذكره بأطيب ذكر.. ووصفه بأكرم الأوصاف..

وحاشى للرسول الكريم ﷺ أن تتحكم به عواطف.. أو يحركه هوى.. أو تمسسه بعض من بقايا العصبية أو العصبية..

وصدق الله سبحانه وتعالى عندما قال، وهو عز من قائل في محكم كتابه الشريف: (وما ينطق عن الهوى...).

لذا فإن وصية رسول الله ﷺ لعلي بخطبته عند غدِير خم.. ما هي إلا بأمر

من الله عز وجل . . لأنه لا ينطق عن الهوى، تطبيقاً للآية الكريمة المذكورة . .  
وكذلك الآية السابعة من سورة الحشر:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

وبناءً عليه ألزم النبي ﷺ المسلمين بموالاته علي بن أبي طالب، وعدم معاداته، والانتصار له، وعدم خذلانه . .

واعتباره مرجعاً لهم . . يُقتدى به بعد نبينهم ﷺ وبناء على ما أَرَادَهُ لَهُمْ نبيهم ﷺ .

ثم إن المسلمين عليهم تطبيق الشريعة الإسلامية السمحاء من خلال ما ورد بكتاب الله . . . وما جاء بسنة رسوله . .

وسنة رسول الله ﷺ، هي عبارة عن أقوال، وأحاديث، وخطب له . . وكذلك ما كان يقوم به من أفعال وأعمال . .

وما ورد بخطبته ﷺ في غدِير خَم، ما هو إلا أمرٌ أمرَ به المسلمين لتنفيذه . . وقد قرن تنفيذ ذلك الأمر، بدعاءٍ لمن يوالي علياً . . ودعاءً على مَنْ يعاديه . .

وهل ما ورد بتلك الخطبة التي أجمع عليها كل فقهاء المسلمين تقريباً، وعلى اختلاف مذاهبهم .

أقول هل تلك الخطبة لا تدخل ضمن سنة رسول الله ﷺ!!!

وهل من الممكن للمسلم، الأخذ بسنته ﷺ التي تعجبه وترضيه، وترك ما في السنة مما لا يعجبه ولا يرضيه!!

حاشا للمسلم الحق المتعمق في إيمانه . . البعيد كل البعد عن التعصب والجهل أن يكون كذلك . .

أخرج كثير من الفقهاء ورواة الحديث . . أن كثيراً من الصحابة والمسلمين الذين شهدوا يوم الغدير، جاؤوا الإمام علياً بعد أن أنهى رسول الله ﷺ خطبته،

وأكمل وصاياه . . جاؤوا إلى الإمام مهتئين له على مكانته السامية بين المسلمين التي وضعه الله ورسوله فيها . .

جاء عمر بن الخطاب (رض) أول المباركين لعلي، قائلاً له :

(هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة).

وفي رواية أخرى أن أبا بكر وعمر بن الخطاب (رض) قالاه :

(بخ . . بخ يا ابن أبي طالب، أصبحت، وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة . .) (١)

ذكر الإمام الغزالي في المقالة الرابعة من كتابه (سر العالمين) :

( . . . ولكن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث

من خطبته ﷺ في يوم غدیر خم باتفاق الجميع، وهو يقول :

«من كنت مولاه فعليّ مولاه . .» .

فقال عمر: بخ بخ لك يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن

ومؤمنة، فهذا تسليم ورضى وتحكيم . . .)

وهنا نتساءل عن أولئك الذين عادوا الإمام علياً . . وعن أولئك الذين حاربوه

وأمرُوا بسببه على المنابر!!

ماذا سيكون موقفهم يوم الحشر حينما يقفون أمام الله ونبيه الذي أوصى

بحب علي بأمر من الله عز وجل . . !!

---

(١) (المسند) للإمام أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٨١. (الرياض النضرة) للطبري ج ٢ ص ١٦٩. (كتر

العمال) للحاكم ج ٦ ص ٣٩٧. الرازي في (تفسيره) ج ٣ ص ٦٣٦. (سر العالمين) للإمام الغزالي

ص ١٢. وابن حجر في (الصواعق المحرقة) ص ٢٦. والطبري في (الولاية) وفي (تفسيره) . .

والكنجي الشافعي في (كفاية الطالب). الحموي في (فرائد السمطين). ابن كثير في (البداية

والنهاية) ج ٥ ص ٢٠٩. المقرئ في (الخطوط) ج ٢ ص ٢٢٣. ابن صباغ المالكي في (الفصول

المهمة) ص ٢٥. السيوطي في (جمع الجوامع). ابن مردويه في (تفسيره). والشهرستاني في (الملل

والنحل). وسبط ابن الجوزي الحنبلي في (مناقبه). الثعلبي في (تفسيره).

كما ذكر ذلك، البيهقي والخطيب البغدادي، وابن المغازلي في (مناقبه).

والذين شملهم دعاء رسول الله ﷺ عليهم بسبب من معاداتهم لعلي . .  
أخص منهم:

١ - مَنْ حاربه، في واقعة الجمل . . وهم الناكثون .

٢ - في معركة صفين . . الفئة الباغية بقيادة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن  
العاص . . وهم القاسطون . . .

٣ - الخوارج في واقعة النهروان، والذي قام بقتله بعدها واحد منهم . . وهم  
المارقون . .

٤ - رجال المنابر، وبعض المسلمين في صدر الدولة الأموية، الذين أمروا  
بسبه علي المنابر من قبل معاوية . . حتى رفع عنه السب الخليفة العادل عمر بن  
عبد العزيز (رض) . . هؤلاء هم الذين ينطبق عليهم دعاء الرسول الأعظم ﷺ :  
«اللهم عاد من عاداه . . وإخذل من خذله» . .

وهل سبحانه وتعالى لا يستجيب لدعوة نبيه الكريم ﷺ ودعائه!!

إضافة لذلك، هناك خروج على الإسلام والمسلمين من قبل هؤلاء النفر من  
الناس، بعدما أصبح علي بن أبي طالب خليفة للمسلمين بإجماعهم جميعاً . .  
وهو أول خليفة من خلفاء المسلمين صار عليه ذلك الإجماع الواسع الذي  
قابله الرفض منه لتولى الخلافة . .

فكيف بالناكثين . . والقاسطين . . والمارقين . . الذين خالفوا وصية  
رسول الله ﷺ أولاً!! وحاربوا خليفة المسلمين ثانياً، بعد أن نكثوا بيعتهم له!!  
وسنأتي على ذلك كله بالمواضيع القادمة كل في فصله، وموضوعه . .

**الرحبة . . بعد خمس وعشرون عام:**

عندما تولى الإمام علي خلافة المسلمين سنة خمس وثلاثين هجرية (٦٥٥/  
٦٥٦) ميلادية . . أي بعد خمسة وعشرين عاماً على يوم الغدير . .

قام الإمام بجمع المسلمين في (الرحبة) قرب الكوفة . . فخطب بهم، وقال:  
« . . أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير

خم ما قال، إلا قام فشهد بما سمع . . ولا يقم إلا مَنْ رآه بعينه . .  
وسمعه بأذنيه . .» .

وقصد الإمام من ذلك تثبيته للتاريخ . . وللمسلمين، بعد أن بدأوا بنسيانته،  
أو تناسيه . . ومنهم من توفي . . ومنهم من انتشر في بلاد الإسلام التي وسعت  
رقعتها . .

فقام لذلك ثلاثون صحابياً . . فيهم إثنا عشر بدرياً<sup>(١)</sup>، حيث شهدوا أن  
رسول الله ﷺ أخذ بيده، وقال:

«أتعلمون إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم . .» قالوا: بلى . . قال ﷺ: «من  
كنت مولاه» الخ .

ذكر علي بن محمد بن علي . . قال: حدثنا خلف بن تميم . . قال: حدثنا  
إسرائيل . . قال: حدثنا أبو إسحاق عن عمرو ذي مر، قال:  
شهدتُ علياً بالرحبة ينشد أصحاب محمد:

«أيكم سمع رسول الله ﷺ، يقول يوم غدِير خم ما قال؟» .

فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول:

«من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال منْ والاه . . وعاد منْ عاداه . .  
وأحب منْ أحبه . . وابغض منْ أبغضه . . وانصر منْ نصره»<sup>(٢)</sup> .

. . . علي أن هناك مَنْ أقعده الحقد، والبغض عن الشهادة . . مثل أنس بن  
مالك . .

لاحظ ذلك الإمام علي كرم الله وجهه، فقال له:

«ما لك لا تقوم مع أصحاب رسول الله، فتشهد بما سمعته يومئذٍ يا

مالك؟»

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٧٠. كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٧. النسائي في خصائصه.  
السيوطي في جمع الجوامع. ابن كثير في تاريخه.

(٢) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - للإمام الحافظ النسائي ص ١٠٠.

فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت سني، ونسيت!

فقال له الإمام:

«إن كنت كاذباً، فضربك الله ببيضاء، لا تواريها العمامة...».

وما خرج أنس إلا أبيض وجهه برصاً... وقد كان يردد بعدها، ويقول:

(أصابتي دعوة العبد الصالح، لأنني كتمت شهادته)<sup>(١)</sup>!!

ذكر العلامة البلاذري، إضافة لوجود أنس بن مالك، كان هناك أيضاً،

البراء بن عازب... وجوير بن عبد الله البجلي... من الذين لم يشهدوا للإمام علي ما أنشدتهم به... فقال:

«اللهم من كتم هذه الشهادة، وهو يعرفها فلا تخرجه من الدنيا حتى

تجعل به آية يُعرف بها...».

فعمي بعدها البراء بن عازب... ورجع جوير إعرابياً بعد هجرته، فأتى

الشراة فمات في بيت أمه<sup>(٢)</sup>...

.. وهنا لا بد لنا أن نقول إن شهادة ٣٠ صحابياً، وفيهم إثنا عشر بدرياً

شهدوا لعلي (ع) بما قاله رسول الله ﷺ يوم الغدير... وبعد مرور خمس

وعشرين سنة، تُعتبر شهادة مهمة تقارب الإجماع لطول الفترة بين يوم الغدير، ويوم

الرحبة..

تلك السنون التي أكلت كثيراً من حضر وشهد غدير خم وسمع خطبة

النبي ﷺ...

كما أن الإمام علياً، لو جمع المسلمين في مكة، أو في المدينة واستشهدهم

على ذلك، لشهد أضعاف ما شهدوا له بالرحبة... الرحبة التي هي في العراق البعيد

عن تلك الأحداث التي وقعت زمن الرسول الأعظم ﷺ...

(١) أسد الغابة لابن الأثير - ج ٣ ص ٣٢١. ابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢١١.

(٢) البلاذري في (أنساب الأشراف) ج ٢ ص ١٥٢. السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣٧. ابن عساكر في (تاريخه)

ج ٢ ص ٧. (مناقب علي بن أبي طالب) لابن المغازلي الشافعي ص ٢٣.

وما بالك لو أن علياً كرم الله وجهه، ناشد المسلمين في مكة المكرمة، أو في المدينة كما مر ذكره، قبل يوم الرحبة بأعوام!!

أي بدلاً من أن تكون المدة الزمنية بين يوم الغدير، ويوم الرحبة خمساً وعشرين سنة.. تكون عشر، أو خمس سنوات.. أو قل أقل مثلاً<sup>(١)</sup>!!

على أية حال نعود إلى حديث الغدير:

«من كنت مولاه فعلي مولاه.. اللهم وال من والاه.. وعاد من عاداه، وانصر من نصره.. واخذل من خذله.. وأدر الحق معه حيث دار..».

موقف رسول الله ﷺ عند غدير خم.. وحديثه فيه.. أجمع عليه فطاحل العلماء والمحدثين وكبار المؤرخين.. كما ورد بالصحاح.. وفي نهج البلاغة..

تلك الحادثة.. وذلك الحديث، هما حدان فاصلان لا لبس فيهما، بين من يأخذ بسنة رسول الله ﷺ كما سلسلتها الأحداث، ووصلت للمسلمين عبر السنين، وبإجماع من فقهاء اختلفوا بمذاهبهم..

وبين من يأخذ بشيء من سنته بموجب أهواء القادة والحكام السياسيين (الذي فرضوا مواقعهم تلك على المسلمين).. بدوافع من الحقد والكراهية، وضيق الأفق، وسطحية في الإيمان، وبدون تعمق في فهم الوقائع التاريخية..

عن أبي هريرة (رض) قال:

لما أخذ رسول الله ﷺ بيد علي، وقال: من كنت مولاه... الخ... أنزل

الله سبحانه وتعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ

دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣].

(١) حديث الرحبة: أخرجه الطبراني في (الصغير) ج ١ ص ٦٤ و ٦٥، وعنه أبو نعيم في (الحلية) ج ٥ ص ٢٦ - ٢٧ وكذلك في (أخبار أصبهان) ج ١ ص ١٠٧. المزيفي (تهذيب الكمال) ج ٢ ص ١٠٦٢. العقيلي في (الضعفاء) ابن عدي في (الكامل) ج ١ ص ٣١٧. وكذلك أخرجه الإمام أحمد بن حنبل. والبزار. وعبد الله بن أحمد في (زوائد المستد) ص ٩٥٠.



وهو يوم غدیر خم، من صام اليوم الثامن عشر من ذي الحجة . . كتب الله له صيام ستين شهراً<sup>(١)</sup> .

. . . وإنه أوصى إلي دون أصحابه، وأهل بيته . . .

هناك تساؤلات تطرح نفسها إزاء هذا الموضوع الذي نحن بصدده .

لماذا خطبة الغدير، وقد سبقتها بقليل خطبة حجة الوداع!!

ولم خصصت لعلي . . !!

ولماذا خصت علياً بن أبي طالب وحده، دون غيره، ولم تُشرك معه أحداً

من الصحابة . . أو من القرابة!!

ثم هل . . هي توصية به، من رسول الله ﷺ!!

أم . . هي وصية له من بعده . . !!

روى أبو نعيم الحافظ<sup>(٢)</sup> بسنده عن معاذ بن جبل، قال:

إن رسول الله ﷺ، قال لعلي:

«أخصمك<sup>(٣)</sup> يا علي بالنبوة فلا نبوة بعدي . . . وتخصم الناس بسبع،

ولا يحاجك فيها أحد من قريش:

أنت أولهم إيماناً بالله . . وأوفاهم بعهد الله . . وأقومهم بأمر الله . .

وأقسمهم بالسوية . . وأعدلهم في الرعية . . وأبصرهم بالقضية . .

وأعظمهم عند الله مزية . . .»

نعم . . هو ذلك أبو الحسن!!

(١) (البداية والنهاية) لابن كثير ج ٥ ص ٢١٤. السيوطي في (الدر المنثور) (تاريخ بغداد) للخطيب

البغدادي ج ٨ ص ٢٩٠ البلاذري في (أنساب الأشراف) ج ٢ ص ٦٦.

(٢) (حلية الأولياء) الحافظ أبو نعيم ج ١ ص ٦٥ (مطبعة السعادة - مصر).

(٣) أخصمك: أغلبك.

أولهم . . وأوفاهم . . وأقومهم . . وأقسمهم . . وأعدلهم . . وأبصرهم . .  
وأعظمهم!! لا يختلف عليه إثنان . .

فَمَنْ من الصحابة والقراة يخاصمه على ما هو فيه!! أو يعلوه في ما هو عليه!! وكان فيهم العباس (رض)، عم الرسول الأعظم ﷺ . . وفيهم أبو بكر (رض) رفيقه في الغار والصُّحبة!!

كما روى الحافظ أبو نعيم<sup>(١)</sup> أيضاً، قال:

قال رسول الله ﷺ لمعشر من الأنصار:

«يا معشر الأنصار، ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً.

قالوا: بلى يا رسول الله! قال:

«هذا علي، فأحبوه بحبي، وأكرموا بكرامتي . . فإن جبرائيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل . .» .

وروى الإمام أحمد بن حنبل في كتاب (فضائل علي) عن النبي ﷺ قال:  
«الصديقون ثلاثة:

حبيب النجار . . . الذي جاء من أقصى المدينة يسعى .

ومؤمن آل فرعون . . الذي كان يكتُم إيمانه

وعلي بن أبي طالب . . وهو أفضلهم . .» .

كما قال الإمام أحمد بن حنبل:

(ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل كما جاء لعلي بن

أبي طالب . .)<sup>(٢)</sup>

(١) المصدر السابق .

(٢) السيوطي في (تاريخ الخلفاء) ص ١٦٨ . الحاكم في (المستدرک) ج ٣ ص ١٠٧ . الحسكافي الحنفي في (شواهد التنزيل) ج ١ ص ١٩ . الخوارزمي في (المناقب) ص ٣ - ١٩ . ابن عساکر في (تاريخه) ج ٣ ص ٦٣ .

ذكر العلامة (الزمخشري)، في خصائص العشرة الكرام البررة، مجملاً لخصائص الإمام علي كرم الله وجهه . . نختصر منها<sup>(١)</sup> :

١ - إنه أول من أسلم من الصبيان . . وأول من يدخل الجنة في هذه الأمة . .

قال رسول الله ﷺ :

«يا علي إنك أول من يقرع باب الجنة . . فتدخلها بغير حساب بعدي» .

٢ - إنه المتخلف على الودائع من قبل رسول الله ﷺ في وقت الهجرة . . ثم خلفه على العيال والنساء بالمدينة في وقت الخروج إلى غزوة تبوك . .

وقال له الرسول ﷺ :

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» .

٣ - إن النبي ﷺ لما آخى بين المهاجرين والأنصار . . جعل علياً أخاً نفسه الكريمة . . وقال له :

«أنت أخي وصاحبي في الدنيا والآخرة» .

٤ - إنه الممدوح بالسيادة لما روى : إن النبي ﷺ قال لفاطمة عليها السلام :

«زوجك سيد في الدنيا والآخرة» .

٥ - إنه ولي الله، وولي رسوله، وولي المؤمنين . قال تعالى :

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

ذَكَرُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية : ٥٥] .

ونزلت هذه الآية الكريمة في حق الإمام علي حين كان يصلي في المسجد وهو راعع، قام سائل يسأل فمد علي يده إلى خلفه وأوماً إلى السائل بخاتمه فأخذه من أصبعه .

(١) علي إمام المتقين - عبد الرحمن الشرقاوي ج ١ .

٦ - إنه أفضى الصحابة . . لقول رسول الله ﷺ :

«أضاكم علي» .

٧ - إنه محبوب المؤمنين . . ومبغوض المنافقين . قال له رسول الله ﷺ :

«لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»<sup>(١)</sup> .

٨ - إن رسول الله ﷺ انقطع عن أصحابه لأجل علي كرم الله وجهه ، لمرض

ألم به .

٩ - إنه باب مدينة العلم . كما جاء في الحديث الشريف :

«أنا مدينة العلم وعلي بابها ، ومن أراد العلم فليأتها من بابها» .

١٠ - إنه ذو الإذن الواعية التي من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به ولا

تضيعه بترك العمل . وكل ما حفظته من نفسك فقد وعيته ، وما حفظته من غيرك فقد

أوعيته . .

وقد دعى رسول الله ﷺ لعلي ذلك ، وهو ما لم يدع به لغيره . . بل اختصه

به هو وحده . لذا كان الإمام علي (ع) يقول :

«ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً قط فنسيته» .

وذكر ابن جرير في تفسيره أن النبي قال له :

«إني أمرت أن أدنك ، ولا أقصيك ، وأن أعلمك ، وأن تعي ، وحق

لك أن تعي» .

فنزلت الآية الكريمة : ﴿ . . . وَتَعَيَّهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ [سورة الحاقة ، الآية : ١٢] . . .

فقال رسول الله ﷺ :

«سألت الله عز وجل أن يجعلها أذنك يا علي» .

بعدها قال الإمام علي :

(١) وأخرج ذلك الإمام أحمد بن حنبل في مسنده . ومسلم في صحيحه . وقال ذلك الإمام علي نفسه .

«فما نسيت شيئاً بعد ذلك، وما كان لي أن أنسى».

١١ - إنه جمع ثلاث مفاخر لم تُجمع لأحد سواه . . قال له رسول الله ﷺ :

«يا علي أعطيت ثلاثاً لم يُعطاها أحد غيرك :

صهراً مثلي . . وزوجة مثل فاطمة . . وولدين مثل الحسن والحسين» .

١٢ - إنه صعد على منكبي رسول الله ﷺ . . قال الإمام علي :

«انطلق رسول الله ﷺ إلى الكعبة . . فقال لي :

إجلس ، فجلست ، فصعد علي منكبي . . فقال :

انهض ، فنهضتُ ، فعرف ضعفي تحته . . وقال لي : اجلس ،

فجلست . . ثم نهض بي رسول الله ﷺ ، فخيّل إلي أنني لو شئت

نلت أفق السماء . . . فصعدت إلى الكعبة . .

وتنحى الرسول ﷺ . . . وقال : الق صنمهم الأكبر ، صنم قريش . . .

وكان من نحاس مُؤتدٍ بأوتاد من حديد في الأرض . . فقال

رسول الله ﷺ :

عالجه . . فجعلتُ أعالجه . . حتى استمكنت منه . . فقال :

إقذفه . . فقذفته . . حتى انكسر . . .» .

١٣ - إنه حاز سهم جبريل عليه السلام ، من غنائم تبوك<sup>(١)</sup> . .

١٤ - إن النظر إلى وجهه عبادة . . وقد روت السيدة عائشة (رض) وقالت :

(رأيت أبي يديم النظر إلى وجه علي . . فسألته عن ذلك ، فقال :

ما يمنعني من ذلك ورسول الله قال : «النظر إلى وجه علي عبادة» .)

١٥ - إنه أحبُّ الخلق إلى الله بعد رسوله ﷺ . . روى أنس بن مالك

(١) هذا الموضوع مرّ ذكره في موضوع (تبوك . . واستخلافه على المدينة).

الأنصاري، وقال أهدي إلى رسول الله ﷺ فرخان مشويان، فقال ﷺ :  
«اللهم سق أحب خلقك إليك، ليأكل معي» . . ثم جاء علي، فقال له  
رسول الله ﷺ :

«لتأكل يا علي، فأنت أحب خلق الله إليه، فقد دعوت الله تعالى أن  
يسوق أحب خلقه إليه» .

١٦ - إن الرسول ﷺ سماه: (يعسوب المؤمنين) . . وقال الإمام علي عن  
ذلك:

«أنا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين والمنافقين» .

١٧ - إن النبي ﷺ تولى تسميته . . وأمصه لسانه<sup>(١)</sup> .

ذلك ما أجمله الزمخشري في خصائص الإمام علي (ع) ، وذكرها الأستاذ  
عبد الرحمن الشرقاوي في كتابه (علي إمام المتقين) .

وإن كان الإمام علي كذلك . . كما خصه الله بتلك الخصائص، وبالتالي  
خُصصت له خطبة رسول الله ﷺ يوم الغدير، وبأمر من الله عز وجل . .  
لذا يحق لنا القول، هي تلك الأسباب، التي جعلت النبي ﷺ يعقد له  
خطبته تلك . .

أما هل هي (وأعني الخطبة) توصية به!! أم وصية له!!  
... ستكون الإجابة على هذه التساؤلات في الفصول التالية من هذا  
الكتاب . . .

قال الإمام علي (ع) عن نفسه:

«اللهم إني أول من أناب وسمع وأجاب . . لم يسبقني إلا  
رسول الله ﷺ بالصلاة . .» .

كما قال:

(١) لقد مر ذكر ذلك في صدر هذا الكتاب.

«أنا من رسول الله ﷺ كالعضد من المنكب . . . وكالذراع من  
العضد . . . وكالكف من الذراع . . . رباني صغيراً، وآخاني كبيراً . . .  
ولقد علمتم أنني كان لي منه مجلس يسر لا يَطَّلَعُ عليه غيري . . . وإنه  
أوصى إلي دون أصحابه وأهل بيته . . .» .

وقال العلامة الحسن البصري عن الإمام علي (ع) :

(كان والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه . . . وكان رباني هذه الأمة . . .  
وذا فضلها . . . وذا سابقتها . . . وذا قرابتها من رسول الله ﷺ . . . أعطى القرآن  
عزائمه . . . ففاز منه برياض موقنة . . .)

من كلما تقدم، أرى لتلك التساؤلات التي وردت في هذا الموضوع، شيئاً  
من الإجابة عليها!! وبصورة مختصرة . . .

ولو أردنا التوسع في هذا الموضوع، لاحتجنا إلى مجلدات واسعة  
مستفيضة . . . وسيكون الرد أوسع، بعد الوصول إلى نهاية هذا الكتاب . . .

وللقارئ الكريم، حق أكيد في الاشتراك معنا بالإجابة والرد معاً!!  
ولهذا الموضوع صلة . . . وله تنمة في (وصية الغدير . . . وآية الولاية) في  
الفصل الخامس من هذا البحث إن شاء الله . . .



## بأبي أنت وأمي يا رسول الله.. طببت حياً وطببت ميتاً..

بعد غدير خم، الذي يقع على مفترق طرق عديدة.. كما ذكرنا.. افترق المسلمون، كل في طريقه إلى مكان إقامته.. بعد أن استمعوا إلى قول رسول الله ﷺ ووصاياه من خلال خطبة الغدير..

وبعد أن استأذنوه.. وودعوه، افترقوا إلى سبلهم ومدنهم..

ومضى المسلمون بقيادة النبي ﷺ... ومعه الإمام علي (ع) إلى مدينة الرسول.. إلى يثرب، ليودعوا نشر الدعوة من خلال موقف الدفاع عنها جهاداً بالسيف.. إلى نشرها في أنحاء الجزيرة العربية بالدعوة لها والترغيب بها.. والتعريف بمبادئها وتعليم مفاهيمها لغير المسلمين..

وذلك بعد أن كف المشركون.. ويثسوا من محاربة المسلمين، والتصدي لهم، بعد أن نصرهم الله سبحانه وتعالى..

أخذ الصحابة.. لاسيما منهم الحفظة والثراء، تعليم المسلمين مبادئ دينهم ومناقشة أحكامه.. وتلاوة القرآن، وحفظ آياته الكريمة.. وتبادلوا الإرشاد والوعظ فيما بينهم..

من يعرف يُعلم من لا يعرف.. ومنَ تعلم يُعرف من لم يتعلم بما تعلمه..

كان رسول الله ﷺ في مقدمة المرشدين والمعلمين.. يسأل المسلمون.. ويناقشهم.. ويستفسرون منه.. يسألونه ويجيبهم، ولا يكتفي بوعظهم وإرشادهم.. بل يعمد إلى إيقاظ الفكر، وترشيد العقل لديهم.. وتثيت مبادئ الإسلام وعقائده عندهم..

وذلك عن طريق إجراء الحوارات معهم.. دون الإكثار من الموعظة



والإرشاد بصورة مباشرة ومستمرة.. حتى لا يسأم المرء.. ولا يمل المسلم من كثرة الوعظ المجرد والمباشر..

لكن الرسول ﷺ كان يستثني علياً من ذلك..

فكان يكثر عليه الأسئلة، والمناقشات.. والموعظة والإرشاد، دون أن يخاف عليه السأم، أو يخشى منه الملل..

أخذ علي بن أبي طالب دوره في تعليم المسلمين مبادئ الدين الحنيف.. وما جاء به من قيم إنسانية، ومبادئ سامية.. وتعاليم سماوية، لم يألفها ذلك المجتمع البدوي البدائي..

.. ومن مواعظه عليه السلام، وإرشاداته وتعاليمه التي كان بها يوصي أصحابه ورفاقه من المسلمين:

«تعاهدوا أمر الصلاة.. وحافظوا عليها.. وإستكثروا منها..  
وتقربوا بها.. فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً..

ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سُئلوا:

ما سلككم في سقر؟.. قالوا: لم نك من المصلين

وإنها (الصلاة) لَتَحُثُّ الذُّنُوبَ حَثًّا<sup>(١)</sup> الْوَرَقِ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ  
الرَّبِّيِّ<sup>(٢)</sup>..

وشبَّهها رسول الله ﷺ بِالْحَمَّةِ<sup>(٣)</sup> تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجْلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ  
مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَاتٍ.. فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ  
الدَّرَنِ<sup>(٤)</sup>..

(١) قُشْرُهُ.

(٢) حبل فيه عدة عرى كل منها (ربقه) أي أن الذنوب ربق في الأعناق، والصلاة تفكها منه.

(٣) كل عين تنبع بالماء الحار يُستشفى بها من العلل.

(٤) الدر: الوسخ.

وقد عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ  
وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وِلْدٍ وَلَا مَالٍ . . . يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ  
الزَّكَاةِ﴾ [سورة النور، الآية: ٣٧]

وكان رسولُ الله ﷺ نصيباً<sup>(١)</sup> بالصلاة بعد التبشير له بالجنة لقولِ الله  
سبحانه :

﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه، الآية: ١٣٢]

فكان يأمرُ أهله، ويضبرُ عليها نفسه . . .

. . . ثم إن الزكاة . . . جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام، فمن  
أعطاهها طيبَ النفس بها تجعلُ له كفارة . . . ومن النارِ حجازاً ووقاية .  
فلا يتبعنها أحدٌ نفسه<sup>(٢)</sup>، ولا يكثرُن عليها لهفه . . .

فإن من أعطاهما غيرَ طيبِ النفس بها يرجو بها ما هو أفضلُ منها فهو  
جاهلٌ بالسنةِ مغبونُ الأجر<sup>(٣)</sup> . ضالُّ العملِ . طويلُ الندمِ . . .

ثم أداء الأمانة . . . فقد خابَ ليسَ من أهلها . . . إنها عرضت على  
السمواتِ المبنية والأرضين المذخوة<sup>(٤)</sup> . . . والجبالِ ذاتِ الطولِ  
المنصوبة، فلا أطولَ ولا أعرضَ ولا أعلى، ولا أعظمَ منها . . .

ولو امتنعَ شيءٌ بطولٍ أو عرضٍ أو قوَّةٍ أو عزٍّ لامتنعن . . . ولكن  
أشفقن من العقوبة، وعقلن ما جهلَ من هو أضعفُ منهن وهو  
الإنسان .

(١) نصيباً: تبعاً.

(٢) أي من أعطى الزكاة، فلا تذهب نفسه مع ما أعطى تعلقاً به ولهفاً عليه.

(٣) مغبون الأجر: منقوص الأجر.

(٤) المذخوة: المبسوطة.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧٢].

إن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه ما العباد مُقْتَرِفُونَ<sup>(١)</sup> في ليالهم ونهارهم.

لَطْفَ به خُبْرًا<sup>(٢)</sup>، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا.. أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودٌ.. وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودٌ.. وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونٌ.. وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ<sup>(٣)</sup>..»

في صفر من العام الحادي عشرة للهجرة، عقد رسول الله ﷺ لأسماء بن زيد بن حارثة اللواء.. وقال له:

«إِغْزِ بِاسْمِ اللَّهِ.. وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ.. وَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ.. وَسِرْ إِلَى مَوْضِعِ قَتْلِ أَبِيكَ، فَأَوْطِنْتَهُمُ الْخَيْلَ.. فَقَدْ وَلَيْتَكَ هَذَا الْجَيْشُ.. وَاسْرِعِ السَّيْرَ لِتَسْبِقَ الْأَخْبَارَ.. فَإِنْ ظَفَرَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَأَقِلَّ اللَّبْثَ فِيهِمْ.. وَخُذْ مَعَكَ الْأَدْلَاءَ.. وَقَدِّمِ الْعِيُونَ وَالطَّلَائِعَ مَعَكَ..»

وأسماء بن زيد بن حارثة.. هو مولى رسول الله.. ولد في ظلال الإسلام، ونشأ في بيت الرسول ﷺ.. حيث ترعرع، وشب فيه.. وكان النبي ﷺ يكن له كبير الحب، وكثيراً من العناية.. حتى اعتبره من أهله..

قال ابن كثير:

(إن مَنْ آمَنُوا بدعوة الرسول ﷺ قبل كل أحد خديجة وعلي ومولاه زيد وزوجة زيد (أم أيمن) وورقة)<sup>(٤)</sup>..

في غزوة (مؤته) استشهد أبوه زيد بن حارثة.. كما استشهد شقيقه أيمن في غزوة (حنين)..

(١) مقترفون: مكتسبون.

(٢) الخُبْر (بضم الخاء): العلم، والله لطيف العلم بما يكسبه.

(٣) عيانه (بكسر العين) المعاينة والمشاهدة.

(٤) تاريخ الخلفاء - الإمام الحافظ السيوطي.

شارك أسامة بن زيد في معارك الإسلام كمجاهد عنه . . وأظهر في تلك المعارك الشجاعة، والكفاءة، والاستبسال، والتضحية . .

أعطى رسول الله ﷺ قيادة الجيش إلى أسامة ليقود جيش المسلمين إلى مؤتة لغزو الروم في الشام، وعمره أقل من عشرين عاماً . .

وكان تحت قيادته من صحابة رسول الله ﷺ أبو بكر . . وعمر بن الخطاب . . وعبد الرحمن بن عوف . . وأسيد بن خضير . . وبشير بن سعد . . وقتادة بن النعمان . . وسعد بن أبي وقاص . . وأبو عبيدة . . وغيرهم<sup>(١)</sup> .

ولم يكن علي بن أبي طالب فيهم . .

بلغ النبي ﷺ أن بعض المسلمين أراد أن يتخلف عن الالتحاق بهذا الجيش، بسبب إمرة أسامة عليه . . وهو شاب دونهم سنًا!

غضب رسول الله ﷺ عندما علم ذلك . . وقال:

«لعن الله من تخلف عن جيش أسامة» .

ثم خرج إليهم، وهو مريض، وخطب فيهم، وقال:

«أما بعد، أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري

أسامة . . لقد طعتم في تأميري أسامة، كما طعتم في تأميري أباه من

قبل . . وأيم الله إن كان لخليقًا بالإمارة . . وإن ابنه بعده لخليق

بالإمارة . . . وإنه كان من أحب الناس إلي . . وإنه فطنة لكل خير . .

فاستوصوا به خيرًا . . فإنه من خياركم . .» .

بعدها التحق بالجيش من أراد أن يتخلف . . . ومضى جيش المسلمين إلى

ضواحي المدينة في منطقة يقال لها (الجرف) . . لينطلق منها لملاقاة الروم في

الشام . .

وعند بداية الانطلاق، علم المسلمون في جيش أسامة أن رسول الله ﷺ

---

(١) ابن سعد في (طبقاته). وابن عساکر في (التهذيب). محمد حسين هيكل في (حياة محمد). كما

ورد في (كتر العمال). وابن أبي الحديد.

اشتد به المرض . . فتخلف عن أسامة بعض الصحابة . . مما اضطر قائد الجيش على الانتظار دون مواصلة السير .

دخل أسامة على رسول الله ﷺ حيث أسكته المرض . . فدنا منه ، وقبله . . والرسول ﷺ في صحوته ووعيه دون استطاعته الكلام . .

إلا أنه ﷺ أخذ يرفع يديه الكريمتين إلى السماء كالداعي لأسامة . .

ثم أشار إليه بالعودة إلى معسكره ، وتنفيذ ما أمره به . .

وعاد أسامة في طريقه إلى معسكره . . وبينما هو كذلك جاءه رسول من نساء الرسول ﷺ يأمرنه بالمثل أمام النبي ﷺ . . . بعد أن برىء قليلاً واستطاع الكلام . . .

وبعد مثوله أمامه . . أوصاه بوصايا أخرى . . وقال له ﷺ :

«اغد على بركة الله» . . . ثم جعل يكرر القول : «انفذوا بعث أسامة . . .»

وَدَعَّ أسامة القائد العظيم رسول الله ﷺ ، وخرج معه أبو بكر وعمر بن الخطاب (رض) . . ولما بدأ سيره . . جاءه رسول من أمه (أم أيمن) ليخبره بأن الرسول ﷺ يودع الحياة . . وعاد مسرعاً ، ومعه أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة . . حيث وجدوه ، وقد اشتد به المرض واستفحل . .

إلا أنه عليه الصلاة والسلام ، لم يفقد المقدرة على الكلام في هذه المرة . .

ذكر البخاري في (صحيحه)<sup>(١)</sup> ، عن عبد الله بن عباس (رض) ، قال :

(لما احتضر النبي ﷺ ، قال وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب ، قال :

«هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» . .

فقال عمر :

(إن النبي ﷺ غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، فحسبنا كتاب الله» .

وفي رواية : إن النبي ﷺ يهجر<sup>(٢)</sup> ! واختلف أهل البيت ، واختلفوا فمنهم من

يقول :

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٣٧ . ج ٥ ص ١٣٨ . ج ٨ ص ١٦١ .

(٢) (أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث) محمود أبو رية ص ٥٢ و ٥٥ .

(قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده).  
ومنهم من يقول ما قال عمر.. فلما أكثروا اللغط، والاختلاف عند  
النبي ﷺ، قال:

«قوموا عني..»

فكان ابن عباس يقول:

(إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ، وبين أن يكتب لهم ذلك  
الكتاب من اختلافهم ولغطهم...<sup>(١)</sup>).

وقد سمى ابن عباس تلك الحادثة (بالرزية).. أو (يوم الرزية).. أو (رزية  
يوم الخميس).. لأنها كانت يوم الخميس!

هذه الرواية بالرغم من إنها وردت في كتب الصحاح.. وأوردها أصحاب  
الحديث والسنن، وهي لا شك مصادرها ثقة، ولا يمكن الطعن فيها..

إلا أنه لنا وقفة عندها.. لأنه من الممكن مناقشة ما ورد من خبر تلك  
الرواية، حيث ما يقبله العقل وما يدعمه الواقع، وما تسنده الأسانيد لا يمكن أن  
يكون إلا حدثاً حادثاً وخبراً واقعاً.. ورواية صادقة.

أما خلاف ذلك، فهو قابل للمناقشة والتأويل..

لقد كان الإمام علي، وقسم كبير من الصحابة الذين أيدوا طلب  
رسول الله ﷺ، بإتيان الكتف والدواء، حتى يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده..

فلماذا لم يتم هؤلاء، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب بتقديم، أو تنفيذ ما  
طلبه النبي ﷺ!! لا سيما أن طلب الرسول ﷺ، هو أمر من الأوامر الواجبة  
التنفيذ!!

وكان على الإمام علي أن يقوم بتنفيذ ذلك.. بل أول من يُنفذ ويمثل لأوامر  
ذلك الرجل العظيم.. وهو الذي أقرب إليه مكانة وقرابة وصحابة، وأعلمهم

(١) وقد أخرج هذه الرواية إضافة للبخاري كل من مسلم في صحيحه، وابن ماجه، والنسائي، وأبو داود

والإمام أحمد بن حنبل في مسنده.. وغيرهم من أصحاب السنن والأخبار..

بأموره . . وهو الذي كان يقوم على تـمريضه وقت مرضه!! وملازماً له في آخر أيامه!!

فَلِمَ لم يـقم أحب الناس إليه، وأقربهم عنده مكانة وهو علي ابن أبي طالب، بكتابة ما كان يريده الرسول ﷺ!! لأنه كما نعلم لا يقرأ ولا يكتب، وهو على فراش المرض الشديد!!

ولماذا لم يكتب له راوي الرواية عبد الله بن عباس (رض)، فيما إذا كان حاضراً في حضرة رسول الله ﷺ بالرغم من وجود مَنْ يعارض تلك الكتابة، إن صح وجوده في ذلك المجلس!!

ذكر الغالبية من فقهاء المذهب الشيعي . .

أراد رسول الله ﷺ من ذلك أن يكتبوا له تنصيب الإمام علي (ع) خليفة بعده، حتى لا يختلفوا عن ذلك الكتاب . .

إلا أن عمر بن الخطاب (رض) علم، أو أدرك مغزاه، فحال عنه ذلك!!

ويسندوا حديثهم هذا إلى مصادر عدة . . منها ما أخرجه الإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر في كتابه (تاريخ بغداد) بسنده إلى عبد الله بن عباس . .

كما أورده علامة المعتزلة في أحوال عمر من شرح نهج البلاغة في مجلده الثالث . .

حيث ذكر المحاوراة التي دارت بين الخليفة عمر بن الخطاب وابن عباس (رض) . . . ومنها ما قاله عمر لابن عباس، ما نصه:

( . . . . ) ولقد أراد النبي ﷺ في مرضه أن يصرح باسمه، فمنعته من ذلك . . )!!

أقول إذا كان النبي ﷺ يريد لعلي الوصية له بالخلافة من بعده، فلماذا لم يوصي إلا قبيل ساعات من وفاته، وهو مريض مرض الموت، مسجى على فراشه!! خاصة وإنه كان يعلم موعد وفاته بوحي من الله سبحانه وتعالى!!

ثم يحق لنا أن نتساءل عن كيفية معرفة من كان حاضراً بما كان يريد

رسول الله ﷺ أن يذكره أو يوصي به . . . وكيف علم عمر بنوايا النبي ﷺ حتى استطاع أن يمنعه من تحقيق نواياه!!

وهل يقدر عمر وغيره من الصحابة منع النبي ﷺ عن تحقيق أمر يأمر به!! وإن كان بإمكانه ذلك، أو تمكن منه . . . قَلِمَ لم يمنع من كان حاضراً عمر من موقفه ذاك!!

وعلى أية حال كان ذلك الرجل العظيم ﷺ مسجى غلبه المرض . . . لم يفصح عما كان يريد أن يوصي به أو يقول ما كان يريد أن يقول . . . ولا أحد يعلم بما كان عليه الصلاة والسلام أن يصرح به ونحن نرى أنه لا حاجة لرسول الله ﷺ أن يكرر وصيته للإمام علي في ما تبقى له من لحظات العمر، لأنه أوصى (به وله) في مواقف وأحداث، وأقوال مختلفة . . . آخرها كان يوم غدير خم الذي قال فيه:

«يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين . . . وأنا أولى بهم من أنفسهم . . . فمن كنت مولاه . . . فهذا علي مولاه . . . أَللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاه . . . وَعَادِ مَنْ عَادَاه . . . وَاغْزَلِ مَنْ غَزَلَهُ . . . وَأَدْرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ . . .»

هذا الحدث، وذلك الحديث، أجمع عليهما فقهاء المسلمون . . . ولم يتردد عن ذكره أعظمهم فقهاً . . . ولا أقلهم علماً . . .

وسنأتي على أحداث، وأقوال أخرى غير هذا الذي ذكرناه . . . في السطور القادمة من هذا الكتاب إن شاء الله . . .

. . . فاضت روح سيد الكائنات . . . وأعظم المخلوقات . . . وخاتم الرسل والأنبياء . . . وهو يردد:

«أوصيكم بالصلاة . . . والزكاة . . . وما ملكت إيمانكم» وغيرها من وصايا . . . ثم أغمض عليه الصلاة والسلام عينيه إلى الأبد . . . وانتقلت روحه الطاهرة إلى خالقها، وبارئها . . . فكانت بحق أعظم رزية دون غيرها من الرزايا على المسلمين أجمعين . . . وقد كان يوم وفاته للمسلمين مضرب المثل . . . فإذا بالغوا في يوم من أيام مصائبهم قالوا فيه:

(إنه كيوم مات فيه رسول الله ﷺ).



لقد هزت وفاة الرسول ﷺ أرجاء الجزيرة العربية من مشرقها إلى مغربها..، وفجع آل بيته بأكبر فجيعة بموته.. لا سيما ابنته فاطمة الزهراء.. وزوجها علي بن أبي طالب، وولديهما الحسن.. والحسين..

وكذلك زوجاته.. أخص منها السيدة عائشة (رض) التي في غرفتها توفي النبي ﷺ ودفن فيها، وذلك برأي من الأمام علي.. أن يُدفن النبي ﷺ في موضع وفاته<sup>(١)</sup>...

وفجع بفقده أصحابه... وفي مقدمتهم أبو بكر.. وعمر.. وسلمان الفارسي.. والزبير بن العوام وزيد... وغيرهم ممن حضر وفاته..

كان رسول الله ﷺ في حجر الإمام علي (ع) عندما سألت نفسه الكريمة<sup>(٢)</sup>... وفاضت روحه الطاهرة... وقد قال الإمام في ذلك:

«وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ<sup>(٣)</sup> مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ (ص) أَنِّي لَمْ أَرِدْ عَلَى اللَّهِ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ<sup>(٤)</sup> سَاعَةً قَطُّ... وَلَقَدْ وَاسِيَتْهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ نَجْدَةً<sup>(٥)</sup> أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا...»

ولقد قبض رسول الله ﷺ وَإِنْ رَأَسَهُ لَعَلَى صَدْرِي.. ولقد سألت<sup>(٦)</sup> نَفْسُهُ فِي كَفِّي فَأَمَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي..

ولقد وَلِيْتُ غُسْلَهُ ﷺ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي.. فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَةُ مَلَأَ يَهْبُطُ وَمَلَأَ يَعْرُجُ وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْئَةً<sup>(٧)</sup> مِنْهُمْ...

(١) الإمام علي رسالة وعداله - الشيخ خليل ياسين - ص ٢١٦.

(٢) ذكر ذلك الهيثمي في (مجمعه) عن أبي رافع. ورواه البزار عن عبد الله بن عباس. وكذلك ابن سعد في (طبقاته). وذكره البخاري وورد في (كنز العمال).

(٣) الذين أودعهم النبي ﷺ أمانة سره وطالبه بحفظها.

(٤) لم يعارضهما في أحكامهما.

(٥) الشجاعة.

(٦) إن النبي ﷺ قاء في مرضه، فتلقى الإمام علي قياه في يده ومسح به وجهه.

(٧) الصوت الخفي.

يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارِنَاهُ فِي ضَرْبِهِ . . .

فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا أَوْ مَيِّتًا؟

فَانْقُدُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصُدَّقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ . . .

فوالذي لا إله إلا هو إني لعلی جاذة الحق . . . وإِنَّهم لعلی مَزَلَّةٌ (١)  
الباطل، أقول ما تسمعون وأستغفرُ الله لي ولكم (٢) .

لما قبض رسول الله ﷺ في العام الحادي عشر للهجرة . . .

وفي رواية أخرى أوردها الأستاذ أحمد أمين في أوائل عام ١٢ هجرية  
الموافق في ٢٩/٣/٦٣٢ ميلادية (٣) . . .

كان الإمام علي في نحو الثلاثين من عمره . . . انشغل بتجهيز جثمان  
النبي ﷺ وغسله ودموعه تفيض على لحيته في صمت، وهو يقول:

«بأبي أنت وأمي يا رسول الله . . . طبت حياً، وطبت ميتاً . . . لولا أنك  
أمرت بالصبر . . . ونهيت عن الجزع . . .

بأبي أنت وأمي، أن الصبر لجميل إلا عنك . . . وإن الجزع لقبيح إلا  
عليك . إذكرنا عند ربك، واجعلنا من همك . . .» .

وفي رواية أخرى . . . قال (ع):

«بأبي أنت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة  
والأنبياء وأخبار السماء . . .

خَصَّصْتُ (٤) حَتَّى صرْتُ مُسَلِّياً عَمَّن سِوَاكَ . . . وَعَمَّمْتُ حَتَّى صارَ

(١) مكان الزلل الموجب للسقوط في الهلكة .

(٢) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٧١ .

(٣) فجر الإسلام - أحمد أمين . . .

(٤) خص النبي ﷺ أهل بيته حتى كان فيه الغنى والسلوة لهم عن جميع من سواه وهو برسائته عام  
للخلق .

الناسُ فيكَ سواءَ . ولو أنكِ أمرتِ بالصبرِ ، ونهيتِ عن الجزعِ لأنفدنا  
عليكَ ماءَ الشُّؤونِ<sup>(١)</sup> . . . ولكن الداءُ مُمَاطِلاً ، والكمَدُ مُحالِفاً وَقِلاً  
لَكَ<sup>(٢)</sup> . . .

ولكنه ما لا يملك رُدَّهُ<sup>(٣)</sup> . . . ولا يُستطاعُ دفعهُ . . .

بأبي أنتِ وأمي إذكرنا عند ربك ، واجعلنا من بالكِ .

. . . تذكر الإمام علي (ع) يوم نزول الآية الكريمة :

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ  
أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ  
الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٤٤].

إنه قال عندما سمع هذه الآية الكريمة في حينها :

«والله لا ننتقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله . . . والله لئن مات أو قتل  
لاقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت . . .» .

عن عبد الله بن عباس ، قال :

إن العباس بن عبد المطلب ، وابنيه الفضل ، وقثم . . . وأسامة بن زيد .  
وشقران مولى النبي ﷺ . . . وأوس بن خولي . . . كانوا يساعدون علياً بن أبي  
طالب في غسل جثمان الرسول الطاهر ﷺ . . .

حيث كان الأمام يسنده إلى صدره وأسامة بن زيد ، وشقران يصبان الماء ،  
وعليٌّ يغسله . . .

ولم يُرَ من رسول الله ﷺ شيء مما يُرى من الميت<sup>(٤)</sup> . . .

(١) لأنفدنا: لأفنيها على فراقك ماء عيوننا الجاري من شؤونه وهي منابع الدمع من الرأس .

(٢) قليتان لك .

(٣) لكن الموت الذي لا يملك رده .

(٤) أورده الإمام أحمد بن حنبل . وأبو نعيم . والنسائي . وأخرجه القطيعي في (زوائد الفضل) =

بعدها، أشار الإمام علي على المسلمين أن يصلوا عليه فرادى بدون إمام جماعة.. وفي القبر.. قبر رسول الله ﷺ نزل علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وشقران..

وقد قال أوس بن خولي:

أنشدك الله يا علي، وحظنا من رسول الله... فقال:

«إنزل، فنزل في القبر مع القوم»<sup>(١)</sup>.

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، عن عبد الله بن عباس، قال: لما اجتمع القوم لغسل رسول الله ﷺ وليس في البيت إلا أهله.. عمه العباس بن عبد المطلب. وعلي بن أبي طالب. والفضل بن العباس. وقثم بن العباس. وأسامة بن زيد بن حارثة. وصالح مولاه..

فلما اجتمعوا لغسله، نادى من وراء الباب (أوس ابن خولي الأنصاري).. ثم أحد بني عوف ابن الخزرج (وكان بدرياً) علي بن أبي طالب.. فقال له: يا علي نشدتك الله وحظنا من رسول الله ﷺ.. قال: فقال له علي:

إدخل فدخل، فحضر غسل رسول الله ﷺ.. قال: فأسنده علي إلى صدره وعليه قميصه.. وكان العباس، والفضل، وقثم يقلبونه مع علي بن أبي طالب.. وكان أسامة بن زيد، وصالح يصبان الماء، وجعل علي يغسله.. ولم ير من رسول الله ﷺ شيئاً مما يراه من الميت، وهو يقول:

«بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً أو ميتاً»..

حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله ﷺ... (وكان يُغسل بالماء والسدر) جففوه، ثم صنع به ما يصنع بالميت..

= ص ١١١٠. والطبراني في (الكبير) ج ١ ص ١٧٦. والحاكم. وأبو سعيد بن الأعرابي في (معجم الشيوخ).. والحديث منقولاً عن النيسابوري عن عمرو بن طلحة عن أسباط عن سماك عن عكرمة عن عبد الله بن عباس..

كما ورد في (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) للإمام النسائي ص ٧٥.

(١) (الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين) محمد رضا ص ٣٦.

ثم أدرج في ثلاثة أثواب . . . ثوبين أبيضين، وبرد حبرة<sup>(١)</sup> .

وفي الرياض النضرة<sup>(٢)</sup> . . . قال: قال: ابن إسحاق:

لما غسل النبي ﷺ علي أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلكه به من ورائه، ولا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ . . . ويقول:

«بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً . . .»

ولم ير من رسول الله شيئاً يرى من الميت . وكان أسامة بن زيد، وشقران يصبان الماء عليه . . .

وذكر ابن سعد في طبقاته<sup>(٣)</sup> . . . عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبيه عن جده . . . قال:

لما وضع رسول الله ﷺ على السرير، قال علي:

«لا يقوم عليه أحد لعله يؤم . . . هو إمامكم حياً وميتاً» . . .

فكان يدخل الناس رسلاً . . . رسلاً<sup>(٤)</sup>، فيصلون عليه صفاً صفاً، ليس لهم إمام ويكبرون . . . وعلي قائم بحيال رسول الله ﷺ . . . يقول:

«السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . . . اللهم إنا نشهد أن قد

بلغ ما أنزل إليه، ونصح لأمته . . . وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله

دينه، وتمت كلمته . . . اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما أنزل الله إليه وثبتنا

بعده . . . وأجمع بيننا وبينه . . .» .

فيقول الناس: آمين . . . آمين . . . حتى صلى عليه الرجال . . . ثم النساء . . . ثم

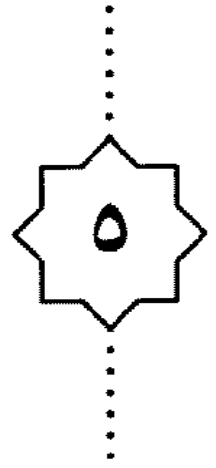
الصبيان . . .

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٦٠ .

(٢) ج ٢ ص ١٧٩ .

(٣) ج ٢ القسم الثاني ص ٧٠ .

(٤) جماعة . . . جماعة .



## آل البيت.. خارج السقيفة!!

بينما كان الإمام علي (ع) منشغلاً بتجهيز جثمان ذلك الفقيه العظيم.. رسول الله ﷺ، وخاتم أنبيائه.. وصفيه على خلقه..

منشغلاً بذلك الجثمان الطاهر.. غسله.. والصلاة عليه.. ومن ثم دفنه في ضريحه المقدس. وكان معه بني هاشم وآل بيت النبي ﷺ... وفي مقدمتهم عمه العباس بن عبد المطلب.. وبعض من صحابة رسول الله ﷺ..

قال العباس (رض) لعلي (ع):

أمدد يدك بأبيك.. فيقول الناس إن عم رسول الله ﷺ بايع ابن عم رسول الله ﷺ فلا يختلف عليك اثنان..

أجابه الإمام علي (ع):

«أويطمع يا عم فيها طامع غيري!! ثم إنني لا أريد أن أبايع من وراء رتاج».

إضافة لذلك إنه رفض احتراماً لجلال الموقف الرهيب.. النبي مسجى أمامه ويقبل بيعة المبايعين!! ذلك أمر لا يقره الإمام..  
.. قبل أن يُدفن جثمان النبي الشريف.. وهو لا يزال مسجى على فراشه، في بيت عائشة..

اجتمع نفر من الأنصار، وهم من الخزرج بقيادة سعد بن عبادة الخزرجي<sup>(١)</sup> في سقيفة بني ساعدة..

(١) كان من أهل بيعة العقبة، ومن أهل بدر وغيرها. وكان سيد الخزرج وجواد الأنصار.

ولما علم ذلك رجالٌ من الأوس (وهم من الأنصار أيضاً) هرعوا إلى مكان الاجتماع حيث انضموا إليهم . . .

ووقف سعد بن عباد، بالرغم من أنه كان مريضاً . . . وتكلم بصوت خافت يكاد لا يسمعه أحد، لولا أن ابنه كان يردد ما يقول أبوه . . . وقال:

«يا معشر الأنصار . . . إن لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب . . .

إن رسول الله ﷺ لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأوثان . . . فما آمن به إلا قليل . . .

والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله ﷺ . . . ولا يعرفوا دينه . . . ولا يدافعوا عن أنفسهم، حتى أراد الله تعالى لكم الفضيلة . . . وساق إليكم الكرامة . . . وخصكم بالنعمة ورزقكم الإيمان به وبرسوله ﷺ . . .

والمنع له ولأصحابه، والإعزاز لدينه . . . والجهاد لأعدائه . . .

فكنتم أشد الناس على مَنْ تخلف عنه معكم . . . وأثقله على عدوكم من غيركم . . . حتى استقاموا لأمر الله طوعاً وكرهاً . . . وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً، حتى أثنى الله تعالى لنبيه بكم الأرض . . . ودانت بأسيافكم له العرب . . . وتوفاه الله، وهو راضٍ عنكم . . . فشدوا أيديكم بهذا الأمر، فإنكم أحق الناس، وأولاهم به . . .»<sup>(١)</sup>

. . . علم أبو بكر (رض) بما يدور في سقيفة بني ساعدة . . .

ففزع أشد الفزع<sup>(٢)</sup> . . . فأسرع ومعه عمر بن الخطاب (رض) . . . فلقيا أبا عبيدة بن الجراح . . . فانطلقوا جميعاً إلى السقيفة حتى دخلوها . . . ووقف أبو بكر يخطب في المجتمعين . . . وقال:

(١) (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة. ج ١ ص ٢٢.

(٢) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج ١ ص ٦٣. و(الإمامة والسياسة) المعروف بتاريخ الخلفاء لابن قتيبة الدينوري - تحقيق الأستاذ علي شيري ج ١ ص ٢٢. طبعة دار الأضواء والنشر والتوزيع - بيروت - ١٩٩٠ م.

«إن الله بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق.. فدعا إلى الإسلام.. فأخذ الله بنواصينا، وقلوبنا إلى ما دعى إليه..»

فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاماً، والناس لنا فيه تبع، ونحن عشيرة رسول الله ﷺ... ونحن مع ذلك أوسط العرب أنساباً.. ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة..

وأنتم أيضاً، والله الذين آووا ونصروا.. وأنتم وزراؤنا في الدين.. ووزراء رسول الله ﷺ.. وأنتم إخواننا في كتاب الله تعالى، وشركاؤنا في دين الله.. وفيما كنا فيه من سراء وضراء..

والله ما كنا في خير قط إلا كنتم معنا فيه.. فأنتم أحب الناس إلينا.. وأكرمهم علينا وأحق الناس بالرضا بقضاء الله.. والتسليم لأمر الله عز وجل، ولما ساق لكم ولإخوانكم المهاجرين وهم أحق الناس، فلا تحسدوهم، وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة.. والله ما زلتم مؤثرين إخوانكم من المهاجرين..

وأنتم أحق الناس ألا يكون هذا الأمر واختلافه على أيديكم، وأبعد أن لا تحدثوا إخوانكم على خير ساقه الله تعالى إليهم.. وإنما أدعوكم إلى أبي عبيدة، و عمر.. وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الأمر وكلاهما له أهل».

فقال كل من عمر، وأبو عبيدة:

«ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك يا أبا بكر.. أنت صاحب الغار ثاني اثنين.. وأمرك رسول الله ﷺ بالصلاة..»

فأنت أحق الناس بهذا الأمر..»<sup>(١)</sup>.

ثم قام أحد الأنصار.. وقال:

«والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم، وإننا لكما وصفت يا أبا بكر والحمد لله.. ولا أحد من خلق الله أحب إلينا منكم.. ولا أرضى عندنا ولا أيمن.. ولكننا نشفق مما بعد اليوم، ونحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا،

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاري ج ١ ص ٢٣ و(الإمامة والسياسة) ابن قتيبة ج ١ ص ٢٢.



وليس منكم . فلو جعلتم اليوم رجلاً منا ورجلاً منكم ، بايعنا ورضينا . .  
على أنه إذا هلك اخترنا آخر من الأنصار . . فإذا هلك اخترنا من  
المهاجرين . . أبدأ ما بقيت هذه الأمة . .

كان ذلك أجدر أن يعدل في أمة محمد ﷺ . . . وأن يكون بعضنا يتبع بعضاً  
فيشفق القرشي أن يزيغ فيقبض عليه الأنصاري . .

ويشفق الأنصاري أن يزيغ فيقبض عليه القرشي . . .» .

فقام أبو بكر . . فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه . . وقال :

«إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رسولاً إلى خلقه . . وشهيداً على أمته ليعبدوا  
الله ويوحده ، وهم إذ ذاك يعبدون آلهة شتى . . يزعمون أنها لهم شافعة ، وعليهم  
بالغة نافعة . .

وإنما كانت حجارة منحوتة ، وخشباً منجورة . .

فاقرأوا إن شئتم : (إنكم وما تعبدون من دون الله) . . . (ويعبدون من دون الله  
ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) . .

فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم . . فخص الله تعالى المهاجرين  
الأولين (رض) بتصديقه ، والإيمان به ، والمواساة له ، والصبر معه على الشدة من  
قومهم ، وإذلالهم وتكذيبهم إياهم ، وكل الناس مخالف عليهم ، زار لهم . . فلم  
يستوحشوا لقله عددهم ، وإضرار الناس بهم ، واجتماع قومهم عليهم فهم أول من  
عبد الله في الأرض . . وأول من آمن بالله تعالى ورسوله ﷺ . . وهم أولياؤه  
وعشيرته . . وأحق الناس بالأمر من بعده . . لا ينازعهم فيه إلا ظالم . . وأنتم يا  
معشر الأنصار مَنْ لا ينكر فضلهم . . ولا النعمة العظيمة لهم في الإسلام . .  
رضيكم الله تعالى أنصاراً لدينه ورسوله . . . وجعل إليكم مهاجرته ، فليس بعد  
المهاجرين الأولين أحد عندنا بمنزلتكم . .

فنحن الأمراء . . وأنتم الوزراء . . لانفتات دونكم بمشورة . . ولا تنفسي  
دونكم الأمور . . .»<sup>(١)</sup>

(١) نفس المصدر ج ١ - ص ٢٤ .

مَنْ يِنَازِعُنَا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ وَمِيرَاثَهُ وَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ :

بعد ذلك وقف الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام<sup>(١)</sup> عن الأنصار..  
وقال :

«يا معشر الأنصار.. املكوا عليكم أيديكم، فإنما الناس في فيثكم  
وظلالكم.. ولن يجير مجير على خلافكم.. ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم..  
أنتم أهل العزة والثروة، وأولو العدد والنجدة..

وإنما ينظر الناس ما تصنعون، فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وتقطع  
أمورك.. أنتم أهل الإيواء والنصرة.. وإليكم كانت الهجرة.. ولكم في السابقين  
الأولين مثل ما لهم وأنتم أصحاب الدار والإيمان من قبلهم.

والله ما عبدوا الله علانية إلا في بلادكم.. ولا جمعت الصلاة إلا في  
مساجدكم، ولا دانت العرب للإسلام إلا بأسياكم..

فأنتم أعظم الناس نصيباً في هذا الأمر.. وإن أبي القوم، فمننا أمير ومنهم  
أمير!!

فنهض عمر بن الخطاب (رض) عندما سمع ذلك قائلاً:

«هيهات.. هيهات!! لا يجتمع سيفان في غمدٍ واحد.. والله لا ترضى  
العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم..

ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم.. وأولو  
الأمر منهم.. ولنا بذلك على من يخالفنا من العرب الحجة الظاهرة، والسلطان  
المبين من يِنَازِعُنَا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ، وَمِيرَاثَهُ وَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ، إِلَّا مُدَّلٍ بِيَاظِلٍ،  
أَوْ مُتَجَانِفٍ لَائِمٍ.. أَوْ مُتَوَرِّطٍ فِي هَلَكِهِ..».

... فقام الحباب بن المنذر.. فقال:

«يا معشر الأنصار.. املكوا على أيديكم.. ولا تسمعوا مقالة هذا

(١) كان من سادة الأنصار وأبطالهم بدياً واحدياً ذا مناقب وبطولات.

وأصحابه . . فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر . . فإن أبوا عليكم ما سألتهم، فأجلوهم عن بلادكم . . وتولوا هذا الأمر عليهم . .

فأنتم والله أولى بهذا الأمر منهم، فإنه دان لهذا الأمر ما لم يكن يدين له بأسيا فإنا أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة . . والله لا يرد علي أحد ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف» .

ثم قال عمر بن الخطاب (رض):

«فلما كان الحباب هو الذي يجيني . . لم يكن لي معه كلام، لأنه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله ﷺ . . فنهاني عنه . . فحلفت أن لا أكلمه كلمة تسوؤه أبدا . . إذا ليقتلك الله!» .

فأجاب الحباب: «بل إياك يقتل»<sup>(١)</sup>!! .

بعد تلك الآراء المتباينة . . والتصلب في المواقف، احتدم الخلاف حتى كاد أن يصل إلى السيوف!!

إلا أن أبا عبيدة بن الجراح تدارك الموقف . . وقال لهم:

«يا معشر الأنصار أتم أول من نصرَ وآوى . . فلا تكونوا أول من يُبدل، ويُغير!» .

عاد أبو بكر (رض)، وطلب من المجتمعين مبايعة أحد من أوائل المهاجرين خليفة لهم . . وقال:

«هذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح . . فأيهما شئتم فبايعوا . .» .

فرد عليه عمر وأبا عبيدة:

«والله لا نتولى هذا الأمر عليك، وأنت أفضل المهاجرين . . وثاني اثنين إذ هما في الغار . . وخليفة رسول الله ﷺ في الصلاة . . والصلاة أفضل دين المسلمين . . فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك، أو يتولى هذا الأمر عليك!! إسبط يدك نبايعك . .» .

(١) (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة ج ١ ص ٢٥.

وبسط يده أبو بكر (رض) حيث أول مَنْ بايعه عمر بن الخطاب (رض) وبعده أبا عبيدة (رض) ومَنْ حضر من الأنصار . .

فقام الحباب بن المنذر إلى سيفه فأخذه . . فبادروا إليه فأخذوا سيفه منه . .

فجعل يضرب بثوبه وجوههم، حتى فرغوا من البيعة . . فقال:

«فعلتموها يا معشر الأنصار . . أما والله لكانني بأبنائكم على أبواب آبائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء . .» .

قال أبو بكر: أمنا تخاف يا حباب؟ قال:

«ليس منك أخاف . . . ولكن ممن يجيء بعدك» .

قال أبو بكر: «فإذا كان ذلك كذلك، فالأمر إليك وإلى أصحابك، ليس لنا عليك طاعة» .

قال الحباب:

«هيهات يا أبا بكر . . إذا ذهبت أنا وأنت . . جاءنا بعدك من مسومنا الضيم»<sup>(١)</sup> . .

بعدها بايع زعيم الأوس من الأنصار بدافع رئيسي، وهو أن يفوت الفرصة على سعد بن عباد زعيم الخزرج من الأنصار!!

حيث كان بين الأوس والخزرج تنافس وعداء قبل الإسلام، إلى أن دخلوا في دين الله، حيث ألف الإسلام بينهم . .

إلا أن رواسب العصبية القبلية بقيت في قلوب بعضهم . . يؤيد ذلك قول زعيم الأوس لقومه عندما بايع أبا بكر بالخلافة:

«يا معشر الأوس . . والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة . . لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة . . فقوموا وبايعوا أبا بكر . .»!!

وبذلك فوّت الأنصار على أنفسهم الفرصة التي اجتمعوا من أجلها طمعاً

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٦.

بالخلافة واستباقاً للزمن، ولصحابة آخرين يعلمون حق العلم أنهم أحق منهم بها!!  
أما سعد بن عبادة الخزرجي زعيم الخزرج رفض أن يبايع أبا بكر، وحاول  
أن يقاوم ذلك.. وقال موجهاً كلامه لأبي بكر وعمر:

«والله لا أبايعكم أبداً حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل.. وأخضب  
سناني ورمحي.. وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي.. وأقاتلكم بمن معي من أهلي  
وعشيرتي..»

والله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس، ما بايعتكم حتى أعرض على  
ربي..»

واستمر في رفضه مبايعة الخليفين أبي بكر وعمر (رض).. ولم يسألهم  
حتى قُتل غيلة (بحوران) على عهد الخليفة الثاني..

فقالوا: قتله الجن!! وقالوا: قتله خالد بن الوليد بمؤامرة دبرها له!!

### .. وبعد السقيفة والمبايعة!!

بعد الانتهاء من أمر السقيفة ومبايعة مَنْ حضرها لأبي بكر (رض).. جاء  
(البراء بن عازب) دار رسول الله ﷺ وجثمانه مسجى وحواله علي (ع) وآل بيته،  
وأصحابه.. فقال لهم:

«لقد شهدت أبا بكر بعد السقيفة بعيني.. إلى يمينه عمر.. وإلى يساره ابن  
الجراح لا يمر بهم أحد.. ولا يمرون بأحد إلا قدموا يده شاء أم أبي فمسحوها  
على يد أبي بكر!!»<sup>(١)</sup>.

كل ذلك جرى تحت السقيفة وبعدها.. وجثمان رسول الله ﷺ مسجى في  
بيته لم يدفن بعد!!

حتى إن فاطمة الزهراء البتول، قالت لأبي بكر وعمر وأبي عبيدة، عندما  
جاؤوها معزين:

(١) الإمام علي بن أبي طالب - عبد الفتاح عبد المقصود ج ١ ص ١٤٩.

«تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم.. ولم تستأمرونا<sup>(١)</sup>، ولم تردوا لنا حقاً..».

وبكت. وبكى معها مَنْ كان منشغلاً بتجهيز جثمان رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب.. أبو ذر الغفاري.. العباس بن عبد المطلب.. سلمان الفارسي.. الزبير بن العوام.. عمار بن ياسر.. المقداد.. خزيمة بن ثابت.. أبي بن كعب.. فروة بن عمرو بن ورقة الأنصاري.. البراء بن عازب.. خالد بن سعيد بن العاص الأموي وغيرهم..

ثم بكى أبو بكر وَمَنْ كان معه..

تسلم أبو بكر (رض) مقاليد الخلافة.. كأول خليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ ولما علم المسلمون ذلك، جاؤوا لمبايعته في المسجد.. حيث خطب بالناس وقال:

«أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم.. فإن أحسنت فأعينوني.. وإن أسأت فقوموني..»

الصدق أمانة، والكذب خيانه.. والضعيف قوي عندي حتى أريح عليه حقه، إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله.. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل.. ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء..

أطيعوني ما أطعت الله ورسوله.. فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم..».

**أطيعوني ما أطعت الله..**

وفي رواية أخرى.. قال أبو بكر (رض):

«أيها الناس.. إن الله الجليل الكريم العليم الحكيم الرحيم الحلیم، بعث محمداً بالحق. وأنتم معشر العرب كما قد علمتم، من الضلالة والفرقة، ألف بين

(١) تستأمرونا: تستشيرونا.

قلوبكم ونصركم به، وأيدكم، ويمكن لكم دينكم، وأورثكم سيرته الراشدة  
المهدية . . .

فعليكم بحسن الهدى ولزوم الطاعة، وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع  
به ألفتكم، ويقيم به كلمتكم . . .

فأعينوني على ذلك بخير، ولم أكن لأبسط يداً ولا لساناً على من لم يستحل  
ذلك إن شاء الله . . .

وأيم الله ما حرصتُ عليها ليلاً ولا نهاراً، ولا سألتها الله قط في سر ولا  
علانية . . .

ولقد قُلتُ أمراً عظيماً مالي به طاقة ولا يد . . .

ولوددت أني وجدت أقوى الناس عليه مكاني . . . فأطيعوني ما أطعت الله . . .  
فإذا عصيتُ فلا طاعة لي عليكم» . . . ثم بكى وقال:

«اعلموا أيها الناس، إنني لم أجعل لهذا المكان أن أكون خيركم، ولوددت أن  
بعضكم كفانيه ولئن أخذتموني بما كان الله يقيم به ورسوله من الوحي ما كان ذلك  
عندي، وما أنا إلا كأحدكم . . .

فإذا رأيتموني قد استقمتم فاتبعوني، وإن زغت فقوموني . . .

واعلموا أني لي شيطاناً يعتريني أحياناً . . . فإذا رأيتموني غضبتُ فاجتنبوني . . .  
لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم . . .»<sup>(١)</sup>

. . . لما علم وسمع ذلك أبو سفيان، جاء مسرعاً إلى الإمام علي (ع) . . .  
فقال له:

«غلبكم على هذا الأمر أرذل بيت في قريش! أما والله لأملأنها خيلاً  
ورجالاً!!»

وطلب من الإمام أن يمد يده لمبايعته!! فقال له ابن أبي طالب مستنكراً:

(١) الإمامة والسياسة - ابن قتيبة الدينوري ج ١ ص ٣٣ (دار الأضواء - بيروت).

«ما زلت عدو الإسلام وأهليه . . فما ضرَّ ذلك الإسلام وأهله شيئاً . .  
إنما تريد الفتنة!» .

بعد ذلك جاء بعض الصحابة من الأنصار والمهاجرين وبني هاشم ومعهم  
الزبير بن العوام . . ومرة أخرى جاء معهم أبو سفيان إلى الإمام علي ليبيعه بعد  
أن بُويع أبو بكر . . فأبى الإمام ذلك، حتى لا تكون فتنة بين المسلمين تشق  
وحدتهم وتلاحمهم . .

لكن أبي سفيان كرر عرضه على علي بن أبي طالب، وكرر قوله السابق  
له . . فقال له الإمام علي (ع) :

«لا والله! لا أريد أن تملأها عليه خيلاً ورجالاً . . ولو أننا رأينا أبا بكر  
لذلك أهلاً ما خَليناه وإياها . .

يا أبا سفيان! إن المؤمنين قومٌ نَصَحَتْ بعضهم لبعض . .

وإن المنافقين قومٌ غَشَّسَتْ بعضهم لبعض متخاونون وإن قربت ديارهم  
وأبدانهم»<sup>(١)</sup> . .

ثم قال له :

«يا أبا سفيان! إنك تريد أمراً لسنا من أصحابه . . وقد عهد إلي  
رسول الله ﷺ عهداً فأنا عليه . .» .

بعد ذلك اتجه أبو سفيان إلى العباس بن عبد المطلب (رض) . . وقال له :

«يا أبا الفضل . . أنت أحق بميراث ابن أخيك . .

أمدد يدك لأبايعك . . فلا يختلف عليك الناس بعد بيعتي إياك» . .

فضحك العباس (رض) . . . وقال :

«يا أبا سفيان . . يدفعها علي . . . ويطلبها العباس»<sup>(٢)</sup> .

(١) (علي وعصره) - جورج جرداق ص ٢٦ .

(٢) (حجج النهج) د . سعيد السامرائي ص ١٥١ .



بعدها توجه العباس بن عبد المطلب . . عم رسول الله ﷺ . . وعم  
علي بن أبي طالب . . إلى الصحابة الذين حضروا لمبايعة علي (ع) . . وقال لهم:  
«قد سمعنا قولكم، فلا قلة نستعين بكم . . ولا لظنة نترك أراءكم . . فأمهلونا  
نراجع الفكر . .

فإن يكن لنا من الإثم مخرج يصّر بنا وبهم الحق صرير الجُدُجُد . .  
ونبسط إلى المجد أكفًا لا نقبضها أو نبلغ المدى . .  
وإن تكن الأخرى، فلا لِقلة في العدد ولا لوهن في الأيد . . والله لولا أن  
الإسلام قيّد الفتك . . لتدكّدت جنادل صخر يسمع إصطكاكها من المحل  
العلي . .» .

### احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة:

ثم تكلم فيهم الإمام علي (ع) . . وقال:  
«أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة . . وعرجوا عن طريق  
المنافرة وضعوا عن تيجان المفخرة . .

أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح . . هذا ماء آجن<sup>(١)</sup>، ولقمة  
يغص بها أكلها . . ومُجنتي الثمرة لغير وقت أيناها كالزراع بغير  
أرضه<sup>(٢)</sup> . . فإن أتل، يقولوا حرص على الملك . . وإن أسكت يقولوا  
جزع من الموت<sup>(٣)</sup> . . هيهات بعد اللتيا والتي . .

والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه . .

بعد ذلك ترك القوم ودخل منزله . . ورجعوا من حيث أتوا . .

(١) متغير الطعم واللون، وهو يشير إلى الخلافة.

(٢) يشير إلى ذلك لم يكن الوقت الذي يسوغ فيه طلب الأمر.

(٣) إن تكلم بطلب الخلافة رماه من لا يعرف حقيقة قصده، بالحرص على السلطان. وإن سكت وهم يعلمونه أهلاً للخلافة، يرمونه بالجزع من الموت في طلب حقه . .

في الليلة الثانية من وفاة رسول الله ﷺ . . . جاء إلى العباس بن عبد المطلب (رض) كل من أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، والمغيرة (رض) . . . فقال له أبو بكر: «إن الله ابتعث لكم محمداً (ص) نبياً، وللمؤمنين ولياً . . . فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم . . . حتى اختار له ما عنده، فخلّى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم متفقين غير مختلفين . . .

فاختاروني عليهم والياً . . . ولأمرهم راعياً . . . فتوليت ذلك . . .

وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرة ولا جبناً . . . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . . .

وما أنفك يُبلغني عن طاعن يقول بخلاف عامة المسلمين، يتخذكم لجأ فتكونون حصنه المنيع، وخطبه البديع . . .

فأما دخلتم فيما دخل فيه الناس . . . أو صرفتموها عما مالو إليه . . .

فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً ولمن بعدك من عقبك، إذ كنت عم رسول الله ﷺ . . . وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ﷺ ومكان أهلك . . . ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم . . .

وعلى رسليكم بني هاشم فإن رسول الله ﷺ منا ومنكم!!!

وأيد عمر قول أبو بكر . . . وأضاف:

«إي والله . . . إنا لم نأتكم حاجة إليكم!! ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم . . . فيتفاقم الخطب بكم وبهم! . . . فانظروا لأنفسكم ولعامتهم!!»

أجابهما العباس بن عبد المطلب (رض)، بعد أن حمد الله، وأثنى عليه:

«إن الله ابتعث محمداً (ص) نبياً كما وصفت، وولياً للمؤمنين . . .

فمن الله به على أمته حتى اختار له ما عنده . . .

فخلّى الناس على أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين للحق . . . مائلين عن زيغ

الهوى . . .

فإن كنت برسول الله ﷺ طلبت، فحَقْنَا أخذت . .  
وإن كنت بالمؤمنين، فنحن منهم . . .  
ما تقدمنا في أمركم فرطاً . . . ولا حللنا وسطاً . . ولا نزحنا شَحَطاً . .  
فإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين، فما وجب إن كنا كارهين . .  
وما أبعد قولك، إنهم طعنوا من قولك إنهم مالوا إليك . .  
وأما ما بذلت لنا، فإن يكن حقك أعطيتناه، فأمسكه عليك . .  
وإن يكن حق المؤمنين، فليس لك أن تحكم فيه . .  
وإن يكن حقنا، لم نرض لك ببعضه دون بعض . .  
وما أقول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه . . ولكن للحجة نصيبها من  
البيان . .

وأما قولك: إن رسول الله ﷺ منا ومنكم . . فإن رسول الله ﷺ من شجرة  
نحن أغصانها . . وأنتم جيرانها . .  
وأما قولك يا عمر:

إنك تخاف الناس علينا . . فهذا الذي قدمتموه أول ذلك وبالله المستعان<sup>(١)</sup> .  
. . . بعد أن تمت البيعة للخليفة الأول أبي بكر الصديق (رض) . . عكف  
الإمام علي (ع) في بيته دون أن يبايع . . .

فجاءه عمر بن الخطاب (رض)، وطلب منه مبايعة الخليفة . . أجابه الإمام:  
«أقسمتُ حين قبض رسول الله ﷺ ألا أرتدي برداء إلا إلى الصلاة  
المكتوبة، حتى أجمع القرآن، فإني خشيت أن ينفلت» . .

ورد ذلك في (حلية الأولياء) لأبي نعيم بسنده عن عبد خير عن علي، قال:  
«لما قبض رسول الله ﷺ أقسمت أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى

(١) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي ص ٩٤.

أجمع ما بين اللوحين فما وضعت ردائي عن ظهري حتي جمعت القرآن»<sup>(١)</sup>.

سأل الإمام علي بعد أن سمع ما جرى في السقيفة، عما قالت الأنصار . . .  
أجابوه، قالت: منا أمير ومنكم أمير. . . قال:

«فهلأ احتججتم عليهم بأن رسول الله ﷺ وصى بأن يحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن سيئهم؟»

قالوا له:

وما في هذا من الحجة عليهم! . . . قال الإمام:

«لو كانت الإمامة فيهم، لم تكن الوصية بهم».

ثم قال:

«ماذا قالت قريش؟» . . . .

قالوا:

احتجت قريش بأنها شجرة رسول الله ﷺ!! قال الإمام:

«احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة. . .»

. . . التقى الإمام علي (ع) ببعض المهاجرين ممن حضروا البيعة، فقال

لهم:

«زعمتمم للأنصار إنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد ﷺ منكم

فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة. . .

وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار. . .

إن كانت الإمامة في قريش. . . فأنا أحق قريش بها. . . وإلا فالأنصار

على دعواهم. . .

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة - مرتضى الحسيني ج ٣ ص ٦٥.

نحن أولى برسول الله ﷺ حياً وميتاً . فانصفونا إن كنتم مؤمنين» .

وقال الإمام علي (ع) :

«تكون الخلافة بالصحابة ، ولا تكون بالصحابة والقرابة !!»

استمر الإمام علي (ع) على عدم مبايعة الخليفة الأول أبي بكر (رض) لمدة تقارب الستة أشهر . .

حدث فيها خلاف كبير بينه وزوجته السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ من جهة . . وبين أبي بكر من جهة أخرى حول ميراث رسول الله ﷺ ، ومنها أرض (فدك) التي ذكرناها في مواضيع سابقة لا موجب لتكرارها . . ولكن نذكر بخطبتها (الزهراء) ذات الحجج البالغة التي ثبتت فيها موقفاً تاريخياً من الخلافة ، وذلك في موضوع (الهموم . . والرحيل) . .

القدوة في كل قول وعمل . .

بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء (ع) ، جاء أبو بكر إلى الإمام علي معزياً ، وكان معه في الدار جمع من بني هاشم . . فتحدثنا عن البيعة والخلافة . . فقال له الإمام :

«أما بعد يا أبا بكر ، فإنه لم يمنعنا أن نبايعك إنكاراً لفضيلتك ، ولا نفاسة عليك لخير ساقه الله إليك . .

ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً أخذتموه»<sup>(١)</sup> .

ثم قال له :

«موعدك غداً في المسجد الجامع للبيعة إن شاء الله» .

وفي اليوم التالي حضر جمع غفير من المسلمين في المسجد . . وقام الإمام علي بذكر فضائل أبي بكر (رض) . . . ثم بايعه . .

(١) (خلفاء الرسول) خالد محمد خالد ص ٤٠٠ .

وبعد بيعة الإمام لأبي بكر قرت عينه، وطابت نفسه، واستقرت له  
الخلافة . .

على أن أسباب عدم مبايعة الإمام علي لأبي بكر بداية تعود إلى أن الإمام  
يرى: أن له في الخلافة حقاً، كما قال . . وحقه هذا يعود إلى:

أما علمه بوجود وصية من النبي ﷺ له . . . أو بتوصية فيه . .

أو مكانته في الإسلام، وموقعه من رسول الله ﷺ . .

وأما أن شعر بحرمانه وبني هاشم، وقسم كبير من الصحابة والمسلمين من  
حقهم في الترشيح للخلافة . .

أو حرمانهم من حقهم بالاشتراك في الشورى، والمساهمة بانتخاب الخليفة  
للخلافة . .

ذلك بعد استثثار فئة قليلة من الصحابة، واحتكارهم لحق الترشيح  
والانتخاب معاً.

وبنو هاشم وآل البيت وفي مقدمتهم الإمام علي، هم الشريحة الفاعلة  
والمهمة بين المسلمين قاطبة، دون مقارنة أو منازع . . .

وهؤلاء جُردوا من كل حق لهم فيها . . وقللوا من شأنهم العظيم في الإسلام  
بعزلهم عن أهم حق يملكونه، وأزاحوهم عن مكانة كبيرة وضعهم الله ورسوله  
فيها!! . . .

تلك هي أهم الأسباب الموجزة لتأخر الإمام عن بيعة الخليفة أبي  
بكر (رض) (وسنأتي عليها في المواضيع القادمة تفصيلاً بإذن الله تعالى) . . .

على أن الإمام علياً (ع)، كان بتصرفه ذلك، وأعني مبايعة الخليفة لأبي  
بكر (رض) قد غَلَبَ مصلحة الدين الجديد على أية مصلحة أخرى . .

والحق يقال إنه لا مصلحة له في أي حق يشيره، سوى إعطاء الأولوية لكل  
حق أو واجب من حقوق وواجبات الإسلام التي إشرأبت نفسه لمبادئه . .

يقول الأستاذ خالد محمد خالد:

«لقد اعتاد الإمام دائماً أن يتصرف تصرف القدوة . .

فهو في كل حركاته وقراراته وأعماله يلتزم واجبات القدوة . .

إن كلماته، وخطواته، لتشكل طريقاً عاماً للأجيال المقبلة على طول الزمن وعرضه . .

ومن ثم فإن الشعور بتبعات القدوة أكثر الأشياء إملأء عليه، وإيحاء إليه . . في طفولته . . كان يسلك مسلك «القدوة» . . فلا يلعب لعب الأتراب، ولا يلهم مع الصبية . .

وفي شبابه كان يسلك مسلك «القدوة» . . فقضاه شباباً طاهراً، وحملة مسؤوليات الرجال مبكراً . .

وفي رجولته، وخلافته . . أعطى كل عزمه، وكل نفسه لما تتطلبه «القدوة» من تبذل وصمود . .

أجل باختلاف وجهات نظر الأبرار حول الحق . . لا يخرج الأبرار من دائرة الحق، والفضل، والأمانة . .

إن خلافهم ليس على دنيا يتنافسونها، ومن ثم تبقى آفات الدنيا بعيدة عن إيمانهم وعن أخلاقهم، وتبقى بعيدة عما يختلفون فيه أبعدها عما يتفقون عليه . . !!!

وهكذا طوى الإمام عنها كشحاً . . وأغلق دونها باباً . . وتفرغ لعبادة الله وتفقيه المسلمين، وإسداء المشورة والنصح لولي الأمر . .

فالمشكلات والمعضلات لم يكن لها إلا علي . .

ولطالما كان الخليفة «أبو بكر» يسعى إليه، ويقول له:

«افتنا يا أبا الحسن»<sup>(١)</sup>.

---

(١) (خلفاء الرسول) خالد محمد خالد ص ٤٠١.

## أبو بكر.. أول الخلفاء

تولى خلافة المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ . . أبو بكر الصديق (رض)،  
 كأول خليفة في الإسلام . . .  
 وأبو بكر (رض):

هو عبد الله بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن  
 تيم بن مُرّة بن كعب بن لؤي ابن غالب القرشي التميمي . . .  
 قيل اسمه (عتيق) . . والحقيقة أن هذا الاسم لم يكن اسمه، بل لُقّب به لعتقه  
 من النار . .

وسمي أو لقب (بالصديق) . . لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ . . . وفي  
 رواية أخرى أنه كان يُلقب به في الجاهلية قبل الإسلام لصدقه . .  
 أمه بنت عم أبيه . . اسمها (سلمى) بنت صخر بن عامر بن كعب . . وتكنى  
 بـ (أم الخير) . .

ولد أبو بكر (رض) بعد مولد النبي ﷺ بستين وأشهر . . ومات وعمره  
 ثلاث وستون سنة . . وقيل أيضاً هو أسن من رسول الله ﷺ بستين . .  
 نشأ بمكة المكرمة . واشتغل بالتجارة، وكان ذا مال كثير . . مُولع بحفظ  
 روائع الثقافة العربية بكل أدبها . . شعرها ونثرها وخطب ملاحمها . .  
 واشتهر بين قومه في الإحسان والمروءة، وصلة الرحم، ومساعدة المحتاج  
 منهم . .

وكانت صفاته الجسدية أبيض . . نحيفاً . . خفيف العارضين . . أحنى  
 الظهر . . معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة . .



جاء أبو بكر (رض) إلى النبي ﷺ . . . فقال له :

يا أبا القاسم ما الذي بلغني عنك؟

فسأله النبي ﷺ . . . قائلاً:

(وما بلغك عني يا أبا بكر؟) أجابه :

بلغني إنك تدعو إلى توحيد الله . وزعمت أنك رسول الله . . قال :

«نعم، يا أبا بكر . . إن ربي جعلني بشيراً، ونذيراً . . وجعلني دعوة

إبراهيم وأرسلني إلى الناس جميعاً» .

فقال له أبو بكر :

«والله ما جربت عليك كذباً، وإنك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك، وصلتك

لرحمك، وحسن فعالك . . مد يدك، فإني مبايعك» .

وأسلم أبو بكر (رض) . . .

وكان من أوائل المسلمين الذين دخلوا دين الإسلام . . . وصحب

رسول الله ﷺ بعد إسلامه حتى وفاته . . ولقد كان حريصاً على تلك الصحبة حَفِيّاً

بزمالة محمد ﷺ حتى وصفته أم سلمى :

(خِذْنَا لِمُحَمَّدٍ وَصَفِيّاً لَهُ) .

شهد معه المشاهد كلها . . وهاجر معه إلى يثرب، وترك أهله في مكة . .

وهو رفيق النبي ﷺ في الغار . . وقد أسلم على يده بعد أن أقنعهم بمبادئ

الإسلام خمسة من أشرف قريش هم: عثمان بن عفان، الزبير بن العوام، عبد

الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله<sup>(١)</sup> . .

قال فيه تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ثَٰلِثَ ٱلَّذِينَ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ

إِنَّا ٱللَّهُ مَعَنَّا﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٠] .

(١) (خلفاء الرسول) خالد محمد خالد ص ٤٩ .

وقد قام بنصر رسول الله ﷺ في غير موضع . . وثبت يوم أحد، ويوم حنين . .

وقد أظهر إسلامه، ودعا إلى الله ورسوله علناً دون كتمان، وجعل من حياته سياجاً يحمي بها الدعوة والداعي . . الدين والرسول<sup>(١)</sup> . .

كان أعلم الناس بأنساب العرب . . وله علم بعلم تأويل الرؤيا، وفصاحة بالخطابة . . وهو أحد الذين حفظوا القرآن كله . .

كان من رؤساء قريش في الجاهلية، وأهل مشورتهم، ومحبباً فيهم . . كانت مدة خلافته سنتين وسبعة أشهر . . أو سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليالٍ كما ذكره الطبري<sup>(٢)</sup> . .

قيل: لم يل الخلافة أحد في حياة أبيه، إلا أبو بكر . . ولم يرث خليفة أبوه، إلا أبو بكر . .

ذلك أن والده (أبا قحافة) توفي بعد وفاة ولده أبي بكر بستة أشهر وأياماً عن عمر ناهز السبع والتسعين سنة<sup>(٣)</sup> . .

كان أبو بكر (رض) ورعاً تقياً . . نذر نفسه للإسلام وللمسلمين كان إذا جاء وقت السحر قام فتوضأ وصلى، ثم يظل يصلي ويتلو القرآن، ويسجد ويبكي . . وقد قال عنه الإمام علي بن أبي طالب (ع):

«كنت والله للإسلام حصناً وعلى الكافرين عذاباً. لم تقلل حجتك ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك . .

وكنت كالجبل الذي لا تحركه العواصف . . كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله . . .

(١) المصدر السابق ص ٥٦.

(٢) (الإمامة والسياسة) - ابن قتيبة - ج ١ ص ٣٥ (هامش).

(٣) (تاريخ الخلفاء) - للإمام السيوطي .

جليلاً في الأرض . . . كبيراً عند المؤمنين .

ولم يكن أحد عندك مطمع ، ولا أحد عندك هوادة . .

فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه . . . والضعيف عندك قوي حتى تأخذ الحق له .

فلا حرماً أجرك . . ولا أضلنا بعدك»<sup>(١)</sup> .

حين أدركه الموت دعا إليه ابنته عائشة (رض) وقال لها :

«انظري ما زاد في مال أبي بكر منذ وليّ هذا الأمر، فرُدِّيه على المسلمين»<sup>(٢)</sup> .

كان في بدء إسلامه لا يطيق أن يرى مؤمناً يتعذب، وكانت نفسه تنوء بالألم حين يكون أولئك المعذبون رقيقاً .

ومن ثم وضع ثروته في سبيل تحريرهم، وحررهم جميعاً بماله :

بلال . . عامر بن فهيرة . . زُبيرة . . أم عيس . . النهديّة وابنتها . . جارية بن عمرو بن مؤمّل . . وغير هؤلاء . .

كان عظيماً، وهو يشعر هؤلاء الأرقاء أنه لا يحررهم، بل يُحرّر نفسه قبلهم . . لأنه وقد أتاه الله المال ونعمة الإسلام بات واجباً عليه أن يحطم من الأغلال الظالمة كل ما يستطيع تحطيمه . .

حين افتدى بلالاً، قال له سيده تحقيراً منه لشأن بلال :

«خذه فلو أبيت إلا أوقية واحدة لبعتكُ بها» . .

فأجابه أبو بكر قائلاً :

«والله لو أبيتم إلا مائة لدفعتها . .» .

ومن الطريف أن يتناقل الناس في مكة أن أبا بكر يبذل في سبيل تحرير العبيد

(١) (الصدّيق أول الخلفاء) . عبد الرحمن الشرقاوي .

(٢) (خلفاء الرسول) خالد محمد خالد ص ٩١ .

من ماله بذلَّ السماح . . فيعمد بعضهم حين تنتابه أزمة مالية إلى إنزال العذاب بعبدته كي يُسارع أبو بكر لنجدته ويتقاضاه السيد ثمناً يدفع به ضائقته وأزمته . .

وفي أيام الجاهلية لم يُعرف عنه مرة واحدة أنه قاتل، أو شاتم، أو أساء، أو تخلى عن مروءة، أو بخل بماله أو جاهه . .

فلما أسلم أضيف إلى صدقِ فطرته، صدقُ دينه . . وهكذا أقرض الله كل ماله، حتى لقد سأله الرسول ﷺ يوماً:

«ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر . . ؟؟»

فأجاب: «أبقيت لهم الله ورسوله» . . (١)

وبعد رسول الله ﷺ . . . وفي خلافته . . خلافة الصديق (رض) . . دخل

عليه عمر بن الخطاب (رض) فوجده يبكي!!

فقال له عمر (رض): «ما يبكيك يا خليفة رسول الله!!» . .

أجابه: «يا عمر لا حاجة لي في إمارتكم» .

لكن عمر بن الخطاب (رض) بادره قائلاً:

«إلى أين المفر . . ! والله لا نُثقلك . . ولا نستثقلك!!»

وذات يوم خرج من داره حاملاً على كتفيه لفافة كبيرة من الثياب . . وفي

الطريق يلقاه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فيسألانه:

- إلى أين يا خليفة رسول الله . . ؟؟

فيجيبهما: إلى السوق . . .

قال عمر: وماذا تصنع بالسوق، وقد وُلّيت أمر المسلمين . . ؟؟

قال أبو بكر: فمن أين أطعم عيالي!!

قال له عمر: انطلق معنا نفرض لك شيئاً من بيت المال . .

وصحبهما الخليفة إلى المسجد حيث نودي أصحاب الرسول، وعرض

عليهم عمر رأيه في أن يفرض للخليفة (بدل تفرغ).

(١) (خلفاء الرسول) خالد محمد خالد ص ١٠٠.

وفعلاً فرضوا له كفافاً.. بعض شاة كل يوم، ومائتي دينار وخمسين في العام.. ثم زيدت بعد ذلك إلى شاة في اليوم.. وثلاثمائة دينار في العام.. وعاش أبو بكر بهذا هو وأسرته الكبيرة، حتى بعد أن فُتح للمسلمين أبواب الرزق والرغد، وبدأت خيرات الشام والعراق تُفدُ إلى المدينة.. ولم يكن الصديق يلتزم القناعة لمجرد الزهد.. بل كانت قناعته جزءاً من فلسفته.. (١).

تلك كانت نبذة موجزة.. ووقفه قصيرة، ذكرنا فيها بإيجاز جوانب من حياة هذا الصحابي الجليل.. الخليفة الأول.. أبو بكر الصديق (رض)..

---

(١) المصدر السابق - ص ٩٠.

## كانت فلتة.. وكادت تصبح فتنة!



... وإتماماً لمواصلة البحث. نعود لموضوع الخلافة.. خلافة رسول الله ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى..

قال عمر بن الخطاب (رض):

(إن بيعة أبي بكر، كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها.. فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه..)<sup>(١)</sup>.

نعم.. إنها كانت فلتة.. أو كادت أن تكون فتنة، وقى الله سبحانه وتعالى الدولة الإسلامية الفتية شرورها!!

فداخل السقيفة نفسها برزت الخلافات والنزاعات.. كل طرف يريد الخلافة له! وأولهم سعد بن عبادة الخزرجي الذي كان أول من دعا للسقيفة..

ثم ظهرت المنافسة عليها فيما بين الأنصار أنفسهم، الخزرج والأوس..

وعادت للظهور الخصومة المستحكمة بينهما زمن الجاهلية!

لقد ضحى بالخلافة زعيم الأوس بعد أن أدرك إنها ستكون لزعيم القبيلة التي تخاصم قبيلته وتنافسها، وهو سعد بن عبادة..

فطلب من رجاله تأييد ترشيح أبي بكر (رض) لغرض تفويت الفرصة على خصمه. وكما مر ذكره في موضوع (السقيفة)..

وكان من الممكن أن تكون الخلافة للأنصار أنفسهم دون المهاجرين، فيما

(١) البخاري في (صحيحه) ج ٨ ص ٢٦... د. طه حسين في (الفتنة الكبرى) ج ٢ ص ٣١.. وغيرهم.

لو اتفقت القبيلتان فيما بينهما، ونبذا ما كان عندهما من رواسب العدواة والفرقة . .

ذلك إن مَنْ حَضَرَ من الأنصار في السقيفة أكثر ممن حضر من المهاجرين . .

وهنا نستطيع القول أن الأنصار أول من تكتل للاستحواذ على منصب الخلافة

ورسول الله ﷺ لا يزال مسجى لم يُدفن جثمانه الطاهر بعد!!

وآل بيت النبي ﷺ، وجل الصحابة، وأكثر المسلمين، كانوا إما منشغلين

بمراسيم تجهيزه إلى مثواه الطاهر . . أو مصابين بصدمة كبيرة ولا يريدون أن

يصدقوا بما أصابهم من فاجعة أو كارثة لا توصف بفقدانهم قائدهم العظيم . .

رسول الله ﷺ . . فالقسم الأول منشغل بما شُغل به . .

والآخرون يذرفون غزير الدمع حزناً على ذلك الرجل الفذ الذي نقلهم

بمبادئ دينه من الظلمات إلى النور . .

فهم لم يعطوا منصب الخلافة تلك الأهمية، ومَنْ الذي سيكون لها، لأن

الحزن جعلهم لم يروا، أو لم يفكروا إلا بالفاجعة التي هزتهم . . كيف أن

رسول الله ﷺ بين ليلة وضحاها رَحَلَ عنهم!!

وبناء على ذلك لم يحضر السقيفة إلا القسم القليل من المهاجرين . .

ومِنْ مَنْ لم يحضر جل صحابة رسول الله ﷺ المقربون له، لأنهم انشغلوا

به دون أن يشغلهم شاغل آخر غيره عنه . .

وحتى مَنْ حضر من الأنصار لا يتجاوز العشرات . . ذلك أن اجتماع أهل

السقيفة كان مفاجئاً . . لم يُنتشر خبره . . . ولم يعلم به إلا قليل من الأنصار . .

ثم إن مكان السقيفة لا يسع إلا لبضع من العشرات فقط . . لأنه في بيت

محدود المكان، لا في جامع النبي الذي يسع معظم المسلمين، ولا حتى في مكان

عام يمر فيه المسلمون، أو يكون بالإمكان الاطلاع على ما يجري بين مَنْ حضر!!

لقد كان من الممكن لصحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين القدامى الذين

هم أوائل مَنْ أسلموا واعتنقوا دين محمد ﷺ وأيدوا دعوته . . والذين انشغلوا بما

أصابهم كما ذكرنا . .

كان من الممكن أن يعترضوا على النتيجة الناتجة عن السقيفة، وأعني

انتخاب أبي بكر، وبالتالي إعادة ترشيح أحدهم للخلافة. وعدم الاعتراف بأبي بكر خليفة للمسلمين . .

ولنا أن نتصور ما قد ينتج عن ذلك من مآسي وإراقة للدماء، وانقسام في صفوف المسلمين!!

. . . وهناك آل بيت رسول الله ﷺ من بني هاشم، الذين أوصى بهم النبي ﷺ حيث قال:

«وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي . . .» قالها وكررها ثلاث مرات . . وكان في مقدمتهم علي بن أبي طالب، وعمه العباس . . ومعهما أجل الصحابة وأقدمهم إسلاماً وعلي بن أبي طالب، كما نعلم خصه رسول الله ﷺ بحياته الشريفة بالمنزلة الخصيصة، ورفع من مكانته، وزاد من علوه . . حتى أوصى له في خطبة غدير خم المشهورة والمشهودة . . ودعا له ولمن والاه . . . ودعا على من عاداه . . وقال فيه ما لم يقل في غيره من القرابة والصحابة حتى تمنى غيره أن يكون بعض قول رسول الله ﷺ فيه كما قال في علي!

ودع عنك ما كان يتصف به من صفات القيادة، والشجاعة، والبطولة، والمواقف المشهودة . . وعلمه الغزير، وإيمانه العميق بمبادئ الدين الحنيف وتفانيه لتلك المبادئ، وقضائه المعروف، وملازمته للرسول ﷺ قبل الدعوة حتى اختار الله نبيه لجواره . .

فلو أن الإمام قَبَلَ مبايعة، أو بيعة مَنْ أراد أن يبايعه، مثل عمه العباس . . وبايعه بعد مبايعة عمه كثير من الصحابة، وكل بني هاشم . . لانقسم المسلمون قسمين:

منهم مَنْ يؤيد مبايعة أبي بكر خليفة نتيجة لما حصل بالسقيفة . .

والقسم الآخر منهم يؤيد مبايعة علي بن أبي طالب من خلال مبايعة بني هاشم والصحابة له لمكانته بين آل البيت، وشأنه لدى رسول الله ﷺ . . وموقعه بين المسلمين . .

ولنتصور مدى ذلك الانقسام، وما يحصل عنه من فتنة، وضعف للمسلمين،



وفرقه بين صفوفهم.. وإعطاء الفرصة لأعدائهم للقضاء على الإسلام وهزيمة المسلمين!!... .

لذا صدق عمر بن الخطاب (رض) عندما قال:

(إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه.. .) وعن ذلك، قال الإمام علي (ع):

«... وأيمُ الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويور الدين، لكنا على غير ما كنا لهم عليه.. .».

### مبايعة الإمام للخليفة.. .

قال الإمام في قول كان يكرره:

«... ولقد علمتم أنني أحق الناس بها من غيري.. . والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة.. .».

من هذا المنطلق، وذاك المبدأ.. . بايع الإمام علي الخليفة أبا بكر (رض) بعد مضي ستة أشهر كما ذكرنا.. .

وقد روى كثير من المؤرخين أن الإمام أُجبر بتهديد السلاح على المبايعة!! حيث ورد ذلك في مصادر كثيرة ومختلفة.. .

وعندنا تلك رواية غير واردة مطلقاً، بل نشكك في صحتها.. . لأنها لا يعقلها العقل، ولا يقبلها المنطق.. .

ذلك أن علياً بن أبي طالب، لا يمكن أن يتعامل معه أحد بهذا الأسلوب من التعامل!! لأسباب عدة، ولنا أن نذكر منها.. . وحسب ما نعتقده.. .

١ - شجاعته وبطولاته اللتان كان يُحسب لهما أكثر من حساب.. . ومعروف عنه أنه لا يهاب الموت في سبيل الحق.. .

٢ - مكانته بين المسلمين، وموقعه من آل البيت، وقربه القريب من

رسول الله ﷺ.

٣ - حرصه الشديد على وحدة المسلمين ، ونبذ الفرقة كما كان يوصي دائماً بذلك . . .

٤ - لا يُعتقد أن يستطيع أي من المسلمين أن يقف أمامه موقف التهديد، أو التفاوض عليه لإجباره على تنفيذ أمر لا يرى فيه صلاحاً للإسلام والمسلمين . . .  
كما أنه بايع مبايعة صادقة مَنْ جاء للخلافة بعد الخليفة الأول . . .  
فهل عمر وعثمان أجبراه على المبايعة أيضاً!! أم أنه بايع طوعاً!!  
لم نجد في كتب التاريخ ولو رواية واحدة، ذكرت أن الإمام أجبر على مبايعة عمر وعثمان (رض) كما وجدنا في بعضها خبر إجباره مبايعة الخليفة الأول (رض).

. . . لقد ذكر الإمام علي (ع) في مواضع مختلفة، إنه أحق من غيره بالخلافة، وأصلح الصحابة لها، لأسباب ذكرها . . . وسنذكرها في المواضيع القادمة إن شاء الله، علماً أنه لم يكن طامعاً بها . . . ولا طالباً لها . . . لكنه كان يريد من خلالها تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ﷺ، كما علمه أستاذه العظيم . . .

ولأنه كان أكثر الصحابة علماً بتعاليم الدين، وأقضاهم، وأشجعهم . . . وغير ذلك ماله من خصائص تجعله أهل للخلافة . . .

وبناء على ذلك لو كان الإمام علي قد مَدَّ يده إلى مَنْ أراد مبايعته، وعلى رأسهم بنو هاشم، وفي مقدمتهم عمه، وعم النبي ﷺ العباس (رض)، وحسب للطامعين بها حساباً . . .

فلو كان قد فعل ذلك، لتوالى المسلمون عليه لمبايعته دون غيره . . . لأن فيه خصائصها كما ذكرنا . . . ولأن عم النبي ﷺ قام بمبايعته . . .  
لكن الإمام علياً (ع) لم يفعل ذلك لما مر ذكره .

وبعدها ندم الإمام على تفريطه في أمر البيعة، وتفويت الفرصة عليه . . . كما ذكر الدكتور سعيد السامرائي<sup>(١)</sup>!!!

(١) حجج النهج - د. سعيد السامرائي ص ٦٣.

كان الإمام علي كرم الله وجهه واثقاً من أن البيعة لا تتعداه، تطبيقاً لما أوصى رسول الله ﷺ يوم الغدير . . . وفي مواقف أخرى مشهودة، شهدها المسلمون . . . وتنفيذ وصية الرسول ﷺ لا يختلف عليها اثنان من المسلمين . . .

لكن الإمام علياً عرف أن حب الدنيا، والتطلع للإمارة . . . ووجود العصبية القبلية التي لم يستطع الإسلام القضاء عليها نهائياً. فوتت عليه فرصة وصوله إلى سُدة الخلافة!!

وكذلك ثارات القبائل منه قبل الإسلام . . . لم يُنسبهم الإسلام أنه، وأعني الإمام، قتل زعماءهم وصناديدهم، وإخوانهم في مقتبل الدعوة الإسلامية!! لكنه (كما ذكرنا) أعطى الأولوية للاهتمام بجثمان رسول الله ﷺ . . . وحزنه على وفاته جعله لا يستطيع اتخاذ أي قرار يتعلق بغير المصيبة التي هو فيها، والتي هزت كيانه، ورزأت بها مشاعره . . .

ذلك يعني أن علياً (ع) لم تكن عنده مطامع في الخلافة، ولا له إربة فيها حتى تكون له غاية . . .

وإنما كان يريد أن تكون وسيلة لخدمة مبادئ الدين الحنيف وللمسلمين ولنشر التعاليم السماوية على أكمل وجه . . . ولتسود مبادئ العدالة، والمساواة بين كل مَنْ آمن بهذا الدين، والحفاظ على وحدتهم . . . وقد قال في ذلك:

«والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة» . . .

. . . دخل عبد الله بن عباس ابن عم الإمام علي عليه . . . فوجده يخصف نعله . . . فسأله الإمام: ما قيمة هذا النعل؟

أجابه عبد الله بن عباس: لا قيمة لها!

فقال له الإمام علي:

«والله لهي أحب إلي من إمارتكم، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً . . .» .

كما قال كرم الله وجهه عن الدنيا عموماً . . . تلك الدنيا التي بها تلك الخلافة المتنازع عليها!!

« . . . إن دنياكم هذه أزهى عندي من عفة عنز . . . » .

وقال عنها :

« مثل الدنيا كمثل الحية لئن مسّها ، والسّم الناقع في جوفها يهوي إليها  
الغرّ الجاهل ، ويحدّرها ذو اللبّ العاقل . . . »

## الخلافة . . . والخلاف !

انقسمت آراء المسلمين في الخلافة . . . إلى رأيين رئيسين . . . وبينهما رأي  
ثالث ، وسنحاول أن نستعرض كل رأي منها ، ونوجز :

### (القسم الأول)

أيد انتخاب الخليفة الصديق أبي بكر (رض) ، خليفة لرسول الله ﷺ على  
المسلمين حيث بايعه المسلمون خليفة أول بعد انتقال نبيهم الكريم إلى الرفيق  
الأعلى .

### (القسم الثاني)

من لم يؤيد . . . ولم يبايع الخليفة الأول ، ويرى أن الخلافة . . . خلافة  
رسول الله ﷺ يجب أن تنعقد للإمام علي بن أبي طالب (ع) دون غيره لما له من  
خصائص به تؤهله لها . . . وتنفيذاً لوصية النبي ﷺ له بها . . .

### (القسم الثالث)

وهؤلاء يرون أن التفضيل لعلي بالخلافة . . . وجواز تولي المفضل دون  
الأفضل مع وجوده .

وأن علياً نازع ، ثم بايع . . . وبمبايعته لأبي بكر أعطى الصفة الشرعية  
لخلافته . . .

لذا وبناء على ذلك ، فهم يقرون خلافة الخليفة الأول . . .

لكن هذا الانقسام بالرأي الذي بدأ منذ بدء السقيفة . . . حتى مبايعة الإمام علي  
لأبي بكر . . . انتهى بتلك البيعة . . .

فقد بايع من امتنع عن البيعة بعد أن بايع الإمام الخليفة الأول . .

على أن تلك الفترة التي ظهر ذلك الانقسام بها . . وبرز اختلاف الرأي فيها . . لم يحدث ما يعكس صفو الخلافة . . ولا العلاقة بين المسلمين من القسمين . . أو من أصحاب الرأيين . ولم يؤثر في مسيرة المسلمين الرسالية، ونشر دعوتهم المحمدية . .

ذلك لأن اختلاف الطرفين بالأراء لم يفسد ما بينهم من إخوة إسلامية . . وتراحم، ومودة . .

والمسلمون جميعاً، كانوا يلتقون على رفع كلمة الإسلام . . والحفاظ على مبادئه القيمة . .

إلا أن أصحاب الرأي من القسم الثاني، عادوا وأرائهم بالخلافة والتفضيل للظهور في العصر المتأخر من الإسلام . . وبالتحديد، بعد انتهاء فترة الخلفاء الراشدين . . خاصة بعد مقتل أحد سبطي رسول الله ﷺ . . وهو (الحسين بن علي بن أبي طالب) . . والذي أحدث مقتله ردود فعل عنيفة بين المسلمين . أدى إلى قيام ثورات عدة على الطغاة من الحكام آنذاك . .

وظهرت أفكار ومذاهب مختلفة لاجتهادات مختلفة تقع ضمن الإطار العام للدين . .

وطغت الحوارات والمناقشات بأحقية مَنْ لخلافة رسول الله ﷺ بعد رحيله . .

ومن الطبيعي أن تعود حجج أهل القسم الأول الذين بايعوا الخليفة الأول (رض) للظهور . . وتطرح آراءها وتدافع عن حججها ومسانيدها . .

كما ظهرت مقابلها أفكار وآراء القسم الثاني من المسلمين، الذين كانوا يرون أن الخلافة لعلي بن أبي طالب دون غيره من صحابة رسول الله ﷺ . .

ولا بد لنا، ونحن في بحث يخص أحد الطرفين وهو الإمام علي (ع) . . أن نأتي على موضوع الخلافة وخصائص كل من أبي بكر وعلي . . وحجج كل طرف من هذين القسمين بشيء من التفصيل . .

ونمر مروراً سريعاً على أصحاب الرأي الثالث، الذي يمثل رأيهم رأياً وسطاً..

## الخليفة الأول.. للخلافة أهل:

يحتج أصحاب القسم الأول، وهم الذين أقروا خلافة الخليفة الأول أبو بكر الصديق (رض) وأعطوا الأفضلية له..

إنه من أبرز صحابة رسول الله ﷺ.. وهو أول أوائل المسلمين الذي دخلوا الإسلام.. ورافق النبي ﷺ بعد إسلامه حتى وفاته..

وهو رفيقه في الغار.. وصاحبه في الهجرة..

قام بنصرة الرسول ﷺ في مواقف مختلفة.. وأشهر إسلامه، ودعا إلى الإسلام علناً دون كتمان أو خوف..

وهو واحد من حفظة القرآن الكريم..

دعاه رسول الله ﷺ عند مرضه ليصلي بالمسلمين.. وأنه أكبر سناً من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه..

أخرج ابن عساكر عن أحد الصحابة، قال:

(لقد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس، وأني شاهدٌ، وما أنا بغائب وما بي مرضٌ.. فرضينا لدُنْيَانَا ما رضي به النبي ﷺ لديننا).

وأخرج البيهقي، عن الزعفراني، قال: سمعت الشافعي، يقول:

(أجمع الناس على خلافة أبي بكر الصديق، وذلك لأنه اضطر الناس بعد رسول الله ﷺ، فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر، فولَّوه رقابهم..).

وأخرج ابن سعد، عن إبراهيم التميمي.. قال:

(لما قبض رسول الله ﷺ.. أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح، فقال:

ابسط يدك لأبايعك إنك أمين هذه الأمة على لسان النبي ﷺ..

فقال أبو عبيدة لعمر:

ما رأيت لك فَهَّةً<sup>(١)</sup> قبلها منذ أسلمت! أتبايعني وفيكم الصديق.. وثاني  
اثنين!<sup>(٢)</sup>

وأخرج ابن سعد أيضاً عن محمد، أن أبا بكر، قال لعمر:

(أبسط يدك لأبايعك.. فقال له عمر:

أنت أفضل مني.. فقال له أبو بكر:

أنت أقوى مني.. ثم كرر ذلك.. فقال عمر:

فإن قوتي لك مع فضلك فبايعه..).

وأخرج الإمام أحمد عن رافع الطائي، قال:

(حدثني أبو بكر عن بيعته.. وما قالته الأنصار.. وما قاله عمر، قال:

فبايعوني وقبلتها منهم... وتَخَوَّفْتُ أن تكون فتنة يكون بعدها ردة).

كما أخرج الحاكم في مستدركه، عن أبي هريرة، قال:

(لما قبض رسول الله ﷺ ارتجت مكة.. فسمع أبو قحافة ذلك، فقال:

ما هذا؟ قالوا: قبض رسول الله... قال:

أمر جَلَلٌ! فمن قام بالأمر بعده؟.. قالوا:

ابنك.. قال:

فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف، وبنو المغيرة؟.. قالوا:

نعم... قال:

لا واضع لما رفعت، ولا رافع لما وضعت..)<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أخرى.. قيل لأبي قحافة يوم أن تولى الخلافة ابنه أبو

بكر (رض): قد ولي ابنك الخلافة.. فقرأ:

(قل اللهم ما لك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء)..

(١) الفَهَّةُ: ضعف الرأي.

(٢) تاريخ الخلفاء - الإمام السيوطي ص ٨٢.

(٣) المصدر السابق.

وقال: لِمَ ولوه؟

قالوا: لسنه...

قال: أنا أسن منه<sup>(١)</sup>!

كما يحتج أصحاب هذا الرأي أيضاً.. أن رسول الله ﷺ لم يوصى لأحد بالخلافة من بعده في حياته، وفي مرضه الذي قبض فيه..

بل جعل الأمر شورى.. بناء على أمر من الله سبحانه وتعالى، إذا قال في محكم كتابه الكريم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٣٨].

وقد ذكر ذلك الإمام علي نفسه في كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان الأموي.. وفيه يقول:

«إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم

عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرُدّ..

وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار.. فإن اجتمعوا على رجلٍ

وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضى.. فإن خرج من أمرهم خارج بطعن

أو بدعة، ردّوه إلى ما خرج منه.. فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل

المؤمنين وولاه الله ما تولى»<sup>(٢)</sup>.

.. إذا وبناء على ذلك.. فإن المسلمين اختاروا أبا بكر (رض) خليفة لهم

لما مرّ ذكره من أسباب. مع وجود الأمام علي ومنّ معه وهم مؤمنون بأنه أحق بها من غيره..

وأنه لا وجود لنص سماوي، ولا وصية نبوية بالخلافة.. وبمن يتولاها..

فإن كان هناك نصّ أو وصية.. لما خالفها المسلمون عامة، والصحابة

(١) كان هناك من الصحابة في زمن الخليفة الأول من هو أسن منه، نحو: العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ... وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.. وسلمان الفارسي... وعدي بن حاتم الطائي... وحسان بن ثابت الأنصاري... وأوس بن حارثة الطائي... وغيرهم.

(٢) نهج البلاغة - محمد عبده ج ٣ ص ٧ - نهج البلاغة - الدكتور صبحي الصالح ص ٣٦٦ (بيروت - دار الكتاب اللبناني)، نهج البلاغة - محمد عبده ج ٣ ص ٤٩٤ (بيروت - مؤسسة الأعلمي)، نهج البلاغة - محمد عبده ج ٣ ص ٤٤٦ (بيروت - دار الأندلس) ص ٥٢٦ (بيروت - دار البلاغة)، .



خاصة . . ولا يمكن لصحابي جليل مثل أبي بكر ومن معه من خيرة الصحابة مثل عمر وابن الجراح، أن يقبلوا مبايعة الخليفة الأول لخلافة لا حقَّ له فيها!! ولا يرضى أبو بكر وهو ذلك الرفيق الدائم لرسول الله ﷺ .

ولا كان لعلي بن أبي طالب أن يبايع الخليفة، إن وجد نص أو وصية بالخلافة . . لأن الإمام لا يمكن له أن يخالف ذلك النص وتلك الوصية . . وهو إمام المتقين . . وأفقه الفقهاء . . وأعلمهم بأمور الدين . . وألصقهم برسول الله ﷺ .

وإنه على أتم الاستعداد للتضحية بنفسه، وحياته من أجل مبادئ الدين الحنيف وعدم مخالفة أوامر الله ورسوله . .

فكيف له أن يخالف نصاً سماوياً . . أو وصية نبوية!!

ويقول أصحاب هذا الرأي . . أن رسول الله ﷺ عندما أوصى بآل بيته وفي مقدمتهم الإمام علي، كان ذلك منه رغبة شخصية لا وصية سماوية . . لما لعلي من خصائص وصفات تؤهله لتولي الخلافة بعده . .

لكن المسلمين اختاروا لهم خليفة كما أراد الله لهم . . لا كما أراد النبي لهم! وذلك استناداً لقول عمر بن الخطاب (رض) لعبد الله بن عباس (رض) . . . ثم إن الخلافة لم تكن من أصول الدين ومبادئه الأساسية، كالعبادات الشرعية . . مثل الصلاة والصوم والزكاة والخ . . بل هي من الأمور الدنيوية، نحو تأمير قادة للجيش أمراء على الجيوش الإسلامية في معارك المسلمين وغزواتهم . . أو تنصيب الولاة ولاية الأقاليم والأمصار . .

فالمبادئ الأساسية، لا يمكن للمسلم مخالفتها، أو حتى الاجتهاد بها مطلقاً . .

أما الأمور الدنيوية المتعلقة بالخلافة، أو الإمارة، أو الولاية، فمن الممكن تطبيق مبدأ الشورى عليها . . وكذلك الاجتهاد بما هو صالح في اتخاذ القرارات وتنفيذها . .

. . كان ذلك رأي من رأى أن الخليفة الأول، أبا بكر الصديق (رض)، هو أحق بالخلافة من غيره . . وهم أصحاب الرأي الأول . .

أما أصحاب الرأي الثالث فرأيهم بين الاجتهادين، يُمثل الفريق الوسط الجامع لرأي الفريقين تقريباً. . أو بعبارة أخرى أخذ هذا الرأي من اجتهاد كل فريق. .

الأمر كان لعلي، فإن شاء أخذه لنفسه. . وإن شاء ولاه غيره. .

أجاز هذا الفريق اختيار المفضول على الأفضل مع وجوده، فيما إذا رآوا هناك مصلحة للمسلمين تقتضيها الضرورة ذلك. .

وقالوا، أن علياً أفضل الجماعة. . وإنهم تركوا الأفضل لمصلحة رأوها. . وإن لم يكن هناك نص يقطع الغموض. .

وإنما كانت هناك إشارة، وإيماء لا يتضمن شيئاً منهما صريح النص. .

وأن علياً نازع، ثم بايع. . ولو أقام على الامتناع، لم نقل بصحة البيعة ولا لزومها.

وهذا الرأي استقر عليه رأي (المعتزلة) بعد اختلاف كثير بين قدمائهم في التفضيل وغيره.

ويقول أصحاب هذا الرأي أيضاً:

إن الأمر كان للإمام علي. . وكان هو المستحق والمتعين. . . فإن شاء أخذه لنفسه. . وإن شاء ولاه غيره. .

فلما رأيناه قد وافق على ولاية غيره، اتبعناه ورضينا لما رضي.

أي أن هذا الفريق من المسلمين، يقول:

بأحقية علي بالخلافة من أبي بكر، دون اعترافهم بالنص على وصية

الرسول ﷺ له. .

وبذلك تصبح خلافة أبي بكر سابقة لخلافة علي، من الناحية الزمنية

والواقعية. .

في حين أن خلافة الإمام علي سابقة لها من الناحية الشرعية. .

وهذا الفريق يتفق مع الفريق الأول في اعتبار الخلافة منصباً دنيوياً خالصاً. .

وينكر وجود النص الدال بصراحة على وصية النبي لعلي خليفة للمسلمين من بعده . . .

ولكن مع هذا يعتبر هذا الفريق علياً أولاً بالخلافة من أبي بكر . . لأنه أفضل المسلمين على الإطلاق<sup>(١)</sup> . . .

. . . كان هذا رأي الفريق الثالث، أو الوسط . . . الذي أقر خلافة الخليفة الأول . . بعد إقرارها من قبل مَنْ هو أحقّ بها منه . . وهو الإمام علي . .

ونحن نميل إلى هذا الرأي . . ذلك لأن الإمام لطالما تنازل عن حقه<sup>(٢)</sup> في الخلافة للخليفة الأول . . واعترافه له بخلافته . . تصبح ولاية أبي بكر، ولاية شرعية لا يمكن الطعن بها . . ويعني ذلك أنه أهل لتلك الخلافة . . يستحقها لما له من خصائص معروفة لا يمكن نكرانها .

فمبايعة الإمام علي للخليفة الأول، هو اعتراف منه له بمقوماته لها . . وحرصه على رسالة رسول الله ﷺ . . وإيمانه الشديد بالمبادئ التي جاءت بها تلك الرسالة . . وإلا لما بايعه الإمام وتحت أي ظرف كان!!

فأبو بكر (رض) أذن له مقومات الخلافة . . وعنده الحرص على الرسالة والإيمان المطلق بمبادئها، ولهذا كانت مبايعة الإمام له .

ونحن نختلف مع أصحاب هذا الرأي في نكرانهم لوجود وصية النبي ﷺ لعلي (ع) خليفة للمسلمين من بعده . . .

وإنهم اعترفوا ضمناً بوجود الوصية . . حينما قالوا:

(إن خلافة الإمام علي سابقة لخلافة أبي بكر من الناحية الشرعية . . .)

وسؤالنا، من أين جاءت تلك الشرعية! . . . شرعية خلافة الإمام، حتى تسبق خلافة أبي بكر الزمنية، أو الواقعية!!

(١) علي ومناوئوه - د. نوري جعفر ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) الإمام علي ذكر في خطبه وأحاديثه أحقيته بالخلافة في مواقف مختلفة . . حيث إن وصية الغدير أعطته ذلك الحق . . وسنبحث ذلك في المواضيع القادمة . . .

فالشرعية في خلافته جاءت نتيجة لتلك الوصية.. سواء كانت بنصوص مباشرة وصريحة.. أو بصورة غير مباشرة، إلا أنها صريحة!!  
ويستدل من أقوال الإمام علي في مواقف مختلفة، أنه مأمور<sup>(١)</sup> من قبل رسول الله ﷺ أن يصبر، ويؤمن بالأمر الواقع، ويدعن له.. حتى لا تتعرض الدولة الإسلامية الفتية لخطر أو كارثة..  
فبايع الإمام ومَن معه الخليفة الأول.. والخليفين من بعده، درءاً لتلك المخاطر عن الإسلام والمسلمين...  
وكان في ذلك بُعد نظري... وإصابة في تقدير الموقف، وبالتالي صلاح للأمة..  
ولنتقل بعد ذلك إلى أصحاب الرأي الآخر... الفريق الثاني، المُقر بالوصية والإمامة، والخلافة للإمام علي..

---

(١) سوف نأتي على ذلك تفصيلاً في الموضوع (لماذا سكت الإمام عن حقه!) فراجع الفصل السادس من هذا الكتاب.

## الوصية... والشورى



ذكرت إحدى الصحف المصرية أن أحد الكتاب الإسلاميين من السياسيين.. . . . .  
خاطب رئيس جمهورية مصر العربية، طالباً منه أن يُعين له نائباً ليرعى مصالح الأمة عند غيابه عن مصر.. . . . .  
وذلك اقتداء بالسنة النبوية الشريفة.. . . . .

حيث إن رسول الله ﷺ قد خرج من المدينة المنورة مرات عديدة على رأس السرايا والغزوات.. . . . .  
كما أنه خرج للعمرة والحج.. . . . .

وكان في كل مرة يستخلف على المدينة واحداً من الصحابة.. . . . .

وحتى أنه ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة ولم يكن حاكماً في ذلك الوقت، وإنما كان أميناً على أموال بعض الناس.. . . . .  
استخلف الإمام علياً كرم الله وجهه ليؤدي الأمانات إلى أهلها.. . . . .

... وهكذا ينصح أن استخلاف الحاكم لغيره عند سفره، ولو ليوم واحد سنة مؤكدة ما تركها الرسول ﷺ أبداً.. . . . .  
وقال ﷺ :

«مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي عِنْدَ فِسَادِ أُمَّتِي، فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ»<sup>(١)</sup>.

.. . . . .  
وروت كتب التاريخ الإسلامي بالإجماع.. . . . .  
دون أي اختلاف، أن الخليفة أبا بكر (رض) عندما شارف على توديع الدنيا.. . . . .  
أوصى بالخلافة من بعده إلى عمر بن الخطاب (رض) تحديداً وتعييناً.. . . . .  
دون ترشيح أو انتخاب من قبل المسلمين.. . . . .

(١) جريدة (القدس العربي) اللندنية - العدد ١٧٢٢ في ١٧/٥/١٩٩٥ نقلاً عن إحدى الصحف المصرية.

ذكر ابن قتيبة في تاريخ الخلفاء<sup>(١)</sup> . . . قال :

( . . . ثم دعا عثمان بن عفان، فقال :

اكتب عهدي . . . فكتب عثمان، وأملى عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها . . . وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها . . .

إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . . . فإن تروه عدلاً فيكم، فذلك ظني به، ورجائي فيه . . . وإن بدّل وغير فالخير أردت، ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧].

. . . أما الخليفة عمر بن الخطاب (رض) . . . وفي آخر عهده في الدنيا،

كذلك أوصى بالخلافة من بعده إلى ستة من خيرة الصحابة . . . وحصرها بهم دون غيرهم، ليختاروا بدورهم واحداً منهم . . . وسنأتي على ذلك تفصيلاً . . .

يقول أصحاب الرأي الآخر، المؤيد لوصية النبي ﷺ لعلي بن أبي

طالب (ع) :

(إن الخلافة ظاهرة تأتي بعد مرتبة النبوة مباشرة في القدسية والأهمية . . . لذا

أمر الله نبيه بالنص على ولاية خليفته من بعده . . .).

وأن رسول الله ﷺ، عندما كان يخرج من المدينة المنورة . . . وهي التي

أصبحت عاصمة للدولة الإسلامية، إن صح التعبير، يستخلف عليها أحداً من الصحابة . . .

منها غزوة تبوك . . . حيث استخلف علياً بن أبي طالب له على المدينة ليقوم

مقامه في غيابه عنها . . .

. . . لذا يكون أولى برسول الله ﷺ أن يستخلف، أو يوصي لمن يكون

للخلافة من بعده وبأمر من الله سبحانه وتعالى، وذلك قبل التحاقه بالرفيق

الأعلى . . .

---

(١) ج ١ ص ٣٧ في باب مرض أبي بكر واستخلافه عمر (رض) (الإمامة والسياسة) - دار الأضواء -

بيروت.

وتدل الأخبار الواردة أن النبي ﷺ كان يعلم بوقت رحيله عن هذه الدنيا، ولو على وجه التقريب. . . بدليل ما ورد بخطابه البليغ في حجة الوداع. . .

فالرسول الكريم ﷺ عندما كان يغادر المدينة يستخلف مَنْ كان يستخلفه. . . وكان ﷺ كلما خرج منها يضع مكانه رجلاً من بسطاء المسلمين. . . حتى أنه لما قاد نحو ثلثمائة من المهاجرين والأنصار ليتعرض لقافلة قريش التجارية. . . بعد أن خرج من المدينة استخلف عليها رجلين من بسطائها. . . أحدهما يؤم الناس في الصلاة. . . والآخر يقضي بينهم. . .

كما ولى على مكة بعد فتحها، أحد شبابها من المسلمين القدامى، عندما قاد جيشه إلى معركة (حنين)<sup>(١)</sup>. . . واستخلف عمرو بن قيس (ابن أم مكتوم) ثلاث عشرة مرة على المدينة<sup>(٢)</sup>.

كما استخلف الرسول ﷺ على المدينة (أبا رهم) عند فتح مكة<sup>(٣)</sup>. . . وقيل سماك بن خرشة الساعدي المعروف بأبي دجانه الأنصاري. . . وقيل سباع بن عرفة الغفاري. . .

. . . رسول الله ﷺ، ما ترك تلك السنة في حياته، وأعني استخلافه أحداً غيره عندما كان يغادر المدينة. . . ومكة المكرمة. . . وقبل أن يصبح حاكماً فيها، أو مسؤولاً عنها. . . استخلف عليها لرد الودائع لأهلها وذلك بعد أن تركها مهاجراً إلى يثرب. . .

فكيف به لا يستخلف أحداً لما بعد حياته الطاهرة!! خليفة يخلفه على كل المسلمين بعد أن انتشر الإسلام ووسعت رقعته، وعظمت دولته. . . وعلت رايته. . . ثم إن الخليفة أبا بكر. . . والخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) أعطوا الأهمية الكبيرة في أواخر حياتهما لاختيار، وتعيين وتسمية الخليفة الذي سيخلفهما. . .

(١) (محمد رسول الحرية) عبد الرحمن الشرقاوي ص ١٥٢ و ١٦٠ و ٣٠٧.

(٢) (نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين) الإمام الحافظ النووي ج ٢ ص ١٣٢٣ مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١٢ - ١٩٨٦ م.

(٣) (حياة الإمام علي) - محمود شلبي ص ١٨٨.

بل حتى في حياتهما، كانا يستخلفان أحد الصحابة على المدينة عند خروجهما منها..

فعمر بن الخطاب (رض)، استخلف عليها علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه، عندما عزم على الذهاب إلى الشام<sup>(١)</sup>.. واستخلفه كذلك مرة أخرى عندما قرر أن يذهب ليقود جيوش المسلمين في معركة فاصلة ضد الفرس<sup>(٢)</sup>..  
كما استخلف الإمام علي على المدينة (قثم بن عباس) عند خروجه منها، عندما أصبح خليفة للمسلمين...

... والخليفة الثالث عثمان بن عفان... لو أن المسلمين الثائرين عليه منحوه شيئاً من الوقت، قبل اغتياله.. لاختار للمسلمين خليفة من بعده، كما اختار الخليفتين من قبله، أبو بكر وعمر (رض)!!

إذاً.. هل من المعقول أن يترك رسول الله ﷺ أمته دون أن يعين، أو يوصي لهم خليفة يخلفه من بعده.. يدير شؤونهم، كما كانت تُدار من قبله!!  
وهل يمكن أن يتوصل المسلمون إلى اختيار أفضلهم للخلافة مع ما بينهم من أحقاد وعنعات جاهلية لم يستأصلها الإسلام!!

وهل كان الرسول ﷺ راغباً في إثارة تلك العصبيات!!  
وإذا كان النبي ﷺ ترك أمر الخلافة من بعده للمسلمين أنفسهم (سنة).. فهل إيحاء أبي بكر لعمر يتفق مع السنة<sup>(٣)</sup>!!

.. نعم هل أن رسول الله ﷺ لم يحسب لأمته الحسابات المختلفة والمتوقعة من خلافات وانقسامات في الآراء حول مَنْ يخلفه، في حالة عدم استخلاف أحد من الصحابة الذي يراه أهلاً لها!!

وهل كان النبي ﷺ يريد للمسلمين أن يكونوا في فوضى، أو في حيرة من أمرهم بعده!!

(١) (حياة الإمام علي) - محمود شلبي ص ٢٩٦.

(٢) (رجال حول الرسول) خالد محمد خالد ص ١٢٤.

(٣) (علي ومناوئوه) د. نوري جعفر ص ٢٠ و ٦٤.



حاشى له ذلك، وهو الذي كان يجعل على رأس أي جيش صغير يرسله أميراً له، في حالة عدم قيادته لذلك الجيش... فكيف به يترك أمور المسلمين كافة دون ولي عليهم بعده!! لاسيما أن دينه في أول نشأته، وهو أحوج إلى الوصي لإدارة شؤون المسلمين الدينية منها والدنيوية..

ونتساءل أيضاً.. هل كان كل من الخليفين أبي بكر وعمر (رض) أحرص من رسول الله ﷺ على الأمة الإسلامية، حتى يوصيا لمن يخلفهما.. ويوليان كل اهتمامهما ذلك، عندما شعر كل واحد منهما بدنو أجله!!

ألم يكن ذلك دليلاً على عودتهما إلى سيرة النبي ﷺ بالوصاية.. وبالتالي دليل على وجود الوصية!!

وإذا كان النبي ﷺ لم يستخلف، فلماذا لم يعمل بما عمل به رسول الله ﷺ!!!

### ... نحن أمام وصايا!!

إذن نحن أمام وصية أوصى بها رسول الله ﷺ لمن يكون بعده...

وكذلك أمام وصية أوصى بها أبو بكر (رض) لمن يكون بعده..

وأمام وصية أوصى بها عمر بن الخطاب (رض) لمن يولى بعده..

وبهذا لم تكن الخلافة (بالشورى).. ولم يكن للشوى مكان بالخلافة!!

فأين الشورى من وصية أبي بكر لعمر!

وأين الشورى من وصية عمر لواحد من الستة الذين اختارهم هو دون

غيره.. وحصر الخلافة بهم دون غيرهم!!

وإن كانت هناك (شورى).. فشورى مصغرة ومختصرة ومحدودة.. والتي

أنت بأبي بكر (رض) للخلافة..

وشورى واسعة عامة وشاملة، اشترك فيها كل المسلمون.. والتي أنت

بعلي بن أبي طالب للخلافة بالرغم من رفضه لها.. (وسنأتي على ذكر ذلك

تفصيلاً)..

ذكر الدكتور طه حسين :

(. . .) إن أبا بكر لم يُبايع بالخلافة عن مشورة من المسلمين . وإنما كانت بيعته فلتة وقى الله المسلمين شرها ، كما قال عمر . .

كما أن عمر نفسه لم يُبايع عن مشورة من المسلمين . . وإنما عهد إليه أبو بكر . . فأمضى المسلمون عهده ثقةً منهم بالشيخين ، وحباً منهم لهما . . ولم تكن الشورى التي تمت بها خلافة عثمان مقنعة ولا مُجزئة . .

فقد اختص عمر بها ستة من قريش على أن يختاروا واحداً منهم . . فاختاروا عثمان وأكبر الظن أنهم نصحوا للمسلمين ، وتجنبوا الفتنة والخلاف جهدهم . .) (١) .

. . وهذا يؤيد ما ذكرناه ، من أن الخلفاء الثلاثة ، لم يصلوا إلى الخلافة عن طريق الشورى . .

ويبدو من قراءة التاريخ الإسلامي ، أن رسول الله ﷺ لم يطبق أمر الشورى في حياته عند اختيار مَنْ كان يوليه أميراً على الجيش في حالة عدم قيادته هو لذلك الجيش . .

وفي أغلب الأحيان لم يستشر أصحابه في مَنْ كان يستخلفه على مدينته في حالة مغادرته لها . . أو في مَنْ كان يرسله رسولاً عنه للأمصار أو للملوك والرؤساء من القبائل . .

إلا في حالات محدودة . . لأنه كان ﷺ أعرف من غيره بصحابته وبالمسلمين . . وله الخبرة في معرفة شخصيات الصحابة ونفوسهم . . وطريقة تفكير كل منهم . . ودليلنا على ذلك تأميره لأسامة بن زيد على جيش المسلمين ، وهو حديث السن . . دون أن يأخذ رأي أحد من المسلمين .

حتى أن البعض منهم تخلف عن الالتحاق بالجيش . . . وطعن آخرون في قيادته (٢) . .

(١) (الفتنة الكبرى) علي وبنوه ج ٢ ص ٣١ .

(٢) راجع موضوع (بأبي أنت وأمي طبت حياً . . وطبت ميتاً) من هذا الفصل .

فلو أن النبي ﷺ أراد أن يأخذ رأي الصحابة خصوصاً والمسلمين عموماً في تأمير أسامة على جيش المسلمين . . . لما وافقه أي أحد منهم . . . ولما استطاع إصدار قراره بذلك . . .

بل هو ﷺ الذي قرر أن يكون أسامة أميراً لذلك الجيش دون مشورة من المسلمين . . .

كما أن النبي ﷺ هو وحده قرر أن يرسل أبا عبيدة بن الجراح على رأس جيش فيه أبو بكر وعمر (رض) في غزوة (ذات السلاسل) مدداً لجيش عمرو بن العاص<sup>(١)</sup> . . .

والنبي ﷺ وحده، قرر أن يخلفه علي بن أبي طالب في المدينة دون أن يلتحق معه في غزوة تبوك . . .

لم يشاور أحداً في ذلك . . . حتى الإمام علي لم يشاوره رسول الله ﷺ . . . ولم يأخذ رأيه في ذلك الاستخلاف . . . بل لم يعلم بقرار النبي ﷺ أي واحد من صحابته . . . ودليلنا على ذلك . . . استفسار علي من الرسول ﷺ عن سبب بقائه مع غير المقاتلين في المدينة . . . حتى قاله له ﷺ حديث المنزلة المشهور:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى . . .» .

وكذلك لما أرسل الرسول ﷺ أبا بكر (رض) بسورة براءة ليقرأها على الحجيج في بيت الله وبعدها أرسل علياً على أثره ليأخذها منه . . . حتى يقرأها هو دون أبي بكر . . .

في هذا المثال أيضاً لم يشاور النبي ﷺ أبا بكر عندما أرسله إلى مكة . . . كما لم يشاور صحابته في تلك المهمة . . .

وعندما أرسل علياً بعده، لم يستشر أحداً منهم، ولم يشاور حتى علياً نفسه . . .

بل كانت تلك أوامر منه لهما، لتنفيذ ذلك الأمر فنفذاه كما أمرهما . . .  
. . . تلك أمثلة أوردناها لنسند ما ذهبنا إليه . . . وهو أن رسول الله ﷺ لم

(١) (رجال حول الرسول) خالد محمد خالد ص ٢٥٨.

يطبق أمر الشورى عند تعيين القادة.. وإرسال الرسل.. والاستخلاف على  
المدن..

لكن رسول الله ﷺ كان يطبق ذلك المبدأ في القضايا الأخرى.. ويشرك  
المسلمين في اتخاذ القرارات الحاسمة، اللازمة لتسيير أمور الدولة الجديدة في أثناء  
السلم، أو في حالات الحرب، ووضع الخطط العسكرية التي توضع لها.. تطبيقاً  
للآية الكريمة: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى﴾ [سورة الشورى، الآية: ٣٨] والآية ﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِي  
الْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٩].

## الوصية.. والوصي..

نعود إذن لأمر الوصية.. ونقول بوجود وصية أوصى بها رسول الله ﷺ  
لخليفته من بعده..

وقولنا بوجود الوصية.. يستوجب معرفة الوصي!!

فَمَنْ مِنْ الصَّحَابَةِ أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟؟

.. لم نجد في كتب التاريخ أي ذكر، أو حديث ورد فيه أن النبي ﷺ  
أوصى في حياته بالخلافة لأبي بكر (رض)..

نعم لم نجد، ولا حتى حديثاً واحداً.. بالرغم من أن رسول الله ﷺ كان  
يشيد به.. ويستحصبه معه.. ويذكر له المواقف المحمودة في الإسلام وتضحياته  
من أجله.. وهذا ما لا يمكن لأي مسلم نكرانه..

إلا أنه لا يوجد ما يُستدل منه على أنه ﷺ أوصى له.. أو رشحه لتولية أمور  
المسلمين من بعده..

وهذا ما هو متفق عليه بين كل المذاهب.. وبين مختلف رواة الحديث..  
في الصحاح.. وفي كل كتب التاريخ.. ولا يختلف عليه اثنان مطلقاً!

.. يحتج أصحاب الرأي الأول، الذين أيدوا خلافة أبا بكر (رض)، حول  
خلافته..

- إنه صلى بالمسلمين ، عندما أمره رسول الله ﷺ وهو مريض . .

- ولأنه كان صاحب الرسول ﷺ . . ومن أوائل الصحابة . .

- ثم إنهم احتجوا بسنه . . لأنه كان من كبار الصحابة سنأ . .

... وَرَدَّ عَلَيْهِم دَعَاةَ الرَّأْيِ الثَّانِي ، الَّذِينَ يَرُونَ أَنَّ لِلْخِلاَفَةِ بِنَ أَبِي طَالِبٍ .

- إن الصلاة بالمسلمين لا تكفي أن يكون الخليفة الأول خليفة . . ولم يكن

أبو بكر وحده الذي صلى بالمسلمين في الفترة التي مرض بها النبي ﷺ ، بل كان النبي يأمر علياً أن يتناوب الصلاة بالمسلمين مع أبي بكر<sup>(١)</sup> .

وأسماء بن زيد بن حارثة ، أمزه النبي ﷺ على جيش المسلمين . . وكان من إمرته كل من أبي بكر وعمر (رض) ، كما ذكرنا . .

فهل هذا هو مبرر لأن يصبح أسامة خليفة للمسلمين ، بعد أن كان أميراً على

جيشهم !!

أو أن يُقدم أسامة في كل شيء ، حتى على أبي بكر وعمر وغيرهم من

الصحابة الأجلاء !!

أو هل من الممكن أن يُفضل عليهم جميعاً بسبب ذلك !!

- أما كون أبي بكر (رض) كان صاحب رسول الله ﷺ . . . . ومن أوائل

الصحابة . . فهناك مَنْ هو من النبي ﷺ صحابة وقرابة . . نحو علي ، وعمه

العباس . . . . وعلي من أقدم الناس إسلاماً . . رباه الرسول ﷺ قبل الرسالة . .

وعلمه بعدها مبادئها . .

- وأما سبب السن ، هو الآخر لم يكن مبرراً لاستخلاف أسن المسلمين

عليهم . . لأن رسول الله ﷺ ، لم يجعل للسن ميزة على بقية الخصائص عند

الإنسان المسلم . . والدليل على ذلك كما ذكرنا هو تعيين الرسول ﷺ أسامة بن

زيد قائداً لجيش المسلمين . . وهو شاب في مقتبل العمر . . وتحت إمرته مَنْ هو

ضعف عمره . .

(١) (نظرة جديدة في سيرة رسول الله) كونستانس جيورجيو (وزير خارجية رومانيا الأسبق) ص ٣٧٧.

وكذلك عندما أمر النبي علياً أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر ليقرأها على المسلمين . . وأبو بكر أكبر من علي بن أبي طالب بسنين كثيرة . .

كما كان في زمن أبي بكر مَنْ هو أسن منه، نحو أبيه . . والعباس بن عبد المطلب . . وسلمان الفارسي . . وربيعة . . وعدي بن حاتم الطائي . . وحسان بن ثابت الأنصاري . . . وغيرهم . .

إذاً نجد أن السن ما كان المبرر للتقديم أو التأخير في القيادة أو الخلافة، وبين الناس مَنْ طعنوا في السن وفيهم الفاسق والفاجر والعارى من الفضائل والمكارم والبعيد عن القيم والأخلاق . .

وبين الناس مَنْ هم في مقتبل العمر وفيهم النوابغ والعلماء والنسك والحكماء . . والمرء إذا مُدح فإنما يُمدح بمآثره لا بطول عمره!!

فعلي بن أبي طالب أقل من أبي بكر عمراً، وأصغر منه سناً . لكنه أكثر منه علماً وأوسع منه فقهاً .

ودليلنا على ذلك احتياج الخليفة الأول لعلي . . بل احتياج كل الخلفاء والصحابة له للتزود من غزير معارفه وسعة إطلاعه . . ولم يحتاج هو لواحد منهم أبداً . . .

نعود إلى وصية النبي لمن أراد له أن يخلفه . . . . وذكرنا أن الرسول ﷺ لم يوصي لأبي بكر ولا لغير أبي بكر من الصحابة . . غير علي بن أبي طالب . . حيث اتفق الرواة جميعاً أن النبي ﷺ لم يُوصي للأول . . بينما نستطيع القول أن الأحاديث والأخبار من مصادر مختلفة . . وعلى اختلاف الروايات ولو أنها دون إجماع . . .

إن رسول الله ﷺ أوصى لعلي بن أبي طالب أن يكون ولياً على المسلمين . . ولم يرذ أبداً أي حديث أو أية رواية في حق أحد من الصحابة من المسلمين ذكر أن رسول الله ﷺ أوصى له غير الإمام علي (ع) . .

وكان النبي ﷺ يُمهّد له سبيل الخلافة في مواقف مختلفة . . .

ذلك لأنه رأى في ربيبه صورة منه . . . بسمو الخلق . . . وسعة الإيمان . . .  
والإخلاص المتناهي للعقيدة . . . وسعة في فهم مبادئ الدين . . . والتفاني من أجل  
حماية الدعوة ونشر مبادئها . . .

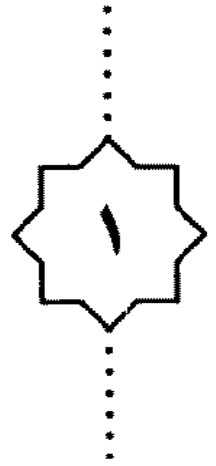
فلم يجد غير علي بن أبي طالب مَنْ يكون مؤهلاً للوصية والولاية . . .  
ولأنه خير مَنْ يستطيع أن يتمم شروط الرسالة من بعده . . .

## هل للإمام علي مقومات الخلافة... وخصائص الوصيّة؟

- ١ - ربيب الوحي.. وسابق المسلمين..
- ٢ - خصائص الإمام في الأحاديث النبوية..
- ٣ - ما خصه الذكر الحكيم من آيات كريمة.
- ٤ - حديث الدار.
- ٥ - خصوصية الإمام بوصية الرسول في آل بيته.
- ٦ - آية المباهلة.. وحديث الطير.
- ٧ - استخلافه في مكة لرد الودائع.. ومؤاخاة النبي له.
- ٨ - حديث المنزلة... والراية يوم خيبر.
- ٩ - لم يؤمر عليه أحداً... ولم يسد بابه.. وخبر المناجاة.



- ١٠ - أداؤه عن النبي البراءة.
- ١١ - وصية الغدير... وآية الولاية.
- ١٢ - أشجعهم، وأعلمهم.
- ١٣ - اتقاهم، وأقضاهم، وأزهدهم.
- ١٤ - رأى وسمع ما لم ير وسمع غيره.
- ١٥ - أقواله في ذكر الوصية.
- ١٦ - الوصاية في الشعر.



## ربيب الوحي.. وسابق المسلمين<sup>(١)</sup>

عندما نذكر أن الرسول ﷺ أوصى بالخلافة لعلي بن أبي طالب.. أو رشحه لها، بناءً لما ذكره المؤرخون.. وأورده المحدثون، وإن اختلفوا في ذلك..

إلا أنهم لم يختلفوا.. بل أجمعوا على عدم تسمية غيره..  
لذا نرى لزاماً علينا عرض خصائصه.. وفضائله، التي أهّلته لأن يكون مرشحاً من قبل النبي ﷺ، ليحل محله بعد رحيله في إدارة شؤون المسلمين..  
وهل للإمام علي (ع) مقومات الخلافة.. وخصائص الوصية!!  
قبل ذكر مقوماته، وخصائصه أو فضائله.. علينا أيضاً إثبات الوصية في

---

(١) تلك تسمية أطلقها الكاتب الكبير المرحوم خالد محمد خالد، على الإمام علي كرم الله وجهه وذلك في مجلده (خلفاء الرسول) من كتابه (في رحاب علي).. وسقتطف بعضاً منها:  
(هذا هو: علي بن أبي طالب.. هذا هو الذي نرجو أن لا نكون مغالين إذا وصفناه بأنه «ربيب الوحي») ص ٣٦٠ من المجلد المذكور.  
(... إنه «ربيب الوحي».. والتلميذ الأول للقرآن) ص ٤٨ (في رحاب علي) القاهرة ١٩٦٦.  
(... من ولاته الوثيق للقرآن.. ومشهوده فجر الوحي وضُحاه كان «علي».. ربيب الوحي...)  
ص ٣٦١ - خلفاء الرسول.  
(أجل.. هذه دنيا المسلم، كما يفهمها ربيب الوحي، وسابق المسلمين... ص ٣٦٨ المصدر.  
(إنه سليل بني هاشم.. وتلميذ محمد.. إنه ربيب الوحي وسابق المسلمين... ص ٣٨٠... العابد الورع.. التقي، الذي تفوق على إغراء الدنيا، وأطماع البشر.. تلميذ «الرسول» الأول، والأمثل!!  
ربيب الوحي، وسابق المسلمين) ص ٤٤٧ - المصدر أعلاه.  
كما ذكر د. طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى) ج ٢ ص ١٥١ ما يلي:  
(... وامتاز كذلك «الإمام علي» بأنه نشأ في منزل الوحي بأدق معاني هذه الكلمة...)  
وهذا لا يعني أن علياً هو الربيب المباشر للوحي، وإنما هو ربيب لذلك الربيب لأن الوحي لا يتزل إلا على الأنبياء..

عرض سريع وموجز للأسانيد التي استند عليها أصحاب هذا الرأي في تثبيتها . .  
(وأعني أصحاب الرأي الثاني المؤيد للوصية والخلافة للإمام دون غيره . .)

لكن الأحداث، والمواقف التاريخية التي سوف نذكرها، والخاصة بدعم  
وقائع الوصية . . هي متداخلة مع خصائصه، وفضائله، وصفاته . .

لذا فسيكون كل موضوعاً من المواضيع التالية، يعني بين سطوره الإجابة عن  
إثبات الوصية للإمام . . وعن مؤهلاته معاً . .

. . كتب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي بحثاً مقتضباً عن الإمام . . لخص فيه،  
وبتركيز فضائله . .

وكشف عن مضامين ذاته، التي جعلته أن يأخذ مكانه من التقديم في موضعه  
الطبيعي في قيادة المجتمع . .

ونظراً لأهمية ما كتبه هذا المفكر، الواسع الاطلاع . . والذي جمع فضائل  
الإمام علي (ع) بكل جوانبها، في بحثٍ ملخص . . جامع وشامل . .

ولعلاقته بموضوعنا هذا، نرى من الفائدة بمكان أن نقتبس منه بعض ما  
يخص ما نحن فيه . . . يقول الأستاذ الوائلي:

( . . . يذهب الشيعة كافة وكثير من غيرهم، إلى أن الإمام علياً مؤهل أكثر  
من عامة الصحابة للخلافة . . بل يضعونه في المنزلة الثانية بعد النبي ﷺ في كل  
الكفاءات . . ذلك أن الشروط التي يعتبرها علماء الكلام لازمة للخليفة، هي  
صنفان:

### الصنف الأول:

ما يتميز به الإنسان خارج حدود كسبه وتحصيله، وفي هذا الصنف:  
النسب الكريم، وسلامة البدن، والشجاعة، وسائر صفات الكمال، أو  
المناقب الخارجة عن الإرادة . .

### الصنف الثاني:

ما يقع في قائمة الكسب والتحصيل، كالعلم، والفصاحة، والعدل في

السلوك وما شاكل ذلك مما للإنسان يد في تحصيله والتدرب على إتقانه، والارتفاع به . . .

وقد ثبت بما لا مزيد عليه من الآثار أن سهم الإمام علي من هذين الصنفين من المناقب لا يدانيه أحد من الصحابة . . .

فعلي: هاشمي النسب، ولا شك أن قريشاً أشرف القبائل . . . وأشرف قريش هم بنو هاشم . . .

وعلي: أشجع العرب، وما تخلف عن حضور غزوة من غزوات المسلمين في عهد النبي ﷺ إلا في غزوة - تبوك - . . .

إذ خلفه النبي ﷺ ليحمي المدينة، وقال له:

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» .

وقال له النبي ﷺ في تقييم ضربة من ضرباته يوم الخندق:

«ضربة علي تعدل عبادة الثقلين» .

وبالجملة فإن وضع شخص من الصحابة إلى جانب الإمام بالشجاعة مكابرة لا سبيل إلى قبولها من أحد . . . والمتتبع لكتب السير والمغازي يعرف ذلك جيداً . . .  
أما الفصاحة والبلاغة:

فقد قيل إن كلامه دون كلام الخالق . . . وفوق كلام المخلوقين . عدا النبي ﷺ فقد كان أفصح قريش . . .

ويكفينا التدليل على ذلك نهج البلاغة وحده . . .

وهو في بُعد نظره، وحصافة رأيه:

موضع استشارة الخلفاء، كانوا يرجعون إليه إذا دجت الخطوب . . . وهو في

علمه:

باب مدينة علم النبي ﷺ الأمين، يجلوه لنا عقلية مخططة في الإدارة

والسياسة والاجتماع . . . حسبنا في ذلك ما وصل إلينا دون ما حيل بيننا وبينه . . .

إذ أننا يجب أن لا ننسى، إن ما وصل إلينا من تاريخ هذه الفترات، إنما هو

من تدوين عهد يعتبر فيه مَنْ يذكر أهل البيت بخير، خارجاً على الحكم أقل ما يقابل به الموت!

وأقلام كانت تتقرب إلى الحكم بشتمه وثلبه، وبالوضع والتلفيق لخلق مثالب له يدعمها السيف، ويرفدها المال، ويدفعها الطمع والخسة، وخلو الضمير من النبل.. اللهم إلا أفراد قلائل يفيئون إلى دين ومروءة حفظوا لنا على تكتم شديد شيئاً من أخباره الصحيحة ظهرت بعد ذلك..

وما تزال معظم الأقلام إلى يومنا هذا تجتر ما كتبه الأيدي الملوثة أيام المحنة، وتتحول إلى صدئ تافه عندما تمر بسيرة هذا الرجل، وتتخلى عن أبسط مقومات الأحكام الصحيحة..

وعلى الإجمال أن الإمام في ميزاته، حالة جمعت من ضروب الكمالات ما تميزت به عن معاصر لها..

وليس صدفة أن تنحرف جماعة كبيرة وتضل حتى تلحقه بمصاف الآلهة (أعاذنا الله من سوء العقيد).. وإنما كان ذلك، لأن الرجل كان نموذجاً مثالياً بكل صفات الكمال..

إن فهرست الفضائل الذي قدمته، والكاشف عن مضامين ذات الإمام، يضعنا أمام نسيج مميز في خواصه، كما أسلفت بحيث ترتفع في خواصه الذاتية والخارجية عن مستوى الإعجاب به.. حتى يصل إلى استهداء الألباب وسحرها، فتتفعل النفوس إزاءه بردود فعل مختلفة يتقابل طرفاها بين العبادة والبغض، ويظل الوسط يضعه في مكان التفوق بين معاصريه، ويرسمه عبقرية ليس بالمعتاد حصولها دائماً، وإنما تجيء فلتة.. وللعيون بعد ذلك العذر إذا انحسرت أمام ضوء عارم..

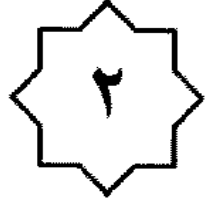
والى هنا ينبغي أن يكون من الطبيعي والعادي أن يأخذ الإمام مكانه من التقديم في موضعه الطبيعي في قيادة المجتمع..<sup>(١)</sup>

... لماذا ينبغي للإمام علي أن يأخذ مكانه من التقديم في قيادة المجتمع

(١) علي بن أبي طالب - نظرة عصرية جديدة - ص ٩٧.

الإسلامي!! أو بعبارة أخرى لماذا كانت الوصية له دون غيره من الصحابة  
والقراة!!

وما هي الخصائص، والفضائل التي جعلته، أن يكون للوصية أهلاً؟؟  
... للرد على ذلك ينبغي أن نلقي الضوء على تلك المؤهلات، والسمات  
التي اختلفت بها، والتي أجمع عليها كل الفقهاء، والرواة، والمؤرخون على  
اختلاف مذاهبهم وأرائهم ومشاربهم وسنتعرضها كما رواها رواتها. . (ولكن  
بإيجاز) في المواضيع المتسلسلة القادمة. .



## خصائص الإمام في الأحاديث النبوية

قال رسول الله ﷺ :

«أدبني ربي فأحسن تأديبي . . .»

لقد بُعث الصادق الأمين . . . ذلك المبعوث العظيم . . . إلى البشرية جمعاء، بعد أن كان مؤهلاً للبعثة، لما فيه من خصائص النبوة . . . صفات وخصائص فاقت ما اتسم به أي مخلوق متميز قبله أو بعده . . . فلا مثل لذلك الرجل السماوي السمات منذ بدء الخليقة حتى نهايتها . . .

أراد الخالق سبحانه وتعالى لهذا المخلوق العظيم، أن يكون عظيماً في كل شيء . . . في أخلاقه . . . وعلمه . . . ومثله . . . وقيمه . . .

لذا أدب الله عز وجل نبيه أحسن تأديب . . . وعلمه من خلال ما كان يوحي إليه بواسطة الوحي عند نزول القرآن الكريم عليه . . . أو عن طريق الأحاديث القدسية . . .

فالحق أن محمداً ﷺ هو مَنْ رباه ربه بواسطة وحيه . . . فكان ربيباً للوحي الذي خصه سبحانه وتعالى بما لا يخص غيره من أنبياء ورسلى . . .

وكان بيته بيت الرسالة الذي شع منه نور الإسلام . . . ومنه انطلقت المبادئ والقيم، لتشع بشعاعها المسالك المُعتمة التي كانت فيها البشرية تُعاني من ظلمها وظلامتها . . .

. . . في ذلك البيت العريق الذي منه انطلقت مصابيح العلم والإيمان والمعرفة وتباشير الحرية . . . في ذلك البيت الجليل الذي خرجت منه الدعوة الإسلامية . . . نشأ وعاش علي بن أبي طالب في كنف من أدبه ربه . . . وبين أحضان مَنْ علمه الوحي ورباه . . .

.. لذا لا نكون مغالين، إذا وصفناه بأنه ربيب الوحي، كما ذكر الأستاذ  
المرحوم خالد محمد خالد.. لأنه التلميذ الأول للقرآن.. وإنه سابق المسلمين  
للإسلام.. فطوال السنوات الأولى لنزول الوحي، كان علي (ع) يشهد نزوله،  
ويسبق غيره في تلقيه من النبي ﷺ.. ويُلقي سمعه وقلبه لأسراره وأنواره<sup>(١)</sup>..

.. ولد الإمام علي في داخل الكعبة، وكرم الله وجهه عن السجود  
لأصنامها.. فكأنما كان ميلاده ثمة إيداناً بعهد جديد للكعبة وللعبادة فيها..

وكاد علي أن يُولد مسلماً.. بل لقد وُلد مسلماً على التحقيق إذا نحن نظرنا  
إلى ميلاد العقيدة والروح.. لأنه فتح عينيه على الإسلام، ولم يعرف قط عبادة  
الأصنام.. فهو قد تربى في البيت الذي خرجت منه الدعوة الإسلامية<sup>(٢)</sup>..

.. رباه رسول الله ﷺ على ما تربى عليه.

فأخذ من سجاياه، والتمس من أفكاره وعقائده..

وقد قال في ذلك:

«... يرفع لي في كل يوم: من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاعتداء  
به...».

وقال:

«.. تالله لقد عَلِمْتُ تبليغ الرسالات، وإتمام العدات وتمام الكلمات.  
وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضيء الأمر...»<sup>(٣)</sup>.

... بناءً على ما تقدم، جاز لنا القول:

إن الإمام علياً بن أبي طالب.. هو خليفة رسول الله ﷺ في علمه،  
وإيمانه، وفقهه، وتقواه.. وهو ظلّه في كل شيء سوى مكانة الرسول ﷺ من  
النبوة والسماء..

(١) في رحاب علي ص ٤٨ و ٦٠ أو (خلفاء الرسول) ص ٣٦٠.

(٢) عبقرية الإمام علي - عباس محمود العقاد ص ٤٣.

(٣) راجع موضوع نشأته وصباه من مواضع هذا الكتاب.



(.. أحب الله ورسوله... وأحبه الله ورسوله...) ولم يخص النبي ﷺ أحداً بهذا الوصف غيره..

... نعم إن علياً كان من أحب الناس إلى النبي، إن لم يكن أحبهم إليه على الإطلاق. ومما لا خلاف عليه، إنه ﷺ كان لا يكتفي بحبه إياه، بل كان يسره ويرضيه أن يحبه إلى الناس.. وكان يسوؤه ويغضبه أن يسمع من يكرهه ويجفوه.. فهو يحبه ويمهد له وينظر إلى غده.. ويسره أن يحبه الناس كما أحبه.. وأن يحين الحنين الذي يكلون فيه أمورهم إليه<sup>(١)</sup>..

كان رسول الله ﷺ من خلال تربيته وتعليمه لعلي، وقد علّمه علم السموات والأرض... وجعله يتعمق في الفقه والدين.. حتى صارت مبادئ الإسلام له كل حياته وشغلت كل تفكيره.. فتقدم المسلمين في كل شيء.. وسبقهم لكل شيء.. حتى صار للمسلمين إماماً فيما سبقهم فيه..

اهتم رسول الله ﷺ بإعداد شخصية الإمام علي إعداداً نبوياً.. حتى جعل من شخصيته شخصية تفوق أقرانه، بل تتجاوزها إلى المصاف التي هي أدنى من مصاف الأنبياء وأرقى من مصاف الأولياء..

وحسبنا في ذلك أقواله.. وخطبه.. وحكمه... المجموعة في (نهج البلاغة) ومافيها من بلاغة اللسان.. وبلاغة الإيمان والبيان، حتى لا يدع لنا أي مجال للشك في أن النبي ﷺ كان يعد الإمام علياً ليأخذ مكانه من بعده في قيادة المسلمين..

تربى علي بن أبي طالب تحت رعاية النبي وتلمذ له.. وورث أخلاقه وأسلوبه في النظر إلى الحياة والخلق..

وجرى الميراث في قلبه وعقله سواء بسواء..

وعكف على دراسة القرآن دراسة المتبصر الحكيم الذي ينفذ إلى لباب الأشياء، فيعي حقائقها ويستوحىها<sup>(٢)</sup>...

(١) عبقرية الإمام علي - عباس محمود العقاد ص ١٧٧ - ١٧٩.

(٢) علي وحقوق الإنسان - جورج جرداق - المجلد الأول ص ٩٧.

وقد قال فيه أستاذه محمد ﷺ :

«أما أنت يا علي : أنت صفّي وأميني . . .»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ :

«أوحى إلي في علي ثلاث : إنه سيد المسلمين . . وإمام المتقين . . .

وقائد الغر المحجلين»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ في علي :

«هذا أول مَنْ آمَن بي . . وصدقني ، وصلى معي . . .» .

وفيه ، قال ﷺ :

«لكل نبي وصي ، وأنا وصي علي بن أبي طالب»<sup>(٣)</sup>.

كما قال ﷺ :

«أنا خاتم الأنبياء . . وعلي خاتم الأوصياء . . .»<sup>(٤)</sup>.

وفي حب علي . . قال أستاذه علي :

«من أحب علياً ، فقد أحبني . . ومن أبغض علياً ، فقد أبغضني»<sup>(٥)</sup>.

وعن ولايته . . ولاية الإمام علي ، قال مَنْ وَلاَهُ الْوَلَايَةَ :

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه . . . اللَّهُمَّ والي مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ

عاداه ، وانصر مَنْ نصره ، واخذل مَنْ خذله . . . وأدر الحق معه حيث

دار . . .»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود . . والحاكم . . . والبخاري . . وابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل) وغيرهم . .

(٢) أخرجه الحاكم . . والبخاري . . وأبو نعيم . . والبارودي . . وابن قانع . . وابن النجار . . وابن أبي الحديد وغيرهم .

(٣) التاريخ لابن عساکر والشافعي ج ٣ ص ٥ . (المناقب) للخوارزمي ص ٤٢ . و(بنايغ المودة) ص ٧٩ .

(٤) (ذخائر العقبى) . (المناقب) للخوارزمي . و(بنايغ المودة) ج ٢ ص ٣ .

(٥) أخرجه الحاكم . وأورده الذهبي ومسلم في كتاب الإيمان من صحيحه . وابن عبد البر في الاستيعاب .

(٦) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج ١ ص ١١٩ . والبخاري والطبراني في (الكبير) .

أما عن سبه . . فقد قال ﷺ :

«مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي . . .» .

عن أبي عبد الله الجدلي ، قال :

دخلت على أم سلمى ، فقالت : أئسب رسول الله ﷺ فيكم !! قلت : معاذ الله . . قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي» . .

هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في (المناقب) . والحاكم . والطبراني في (الصغير) . ويعقوب بن سفيان في (المعرفة والتاريخ) . وابن حبان . والبخاري في (الكبير) . والبزار . وابن مندة في (الإصابة) . .

كما أخرج الشجري في (الأمالي)<sup>(١)</sup> من طريق أبي الشيخ الأصبهاني ، قال :

حدثنا أبو سعيد الثقفي ، عن جندار بن واثق ، عن حماد ، عن علي بن زيد عن سعيد بن حبير ، قال :

بلغ ابن عباس (رض) أن قوماً يقعون في علي (ع) ، فقال لابنه علي بن عبد الله بن عباس : خذ بيدي ، فاذهب بي إليهم . . فأخذ بيده حتى انتهى إليهم . فقال :

(أيكم السابُّ الله؟ . . . قالوا : سبحان الله ! مَنْ سَبَّ الله فقد أشرك ! فقال : أيكم السابُّ رسول الله؟ . . . قالوا : مَنْ سَبَّ رسول الله فقد كفر ! فقال : أيكم السابُّ لعلي؟ . . . قالوا : قد كان ذلك . . قال : فأشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول :

«مَنْ سَبَّ عَلِيًّا ، فَقَدْ سَبَّنِي ، وَمَنْ سَبَّنِي ، فَقَدْ سَبَّ الله ، وَمَنْ سَبَّ الله

كَبَّه اللهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ» . . ثم تولى عنهم !!

= والحاكم . والترمذي . وابن أبي عاصم . وابن المغازلي . وابن أبي شيبة . وفي (فضائل الصحابة) . وفي (أضواء على السنة) محمود أبو ريه ص ٢١٧ .

(١) (الأمالي) ج ١ ص ١٣٦ .

وعن عبد الله بن دينار، عن خاله عمرو بن شاش. (وكان من أصحاب  
الحديبية) قال: خرجت مع علي بن أبي طالب في خيله التي بعثها رسول الله ﷺ  
اليمن . . فجفاني بعض الجفاء، فوجدت عليه . .

فلما قدمت المدينة، أظهرت الشكاية في مجالس المسجد . .

فأقبلت ذات غداة، والنبي ﷺ جالس في المسجد . .

فلما رأيته أبدي عيني<sup>(١)</sup> . . . حتى أخذت حظي من المجلس، فلما

جلست، قال: يا عمرو بن شاش! قلت: لبيك بأبي أنت وأمي يا رسول الله،  
فقال: (أما والله لقد آذيتني)! . . قلت:

إنا لله وإنا لله راجعون . . أعوذ بالله أن أؤذي رسول الله!! قال:

(بلى! من آذى علياً، فقد آذاني . . .)<sup>(٢)</sup>

ولمن شكاً علياً . . قال له ذلك العظيم ﷺ:

(أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه ليخشوشن في سبيل الله . . .)<sup>(٣)</sup>

وعن العلم . . وباب مدينة العلم، قال ذلك العالم العظيم ﷺ:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومن أراد العلم فليأتها من بابي . . .»<sup>(٤)</sup>

وقال رسول الله ﷺ لعلي:

(١) أبدي عيني: لحظني عيني.

(٢) الإمام الحافظ النسائي في (خصائصه) ص ٩٤ - ٩٥.

(٣) (تاريخ الخلفاء) للإمام السيوطي ص ٢٠٦.

(٤) رواه الخطيب البغدادي في (تاريخه) ج ٤ ص ٣٤٨ بعدة طرق . . وابن الأثير في (أسد الغابة) ج ٤

ص ٢٢ . . والحاكم في (المستدرک) ج ٣ ص ١٢٦ . . وابن حجر في (تهذيب التهذيب) ج ٦

ص ٣٢٠ . . والمتقي في (كتر العمال) ج ٦ ص ١٥٢ . . كما أخرجه العقيلي، وابن عدي، والطبراني،

والهيتمي في (مجمعه) ج ٩ ص ١١٤ . . و(الرياض النضرة) ج ٢ ص ١٩٣ . . و(كتر الحقائق) للمناوي

ص ٤٣ . . و(الصواعق المحرقة) لابن حجر ص ٧٣ . . وغيرهم (وهذا ما ورد في فضائل الخمسة

من الصحاح الستة) لمرتضى الحسيني ج ٢ ص ٢٨٠ كما ورد هذا الحديث في (الجامع الصغير)

للسيوطي ج ١ ص ٣٦٤ وله في (الدر المنثور) ص ٤٢ . . والقندوزي في (ينابيع المودة) ص ١٨٣ . . وابن

كثير في (البداية والنهاية) ج ٧ ص ٣٥٨ . . والحفي في (نظم درر السمطين) ص ١١٣ . . وابن الجوزي

في (تذكرة الخواص) ص ٥٣ . . والذهبي في (ميزان الاعتدال) ج ١ ص ١٩٣ . .

«أنك تقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله..»<sup>(١)</sup>.

عن أبي سعيد الخدري، قال:

كنا جلوساً ننظر رسول الله ﷺ، فخرج إلينا قد انقطع شسع نعله، فرمى به إلى علي رضي الله عنه، فقال ﷺ:

«إن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتل على تنزيله».

قال أبو بكر: أنا؟ .. قال: لا.

قال عمر بن الخطاب: أنا؟ .. قال: لا.. ولكن خاصف النعل..

هذا الحديث أخرجه أبو يعلى.. وابن حبان.. وعبد الله بن أحمد في (زيادات الفضائل) وأبو نعيم في (الحلية).. وابن الجوزي في (الواحيات)..

وكذلك أخرجه الحاكم، وابن أبي شيبة<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي ﷺ عن علي والقرآن:

«علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض..»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ:

«علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي..»<sup>(٤)</sup>.

وقال ﷺ للإمام علي (ع):

(١) أخرجه الإمام أحمد، والحاكم عن أبي سعيد الخدري في (مستدرك الصحيحين) ج ٣ ص ١٢٤. وأبو نعيم. وابن الجوزي... وابن أبي شيبة.. والنسائي في (الخصائص)... وابن حجر في (الصواعق المحرقة) ص ٧٥... وابن الأثير في (أسد الغابة).

(٢) النسائي في (خصائصه) ص ١٣٤. كما ورد في (مجمع الهيثمي) ج ٩ ص ١٣٤. وفي (مستدرك الصحيحين) للحاكم ج ٣ ص ١٢٤. وفي (الصواعق المحرقة) لابن حجر - ص ٧٥. والشبلنجي في (نور الأبصار) ص ٧٢. والطبراني في (الأوسط). (وأسد الغابة) لابن الأثير.

(٣) السيوطي في (تاريخ الخلفاء) ص ٢٠٥ عن الطبراني.

(٤) الهمداني الشافعي في (ينابيع المودة) ص ٢٥٤ عن الشيخ سليمان. والقندوزي الحنفي.

«أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي . . .»<sup>(١)</sup>.

وجاء عن عمر بن الخطاب (رض) وولده عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال :

«وإني أوصيت علياً، وهو أفضل من أتركه بعدي . . .»<sup>(٢)</sup>.

وروى زيد بن أرقم عن النبي ﷺ الذي قال :

«مَنْ أراد أن يحيا حياتي، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فليتول علياً بن أبي طالب . . . فإنه لم يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ظلالة . . .»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ لفاطمة الزهراء عن زوجها . . . علي بن أبي طالب :

«يا فاطمة . . . زوجتك أقدمهم سلماً، وأعظمهم حليماً، وأعلمهم علماً . . .»<sup>(٤)</sup>.

وقوله ﷺ عن علي :

«علي مني وأنا من علي . . . ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي . . .»<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية أخرى :

«إن علياً مني وأنا منه . . . وهو ولي كل مؤمن من بعدي» أو : «إن

علياً مني وأنا منه . . . وهو وليكم بعدي . . .»<sup>(٦)</sup>.

وعن منزلة علي منه . . . قال ذلك العظيم ﷺ :

(١) الحاكم في (المستدرک) عن الإمام أنس بن مالك . و(حلية الأولياء) لأبي نعيم ج ١ ص ٦٣ . و(کنز العمال) ج ٦ ص ١٥٦ . وفي (کنوز الحقائق) للمناوي ص ١٨٨ . وفي (الصواعق) لابن حجر .

(٢) (ينابيع المودة) - للهمداني الشافعي ص ٢٥٣ عن مودة القربى .

(٣) أخرجه الحاكم في (المستدرک) ج ٣ ص ١٢٨ .

(٤) حجج النهج - د . سعيد السامرائي ص ١٨٨ .

(٥) أخرجه ابن ماجه في (سننه) في باب فضائل الصحابة ج ١ ص ٩٢ . والنسائي والترمذي في صحيحهما . والإمام أحمد في (مسنده) ج ٤ ص ١٦٤ .

(٦) أخرجه الإمام أحمد . والبزار . وأبو يعلى . وابن أبي شيبة . وكذلك الهيثمي في مجمعه ج ٩ ص ١٢٨ والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) . والمحجب الطبري في (الرياض النضرة) ج ١ ص ١٥٢ .

«علي مني بمنزاتي من ربي . . .»<sup>(١)</sup>.

وَحَقُّ عَلِيٍّ . . . ماذا قال النبي ﷺ عن ذلك الحق؟

«حَقُّ عَلِيٍّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ . . .»<sup>(٢)</sup>.

وعن بيت علي . . . قال أستاذه رسول الله ﷺ :

«أَفْضَلُ الْبَيْتِ بَيْتُ عَلِيٍّ . . . وَبَابُهُ أَفْضَلُ الْأَبْوَابِ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ

آمِنًا . . .»<sup>(٣)</sup>.

وبمن يهتدي المهتدون بعد النبي ﷺ؟ . . . قال عليه الصلاة والسلام في

ذلك :

«أَنَا الْمُنْذِرُ . . . وَعَلِيٌّ الْهَادِ . . . وَبِكَ يَا عَلِيُّ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ مِنْ

بَعْدِي . . .»<sup>(٤)</sup> . . . وذلك عندما نزلت الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ

وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٧].

كما قال رسول الله ﷺ لتلميذه وربييه علي بن أبي طالب :

«يَا عَلِيُّ أَنْتَ سَيِّدٌ فِي الدُّنْيَا، وَسَيِّدٌ فِي الْآخِرَةِ . . . حَبِيبُ حَبِيبِي،

وَحَبِيبِي حَبِيبُ اللَّهِ وَعَدُوكَ عَدُوِّي، وَعَدُوِّي عَدُوُّ اللَّهِ . . . وَالْوَيْلُ لِمَنْ

أَبْغَضَكَ مِنْ بَعْدِي»<sup>(٥)</sup>.

(١) ذكر ذلك ابن حجر في (صواعقه).

(٢) الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين) محمد رضا ص ٢١.

(٣) (أساس التأويل) النعمان بن محمد المغربي ص ٣٦٥.

(٤) ذكر هذا الحديث الحافظ الحاكم في (المستدرک) ج ٣ ص ١٢٥. العلامة فخر الدين الرازي في

(تفسيره) ج ١٩ ص ١٤ وفي (تفسير) ابن كثير ج ٢ ص ٥٠١. وابن الصباغ المالكي في (الفصول

المهمة) ص ١٠٥. والعلامة الطبري في (تفسيره) ج ١٣ ص ٦٣. وفي (تفسير) النيسابوري ج ١٣

ص ٧٣. وكذلك الشوكاني في (تفسيره) ج ٣ ص ٦٦. وفي (روح المعاني) للألوسي ج ١٣ ص ٩٧

«والقندوزي في (ينابيع المودة) ص ٩٩. والعلامة ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) ج ٤ ص ٢٧٠.

والحسكاني في (شواهد التنزيل) ج ١ ص ٢٩٤ والهندي في (كتر العمال) ج ٦ ص ١٥٧. (أورد تلك

المصادر عبد الرسول الغفار في «ملاحم من شخصية الإمام علي» ص ١٣٣).

(٥) (مستدرک الصحيحين) للحاكم ج ٣ ص ١٢٧. الخطيب البغدادي في (تاريخه) ج ٤ ص ٤١. ابن =

وعن علي . . وآل بيته ، قال سيد ذلك البيت ﷺ :

«من سره أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن غرسها ربي . . وليوال علياً من بعدي ، فليوال وليه ، وليقتد بأهل بيتي من بعدي . فإنهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي . . فويل للمكذابين بفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلتني . . لا أنالهم الله شفاعتي . .»<sup>(١)</sup> .

وعن سيف علي بن أي طالب . . قال رسول الله ﷺ :

«لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي»<sup>(٢)</sup> .

وفي حديث نقله ورواه الصحابي الجليل عمار بن ياسر عن النبي ﷺ :  
«أوصي مَنْ آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب ، فمن تولاه فقد تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله . . ومَنْ أحبه فقد أحبني ، ومَنْ أحبني فقد أحب الله ، ومَنْ أبغضه فقد أبغضني ، ومَنْ أبغضني فقد أبغض الله عز وجل . .»<sup>(٣)</sup> .

ولعمار بن ياسر (رض)، قال له رسول الله ﷺ !

«يا عمار إذا رأيت علياً قد سلك وادياً ، وسلك الناس وادياً غيره . .

---

= حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب) ج ١ ص ١٢ . الإمام أحمد بن حنبل في (المناقب) . الطبري في (الرياض النضرة) ج ٢ ص ١٧٧ . وفي (كنوز الحقائق) ص ١٨٨ .

(١) أخرجه الطبراني في (الجامع الكبير) والرافعي في (مسنده) بالإسناد إلى عبد الله بن عباس . وابن حجر في (كنز العمال) ج ٦ ص ١٥٥ . والخوارزمي في (مناقبه) ص ٣٤ . والقندوزي في (بنايع المودة) ص ١٤٩ . وفي (حلية الأولياء) لأبي نعيم ج ١ ص ٨٦ . وابن عساکر في (التاريخ) ج ٢ ص ٩٥ .

(٢) ذكر ذلك محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى) وفي (الرياض النضرة) . وكذلك ذكره الذهبي في (ميزان الاعتدال) وابن كثير في (البداية والنهاية) . وابن الجوزي في (تاريخ الأمم) . خالد محمد خالد في (رحاب علي) ص ٨٠ .

(٣) أخرجه الطبراني في (الكبير) . وابن عساکر في (تاريخه) .



فاسلك مع علي ودع الناس . . فإنه لن يدلك على ردى . . ولن يخرجك من هدى . .»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام مشيراً إلى علي :

«إن هذا أول من آمن بي، وأول من يصفحني يوم القيامة . . وهذا الصديق الأكبر . . وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل . . وهذا يعسوب المؤمنين . .»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الدارقطني في (الأفراد) عن عبد الله بن عباس (رض) قول رسول الله ﷺ :

«علي بن أبي طالب باب حطة . . من دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً»<sup>(٣)</sup>.

قال قائد المسلمين العظيم . . الرسول الكريم ﷺ :

«أول من يدخل من هذا الباب أمام المتقين، وسيد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين، وقائد الغر المحجلين . .».

فدخل علي بن أبي طالب (ع) . . واستقبله، وقال له :

«أنت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الديلمي في (الكتز) عن عمار بن ياسر وأبي أيوب ص ١٥٦ ج ٦.

(٢) أخرجه الطبراني في (الكبير) عن سلمان وأبي ذر . والبیهقي في (سننه). وابن عدي في (الكامل). وابن أبي الحديد في (شرحه). وابن كثير في (البدایة والنہایة). وابن عساکر في (تاریخه). والنسائي في (خصائصه). وابن عبد البر في (الاستيعاب). والطبري في (ذخائر العقبى). وابن الأثير في (أسد الغابة) والهيثمي في (مجمع الزوائد).

(٣) أخرجه أبو نعيم في (حلية الأولياء) عن أنس بن مالك . والهندي في (الكتز) ج ٦ ص ١٥٣.

(٤) أخرجه الطبري في (ذخائر العقبى). وابن عساکر في (تاریخه). وابن أبي الحديد في (شرحه). وأبي نعيم في (حلية الأولياء). والهندي في (كنز العمال). والقندوزي في (ينابيع المودة).

وقال عنه النبي ﷺ :

«هذا إمام البررة. قاتل الفجره.. منصور من نصره، مخذول من خذله..»<sup>(١)</sup>.

وأخبر النبي ﷺ علياً عن ما سيحدث له بعده:

«إن الأمة ستغدر بك بعدي.. وأنت تعيش على ملتي.. وتقتل على سنتي..»<sup>(٢)</sup>.

ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي من شرحه لنهج البلاغة<sup>(٣)</sup>.. أن رسول الله ﷺ قال:

«من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه.. وإلى آدم في علمه.. وإلى إبراهيم في حلمه.. وإلى موسى في فطنته.. وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى علي بن أبي طالب»<sup>(٤)</sup>.

وقال ﷺ مخاطباً الإمام علي (ع):

«يا علي، إن فيك من عيسى مثلاً أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه.. وأحبه النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها..»<sup>(٥)</sup>.

وذكر الإمام الحافظ النسائي في كتابه (خصائص أمير المؤمنين)<sup>(٦)</sup>، عن أبو جعفر محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي، قال:

حدثنا يحيى بن معين، قال: أخبرنا أبو حفص الأبار، عن الحكم بن عبد الملك، عن الحارث بن حصيرة، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجد، عن علي (رض) قال:

- 
- (١) أخرجه الحاكم في (المستدرک) ج ٣ ص ١٢٩ من حديث جابر.
  - (٢) الحاكم في (المستدرک) ج ٣ ص ١٤٧. والذهبي في (التلخيص).
  - (٣) ج ٢ ص ٤٤٩.
  - (٤) أخرجه البيهقي في (صحيحه). والإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) وذكره الإمام الرازي في (تفسيره الكبير).
  - (٥) أخرجه الحاكم في (المستدرک) ج ٣ ص ١٢٢.
  - (٦) (الخصائص) للنسائي ص ١٠٢.

قال رسول الله ﷺ :

«يا علي فيك مثل من مثل عيسى أبغضته اليهود..»<sup>(١)</sup> إلى آخر الحديث..

وذكر ابن الجوزي في (الواحيات)، من طريق عيسى بن عبد الله، قال :  
حدثني أبي عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب، قال :  
جئت إلى رسول الله ﷺ يوماً، فوجدته في ملأ من قريش.. فنظر إليّ،  
وقال :

«يا علي، إنما مثلك في هذه الأمة، كمثل عيسى بن مريم، أحبه قومٌ فأفرطوا فيه. وأبغضه قومٌ فأفرطوا فيه..».

وفي رواية أخرى أوردها د. سعيد السامرائي<sup>(٢)</sup>، أن رسول الله ﷺ قال :  
«والذي نفسي بيده لولا أن تقول طوائف من أمتي فيك ما قالت  
النصارى في ابن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً، لا تمر بملاً من  
المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة» وهذا ما ذكره  
الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده).. كما ذكر الإمام أحمد في المسند  
أيضاً :

إن الرسول ﷺ خرج على الحجيج عشية عرفة، فقال لهم :  
«إن الله قد باهى بكم الملائكة عامة، وغفر لكم عامة.. وباهى بعلي  
خاصة، وغفر له خاصة.. إني قائل لكم قولاً غير محابٍ فيه لقرايتي،

(١) أخرجه الإمام أحمد في (الفضائل) ص ١٠٢٥ - ١٢٢١. وعبد الله بن أحمد بن حنبل في (زوائد الفضائل) ص ١٠٨٧ وفي (زوائد المسند) ج ١ ص ١٦٠. وكذلك البخاري في (التاريخ الكبير) ج ٢ ص ٢٨١. والبخاري. وأبو يعلى في (مسنده) ج ١ ص ٤٠٧. والبلاذري في (أنساب الأشراف) ج ٢ ص ١٢٠. وأبو سعيد بن الأعرابي في (معجمه) ج ٢ ص ١٥٢. والحاكم. وابن حبان في (المجروحين) ج ٢ ص ١٢٢.

(٢) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي ص ١٩٨.

إن السعيد كل السعيد حق السعيد، من أحب علياً في حياته وبعد موته . . .» (١).

أخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «النظر إلى علي عبادة . . .» (٢).

لم يرد في حق غيره، بما ورد فيه:

. . . كان ذلك جانباً مختصراً مما قاله الصادق الأمين محمد ﷺ في تلميذه علي بن أبي طالب من أحاديث وسمت صدره . . .

ويستنتج منها أن رسول الله ﷺ كان يشعر بنوع من الإخاء لعلي . . . وأن علياً كان ممتلئاً بهذا الإخاء . . .

وإن النبي ﷺ كان يوجه الأنظار إلى العظمة الإنسانية التي تتمثل في شخصية علي بن أبي طالب . . .

وتحاشياً للضجر والإطالة، لم نذكر كل ما ذكر فيه عن الرسول ﷺ . . . وحسبنا ما أوردناه في هذا الموضوع . . . وما ورد، أو سيرد في مواضع أخرى من هذا الكتاب . . .

وكفى بابن أبي طالب أن يكون لا منافس له من الصحابة والقراة بما خصه النبي ﷺ من أحاديث وأقوال . . .

وقد قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل في ذلك:

(ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب) وقال القاضي إسماعيل والنسائي وأبو علي النيسابوري والحافظ بن حجر: (لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر ما جاء في علي) (٣).

(١) نفس المصدر.

(٢) السيوطي في (تاريخ الخلفاء) ص ٢٠٤.

(٣) ابن عساكر في (صواعقه) ص ٨٦. (تاريخ الخلفاء) للسيوطي ص ٢٠٤. (المراجعات) عبد الحسين شرف الدين الموسوي ص ٦٧.



## ما خصه الذكر الحكيم من آيات كريمة

الآيات القرآنية التي خصّت الإمام علي (ع) . . . أو التي نزلت في حقه . . . لا بد لنا أن نأتي على بعض منها . . . وهي كثيرة، وقد قال عبد الله عباس (رض):  
(نزل في علي وحده ثلاث مئة آية . . .)<sup>(١)</sup> . . . كما قال أيضاً:

(ما من آية في القرآن إلا وعلي أميرها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر علياً إلا بخير . . .)<sup>(٢)</sup> .

تلك الآيات الكريمة ذُكرت، وفُصلت، وفُسرَت في مختلف التفاسير لكثير من مفسري القرآن الكريم . . . منها:

تفسير فرات الكوفي المتوفي ٣٠٠هـ - . . . وتفسير التستري المتوفي ٣١٠هـ. وتفسير عياش المتوفي ٣٢٣هـ . . . وتفسير علي بن إبراهيم القمي المتوفي ٣٢٤هـ . . . وتفسير الطوسي المتوفي ٤٦٠هـ . . . وغيرهم من المفسرين أمثال الطبري وابن جرير والثعلبي والرازي والنيسابوري والآلوسي .

ويذكر صاحب (عيون المعجزات)<sup>(٣)</sup> الشيخ حسن بن عبد الوهاب (وهو من القرن الخامس الهجري) إن كل ما ورد في القرآن الكريم:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فالمقصود بها علي بن أبي طالب<sup>(٤)</sup> . . .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٤. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٦ ص ٢٢١. والمراجعات - عبد

الحسين شرف الدين الموسوي ص ٦٧ عن ابن عساكر في صواعقه ص ٧٦.

(٢) (الإمام علي رسالة وعدالة) الشيخ خليل ياسين ص ٧٥.

(٣) ص ٣٢.

(٤) نشأة الشيعة الإمامية - نبيلة عبد المنعم دارود ص ١٤٤.

أخرج الطبراني . . وابن أبي حاتم عن ابن عباس ، قال :  
( ما أنزل الله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها . . ولقد  
عاتب . . إلى آخر الحديث )<sup>(١)</sup> .

كما ذكر علي بن إبراهيم القمي في تفسيره للآية ١٨٩ من سورة البقرة :  
﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا  
الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

تلك الآية نزلت في حق الإمام علي ، لقول الرسول ﷺ :

« أنا مدينة العلم وعلي بابها . . » وقد قال الإمام في ذلك :

« نحن البيوت التي أمر الله أن يؤتى من أبوابها . . ونحن باب الله الذي

يؤتى ، فمن يأتينا ، وآمن بولايتنا ، فقد أتى البيوت من أبوابها . . » .

ويذكر أبو حنيفة النعمان المغربي في (أساس التأويل)<sup>(٢)</sup> :

إن الآية ٦٧ من سورة المائدة :

﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ  
وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

يقول المغربي أن هذه الآية نزلت بغدير خم حيث الوصية لعلي بن أبي

طالب كرم الله وجهه . .

ويفسر ابن المطهر في (منهاج الكرامة)<sup>(٣)</sup> قوله تعالى في الآية ١ - ٢ من

سورة النجم :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [سورة النجم، الايتان: ١ و٢] .

إنه خصَّ بهذه الآية علياً ، مستنداً في ذلك برواية عن عبد الله بن عباس

(١) تاريخ الخلفاء - للإمام الحافظ السيوطي ص ١٧١ .

(٢) ص ٣٣٢ .

(٣) ص ١٥١ .

قوله: (كنت جالسا مع فتية من بني هاشم عند النبي ﷺ . . . . . إذا انقض كوكب . . . فقال:

«مَنْ انقَضَ هَذَا الْكَوْكَبُ فِي مَنْزِلِهِ، فَهُوَ الْوَصِيُّ . . .» فقام الفتية ونظروا، فإذا الكوكب قد انقض في منزل علي<sup>(١)</sup>!!

وأخرج الثعلبي في تفسيره، قوله تعالى في الآية ٤٦ من سورة الأعراف:

﴿وَيَبِينَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

عن عبد الله بن عباس قوله: (الأعراف: موضع عال من السراط عليه، العباس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه . . . ومُبغضهم بسواد الوجوه)<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى في سورة آل عمران، الآية ٦١:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦١].

ذلك عندما أراد رسول الله ﷺ مباهلة أعداء الإسلام . . . وقوله تعالى في الآية ١٧٣ من سورة آل عمران:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَبَعُوا لَكُمْ فَأَخَشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٧٣].

قال الشيخ المفيد:

(وكان سبب نزول هذه الآية، أن رجلاً قال للإمام علي (ع) قبل وقعة أحد: إن أبا سفيان قد جمع لكم الجموع . . . فقال له الإمام: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [سورة عمران، الآية: ١٧٣]<sup>(٣)</sup>.

(١) هذا الحديث عندنا من الأحاديث الضعيفة .

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٠٣، وفضائل الخمسة ج ١ ص ٢٨٦. ونبايع المودة ص ١٠٢.

(٣) علي في القرآن - علي محمد علي دخيل ص ١٣.

وفي سورة الأنفال الآية ٢ قوله عز من قائل :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

هذه الآيات الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب . . وأبي ذر الغفاري . . وسلمان . . والمقداد<sup>(١)</sup> وفي السورة نفسها الآية ٦٢ قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، عن أبي هريرة قال : المقصود بالمؤمنين هو علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup> . .

وهناك آيات من الذكر الحكيم وردت في مختلف المراجع على اختلاف مذاهب أصحابها فسروا نزولها في حق الإمام علي . . منها : قوله تعالى في سورة المائدة الآية ٥٥ - ٥٦ .

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

وقد أجمع أكثر الفقهاء والرواة، على أن هذه الآية الكريمة نزلت في حق الإمام علي بن أبي طالب منهم ابن كثير . . والسيوطي . . والطبري . . والشعبي في تفسيره القرآن الكريم . . ورواه الشافعي . . والزمخشري في كتاب (الكشاف في تفسير القرآن) . .

وقوله تعالى في سورة الأحزاب الآية : ٢٣ .

(١) المصدر السابق ص ١٨ .  
(٢) ذكر ذلك ابن جرير في تفسيره . . وابن عساکر في تاريخه . . ورواه الحافظ الإمام جلال الدين السيوطي في (الدر المثور) عن ابن عساکر نقلاً عن الحافظ أبي نعيم . . وذكره الخطيب البغدادي في (تاريخه) بإسناده عن أنس بن مالك . . وذكره محب الدين الطبري في (الرياض النضرة) . . والخوارزمي في (المناقب) .



﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ  
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ .

قال الإمام علي (ع) :

ولقد كنت عاهدت الله عز وجل ورسوله ﷺ أنا وعمي حمزة، وأخي  
جعفر، وابن عمي عبدة، على أمرٍ وفينا به الله ورسوله . . .

فتقدمني أصحابي، وتخلفتُ بعدهم لما أراد الله عز وجل . . . فأنزل الله فينا  
هذه الآية (١)

وفي سورة الحشر الآية ١٠ . . . قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ  
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .

فكل من أسلم بعد الإمام علي، فهو يستغفر له (٢) .

وفي سورة التوبة الآية ٢٠ :

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً  
عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ .

وقوله عز من قائل في سورة البقرة الآية ٢٠٧ :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ  
بِالْعَبَادِ﴾ .

نزلت هذه الآية الكريمة بعد أن نام الإمام علي (ع)، في فراش  
رسول الله ﷺ ليلة الهجرة . . . حيث فداه بنفسه . . . فكان علياً أول فدائي في  
الإسلام (٣) . . .

(١) الصواعق المحرقة ص ٨٠. الشبلنجي في (نور الأبصار) ص ٩٧.

(٢) حجج النهج - د. سعيد السامرائي ص ٣١٩.

(٣) ذكر ذلك الطبري في (تفسيره). الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج ١ ص ٣٣١. الإمام الثعلبي في  
(تفسيره). أبو حامد محمد الغزالي في (إحياء العلوم). وفخر الدين الرازي في (تفسيره الكبير) =

وللإمام ذكر بالذکر الحکیم فی سورة السجدة الآیة ۱۸ .  
﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ .

قال الحسن بن علي للوليد بن عقبة بن معيط وهو من فتيان قريش :  
. . وأما أنت يا وليد فوالله ما ألومك على بغض علي وقد جلدك ثمانين في  
الخمرة . وقتل أباك بين يدي رسول الله ﷺ . . وأنت الذي سماك الله (الفاسق) . .  
ورسمى علياً (المؤمن) . . حيث تفاخرتما ، فقلت له :  
يا علي أنا أشجع منك جنانا ، وأبسط منك لساناً ، وأحد منك سناناً فقال له  
علي :

«اسكت يا وليد فأنا مؤمن ، وأنت فاسق» فأنزل الله عز وجل الآیة  
الكریمة : ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا . . .﴾<sup>(۱)</sup> .

ذكر ذلك ابن جریر الطبري في تفسيره بسنده عن عطاء بن يسار . . وكذلك  
الزمخشري في الكشاف ، والسيوطي في الدر المنثور عن ابن إسحاق عن عطاء بن  
يسار . كما أخرجه ابن أبي حاتم .  
وفي سورة النساء الآیة ۵۴ :

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ .

وقوله تعالى في سورة هود الآیة ۱۷ :  
﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ .

= ج ۵ ص ۲۲۳ . وابن الأثير في (أسد الغابة) ج ۴ ص ۲۵ . وسبط ابن الجوزي في (التذكرة) ص ۲۰۸ .  
والعلامة النيسابوري في (تفسيره) ج ۲ ص ۲۰۸ . وابن صباغ المالكي في (الفصول المهمة) .  
والعلامة الآلوسي في تفسيره (روح المعاني) ج ۲ ص ۸۳ . . والقندوزي الحنفي في (ينابيع المودة)  
ص ۹۲ . . والعلامة الحافظ الحاكم في (المستدرک) ج ۳ ص ۴ .  
(۱) تفسير الطبري ج ۱ ص ۶۸ . الواحدي في (أسباب النزول) ص ۲۶۳ رواه بسند عن ابن عباس كما  
أخرجه ابن مردويه ، والخطيب وابن عساکر عن عبد الله بن عباس (رض) . . وورد في (علي إمام  
المتقين) ج ۱ ص ۵۶ لعبد الرحمن الشرقاوي . وكذلك ورد في (تاريخ بغداد) ج ۱۳ ص ۳۲۱ بسنده  
عن ابن عباس أيضاً . وفي (الرياض النضرة) ج ۲ ص ۲۰۶ .

فمن كان علي بينة من ربه، هو النبي ﷺ . . .

وأما (الشاهد)، فهو علي بن أبي طالب . . . يشهد له وهو منه (١) . . .

وفي سورة الواقعة الآية ١٠ - ١١ قوله تعالى:

﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عباس، أن هذه الآية نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون . وحبيب النجار الذي ذكر في سورة يس . . . وعلي بن أبي طالب، وكل رجل منهم سابق أمته وعلي أفضلهم سبقاً (٢) .

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين:

مؤمن آل ياسين . . . وعلي بن أبي طالب . . . وآسية امرأة فرعون (٣) . . .

وقوله عز من قائل في سورة محمد الآية ٣٠:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾.

ذكر السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) عن أبي سعيد الخدري قال:

(لتعرفنهم في لحن القول . . .) أي يبغضهم لعلي بن أبي طالب (ع) . . .

وقوله تعالى في سورة الرعد الآية ٧:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّ مَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

روى الحاكم في المستدرک بسنده عن علي، قال:

(١) السيوطي في (الدر المنثور) في ذيل تفسير الآية المذكورة عن ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم وابن عساکر . والرازي في (تفسيره الكبير) .

(٢) السيوطي في (الدر المنثور) . وفي (كتر العمال) ج ٦ ص ١٥٢ حيث ذكر السبق ثلاثة، فالسابق إلى موسى يوشع بن نون . والسابق إلى عيسى صاحب يس . . . والسابق إلى محمد ﷺ علي . . . وكذلك الثعلبي في (قصصه) ص ٢٣٨ .

(٣) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٥٥ بسند عن جابر الأنصاري .

رسول الله ﷺ المنذر . . وأنا الهادي .

وفي رواية أخرى قال الإمام: الهادي رجل من بني هاشم، ويعني به نفسه لأنه كره التصريح باسمه<sup>(١)</sup>.

وفي سورة الإنسان الآية ٨ و ٩ قوله تعالى وهو عز من قائل:

﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامَ عَلَىٰ حَيْبِهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ .

ذكر الواحددي في أسباب النزول<sup>(٢)</sup>، إنها نزلت في حق علي وفاطمة . . .

وقوله تعالى في ذكره العزيز الآية: ٧ من سورة الإنسان:

﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ .

مرض الحسن والحسين، وهما صبيان فعادهما رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر بن الخطاب (رض) فقال عمر (رض) لعلي (ع):

يا أبا الحسن لو نذرت عن أبنيك نذراً إن الله عافاهما، قال:

أصوم ثلاثة أيام شكراً لله . . قالت فاطمة:

وأنا أيضاً أصوم ثلاثة أيام شكراً لله . . وقال الصبيان:

ونحن نصوم ثلاثة أيام شكراً لله . . وقالت جاريتهما فضة:

وأنا أصوم ثلاثة أيام شكراً لله . . فألبسهما الله العافية، فأصبحوا صياماً<sup>(٣)</sup> . .

وقوله تعالى في سورة الحديد الآية ١٩ .

(١) مستدرک الصحيحین للحاکم ج ٣ ص ١٢٩، وورد في كتر العمال ج ١ ص ٢٥١ عن ابن أبي حاتم . وذكره الهيثمي في مجمعہ . ج ٧ ص ٤١ . والسيوطي في الدر المنثور وأخرجه ابن عساکر، وابن مردويه، والطبري في تفسيره ج ١٣ ص ٧٢ عن ابن عباس . وأبو نعيم في المعرفة والديلمي، وابن النجار، والرازي في تفسيره الكبير عن ابن عباس، والشبلنجي في نور الأبصار ص ٧٠، والمناوي في كنوز الحقائق ص ٤٢ .

(٢) ص ٣٣١ .

(٣) فضائل الخمسة من الصحاح الستة . مرتضى الحسيني ج ١ ص ٣٠٣ .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ .

ذكر الإمام أحمد بن حنبل ، أن هذه الآية نزلت في حق الإمام علي (ع) (١) .  
وفي سورة يس الآية ١٣ :

﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ۖ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ .

ذكر السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير هذه الآية :

ثلاثة ما كفروا بالله قط . . مؤمن آل ياسين . . وعلي بن أبي طالب . . وآسيه امرأة فرعون . . (٢) .

وكذلك الآية ٣٣ من سورة الزمر :

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ عن ابن

عباس (رض) قال : جاءت هذه الآية في حق علي (٣) . . .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة

مريم، الآية : ٩٦] .

وكان الإمام علي (ع) يدعو الله بقوله :

«اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة» (٤) .

وذكر الزمخشري في (الكشاف) في تفسير لهذه الآية الكريمة، إن النبي ﷺ

قال لعلي : «يا علي قل : اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة» . فنزلت تلك الآية الشريفة (٥) .

(١) (علي في القرآن) علي محمد علي دخيل ص ٣٦ .

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٢٤ .

(٣) رواه سعيد عن الضحاك . وعبيدة بن حميد عن منصور عن مجاهد . وأبو بكر الحضرمي . وعلي بن أبي حمزة . وابن مردويه عن أبي هريرة كما ورد في (الدر المنثور) للسيوطي .

(٤) (الشرقاوي في (علي إمام المتقين) ج ١ ص ٥٦ .

(٥) (الدر المنثور) للحافظ السيوطي . وأخرجه ابن مردويه والديلمي عن البراء . والطبراني في =

وفي سورة البينة الآية ٧، جاء في الإمام:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

كانت الصحابة تقول عند مجيء الإمام علي (ع) عليهم:

جاء خير البرية<sup>(١)</sup> . . . وفي تفسير الطبري عن أبي الجارود عن محمد بن علي . . . قال:

قال النبي ﷺ لعلي عندما نزلت هذه الآية: «أنت يا علي خير البرية»<sup>(٢)</sup> . . .

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾  
[سورة التوبة، الآية: ١٩].

قال أحد الصحابة لعلي: أنا خير منك فأنا أسقي الحجيج . . .

وافتخر الآخر بأن له ولقومه البيت الحرام . . .

فقال لهما علي أنه سبقهما إلى الإسلام والهجرة، والجهاد في سبيل الله . . .

ثم روى للنبي ﷺ ما حدث . . . فنزلت هذه الآية الكريمة<sup>(٣)</sup> .

ورد في (أسباب النزول) للواحدي قال: قال الحسن والشعبي والقرطبي،

نزلت هذه الآية أجعلتم سقاية الحاج . . . الخ) في علي (ع) والعباس وطلحة بن  
شيبه . . .

---

= (الأوسط) عن ابن عباس . والهيتمي في (مجمعه) ج ٩ ص ١٢٥ . (الرياض النضرة) ج ٢ ص ٢٠٧ .  
وأخرجه الحافظ السلفي، وابن حجر في (صواعقه) ص ١٠٢ . وذكره الشبلنجي في (نور الأبصار)  
ص ١٠١ . (فضائل الخمسة) ج ١ ص ٣٢٣ .

(١) علي إمام المتقين عبد الرحمن الشرقاوي ج ١ ص ٥٦ .

(٢) ج ٣ ص ١٧١ . وورد في (الدر المثور) للسبوطي . وأخرجه ابن عساكر عن جابر بن عبد الله . وابن  
عدي عن أبي سعيد الخدري وعن بعد الله بن عباس (رض) . وابن مرويه . . . وورد في (الصواعق  
المحرقة) لابن حجر العسقلاني ص ٩٦ . كما أخرج الحافظ جمال الدين الزوندي عن ابن عباس .  
وذكره الشبلنجي في (نور الأبصار) ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٣) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج ١ ص ٥٦ .

وذلك أنهم افتخروا.. . فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه، والي ثياب بيته.

وقال العباس: أنا صاحب السقاية، والقائم عليها.. .

وقال علي: «لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد».. .  
فأنزل الله تعالى تلك الآية الكريمة.. . (١).

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٧٤].

هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب معاً (٢)...

ونزلت في حمزة وعلي وأبي جهل الآية ٦١ من سورة القصص:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (٣).

وقوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٢٢].

هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب.. . وحمزة (رض).. . وأبي لهب وأولاده.. . فعلي وحمزة شرح الله صدرهما للإسلام.. . وأبو لهب وأولاده قست قلوبهم (٤)...

وقال علي: «إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي.. . وما يعمل بها أحد بعدي.. .» هي آية النجوى:

(١) الطبري في (تفسيره) ج ١٠ ص ٦٨. والفخر الرازي في (تفسيره). والسيوطي في (الدر المنثور). وأخرج ذلك ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وعبد الرزاق وابن المنذر عن الشعبي.

(٢) علي إمام المتقين عبد الرحمن الشرقاوي ج ١ ص ٥٥.

(٣) المصدر السابق ص ٥٧. والطبري في تفسيره ج ٢٠ ص ٦٢. والواحدي في أسباب النزول ص ٢٥٥.

(٤) الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٧. الواحدي في أسباب النزول.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَجْتُمْ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ﴾ [سورة

المجادلة، الآية: ١٢].

كان عندي دينار فصرفته عشرة دراهم، فكنت كلما ناجيت الرسول ﷺ قدمت بين يدي درهماً (أي أتصدق بدرهم).. ثم نسخت الآية فلم يعمل بها أحد<sup>(١)</sup>..

وفي سورة النحل الآية ٤٣. والآية ٧ من سورة الأنبياء.

﴿... فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.. قال الإمام علي (ع):

«نحن أهل الذكر، إسألونا»<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنقُوا اللَّهُ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية:

.١١٩].

وفسر تلك الآية السبوطي في (الدر المنثور) مع علي بن أبي طالب.. كما أخرج ذلك ابن مردويه عن ابن عباس. وأخرج ابن عساكر عن أبي جعفر في قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ مع علي<sup>(٣)</sup>..

وفي سورة المائدة الآية ٥٤:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ذكر العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير في ذيل تفسير هذه الآية

الشريفة، إنها نزلت في علي (ع).. ويدل عليه وجهان:

الأول: إن الرسول ﷺ لما دفع الراية إلى علي يوم خيبر، قال:

(١) علي إمام المتقين ص ٥٧.

(٢) المصدر السابق ص ٥٦.

(٣) (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) مرتضى الحسيني ج ١ ص ٣٢٩.



«لأدفعن الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»،  
وهذا هو الصفة المذكورة في الآية .

والثاني : إن الله سبحانه وتعالى ذكر بعد هذه الآية :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
رَٰكِعُونَ ﴾ [سورة المائدة، الآية : ٥٥] وهذه الآية في حق علي، فكان الأول جعل ما قبلها  
أيضاً في حقه<sup>(١)</sup> . .

والآية ١٩ و ٢٠ من سورة الرحمن قوله تعالى :

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ .

ورد في الدر المشور للسيوطي في ذيل تفسير الآيتين الكريمتين قال : وأخرج  
ابن مردويه عن الإمام أنس بن مالك، وعن ابن عباس في قوله : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ  
يَلْتَقِيَانِ ﴾ ، قال : علي وفاطمة . .

﴿ وَيَبِينَهُمَا بِرَزَخٍ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ ، قال : النبي ﷺ . . . ﴿ وَيَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ  
وَالْمَرْجَانُ ﴾ قال : الحسن والحسين . . .<sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى في سورة الجاثية الآية ٢١ :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

ذكر الفخر الرازي في تفسيره الكبير، قال : قال الكلبي :

نزلت هذه الآية في علي . . وحمزة . . وعبيدة . . وفي ثلاثة من المشركين،  
هم : عتبة . . وشيبة . . والوليد بن عتبة . . قالوا للمؤمنين :

والله ما أنتم على شيء، ولو كان ما تقولون حقاً لكان حالنا أفضل من حالكم  
في الآخرة، كما إنا أفضل حالاً منكم في الدنيا! . . فأنكر الله عليهم هذا الكلام،

(١) المصدر السابق ص ٣٢٨ .

(٢) كما ورد ذلك في (نور الأبصار) للشبلنجي ص ١٠١ . . وفي (فضائل الخمسة من الصحاح الستة)  
لمرتضى الحسيني ج ١ ص ٣٣٣ .

ويبين لهم في هذه الآية أن لا يكون حال المؤمن المطيع مساوياً لحال الكافر العاصي في درجات الثواب ومنازل العادات<sup>(١)</sup> . . .

﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر، الآية: ٩] عن أبي هريرة قال:

إنها جاءت في علي بن أبي طالب، عندما جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه الجوع. فأطعمه علي قوت أولاده وهم صبية<sup>(٢)</sup> . . .

وهناك آيات أخرى فيها لعلي بن أبي طالب بعض من الذكر. . . نورد منها، ونمر عليها. . .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ٣].

﴿أَمَنْ هُوَ قَلْبُكَ عِندَ آتَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٩].

وفي سورة النساء الآية ٦٩:

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٨٢].

وفي سورة السجدة الآية ١٦:

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

(١) المصدر السابق ص ٣٣٤.

(٢) (علي في القرآن) علي محمد علي دخيل ص ٣٧.

تلك الآيات الشريفة نزلت في حق علي بن أبي طالب (ع) دون غيره من الصحابة الذين كانوا يعرفون أنها نزلت في علي . . . ويعرفون لعلي قدره<sup>(١)</sup> . . . وتحاشياً للإطالة، نكتفي بهذا القدر من ذكر الآيات الكريمة .  
والآيات في علي (ع) كثيرة، وعديدة حتى عدّها عبد الله بن عباس (رض) (حبر الأمة) بثلاث مئة آية (كما ذكرنا) .

---

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج ١ ص ٥٨ .



## حديث الدار

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٢١٤]

ذكر ابن جرير الطبري في (تاريخه)<sup>(١)</sup> عن أبي حميد، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمر، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب، قال:

.. لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، دعاني رسول الله ﷺ فقال لي:

يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين.. فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، وإملاً لنا عساً من لبن..

ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به..

ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو يتقصونه.. وفيهم أعمامه أبو طالب.. وحمزة.. والعباس.. وأبو لهب..

فلما اجتمعوا إليه دعاهم إلى الطعام، فأكلوا حتى شبعوا.. وبقي الطعام كما هو كأنه لم يُمس..

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم، قاطعه أبو لهب، فقال: لشد ما سحركم صاحبكم!

فتفرق القوم، ولم يستطع الرسول ﷺ أن يقول لهم ما كان يريد قوله..

فقال ﷺ الغد يا علي.. فجمعهم ثانية، فقال لهم:

(١) ج ٢ ص ٢١٦.

«يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم...»

إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة.. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟».

فأحجم القوم عنها جميعاً..

وقلت أني لأحدثهم سناً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه.. فقال لي: اجلس.. ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم عليه.. فيقول لي: اجلس.. حتى كان في الثالثة، فأخذ برقبتي ثم قال:

«إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا..».

فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب، قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

ويستدل من هذا الحديث أن النبي ﷺ سمي خليفته من بعده في بدء الدعوة، واستوزر علياً له خلال فترة النبوة.. فكان وزيره في حياته، وخليفته بعد مماته..

وحديث الدار هذا أخرجه وذكره غالبية الثقة من الرواة، وفي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده)<sup>(١)</sup>... وعبد الله بن الإمام أحمد في (زيادات المسند)... والجاحظ في (رسالته عن بني هاشم)... والثعلبي في (تفسيره)... والطبري في (تاريخ الأمم والملوك)... والنسائي في (خصائصه)<sup>(٢)</sup>... والطبري في (تاريخه)<sup>(٣)</sup>... وابن أبي الحديد المعتزلي في (شرح نهج البلاغة)<sup>(٤)</sup> وعماد

(١) ج ١ ص ١٥٩.

(٢) ص ١٨.

(٣) ج ١ ص ٢١٧.

(٤) ج ٣ ص ٢٥٥.

الدين الدمشقي في (تاريخه)<sup>(١)</sup> .. والحاكم في (المستدرک)<sup>(٢)</sup> وفي (كنز العمال) ... والبغدادي في (تفسيره)<sup>(٣)</sup> والسيوطي في (جمع الجوامع)<sup>(٤)</sup> .. وابن تيميه في (منهاج السنة)<sup>(٥)</sup> ... والحلي في (سيرته)<sup>(٦)</sup> .

وأخرجه الذهبي، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في (سننه) وفي (الدلائل) وكذلك أبو الفداء في الجزء الأول من (تاريخه)، وسعيد بن منصور في (السنن) .. وأبو إسحاق الثعلبي في (الكشف والبيان) .. والهيثمي في (جمع الفوائد) ... وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ... كما ورد في (حياة محمد) لمحمد حسين هيكل في طبعته الأولى<sup>(٧)</sup> .. كما ذكر هذا الحديث الكاتب المصري عبد المسيح الأنطاكي .. وتوماس كارليل في كتابه (الأبطال) .. أما المؤرخ والكاتب الكبير جرجي زيدان فقد أورد هذا الحديث في كتابه (تاريخ التمدن الإسلامي)<sup>(٨)</sup> ..

أما الرواة والمؤرخون والفقهاء من الشيعة، فقد أجمعوا على ذكر هذا الحديث دون أن ينكره أو يسكت عنه أي كاتب أو مؤرخ، واستندوا على مصادر مهمة وردت في كتب التاريخ المنقولة عن الصحابة، وعن علماء وفقهاء من أهل السنة ..

ذكر الشيخ المفيد المتوفي (٤١٣ هـ) في كتابه المشهور (الإرشاد)<sup>(٩)</sup> :

إن لهذا الحديث أهمية كبيرة فهو يرى الإمام أهلاً للوصية، وإن الوصية له

دون غيره ...

(١) ج ١ ص ١١٦ .

(٢) ج ٣ ص ١٣٢ .

(٣) ص ٣٩٠ .

(٤) ج ٦ ص ٣٩٢ .

(٥) ج ٤ ص ٨٠ .

(٦) ج ١ ص ٣٠٤ .

(٧) الطبعة الأولى ص ١٠٤ .

(٨) ج ١ ص ٣١ .

(٩) ص ١١ - ٣٠ .

ويرى أن مؤازرة الإمام علي للنبي ﷺ في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الإسلام عند بداية ظهوره، من المناقب الجليلة التي انفرد بها علي بن أبي طالب . .

وهي من الأمور الدالة على وصاية النبي ﷺ له . .



## خصوصية الإمام بوصية الرسول ﷺ في آل بيته

قال الإمام علي (ع):

«إن الله تعالى طهرنا وعصمنا نحن آل البيت، وجعلنا شهداء على خلقه وحُججاً على عباده، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا».

أخرج مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، في باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ بسنده عن صفية بنت شيبة عن عائشة (رض):

خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرطٌ مرجلٌ من شعر أسود.. فجاء الحسن بن علي، فأدخله.. ثم جاء الحسين فأدخله.. ثم جاءت فاطمة فأدخلها.. ثم جاء علي فأدخله.. ثم قال ﷺ:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(١)</sup> [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣].

وقد ذكر ذلك أبو سعيد الخدري.. كما أخرجه الترمذي في (صحيحه) عن أم سلمى وعن سعد بن أبي وقاص.. كما أخرجه أحمد في (المناقب).. والطبراني في (معجمه).. وكذلك ابن جرير الطبري.. وغيرهم.

وللغساني<sup>(٢)</sup> في (معجمه) الذي أضاف على ذلك الحديث، أن رسول الله ﷺ رفع يده إلى السماء، وقال:

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٠.

(٢) يحيى بن قيس بن حارثة بن زيد بن عبد مناة الغساني، استعمله عمر بن عبد العزيز على القضاء في الموصل، وكان عالماً بالفتيا والقضاء، توفي سنة ١٣٣ هـ.



«اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي وخاصتي، اللهم إذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم» . . .

أخرجه الإمام النسائي في (خصائصه) . . . والبخاري في (التاريخ الكبير) . . . وابن حجر العسقلاني في (الإصابة) . . . والإمام الرازي في (تفسيره) . . . وابن الجوزي في (تذكرة الخواص) . . . وابن الأثير في (أسد الغابة) . . . والسيوطي في (الدر المنثور) . . .

كما أخرجه الحافظ عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن الأخصر الجنازدي، المعروف بالبزار<sup>(١)</sup> في (معالم العترة النبوية) . . . وكذلك ابن عساكر في (تاريخه) . . . والزمخشري في (تفسير الكشاف) . . . وابن كثير في (تفسيره) . . . وابن عبد ربه في (العقد الفريد) . . . والحاكم في (شواهد التنزيل) (و) منتخب كنز العمال) . . . والخوارزمي في (المناقب) . . . والقرطبي في (تفسيره)<sup>(٢)</sup> . . . وورد في (مسند) الإمام أحمد بن حنبل<sup>(٣)</sup> . . . وفي (المستدرک) أيضاً . . . وذكره البيهقي، عن شهر بن حوشب عن أم سلمى زوج الرسول ﷺ . . .

وقد اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى في هذه الآية: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ . . . فقالت فرقة . . . ومنهم أبو بكر النقاش<sup>(٤)</sup>:

هم نساء النبي ﷺ، لأنهن في بيت سكناه، لقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٤].

إلا أن أكثر الفرق قالت:

إن أهل البيت هم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين . . .

وقد أجمع أهل التفسير إنها نزلت فيهم . . . واستدلوا بتذكير الضمير في قوله

(١) ولد في بغداد عام ٥٢٤هـ، وتوفي فيها عام ٦١١هـ.

(٢) (فاسألوا أهل الذكر) د. محمد التيجاني السماوي ص ٧٠.

(٣) ج ٤ ص ١٠٧.

(٤) توفي بالقاهرة سنة ٣٦٧هـ.

تعالى: ﴿لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣] . .

إذ لو كان لنسائه خاصة، قال: (عنكن . . . وَيُطَهِّرُكُمْ) (١) . . .

كما أن نساء النبي ﷺ لم تدعي واحدة منهن إنها من أهل البيت، كعائشة وأم سلمى، وغيرهن . .

وقد ذكر كل من مسلم، والترمذي . . والحاكم، والطبري، والسيوطي، والذهبي، وابن الأثير. إن تلك الآية نزلت في حق:

(محمد ﷺ . . . وعلي . . . وفاطمة . . والحسن . . والحسين) (٢) .

خطب الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، وقال:

(. . أنا أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . . . وأنا

أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وولايتهم، فقال فيما أنزل على محمد ﷺ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [سورة الشورى، الآية:

٢٣] . . رواه البزار، والطبراني (٣) ولأبي بشر الدولابي عن طريق الحسن بن زيد بن حسن بن علي عن أبيه:

إن الحسن بن علي (ع)، خطب، فقال في خطبته:

(أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال

لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُمْ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٢٣] فاقتراف الحسنة مودتنا أهل

البيت) (٤) .

وعن ابن عباس (رض):

(١) (جواهر العقدين في فضائل الشرفين) لعلي بن عبد الله السهموري - إصدار وزارة الأوقاف العراقية ج ١ ص ١٧ .

(٢) (فاسألوا أهل الذكر) د. محمد التيجاني السماوي ص ٧٢ .

(٣) (الصواعق المحرقة) لابن حجر العسقلاني ص ٨٨ .

(٤) (الذرية الطاهرة) للدولابي . . (ذخائر العقبى) ص ١٣٨ . . (الصواعق المحرقة) ص ١٣٩ .

(سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَرَابَتِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَجِبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟ . . .  
قال ﷺ : علي وفاطمة وأبناهما . . .)<sup>(١)</sup> . . .

أخرج الإمام أحمد بن حنبل في (المناقب) والطبراني . . . والحاكم . . . وابن  
أبي حاتم عن ابن عباس . . . وابن حجر . . . وابن مردويه والسيوطي في (الدر  
المنثور) . . . والحافظ أبو نعيم في (حليته) . . . والحموي في (فرائده)  
والواحدي . . . وابن المغازلي في (المناقب) . . . والزمخشري في (الكشاف) . . .  
والطبري في (الذخائر) . . . والنيسابوري في (تفسيره) . . . وابن طلحة الشافعي في  
(مطالب السؤل) والرازي في (تفسيره) . . . وأبو حيان في (تفسيره) . . . والمالكي في  
(الفصول المهمة) . . . والهيثمي في (المجمع) . . . والكنجي الشافعي في (كفاية  
الطالب) . . .

ورواه البخاري في (صحيحه) عن ابن عباس . . . والعسقلاني في  
(المواهب) . . . وغيرهم . . .

قال رسول الله ﷺ :

«والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد بي حتى يحبني، ولا يحبني حتى  
يحب ذويي»<sup>(٢)</sup> .

وقال ﷺ :

«ألا من آذى قرابتي فقد آذاني . . . ومن آذاني فقد آذى الله تعالى»<sup>(٣)</sup> .

وقال رسول الله ﷺ :

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله . . .  
وعترتي»<sup>(٤)</sup> .

(١) المعجم الكبير ج ٣ ص ٣٩ .

(٢) (الصواعق المحرقة) لابن حجر العسقلاني ص ١٤١ .

(٣) ينابيع المودة ص ١٩٠ .

(٤) صحيح مسلم باب فضائل علي ج ٧ ص ١٢٣ .

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) عن أبي سعيد الخدري، إن رسول الله ﷺ قال:

«إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين.. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض... وعترتي أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي.. أذكركم الله في أهل بيتي.. وإن اللطيف الخبير أخبرني إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا بيم تخلفوني فيهما»<sup>(١)</sup>.

أخرجه كذلك الطبراني في (الأوسط)... وأبو يعلى... والترمذي... والنسائي في (خصائصه) عن جابر... المحاملي... والذهبي في (هامش المستدرک)...

وورد كذلك في (مستدرک الحاكم)... وفي كنز العمال... والطبقات الكبرى لابن سعد... و(جامع الأصول) و(أسد الغابة) لابن الأثير... و(الجامع الصغير) للسيوطي... وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

قيل لزيد بن أرقم، مَنْ أهل بيته.. نساؤه!! فقال:

(لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها..)

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧.. ذخائر العقبى ص ١٦ ابن حجر في (الصواعق المحرقة) ص ٨٧ وابن كثير في (البداية والنهاية) ج ٥ ص ٢٢٨.. وأبو بكر الهيثمي (مجمع الزوائد) ج ٩ ص ١٦٣.. والمناوي في (فيض القدير) ج ٣ ص ١٥.

(٢) روى هذا الحديث مشاهير الصحابة عن النبي ﷺ كالإمام علي (ع) نفسه.. وكذلك الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري.. جابر بن عبد الله الأنصاري.. زيد بن أرقم.. أبي سعيد الخدري.. زيد بن ثابت.. حذيفة بن أسيد الغفاري.. عبد الله بن حنطب.. أبي هريرة.. وأنس بن مالك.. عبد الله بن عباس.. أم هاني بنت أبي طالب.. فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ.. حبشي بن جنادة.. الصحابي سلمان الفارسي.. عبد الرحمن بن عوف.. سعد بن أبي وقاص.. حمزة الأسلمي.. الحسن بن علي.. أبو رافع.. حذيفة بن اليمان.. ابن أبي الدنيا.. جرير بن عبد الله.. محمد بن فلاد.. وكثير غيرهم..

أهل بيته أصله وعصبته الذين حُرِّمُوا الصدقة بعده..)

قيل له.. ومَنْ هم؟؟ قال:

(هم آل علي.. وآل عقيل... وآل جعفر.. وآل العباس..)<sup>(١)</sup>.

اعتاد رسول الله ﷺ بعد نزول الآية الكريمة:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣] أن يمر على بيت علي وفاطمة وولديها قبل  
الشروع في إقامة الصلاة، حيث يتلو هذه الآية ببابهم، قاصداً تعليم المسلمين  
بمقصود الآية الكريمة..

هذا ما ذكره كل من الترمذي في (صحيحه).. والحاكم في

(المستدرک).. والإمام أحمد في (مسنده).. وابن الأثير في (أسد الغابة)..

والحسكاني في (شواهد التنزيل).. والسيوطي في (الدر المنثور).. والطبري في

(تفسيره).. والبلاذري في (أنساب الأشراف) وابن كثير في (تفسيره)<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر قال: آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ قال:

«اخلفوني في أهل بيتي»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة (رض) قال:

قال رسول الله ﷺ: «إني خلفت فيكم اثنين لن تضلوا بعدهما أبداً، كتاب

الله ونسبي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض».

أخرجه البزار في (مسنده). وقد ذكر ذلك أبي رافع مولى رسول الله ﷺ..

والإمام علي نفسه.. وغيرهم<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٣.. و(رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين) لمحي الدين الشافعي ص ١٠٩.

(٢) (مع الصادقين) د. محمد التيجاني السماوي ص ٧٢.

(٣) (زوائد المعجمين) ج ٢ ص ٣٤٩.. (الأوسط) للطبراني.. (فضائل الخمسة في الصحاح الستة) ج ٢ ص ٧١.

(٤) أهم المصادر التي ذكرت حديث النبي (ص): (إني تارك فيكم الثقلين..). هي: الترمذي في =

## الصلاة على آل محمد . .

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى . . . عن كعب عجرة، قال :  
سألنا رسول الله ﷺ ، فقلنا : يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت ؟  
قال : «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم  
وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»<sup>(١)</sup> .

ورد في (سنن) الدارقطني<sup>(٢)</sup> عن أبي مسعود الأنصاري، قال :  
قال رسول الله ﷺ :

«مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَصَلْ فِيهَا عَلَيَّ ، وَلَا عَلَى أَهْلِ بَيْتِي لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ» .  
وفي سنن البيهقي<sup>(٣)</sup> ورد ذلك الحديث . . كما ورد في ذخائر العقبى<sup>(٤)</sup> . . .  
وكذلك في الصواعق المحرقة<sup>(٥)</sup> . . .

وفي صحيح البخاري في كتاب الدعوات في باب الصلاة على النبي ﷺ ،  
بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : قال رسول الله ﷺ :

«قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل  
إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد  
كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» .

هذا الحديث رواه مسلم في (صحيحه) في كتاب الصلاة في باب الصلاة

---

= (صحيحه) ج ٢ ص ٣٠٨ . ابن الأثير في (أسد الغابة) ج ٢ ص ١٢ . السيوطي في (الدر المنثور) . .  
(مستدرک الصحیحین) ج ٣ ص ١٠٩ . (الخصائص) للنسائي ص ٢١ . الإمام أحمد في (مسنده) ج ٣  
ص ١٧ . ابن سعد في (طبقاته) ج ٢ / القسم الثاني ص ٢ . (حلية الأولياء) لأبي نعيم ج ١  
ص ٣٥٥ . الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ج ٨ ص ٤٤٢ . (كنز العمال) ج ٧ ص ٢٢٥ الهيثمي  
في (معجمه) ج ٩ ص ١٦٤ . (الصواعق المحرقة) لابن حجر العسقلاني ص ٧٥ .

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرک) ج ٣ ص ١٤٨ .

(٢) ص ١٣٦ .

(٣) ج ٢ ص ٣٧٩ .

(٤) ص ١٩ .

(٥) ص ٨٨ .

على النبي ﷺ بعد التشهد . . . ورواه النسائي أيضاً . . . وابن ماجة . . . وأبو داود . . .  
والخطيب البغدادي في (تاريخه) . . . والإمام أحمد بن حنبل . . . وورد في (كنز  
العمال) . . .

قال رسول الله ﷺ :

« لا تصلوا علي الصلاة البتراء » . فقالوا : وما الصلاة البتراء ؟ قال :  
« تقولون : اللهم صل على محمد وتمسكون . . . بل قولوا : اللهم صل  
على محمد وعلى آل محمد »<sup>(١)</sup> .

ورد في الكتاب الكريم في سورة الأحزاب الآية ٥٦ :  
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ  
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وبعد نزول هذه الآية الكريمة ، دعى رسول الله ربه وقال :  
« اللهم إنهم مني وأنا منهم ، فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك  
ورضوانك علي وعليهم »<sup>(٢)</sup> .

إذ مقتضى استجابة هذا الدعاء ، أن الله عز وجل خصهم بالصلاة عليهم معه  
إذ كانت صلاة الله عليه وعليهم . . . كذلك شرعت صلاة المؤمنين عليهم معه كما  
يقتضيه سياق الآية الكريمة . . . فينتج من ذلك دخولهم في قوله عز وجل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ .

وأكمل الصلاة وأتمها تكون عليه وعلى آله ، فما رتبته عز وجل على ذلك من  
أمر المؤمنين بالصلاة عليه يكون لطلب الصلاة عليه وعلى آله أيضاً . . . ومنشأ ذلك  
إلحاقهم به في التطهير كما ورد في قوله تعالى : ﴿ . . . لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ  
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣] مع تأكيده لتطهيرهم  
بالمصدر ، وإنه في أعلى مراتب التطهير (تطهيراً)<sup>(٣)</sup> .

(١) الصواعق المحرقة ص ٨٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٩ .

(٣) (جواهر العقدين) وزارة الأوقاف العراقية ج ١ ص ٤٨ .

قال الإمام فخر الدين الرازي<sup>(١)</sup>:

جعل الله أهل بيت النبي ﷺ مساويين له في خمسة أشياء:

١ - في السلام: حيث قال (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وقال لأهل بيته، ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِنْ يَأْسِينِ﴾ [سورة الصافات، الآية: ١٣٠].

٢ - في الصلاة على النبي ﷺ، وعلى آله كما في التشهد: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...).

٣ - في الطهارة: قال تعالى: ﴿طه﴾ «أي طاهر» مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَىٰ ﴿ [سورة طه، الأيتان: ١ و ٢] وقال لأهل بيته: ﴿... وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً﴾.

٤ - في تحريم الصدقة: قال ﷺ (لا تحل الصدقة لمحمد ولآل محمد) كما ورد في سنن الترمذي.

٥ - في المحبة: قال الله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣١] وقال تعالى لأهل بيت النبي ﷺ، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> [سورة الشورى، الآية: ٢٣]..

لقد خص الله سبحانه وتعالى آل بيت الرسول ﷺ بالمنزلة الخصيصة، وفضلهم على مَنْ سواهم، حتى جعل الصلاة عليهم فرضاً من فرائضه من خلال الصلاة المفروضة على كافة المسلمين من الصحابة والقراة وغيرهم..

فلا تصح الصلاة بدون الصلاة عليهم.. وفي ذلك قال الإمام الشافعي (رض):

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله  
كفاكم من عظيم الفخر أنكم مَنْ لم يُصلي عليكم لا صلاة له  
ونحن نعجب أشد العجب أن قسماً من المسلمين يصلون على النبي ﷺ  
صلاة مَبْتُورَة نحو (صلى الله عليه وسلم) دون الصلاة على أهل بيته..

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي. كان عالماً في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وكان مفسراً وله تفسير للقرآن الكريم. توفي سنة ٦٠٦ هـ.

(٢) (الصواعق المحرقة) ص ٩١.. و(فرائد السمطين) ج ١ ص ٣٥.



وهل هناك ضمير في الصلاة عليه وعلى آل بيته الذين أوصى الله ورسوله بهم  
في مواضع مختلفة، كما مر ذكره!!  
قال رسول الله ﷺ:

«النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي إسحاق السبعي الهمداني الكوفي<sup>(٢)</sup> الذي أدرك الإمام علي، عن  
حنش بن المعتمر ابن ربيعة الكناني الكوفي السبائي الصفاني، عن أبي ذر  
الغفاري (رض) قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول؛ «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في  
قومه، مَنْ ركبها نجا، وَمَنْ تخلف عنها غرق.. ومثل باب حطة لبني إسرائيل»<sup>(٣)</sup>.  
وعن الإمام علي (ع)، قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أحبنا بقلبه وأعاننا بيده ولسانه،  
كنت أنا وهو في عليين.. وَمَنْ أحبنا بقلبه، وأعاننا بلسانه، وكفَّ  
يده، فهو في الدرجة التي تليها.. وَمَنْ أحبنا بقلبه، وكفَّ عنا لسانه  
ويده، فهو في الدرجة التي تليها..» رواه أبو نعيم<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي هريرة، قال:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في (المناقب). وورد في (ذخائر العقبى) للطبري ص ١٧. (تذكرة الخواص)  
ص ١٨٢. (مستدرک الصحيحين) ج ٣ ص ١٤٩. وورد في (كتر العمال) ج ٦ ص ١١٦. وذكره  
الطبراني أيضاً.

(٢) المتوفي سنة ١٢٧هـ.

(٣) (المعجم الصغير) للطبراني ج ١ ص ١٣٩.. (والمستدرک) للحاكم ج ٣ ص ١٥١. (وينايع المودة)  
ص ٣٠. (تاريخ الخلفاء) للسيوطي. (والصواعق المحرقة) لابن حجر ص ١٨٤ و ٢٣٤. (مستدرک  
الصحيحين) ج ٢ ص ٣٤٣. (حلية الأولياء) لأبي نعيم ج ٤ ص ٣٠٦. (تاريخ بغداد) للخطيب  
البغدادي ج ١٢ ص ١٩. (الدر المشور) للسيوطي. (و(كتر العمال) ج ١ ص ٢٥٠. والهيثمى في  
(مجمعه) ج ٩ ص ١٦٧. (ذخائر العقبى) للطبري ص ٢٠. (وكنوز الحقائق) للمناوي ص ١٣٢.  
والدارقطني في (الأفراد). وأخرجه أبو يعلى في (مسنده). ورواه أبي الصهباء الكوفي عن سعيد بن  
جبير عن ابن عباس ورواه كل من عبد الله بن الزبير، وأبي سعيد الخدري.

(٤) ميزان الاعتدال (طبعة مصطفى البابي الحلبي عام ١٩٦٣) ج ١ ص ١٧١.

قال رسول الله ﷺ : «خيركم خيركم لأهلي من بعدي» رواه أبو يعلي،  
والمحب الطبري . .

ولابن عدي في (كامله) عن أنس بن مالك (رض) قال :

قال رسول الله ﷺ :

«أحبوا أهلي، وأحبوا علياً، مَنْ أَبْغَضَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَقَدْ حُرِّمَ  
شَفَاعَتِي . .»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ :

«إن الله اصطفى من العرب معداً، واصطفى من معد بني النضر بن  
كنانه، واصطفى هاشماً من بني النضر . . واصطفاني من بني  
هاشم» . .

وقوله ﷺ :

«إن جبرائيل (ع) قال لي : يا محمد قد طفئت الأرض شرقاً وغرباً،  
فلم أجد فيها أكرم منك، ولا بيتاً أكرم من بني هاشم» .

وقال رسول الله ﷺ :

«سادة أهل المحشر، سادة أهل الدنيا : أنا وعلي وحسن وحسين  
وحمزة وجعفر»<sup>(٢)</sup>.

أخرج الإمام الثعلبي، في تفسير آية المودة من تفسيره الكبير، عن جرير ابن  
عبد الله البجلي، عن رسول الله ﷺ، حيث قال :

«ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له . . ألا ومن مات  
على حب آل محمد مات تائباً . . ألا ومن مات على حب آل محمد  
مات مؤمناً مستكمل الإيمان . . ألا ومن مات على حب آل محمد

(١) (الموضوعات) لأبي الجوزي ج ٢ ص ٤.

(٢) حجج النهج - د. سعيد السامرائي ص ١٨٤.

بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير . . ألا ومن مات على حب آل محمد يُزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها . . ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة . . ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة . .»<sup>(١)</sup>

أخرج عبد الغني بن سعد في (إيضاح الإشكال) إن الإمام علي (ع) قال: «إني وأطائب أرومتي، وأبرار عترتي أحلم الناس صفاراً، وأعلم الناس كباراً، بنا ينفي الله الكذب، وبنا يفك الله عنتكم وينزع ربق أعناقكم، وبنا يفتح الله ويختم». ذكر د. طه حسين:

(إن الله قد اختص بيت أهل النبي بالسبق إلى الإسلام، كما اختصهم بالصبر على المكروه في شُعبهم ذاك الذي اضطروا إليه. على حين كان غيرهم من المسلمين في سعة ودعة، تمنعهم عشائرتهم كما منعت تيم أباً بكر، وكما منعت عدي عُمر، وكما منعت أمية عثمان. أو يمنعهم حلفائهم إن لم يكونوا من قريش . .

ومعنى ذلك أن أهل البيت احتملوا في الإسلام ما لم يحتمل غيرهم، وما لم يحتمل أبو بكر وعمر وعثمان خاصة، فهم لم يُحصروا ولم يُهجروا ولم يُضيق عليهم في الرزق. فهم (أهل البيت) إذا أولى الناس بالنبي، وأحقهم بالأمر بعده . .»<sup>(٢)</sup>

## مقام الإمام علي (ع) من آل البيت :

قال رسول الله ﷺ :

«أوصيكم بعترتي خيراً، إن موعدكم الحوض. والذي نفسي بيده

(١) المراجعات ص ٥٠. (هذا يعني بعد أن يسلك سلوك مَنْ أحبهم في طاعة الله ومرضاته، وحبهم وحده لا يكفي في اعتقادنا).

(٢) الفتنة الكبرى (علي وبنوه) د. طه حسين ص ٦٩.

لتقيم الصلاة ولتؤتَنَّ الزكاة، أو لأبعثنَّ إليكم رجلاً مني، أو كنفي يضرب أعناقكم.. ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال: هذا هو..»<sup>(١)</sup>.

أخرج الإمام أحمد بن حنبل في حديث له، قال: (ذَكَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَضَاءً قَضَى بِهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَأَعْجَبَ النَّبِيُّ ﷺ.. وَقَالَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِيْنَا الْحِكْمَةَ أَهْلَ الْبَيْتِ»<sup>(٢)</sup>).

... ذكر بشار بن هلال، عن جعفر بن سليمان، عن يزيد الرشك، عن مطرف بن عبد الله، عن عمران بن حصين.. قال: قال رسول الله ﷺ: «إِن عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَوَلِي كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي»<sup>(٣)</sup>..

أخرج الدارقطني في (الفضائل) عن معقل بن بشار، قال: (سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ (رَضِيَ) يَقُولُ: عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَتْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَي الَّذِينَ حَتَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهِمْ).

وأخرج أبو الحسن بن المغازي عن طريق عبد الله بن المثنى الأنصاري عن عمه ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك عن أبيه، قال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَنُصِبَ الصِّرَاطُ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، لَمْ يَجْزِ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ مَعَهُ كِتَابٌ وَوَلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»<sup>(٤)</sup>).

ذكر الحسن البصري، قال:

(١) (بنايع المردة) ص ٤٠. و(المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) ج ٤ ص ٥٦.

(٢) (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) ج ٢ ص ٧٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في (الفضائل) ص ١٠٣٥. والترمذي. والحاكم. وابن المغازلي في (مناقب علي) ص ٢٧٠. والشجري في (الأمالي) ج ١ ص ١٣٤، والبخاري.. كما أخرجه القطيعي في (زيادته) ص ١١٠٤. والطيالسي، وابن ماجه، والطبراني في (الكبير)، والذهبي في (تاريخ الإسلام)، وابن سعد في (الطبقات)، وابي أبي عاصم في (السنة)، ويعقوب بن سفيان في (المعرفة والتاريخ)، والبيهقي في (الدلائل) ج ٤ ص ٣٢٧، والبعوني في (شرح السنة) ج ١٤ ص ١٣٨.. وغيرهم.

(٤) (بنايع المردة) ص ١١٢.

حدثنا عيسى بن راشد، عن أبي بصير، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال :  
(فرض الله تعالى الاستغفار لعلي في القرآن على كل مسلم، بقوله تعالى :  
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [سورة الحشر، الآية: ١٠] ،  
فكل مَنْ أسلم بعد علي، فهو يستغفر لعلي (ع) (١) .

أخرج ابن السَّمان في كتاب (الموافقة بين بني هاشم والصحابة)، عن ابن  
عباس، قال : (جاء أبو بكر وعلي يزوران قبر النبي ﷺ، قال علي لأبي بكر :  
تقدم يا خليفة رسول الله . . فقال له أبو بكر :

ما كنت لأتقدم رجلاً سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه :  
«علي مني كمنزلي من ربي» (٢) .

من شهادات عمر لعلي :

قال رسول الله ﷺ :

«والذي نفسي بيده لا يزول قدمٌ عن قدمٍ يوم القيامة حتى يسأل الله  
تعالى الرجل عن أربع : عمره فيما أفناه . . وعن جسده فيما أبلاه . . .  
وعن ماله مم كسب، وفيم أنفقه . . وعن حنا أهل البيت» .

فقال له عمر (رض) : يا نبي الله، وما آية حبكم؟

فوضع يده الكريمة على رأس علي بن أبي طالب وهو جالس إلى جانبه،  
وقال : آية حنا هذا من بعدي (٣) .

وفي رواية أخرى عن سلمان الفارسي (رض)، قال :

(قال رسول الله ﷺ : «لا يؤمن رجل حتى يحب أهل بيتي بحبي» . . فقال

(١) حجج النهج د . سعيد السامرائي ص ٣١٩ .

(٢) (جواهر العقدين في فضل الشرفين) . ج ١ ص ٣١٧ (وزارة الأوقاف العراقية) . (الرياض النضرة) ج ٢  
ص ١٦٣ . (الصواعق المحرقة) لابن حجر ص ١٠٦ . كما أخرجه ابن السمان في (الموافقة) .

(٣) ينابيع المودة ص ١٣ .

عمر بن الخطاب (رض): وما علامة حب أهل بيتك؟.. قال ﷺ: هذا. «وضرب بيده على علي»<sup>(١)</sup>.

وعن عمر بن الخطاب (رض) عن النبي ﷺ قال:

كل سبٍ ونسبٍ منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي.. وكل ولد أمّ،  
فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإني أنا أبوهم وعصبتهم»<sup>(٢)</sup>

وأخرج الدارقطني عن عروة بن الزبير:

إن عمر بن الخطاب (رض) سمع رجلاً يقع في علي بن أبي طالب، فقال:  
ويحك أتعرف علياً!! هذا ابن عمه (وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ)، وقال: والله  
ما أذيت إلا هذا في قبره»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج ابن عبد البر في (الاستيعاب)، عن سعيد بن المسيب، قال:

قال عمر (رض):

تحببوا إلى الأشراف وتوددوا، واتقوا على أعراضكم من السفلة، واعلموا أنه  
لا يتم شرفٌ إلا بولاية علي بن أبي طالب»<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن أبي عمر، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري:

إنه سمع عمر (رض) يقول لعلي كرم الله وجهه، وسأله عن شيء فأجابته،

فقال له عمر:

(أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن)<sup>(٥)</sup>.

(١) (جواهر العقدين) ج ١ ص ٢٣٧.

(٢) ذخائر العقبى ص ١٦٩. يتابع المودة ص ٢٦٨. وأخرجه أبو صالح المؤذن في (فضل الزهراء).  
والحافظ أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر وكلاهما عن طريق شريك بن عبد الله بن أبي شريك  
النخعي الكوفي القاضي (٩٠ - ١٧٧هـ) عن شبيب بن غردقة السلمى الكوفي.

(٣) الصواعق المحرقة - لابن حجر السعقلاني ص ١٠٩. ورواه الإمام أحمد بن حنبل في (زوائد  
المسند). ورواه ابن سعد عن أبي جعفر محمد بن علي. والبيزار عن مجاهد عن ابن  
عباس (رض).

(٤) الصواعق المحرقة ص ١٠٩ - ١١٠.

(٥) ذخائر العقبى ص ٨٢.

وعن سالم بن أبي الجعد، قال :

(قيل لعمر (رض) إنك تصنع بعلي شيئاً لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي ﷺ . . قال عمر: إنه مولاي) (١).

إن ما أوجزناه بما تقدم يدلنا على أن الله سبحانه وتعالى، ونبيه الكريم ﷺ أوصيا بأل بيت محمد ﷺ بجوانب عديدة، ومواقف مختلفة . .

وفضلوا على كل المسلمين سواء: بالتطهير . . أو بالصلاة . . أو بالمودة . . أو بالمحبة . . أو بالولاية . . أو بالشفاعة والنجاة .

ومما لا شك فيه أن النبي ﷺ خص الإمام علياً (ع) بوصيته في آل بيته . وجعله في مقدمة مَنْ أوصى بهم، وكان وصية الرسول ﷺ في آل بيته انصبت جلها على علي بن أبي طالب وحده دون منازع، أو منافس له في تلك الوصايا التي لم ينل غيره منها مثلما نال هو منها . .

سُئل الإمام أحمد بن حنبل، ما بال الصحابة كلهم كأنهم أخوة لأب وأم . . وعلي بن أبي طالب بينهم وكأنه ابن علة (ابن ضرة)!! . فقال :

(لأن علياً بزهم شرفاً، وفاقهم علماً، وسبقهم إسلاماً . . فمالوا عنه، والجنس لجنسه أميل) (٢).

ذلك إن الإمام علياً في إسلامه نموذج عظيم مكتمل الشكل والجوهر . . فإذا كان الإسلام عبادةً، ونسكاً، جهاداً، وبدلاً . . ترفعاً وزهداً . . فطنة وورعاً . . سيادة وتواضعاً . . قوة ورحمةً . . عدلاً وفضلاً . . استقامة وعلماً . . بساطة وتمكناً . . ولاءً وفهماً . .

إذا كان الإسلام ذلك كله . . فإن سابق المسلمين علياً كرم الله وجهه، كان أحد النماذج الباهرة، والنادرة لهذا الإسلام . . . فإذا حثَّ الناس على الزهد . . فلأنه أسبقهم إليه .

(١) (جواهر العقدين) وزارة الأوقاف العراقية ج ١ ص ٣٢٧.

(٢) علي بن أبي طالب نظرة عصرية (اشترك في الكتابة عدة كتاب) ص ٩٩.

وإذا حثهم على البذل . . فلأنه أقدرهم عليه . .

وإذا حثهم على طاعة . . فلأنه يمارسها في أعلى مستوياتها . .

إن ابن أبي طالب في كل مجالات حياته، لواحد من أولئك الذين تجلى فيهم إعجاز الإسلام وعظمته<sup>(١)</sup> . .

يقول الإمام علي (ع):

«أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم . .

بنا يُستعطي الهدى، ويستجلى العمى . إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولادة من غيرهم»<sup>(٢)</sup> .

ويقول في موضع آخر، يذكر فيه آل البيت:

«نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب . . لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتى من غير بابها سُمي سارقاً . . فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا . .»<sup>(٣)</sup> .

ثم يقول الإمام علي (ع):

«نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم . . ناظرنا ومحبتنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة . .»<sup>(٤)</sup> .

«انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم

(١) (خلفاء الرسول) في رحاب علي خالد محمد خالد ص ٥٣ و ٦٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة محمد عبده ج ٢ ص ٢٧ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٤ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٢١٥ .



من هدى، ولن يعيدوكم في ردى. فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا  
فانهضوا. ولا تسبقوهم ففضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا. .» .

ويقول عنه وعن قومه من روائع القول:

«وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم. سيماهم سيما  
الصدّيقين. وكلامهم كلام الأبرار. . عمار الليل ومنازل النهار  
متمسكون بحبل القرآن، يحيون سنن الله وسنن رسوله، لا يستكبرون  
ولا يعلون ولا يغلون ولا يفسدون. . . قلوبهم في الجنان، وأجسادهم  
في العمل»<sup>(١)</sup>.

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٥.

## آية المباهلة... وحديث الطير

قال تعالى في كتابه الكريم من سورة آل عمران الآية ٦١ :

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ  
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى  
الْكَاذِبِينَ﴾ .

... قدم وفد نجران على النبي ﷺ مع رئيسهم أبو حارثة، فدارسوه،  
وسألوه وحاجوه.. فنزلت على رسول الله ﷺ آية المباهلة هذه..

فلما أصبحوا قدم النبي ﷺ ومعه علي بن أبي طالب.. وولداه الحسن  
والحسين ومعهما أمهما السيدة فاطمة الزهراء..

فسئل أبو حارثة رئيس وفد نجران عنهم.. فقيل له هذا ابن عمه علي..  
وتلك ابنته فاطمة.. وهذان ابناهما.

وعندما علم أبو حارثة ذلك، رفض المباهلة!!

وقد فسَّرَ (فرات) عن أبي جعفر آية المباهلة، قوله تعالى: ﴿أَبْنَاءَنَا  
وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ يعني الحسن والحسين.. ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ يعني رسول الله ﷺ  
وعلياً.. ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ أي السيدة فاطمة الزهراء<sup>(١)</sup>..

سئل الإمام علي (ع) عن أفضل مناقبه، فقال:

«أفضل مناقبي ما لم يكن لي فيه صنع» ثم ذكر لهم خروج النبي ﷺ

(١) تفسير فرات ص ١٤. وورد ذلك في (البداية والنهاية) لابن كثير ج ٧ ص ٣٧٦. وفي (الإمامة  
والسياسة) ج ١ ص ٢٠٩ لابن قتيبة.

## للمباهلة معه وزوجته وإبنه<sup>(١)</sup> . .

وقصة المباهلة هذه لها حيز كبير في بيان مكانة الإمام علي، وموقعه من النبي ﷺ وتحديدأ من سبحانه وتعالى الذين أنزل تلك الآية على نبيه الكريم ﷺ . . وهي آية من الآيات التي تجعل الإمام للوصية أهلاً، لكونه أصبح فيها كنفس رسول الله ﷺ

وفي ذلك يقول الشريف المرتضى :

(لا شبهة في دلالة آية المباهلة على فضل من دُعي إليها وجعل حضوره حجة على المخالفين واقتضائها تقدمه على غيره، لأن النبي لا يجوز أن يدعو إلى ذلك المقام ليكون حجة فيه إلا مَنْ هو في غاية الفضل، وعلو المنزلة . .

ونحن نعلم أن قوله أنفسنا وأنفسكم لا يجوز أن يعني بالمدعو فيه إلى النبي ﷺ لأنه هو الداعي . . ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه، وإنما يصح أن يدعو غيره . . كما لا يجوز أن يأمر نفسه وبينهاها . .)<sup>(٢)</sup>

كما ذكر الشريف الرضي (رض) قصة المباهلة، وفسر الآية مؤكداً أن دعاء الأنفس مقصوراً على الإمام علي . .

إذ لا أحد في الجماعة يجوز أن يكون ذلك متوجهاً إلى غيره، لأن دعاء الإنسان نفسه لا يصح . كما لا يصح أن يأمر نفسه<sup>(٣)</sup> . .

وذكر الطبري أهمية المباهلة في دلالتها على الوصية لعلي كرم الله وجهه، ويقول: (والدليل على أن علياً هو المخصوص بالإمامة، والخلافة، والوصية، وإنه كان أرضاً لها وسماءاً، إذ كان نفس رسول الله ﷺ إذ أن القوم ساروا إلى رسول الله ﷺ ليحاجوه في المسيح . . فأنزل الله ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ . .

(١) أبو حنيفة النعمان المغربي في (دعائم الإسلام) ج ١ ص ١٧ .

(٢) المرتضى (الشافعي) ص ١٣٠ .

(٣) حقائق التأويل في مشابه التنزيل - الشريف الرضي - ص ١١٠ .

فدعا أهل بيته، وكان علي نفس رسول الله، وكان هاشمي الوالدين، أشبه الناس برسول الله ﷺ (١).

أما الشيخ المفيد، فيقول:

(إن الله تعالى حكم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأنه نفس رسول الله ﷺ، كاشفاً بذلك بلوغه نهاية الفضل، ومساواته للنبي في الكمال، والعصمة من الأثام..)

وإن الله جعله وزوجته وولديه مع تقارب سنهما حجة لنيه، وبرهاناً على دينه، ونص على الحكم بأن الحسن والحسين أبناءه، وإن فاطمة نساءه المتوجه إليهم الذكر والخطاب في الدعاء إلى المباهلة والاحتجاج..)

وهذا فضل لم يشركهم فيه أحد من الأمة ولا قاربهم فيه ولا ماثلهم في معناه.. (٢).

ويرى ابن المطهر في (منهاج الكرامة) (٣):

(إن آية المباهلة، أول دليل على ثبوت الخلافة والوصاية لعلي.. لأنه قد جعله نفس رسول الله ﷺ والاتحاد محال.. فيبقى المراد المساوي له، وله ﷺ الولاية العامة فكذا لمساويه).

وذكر سليم بن قيس، أن علياً احتج بها لبيان حقه بالخلافة، حيث قال:

«أفتقرون أن رسول الله ﷺ حين دعا أهل نجران إلى المباهلة، إنه لم

يأت إلا بي وبصاحبتي، وابني؟» قالوا: اللهم نعم!

وذكر ابن طاووس، أهمية المباهلة مخاطباً ابنه:

(وكفى سلفك الظاهرين حجة على المخالفين، وحجة للموافقين التابعين

عليهم يوم المباهلة. مباهلة المسلمين والكافرين.. وكان ذلك اليوم من أعظم

(١) (المسترشد) للطبري ص ١٧٣.

(٢) (الإرشاد) للشيخ المفيد ص ٩٠.

(٣) ص ١٥٤.

الأيام عند جدك محمد ﷺ، وكشف الحجة للسامعين، ولمن يبلغهم إلى يوم الدين... (١).

### ... وحديث الطير:

... أما حديث الطير، فهو دليل آخر من أدلة التفضيل، والترشيح عند أصحاب الرأي المؤيد لتفضيل الإمام علي على سائر الصحابة والقراة... ومن ثم ترشيحه للخلافة من قبل رسول الله ﷺ.

.. وخلصته أن النبي ﷺ أهدي له طائر مشوي شهي... فلما رآه تمنى أن يشاركه فيه أحب خلق الله إليه.. ودعا ربه، وقال:

«اللهم ائتني بأحب خلقك إليّ، يأكل معي هذا الطائر».

ثم جاءه علي بن أبي طالب.. فقال له رسول الله ﷺ:

«لتأكل يا علي، فأنت أحب الله إليه... فقد دعوت الله تعالى أن

يسوق أحب خلقه إليه...».

روى هذا الحديث الإمام أنس بن مالك (رض) (٢).. كما احتج به الإمام

علي لبيان فضله يوم الشورى، حيث قال:

«... فأنشدكم الله هل فيكم أحد يوم أتى رسول الله ﷺ بالطير..

فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك يأكل معي من هذا الطير غيري!!»..

قالوا: اللهم لا (٣)...

ويؤكد الشيخ المفيد دلالة هذا الحديث على الإمامة، ويقول:

(إن رسول الله ﷺ حين دعا «اللهم ائتني بأحب خلقك...» فجاءه أمير

المؤمنين الإمام علي فأكل معه... وقد ثبت أنه أحب الخلق إلى الله «بعد رسوله»

(١) (كشف المحجة لثمره المهجة) لابن طاووس (المتوفي ٦٦٤هـ).

(٢) الزمخشري في (خصائص العشرة الكرام).

(٣) ابن رستم في (المسترشد) ص ٧١.

وأفضلهم عنده . . . وإذا صح أنه أفضل خلق الله تعالى . . . ثبت أنه كان الإمام<sup>(١)</sup> .  
وقد ذكر حديث الطائر الإمام أحمد بن حنبل (رض) في مسنده، ويسنده  
عن سفينة مولى النبي ﷺ، قال:

(أهدت امرأة من الأنصار طيرين مشويين بين رغيفين . . . فقال  
رسول الله ﷺ: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك . . .» فجاءه علي بن  
أبي طالب، فأكل معه في الطيرين حتى كفيا . . .)<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر حديث الطير كثير من الرواة وحفظة التاريخ، منهم:

الترمذي . . . وعبد الله بن الإمام أحمد في كتاب (زوائده على فضائل  
الصحابة)<sup>(٣)</sup> . . . والبزار . . . والبخاري في (الكبير)<sup>(٤)</sup> . . . والطبراني . . . والسهمي  
في (تاريخ جرجان) والخطيب في (تاريخ بغداد) وفي (الموضح) . . . والحاكم في  
(المستدرک) . . . وابن الجوزي في (العلل) . . . وابن المغازلي في (مناقب علي) ومن  
طرق كثيرة عن الإمام أنس بن مالك وغيره . . .  
وقال الحافظ ابن كثير في (البداية)<sup>(٥)</sup>:

(وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة، منهم: أبو بكر بن  
مروديه، والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان، فيما رواه شيخنا أبو  
عبد الله الذهبي . . . ورأيت فيه مجلداً في جميع طرقه وأفاضله لأبي جعفر بن جرير  
الطبري المفسر صاحب التاريخ).

قال الشيخ المعلمي في (طليعة التنكيل)<sup>(٦)</sup>:

(وحديث الطير مشهور، روى من طرق كثيرة، ولم ينكر أهل السنة مجيئه  
من طرق كثيرة . . .).

(١) د. نيله عبد المنعم داود (نشأة الشيعة الإمامية) ص ١٢٠.

(٢) يتابع المودة ج ١ ص ٥٤.

(٣) ص ٩٤٥.

(٤) ج ١ ص ٣٥٨.

(٥) ج ٧ ص ٣٨٧.

(٦) ص ٤٠.

وذكر الإمام الحافظ النسائي في (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) (١):

(أخبرنا زكريا بن يحيى، قال: حدثنا الحسن بن حماد، قال: أخبرنا مسهر بن عبد الملك، عن عيسى بن عمر، عن السدي، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ كان عنده طائر، فقال:

«اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير...» . . . وجاء علي بن أبي طالب (٢).

---

(١) ص ٣٤.

(٢) ورد هذا الحديث في (تاريخ) ابن عساكر. وفي (البداية والنهاية) لابن كثير. . . وفي (أسد الغابة) لابن الأثير. . . وورد في (الكنز) للعلامة الهندي. . . و(كفاية الطالب) للعلامة الكنجي. وفي (ينابيع المودة) للقندوزي.



## استخلافه في مكة لرد الودائع.. ومؤاخاة النبي ﷺ له<sup>(١)</sup>

أخذ النبي ﷺ يد علي أمام ملاً من المسلمين، أنصارهم ومهاجريهم، وقال: «أنت أخي وصاحبي في الدنيا والآخرة..»<sup>(٢)</sup>.

يجدر بنا أن نشير إلى النبي ﷺ سبق له وأن أخى في مكة بين المسلمين قبل الهجرة.. فكان أبو بكر وعمر بن الخطاب (رض) أخوين في المؤاخاة الأولى بمكة.. وعثمان بن عفان أخى عبد الرحمن بن عوف (رض).. وأخى بين الحمزة وزيد بن حارثة.. والزبير ابن العوام وابن مسعود..

أما المؤاخاة الثانية يثرب بعد الهجرة، بين المهاجرين والأنصار.. فقد أخى أبو بكر وخارجة بن زيد.. وعمر بن الخطاب أخى عتبان بن مالك.. وبأمر من النبي ﷺ..

كان الإمام علي (ع) في كلتا المرتين (المؤاخاة في مكة، والمؤاخاة في يثرب) آخاً رسول الله ﷺ.. وهذا ما جاء بالنصوص الثابتة بطرقها الصحيحة عن كل من:

ابن عباس، وابن عمر، وزيد بن أرقم، وزيد بن أبي أوفى، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، ومخدوج بن يزيد، وعمر بن الخطاب، والبراء بن عازب، وعلي بن أبي طالب وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

(١) هذا الموضوع مكملًا لما ورد في (وداعا يا ربابي مكة) من الفصل الأول أما استخلافه في مكة فقد مر ذكره.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٤ عن ابن عمر.

(٣) المراجعات ص ١٥٠.



وورد في صحيح الترمذي<sup>(١)</sup> بسنده عن ابن عمر، قال:  
آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاءه علي، وقال له:  
يا رسول الله آخيت بين أصحابك، ولم تواخ بيني وبين أحد، فقال له  
رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي رافع، عن أبي تمامة، قال:  
لما آخى رسول الله ﷺ بين الناس، آخى بينه وبين علي<sup>(٣)</sup> . . .  
وقد قال الإمام يوم الشورى لعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير:  
«أنشدكم الله هل فيكم أحد آخى رسول الله ﷺ بينه وبينه، إذ آخى  
بين المسلمين غيري . . .» قالوا: اللهم لا . . .

ولما برز الإمام للوليد بن عتبة يوم بدر . . . قال للوليد:  
«أنا عبد الله وأخو رسول الله»<sup>(٤)</sup>.

يقول الكاتب الكبير المرحوم خالد محمد خالد:

لقد كان الصديق أبو بكر . . . وكان الفاروق عمر أئذ هناك في يثرب عند  
المؤاخاة، فهل من حقنا أن نتساءل: لماذا لم يختص الرسول ﷺ أحدهما بهذا  
الذي اختص به علياً؟

اختار الرسول ﷺ إذن علياً ليكون في هذه المؤاخاة أحاً . . .

(١) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٩.

(٢) ورواه الحاكم في (مستدرك الصحيحين) ج ٣ ص ١١١ . . . وذكره المناوي في (كنوز الحقائق). وابن  
ماجه في (صحيحه) ص ١٢ عن عباد بن عبد الله عن علي . . . وورد في (التاريخ) لابن جرير الطبري  
ج ٢ ص ٥٦ . . . والنسائي في (خصائصه) ص ١٨٠٣ . . . وفي (كنز العمال) ج ٦ ص ٣٩٤.

(٣) كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٠ . . . وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) ج ٩ ص ١١٢ . . . ورواه الطبراني . . .  
وذكره المناوي في (فيض القدير) ج ٤ ص ٢٥٥ . . . وورد ذلك في (المناقب) للإمام أحمد بن  
حنبل . . . وأخرجه ابن عدي في (الكامل) . . . وورد في (أسد الغابة) ج ٣ ص ٣١٧ عن عبد  
الرحمن بن عويم بن ساعدة الأنصاري (وهو ممن أدرك النبي ﷺ).

(٤) المراجعات ص ١٥٣.

وكل شرف كان الإسلام يُضيفه على (علي بن أبي طالب) كان يزيد إحساسه بمسؤولياته الدينية شحذاً وقوة<sup>(١)</sup> . . .

. . . أكثر الرواة ذكروا مؤاخاة ربيب الوحي ﷺ لعلي بن أبي طالب، ما هي إلا استثناء من المؤاخاة التي استحدثها رسول الله ﷺ بين الأنصار والمهاجرين . . . لأنه كان مهاجراً أخى مهاجراً . . . ولم يختار له ﷺ أخاً من الأنصار .

ذلك حتى يكون له علي أخاً في دنياه وأخاً وفي آخرته . . .

روى البلاذري، عن عبد الله بن عباس وغيره . . . لما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٠] أخى رسول الله ﷺ بين الأشكال والأمثال<sup>(٢)</sup> . . . فأخى بين أبي بكر وعمر . . . وبين عثمان وعبد الرحمن . . . وبين سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد . . . وبين طلحة والزبير . . . وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ . . . وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري، وبين أبي ذر وأبي مسعود . . . وبين سلمان وحذيفة . . . وبين جعفر الطيار ومعاذ بن جبل . . . وبين حمزة وزيد بن حارثة . . . وبين أبي الدرداء وبلال . . . وبين المقداد وعمار . . . وبين عائشة وحفصة . . . وبين زينب بنت جحش وميمونه . . . وبين أم سلمى وصفية . . .

حتى أخى بين الصحابة بأجمعهم على قدر منازلهم، وكان علي حاضراً، فقال له:

«يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركتني» . . . فقال له الرسول ﷺ:

«إنما أخرتك لنفسي، أنت أخي، وأنا أخوك في الدنيا والآخرة»<sup>(٣)</sup> .

(١) (في رحاب علي) - خالد محمد خالد ص ٥٢ .

(٢) تلك المؤاخاة الأولى في مكة .

(٣) (الإمام علي رسالة وعدالة) الشيخ خليل ياسين ص ٢٧٤ .

ذكر الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود:

... ولئن كان أبو بكر من رسول الله وزيره الصادق. فإن علياً كان منه الظل

اللاصق ..

لم يفته (الرسول ﷺ) أن يؤثر بالأخاء علياً دون الباقيين .. آخى بين صحبه  
الخارجين معه، وبين أصحاب البلدة الذين آووا .. فتخير أن يكون علي أخاه في  
الدين .. لم يؤاخ أبا بكر ولم يؤاخ عمر، ولم يؤاخ حمزة أسده وأسد الله .. ولكنه  
اصطفى لهذه الأخوة المعنوية بعد إخوة الدم فتاه الربيب فأثره على حبيب بعيد أو  
قريب<sup>(١)</sup> ..

---

(١) (الإمام علي بن أبي طالب) عبد الفتاح عبد المقصود ج ٣ ص ٧٣... ووردت أخبار المؤاخاة  
بمختلف المصادر وشتى المؤلفات، نذكر منها:

١ - جامع الترمذي ج ٢ ص ٢١٣. ٢ - الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠. ٣ - مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤. ٤  
- تذكرة السبط ص ١٣ - ١٥. ٥ - الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٧ - ٢١٢. ٦ - تاريخ ابن كثير ج ٧  
ص ٣٣٥. ٧ - الصواعق المحرقة ص ٧٣. ٨ - تاريخ الخلفاء ص ١١٤. ٩ - السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٣  
- ١٠١. ١٠ - تاريخ ابن هشام ج ١ ص ١٢٣. ١١ - تاريخ ابن عساکر ج ٦ ص ٢٠١. ١٢ - كنز العمال  
ج ٦ ص ٣٩٠.

١٣ - تاريخ الخطيب ج ١٢ ص ٢٦٨. ١٤ - (الإمام علي) محمد رضا ص ٢١. ١٥ - مسند أحمد ج ١  
ص ٢٣٠. ١٦ - مناقب الخوارزمي ص ٨٧. ١٧ - تاريخ الطبري ص ٣١٢. ١٨ - خصائص النسائي  
ص ٣٢. ١٩ - شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٩٩. ٢٠ - (الإمام علي) عبد الفتاح عبد المقصود. ٢١  
- ذخائر العقبى ص ٩١. ٢٢ - فرائد السمطين. ٢٣ - تاريخ بغداد ج ١١ ص ١١٢. ٢٤ - سنن ابن ماجه  
ج ١ ص ٥٧. ٢٥ - العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٥. ٢٦ - حلية الأولياء ج ١ ص ٦٧. ٢٧ - مجمع الزوائد  
ج ٩ ص ١١١.



## حديث المنزلة.. والراية يوم خيبر

قال الرسول الأعظم ﷺ لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه:  
«أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا  
نبي بعدي..»

ذكر هذا الحديث كثير من الصحابة والمؤرخين، على اختلاف مذاهبهم،  
قول النبي ﷺ لعلي في مناسبات عدة، وبمواقف مختلفة..

فقد روى ابن هشام في (السيرة النبوية)، أن رسول الله ﷺ عندما استخلف  
علياً في المدينة، ليكون خليفته فيها.. عندما قاد ﷺ جيش المسلمين في غزوة  
تبوك.. حيث قال لعلي قبل مغادرة الجيش للمدينة ذلك الحديث..

ولم يقل النبي ﷺ ذلك القول لأحد من أهل بيته.. ولا لأحد من  
صحابته.. ولا حتى لأحد من المسلمين غيره.. غير علي بن أبي طالب.. الذي  
صار بمقتضى ذلك الحديث من النبي ﷺ منزلة، كمنزلة هارون من موسى (ع)..  
ذكر البلاذري في (أنساب الأشراف):

إن رسول الله ﷺ خرج إلى (تبوك) وخلف علياً في المدينة.. فقال علي:  
«يا رسول الله خرجت وخلفتني!!».. فقال له ﷺ:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى.. إلا أنه لا نبي  
بعدي..»<sup>(١)</sup>.

(١) ذكره العلامة الحسكاني في (شواهد التنزيل) ج ١ ص ١٤٩.. والطبري في (تاريخ الرسل والملوك)  
ج ٣ ص ١٠٣، وكذلك في (ذخائر العقبى) ص ٦٣.. والمسعودي في (مروج الذهب) ج ٢ =

ولهذا الحديث.. حديث المنزلة، خصوصيته لدى الفقهاء والرواة من المسلمين الشيعة.. فقد ذكر أبو حنيفة النعمان المغربي عنه، وقال:

(ولا يقتضي قول رسول الله ﷺ لعلي «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»... إلا أنه خليفته في أمته، كما قال موسى لهارون: اخلفني في قومي...) (١).

وسئل جابر بن عبد الله الأنصاري عن ما يعنيه قول رسول الله ﷺ لعلي في حديث المنزلة.. فقال:

(استخلفه بذلك، والله، على أمته في حياته، بعد وفاته.. وفرض عليهم طاعته فمن لم يشهد له بعد هذا القول بالخلافة فهو من الظالمين) (٢)..

وعن سعيد بن المسيب.. عن عامر بن سعيد.. عن سعد بن أبي وقاص، قال: (سمعت النبي ﷺ يقول لعلي «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»).

أما الطبري، فيفسر حديث المنزلة:

إن النبي ﷺ جعل منزلة علي منه، كمنزلة هارون من موسى، واستثنى النبوة.. وأوجب كل ما كان لهارون من موسى.. وإنه بهذا دل على خلافته، لأن هارون خليفة موسى.. كما أن هارون كان أحب الناس لموسى.. فكذلك علي أحب الناس إلى النبي وكانت أخوة هارون لموسى، أخوة النسب..

أما أخوة علي لرسول الله ﷺ، فهي أخوة الدين، والمشاكلة، والمشابهة (٣)...

ويرى الشيخ المفيد، إن حديث المنزلة نص لا خفاء به على خلافة الإمام علي (ع):

= ص ٤٣٧.. والمقدسي في (البدء والتاريخ) ج ٤ ص ٢٣٩.. وابن عساكر في (تاريخه) ج ١ ص ١٠٧.. والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ج ١٠ ص ٤٣.. وابن حجر في (الإصابة) ج ٤ ص ٢٧٠.. والحاكم في (المستدرک) ج ٣ ص ١٣٣.

(١) (دعائم الإسلام) النعمان المغربي ج ١ ص ٢٠.

(٢) (معاني الأخبار) للصدوق ص ٨٤.

(٣) (المسترشد في الإمامة) لابن رستم الطبري ص ١٠٩.

(لأن رسول الله ﷺ حكم له بالفضل على الجماعة، والنصرة والوزارة والخلافة له في حياته، وبعد وفاته. بدلالة أن هذه المنازل كلها كانت لهارون من موسى في حياته . . .

وإيجاب جميعها للإمام، إلا ما أخرجه الاستثناء منه ظاهراً، وأوجبه بلفظة بعد له من بعد وفاته، بتقدير ما كان يجب لهارون من موسى لو بقي بعد أخيه، فلم يستثنه النبي ﷺ، فبقي للإمام علي بعموم ما حكم له من المنازل<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر حديث المنزلة في منزلة الإمام علي بن أبي طالب، الشريف المرتضى، فقال: (إن الخبر دال على النص من وجهين . . .

أحدهما، قوله: «أنت مني بمنزلة هارون . . .» يقتضي حصول جميع منازل هارون من موسى لعلي، إلا ما خصه الاستثناء (النبوة) . . .

. . . ويقول: وقد علمنا أن من منازل هارون من موسى، الخلافة في حال غيبته عن أمته . . . وأنه لو بقي بعده لخلفه فيهم . . . ولم يجز أن يخرج القيام بأموارهم عنه إلى غيره . . .

ويقول: إنه لو بقي لخلفه، ودبر أمر أمته، وقام فيهم مقامه، وعلمنا بقاءه (علي) بعد وفاة الرسول ﷺ . . . لذا وجبت له الإمامة بعده بلا شبهة<sup>(٢)</sup> . . .

وحديث المنزلة، ورد في الصحاح بأسانيد مختلفة، ومصادر متنوعة صحيحة. كما أسند من غالبية الرواة من أهل الحديث والسنة . . .

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه، أن معاوية بن أبي سفيان عندما أمر بسب الإمام علي على المنابر في الجوامع . . . لم يمثل له سعد بن أبي وقاص . . . فسأله معاوية قائلاً:

ما منعك أن تسب أبا تراب؟؟ أجابه سعد:

لن أسبه، لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول له، وقد خلفه في بعض

(١) (نشأة الشيعة الإمامية) د. نبيلة عبد المنعم داود ص ١١٧.

(٢) (الشافعي) للمرتضى ص ١٤٨.

مغازيه: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup>.

وذكر ذلك الإمام الحافظ النسائي<sup>(٢)</sup> عن قتيبة بن سعيد البلخي، وهشام بن عمار الدمشقي، قالوا:

حدثنا حاتم ابن إسماعيل المدني، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه سعد بن أبي وقاص..

كما ذكر ذلك حرص بن يونس بن محمد المؤدب، قال:

أخبرنا أبو غسان، قال: أخبرنا عبد السلام، عن موسى الصغير، عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد بن أبي وقاص..

وذكر هذا الحديث ابن عساكر<sup>(٣)</sup>... كما أخرجه القطيعي في (زوائد الفضائل)... وأبو نعيم في (الحلية)... وابن عدي<sup>(٤)</sup>... وابن المغازلي<sup>(٥)</sup>... والحافظ الذهبي<sup>(٦)</sup>... والطيالسي... وأبو الحسن الصيداوي في (معجمه) وغيرهم..

... ومعاوية هو الآخر ذكر حديث المنزلة المتعلق بمنزلة الإمام علي من الرسول الأعظم ﷺ !!

فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل (رض):

إن رجلاً سأل معاوية عن مسألة ما.. فقال له: سل عنها علياً فهو أعلم بها.. قال: جوابك فيها أحب إلي من جواب علي!

قال له معاوية:

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٤ (باب فضائل علي).

(٢) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (النسائي ص ٣٢).

(٣) (تاريخ دمشق) من ترجمة علي بن أبي طالب ج ١ ص ٣٢١.

(٤) (الكامل) لابن عدي. ج ٦ ص ٢٤٠٨.

(٥) (مناقب علي) لابن المغازلي ص ٥٤.

(٦) (تذكرة الحفاظ) للذهبي ج ٢ ص ٥٢٣.

بش ما قلت!... لقد كرهت رجلاً كان رسول الله يغره بالعلم غراً، ولقد قال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup>...

وحديث المنزلة هذا من الأحاديث التي لها أهميتها في فضائل الإمام علي، وتفضيله على كل صحابة رسول الله ﷺ وقربته..

وهو من الوسائل الثبوتية المهمة في الوصاية للإمام.. أو لأهليته لها ليخلف سيد المرسلين..

وقد روى هذا الحديث من قبل مختلف الفقهاء، على اختلاف آرائهم بالوصية والخلافة..

فقد رواه الإمام أحمد (بمسنده)<sup>(٢)</sup> وفي (التهذيب) وفي (الفضائل)<sup>(٣)</sup> عن أحاديث منقولة وبسند صحيح عن ابن عباس، وأسماء بنت عميس، وأبي سعيد الخدري، ومعاوية بن أبي سفيان. وآخرين غيرهم من الصحابة..

أما الطبراني فقد أخرجه بأحاديث مختلفة المصادر في (الكبير) عن:

أسماء بنت عميس، وأم سلمى، وحبيش بن جنادة، وابن عمر، والحسن بن عرفة، وابن ماجة، وأبي يعلى في (مسنده)... وابن أبي عاصم في (السنة).. وابن عباس... وجابر بن سمرة، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب.. وعلي بن أبي طالب..

وكذلك أخرجه البزار في (مسنده)، والترمذي في (صحيحه)، وابن عبد البر في أحوال علي من (الاستيعاب)، وابن أبي عاصم في (السنة)، وابن النجار في (ذيل تاريخ بغداد) والخطيب البغدادي في (تاريخه). والحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية)... وغيرهم.

وقد ذكر حديث المنزلة كل من تعرض لغزوة تبوك من المحدثين، وأهل السير والأخبار.. كما رواه كل من كتب في مناقب أهل البيت وفضائل الصحابة،

(١) (الصواعق المحرقة) لابن حجر العسقلاني ص ١٠٧.

(٢) ج ١ ص ١٧٩.

(٣) ص ٩٥٧.



وكل مَنْ ترجم حياة الإمام علي وسيرته، ومنهم السيوطي في (تاريخ الخلفاء)<sup>(١)</sup> . .

وحديث المنزلة، الذي جاء عن لسان النبي ﷺ . . . كرهه ﷺ في مواقف مختلفة بعد غزوة تبوك عندما استخلفه على المدينة .

فقد أخرج الحسن بن بدر، والحاكم في (الكنى)، والشيرازي في (الألقاب)، أن النبي ﷺ كان مريضاً، فزاره أبو بكر وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح (رض) . . . وخرج ﷺ مستنداً على تلميذه وربيه علي بن أبي طالب، فضرب بيده الكريمة على كتف علي، وقال امام صحابته:

«يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً، وأولهم إسلاماً . . وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» .

وفي حديث آخر عن هذا الحديث، أن رسول الله ﷺ قال لأم سليم، (وهي والدة الصحابي الجليل أنس بن مالك (رض))، ولها مكانتها الكبيرة في الإسلام وبين المسلمين، لاسيما لدى النبي ﷺ . . حيث كان يزورها في بيتها) . . قال لها:

«يا أم سليم أن علياً لحمه من لحمي . . ودمه من دمي . . وهو مني بمنزلة هارون من موسى . .»<sup>(٢)</sup> .

أخرجه الطبراني في (الكبير) من طريق حسن بن حسين العرنبي، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس (رض) .

وفي رواية أخرى كان ذلك الحديث مع (أم سلمى) . . لا مع (أم سليم) . . . وحديث المنزلة ورد عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب<sup>(٣)</sup> أيضاً . . كما ورد عن غالبية الصحابة وكثير من القرابة من آل البيت . .

(١) المراجعات ص ١٤١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٦ .

(٣) (الرياض النضرة) ج ٢ ص ٢٤٤ .

ذكر بشر بن هلال البصري، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن حرب بن شداد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك، خلف علياً في المدينة.. قالوا فيه: مله وكره صحبته!!

فتبع علي النبي ﷺ، حتى لحقه في الطريق، وقال:

«يا رسول الله، خلفتني بالمدينة مع الذراري والنساء، حتى قالوا: مله وكره صحبته!» فقال النبي ﷺ:

«يا علي إنما خلفتك على أهلي.. أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»..

... كان هارون، هو رجل الطقوس الدينية وشعائر الكهنوت في بني إسرائيل.. وكان موسى (ع) هو رسول.. يقوم بأعباء الرسالة.. ومن عجائب التشابه، أن علياً ورث عن رسول الله ﷺ العلم الباطن، وما يتفرع عنه من علوم المعارف الإلهية..

كما تخصص هارون في إقامة شعائر الدين في بني إسرائيل..

أريد أن أقول، أن هارون، كان الرجل الرباني في قومه..

وأن علياً، كان الرجل الرباني في قومه..

حتى في مسار الأحداث.. اختلف بنو إسرائيل على هارون حين خلفه موسى في قومه، فعصوه وعبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري.. وثبت مع هارون فريق، وخرج عليه فريق..

وهو ما حدث لعلي.. حين خلف رسول الله ﷺ خليفة على المسلمين.. خرج عليه فريق منهم، وهم الذين عصوه،.. وثبت معه فريق، وهم الذين أطاعوه<sup>(١)</sup>..

(١) (حياة الإمام علي) محمود شلبي ص ٣٤.. لم يكن هذا الموضوع تكراراً لموضوع (تبوك).. واستخلافه على المدينة) في ذلك سرد تاريخي عرضناه. وفي هذا عرض لمناقشات وآراء موضوعية لذلك التاريخ..

## حديث الراية . . يوم خيبر<sup>(١)</sup> :

أخبرنا زكريا بن يحيى السجزي، قال: أخبرنا نصر بن علي، قال: حدثنا عبد الله بن داود عن عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه . أن سعداً بن أبي وقاص، قال:

قال رسول الله ﷺ :

« لا دفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ويفتح الله بيده»

وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد . . وابن أبي عاصم<sup>(٢)</sup> . . والبيهقي<sup>(٣)</sup> . . أما شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال:

(وهذا الحديث من أحسن ما يُحتج به على النواصب الذين يتبرؤون منه، ولا يتولونه ولا يحبونه، بل قد يكفرونه، ويفسقونه . كالخوارج . .

فإن النبي ﷺ شهد له بأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)<sup>(٤)</sup>  
ذكر الإمام الحافظ النسائي . قال:

أخبرنا أحمد بن سليمان الرَّهاوي، حدثنا عبد الله، أخبرنا ابن أبي ليلى، عن الحكم والمنهال، عن عبيد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه . قال لعلي، وكان يسير معه:

إن الناس قد أنكروا منك شيئاً . . تخرج في البرد بالملاءتين . . وتخرج في الحرفي الخشن والثوب الغليظ!!

فقال: ألم تكن معنا بخيبر؟ . . قال: بلى . . قال:

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر، وعقد له لواء . فرجع . . وبعث عمر،

(١) راجع (من غزوة خيبر . . إلى معركة حنين) من هذا الكتاب تحاشياً للإطالة .

(٢) (السنن) ص ١٣٧٩ .

(٣) (الدلائل) ج ٤ ص ٢٠٧ .

(٤) (المنهاج) لابن تيمية ج ٣ ص ١١ .

وعقد له لواء. فرجع فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار. فأرسل إليّ وأنا أرمد فتفل في عيني، فقال: «اللهم اكفه أذى الحر والبرد...» قال ما وجدت حراً بعد ذلك، ولا برداً»<sup>(١)</sup>.

أخرج مسلم في (صحيحه): أن رسول الله ﷺ أعطى الراية إلى علي يوم خيبر، فقال علي: «يا رسول الله علي ماذا أقاتلهم؟»

فقال له ﷺ: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وإن محمداً رسول الله، فإن فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»<sup>(٢)</sup>

وحديث الراية ورد عن أبي هريرة، على اختلاف أسماء الناقلين، مع تطابق الروايات... ونذكر منهم ما ذكره الإمام الحافظ النسائي في (خصائصه)<sup>(٣)</sup>...

١ - ذكر إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، قال: أخبرنا جرير، عن سهيل، عن أبيه عن (أبي هريرة)، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح عليه...».

قال عمر: فما أحببت الإمارة قط إلا يومئذ... قال: فاستشرفت لها... فدعا علياً فبعثه... ثم قال ﷺ:

«أذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك، ولا تلتفت...».

قال: فمشى ما شاء الله... ثم وقف، ولم يلتفت.

(١) (خصائص أمير المؤمنين) للحافظ النسائي ص ٣٦.

(٢) صحيح مسلم ج ٨ ص ٥١.. أخرجه البخاري، وأبو نعيم في (الحلية) ج ١ ص ٦٢ وفي (دلائل النبوة)... والقطيعي في (زياداته على الفضائل) ١١٢٢... والبيهقي في (الدلائل) ج ٤ ص ٢٠٥. والبخاري في (شرح السنة) ج ١٤ ص ١١١.. كما أخرجه أبو يعلى، والبخاري عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والطبراني في (الصغير) ج ٢ ص ١٠ عن عمرو بن دينار عن جابر. وأخرجه قتبية بن سعيد عن يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم، عن سهل بن سعد... كما أخرجه عبد الله بن أحمد في (زوائده على فضائل الصحابة) والإمام أحمد في (مسنده) وفي (فضائل الصحابة). وابن الجزري في (مناقب علي)، وابن ماجه... وغيرهم.

(٣) ص ٤٣.

فقال: «علام نقاتل الناس يا رسول الله».

قال ﷺ: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فإذا فعلوا ذلك، فقد منعوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله».

٢ - وعن محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي، قال: حدثنا أبو هشام المخزومي. قال: حدثنا وهيب عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن (أبي هريرة)...

٣ - ورواية أخرى مطابقة لما سبقها، ولكن عن طريق قتبية بن سعيد، قال: أخبرنا يعقوب عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن (أبي هريرة)...

٤ - أما أبو الحسين أحمد بن سليمان الرهاوي، قال: حدثنا يعلي بن عبيد، قال: حدثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن (أبي هريرة)، قال: قال رسول الله ﷺ: «لأدفعن الراية اليوم إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، فتناول القوم، فقال: أين علي بن أبي طالب؟.. فقالوا: يشتكي عينيه، قال: فبصق نبي الله في كفيه، ومسح بهما عيني علي، ودفع إليه الراية.. ففتح الله على يديه..

أما الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، قال بعد أن جمع الناس لما قتل أبوه، وهو معتم بعمامة سوداء:

(لقد كان قتلتهم بالأمس رجلاً ما سبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون، وإن رسول الله ﷺ قال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ويقاتل جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ثم لا ترد رايته حتى يفتح الله عليه..» ما ترك ديناراً، ولا درهماً، إلا تسعمائة أخذها عياله من عطاء كان أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله...).

ذكر هذا الحديث إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، عن النضر بن شميل، قال: أخبرنا يونس، عن أبي إسحاق عن هبيرة بن يريم<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (المسند) ص ١٧١٩ وفي (مناقب الصحابة) ص ١٠١٤ وفي (الزهد) ص ١٣٣ كما أخرجه ابن حبان. والشجري في (الأمالي) ج ١ ص ١٤٢... وغيرهم.

## لم يؤمر عليه أحد.. ولم يسد بابه.. وخبر المناجاة

قال رسول الله ﷺ للإمام علي:

«إني أمرت أن أدينك ، ولا أقصيك . الخ» كما ذكر ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره للآية ١٢ من سورة الحاقة: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ ..

كان النبي ﷺ يقرب ربيبه علياً بن أبي طالب، ويفضله على كل صحابته وقرابته .. لم يؤمر عليه أحداً من المسلمين .. ولم يجعله تحت قيادة أحد .. ولم يكن مأموراً، ولا تابعاً لغير رسول الله ﷺ طيلة حياته ..

فكان ﷺ يوليه القيادات، ويجعله على رأس جيش المسلمين .. كما كانت له الإمرة على غيره من القادة والشجعان ..

وعلي بن أبي طالب كان حاملاً للواء المسلمين في كل معركة وفي كل فتح وزحف ..

لقد أمر النبي ﷺ على غيره من الصحابة الأوائل .. مثل أبي بكر، وعمر بن الخطاب (رض) أمرٌ غيرهما عليهما ..

ففي غزوة (مؤتة) عبأ الرسول ﷺ جيشاً بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة لغزو الروم في الشام، وعمره أقل من عشرين عاماً .. وكان تحت قيادته من الصحابة من هم أكبر منه سناً، نحو أبي بكر وعمر وقتادة بن النعمان، وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم .. سوى علي بن أبي طالب، الذي لم يكن من بين جند (أسامة) .. كما لم يكن تحت قيادة أحد من المسلمين مطلقاً .. (وقد مر هذا ذكره) ..

كما أن أبا بكر وعمر (رض) جعلهما رسول الله ﷺ من أجناد عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل ..

وهذا ما أخرجه الحاكم<sup>(١)</sup> . . وابن سعد في طبقاته . . وذكر ذلك كل مَنْ ذكر غزوة (ذات السلاسل) كالسيرة الحلبية مثلاً . .

وورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل (رض)، قال:  
بعث رسول الله ﷺ بعثين إلى اليمن . . على أحدهما علي بن أبي طالب . .  
وعلى الآخر خالد بن الوليد . .  
فقال ﷺ: إذا التقيتم، فعلي بن أبي طالب على الناس . . وإن افرقتم فكل واحد منكما جنده<sup>(٢)</sup> . . .

### سد أبواب المسجد . . إلا باب علي:

ومن فضائل الإمام علي (ع) المشهودة له . . والتي يعتبرها الفقهاء دليلاً آخر من دلائل الوصاية له أو به . .

خبر قيام رسول الله ﷺ بسد الأبواب التي تصل إلى المسجد النبوي الشريف كلها، ما عدا باب علي، استثناء من أمر غلق الأبواب، وأمر بتركها مفتوحة له أنى شاء دخولها دون غيرها من الأبواب . . ودون غيره من الصحابة . .

قال الإمام علي كرم الله وجهه، وهو يُشهد الناس على ذلك:

«أتقرون أن رسول الله ﷺ اشترى موضع مسجده ومنازله فابتناه، ثم بنى عشرة منازل، تسعة له، وجعل لي عاشرها في وسطها . . وسدَّ كل باب شارع إلى المسجد غير بأبي . . فتكلم في ذلك مَنْ تكلم» . .  
فقال ﷺ:

«ما أنا سدّدت أبوابكم وفتحت بابه . . ولكن الله أمرني بسد أبوابكم،  
وفتح بابه» . .

قالوا: اللهم نعم . .

(١) (المستدرک) للحاکم ج ٣ ص ٤٣ .

(٢) (المراجعات) ص ١٥٧ .

وقد ذكر الإمام علي ذلك، حينما تفاخرت الأنصار وقريش بأمجادها.. فاحتج عليهم بأنهم نالوا تلك المفاخر والأفضال بالنبي ﷺ.. وهو أخوه وربيه وأحق الناس به حياً أو ميتاً<sup>(١)</sup>...

... عن عامر بن وائلة، قال:

كنت مع علي يوم الشورى.. فسمعت علياً يقول لهم:

«أحتجن عليكم بما لا يستطيع عربكم، ولا عجمكم تغيير ذلك».. ثم قال: «أنشدكم الله، هل فيكم أحد وحَّد الله قبلي».. ثم قال:

«وأنشدكم الله، أتعلمون إنه ﷺ أمر بسد أبوابكم، وفتح بابي.. فقلت في ذلك» فقال رسول الله ﷺ:

«ما أنا سدوت أبوابكم ولا فتحت بابي... بل الله سبحانه وتعالى»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن عباس (رض)، قال:

حين طعن عمر بن الخطاب (رض)، دخل عليه علي بن أبي طالب.. فكان بينهما حديث.. فقال عمر (رض):

(إن رسول الله ﷺ المخصوص بسكنى المسجد.. وإن علياً أولى الناس به..)<sup>(٣)</sup>.

ذكر الأمام أحمد بن حنبل (رض):

.. كانت لجماعة من الصحابة أبواب شارع في مسجد الرسول ﷺ،

---

(١) (السقيفة) سليم بن قيس ص ١٠١.  
(٢) (بناييع المودة) للحنفي ص ٩٩، و(كنز العمال) ج ١٢ ص ٢٠٠، وابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص ٤٦، والمحب الطبري في (ذخائر العقبى) ص ٧٦، و(الرياض النضرة) ج ٢ ص ١٩٢، والترمذي في (صحيحه) ج ٢ ص ٣٠١، الإمام أحمد في (مسنده) ج ١ ص ١٧٥، ابن حجر في (صواعقه) ص ٧٦، و(مستدرک الصحيحين) ج ٣ ص ١٢٥.  
(٣) (المسترشد) لابن رستم ص ٦٨.



فقال ﷺ: «سدوا كل باب في المسجد، إلا باب علي». . . حتى بلغ رسول الله ﷺ ما قالوا في ذلك. . . فقام فيهم، فقال:

«إن قوماً قالوا في سد الأبواب، وتركوا باب علي. إني ما سددت ولا فتحت ولكني أمرتُ بأمر فاتبعته»<sup>(١)</sup>.

وحديث سد الأبواب، وفتح بابه. . . ذكره الإمام الحافظ النسائي في (الخصائص). . . وابن الجوزي في (تذكرة الخواص). . . والنيسابوري في (المستدرک). . . والطبري في (الرياض النضرة). . . وابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية). . . والإمام أحمد بن حنبل في (المسند). . . وابن أبي الحديد المعتزلي في (شرح نهج البلاغة). . . والقندوزي في (ينابيع المودة). . . وابن حجر العسقلاني في (الصواعق المحرقة). . . والهيثمي في (مجمع الزوائد). . . والشافعي البيهقي في (السنن الكبرى). . . والعلامة الإمام السيوطي في (الحاوي للفتاوي)، وفي (تاريخ الخلفاء). . . والترمذي في (صحيحه). . . وأبو نعيم في (حلية الأولياء). . . وغيرهم

لم يكتب رسول الله ﷺ بفتح بابه المؤدي إلى المسجد النبوي الشريف. . . وسد أبواب غيره. . .

بل أحلَّ للإمام علي أن يجنب فيه في نومه إن نام فيه. . . كما أورد ذلك ابن حجر العسقلاني في (صواعقه المحرقة). . . فقال:

قال الرسول ﷺ لعلي:

«يا علي، لا يحل لأحد أن يجنب في المسجد غيري وغيرك. . .».

وقد روى هذا الحديث الطبري عن أم سلمى. . . والبخاري عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ الذي أمر بسد أبواب الصحابة من المسجد تنزيهاً له عن الجنب والجنابة لكنه أبقى باب علي. . . وأباح له عن الله تعالى أن يجنب في المسجد في نومه. . .

(١) (حجج النهج) للدكتور سعيد السامرائي ص ٢٠٢.

ذكر محمد بن المثنى، عن يحيى بن حماد، عن الوضاح، قال: أخبرنا يحيى، حدثنا عمرو بن ميمون، قال: قال ابن عباس (رض):

(وسد رسول الله ﷺ أبواب المسجد غير باب علي، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره...) (١).

كما ذكر ذلك أيضاً عبد الله بن شريك، عن عبد الله بن الرقيم، عن سعد بن أبي وقاص، قال: إن العباس (رض) أتى النبي ﷺ، فقال: سددت أبوابنا إلا باب علي!! فقال ﷺ:

«ما أنا فتحتها، ولا أنا سدتها...».

وأيد ذلك أيضاً زكريا بن يحيى السجزي، قال: حدثنا عبد الله بن عمر... وكذلك محمد بن وهب بن أبي كريمة الحراني، عن مسكين، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس (رض) (٢).

#### ... والمناجاة:

وعن خبر المناجاة... روى الإمام أحمد بن حنبل (رض) في مسنده عن جابر الأنصاري، أن النبي ﷺ دعا علياً (ع) في يوم الطائف... فانتجاه، وأطال نجواه... حتى كره قوم من الصحابة ذلك.

فقال قائل منهم: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه!!

فبلغه عليه الصلاة والسلام ذلك، فجمع منهم قوماً، ثم قال ﷺ:

«إن قائلاً قال: لقد أطال نجوى ابن عمه. أما إني ما أنتجيت، ولكن

الله إنتجاه».

رواه أبو بكر البغدادي في (تاريخ بغداد). والطبري في (الرياض النضرة)

(١) (خصائص علي بن أبي طالب) الإمام الحافظ النسائي ص ٥٩.. الترمذي في (صحيحه) ج ٢ ص ٣١٠... البيهقي في (سننه) ج ٧ ص ٦٥.. البخاري في (شرحه) ج ٨ ص ١٦... (كثير العمال) ج ٦ ص ١٥٩.. الهيثمي في (مجمعه) ج ٩ ص ١١٥.

(٢) أخرجه الترمذي. وابن عدي في (الكامل).

وفي (تفسيره) وفي (ذخائر العقبى). والجوزي في (تذكرة الخواص). وابن كثير في (البداية والنهاية). وابن المغازلي في (المناقب). وابن الأثير في (أسد الغابة). والترمذي في (صحيحه). والعلامة ابن أبي الحديد المعتزلي في (شرح نهج البلاغة). والعلامة الحسكاني في (شواهد التنزيل). وابن عساكر في (تاريخ دمشق). والمتقي الهندي في (كنز العمال). والخوارزمي في (المناقب). وسليمان القندوزي في (ينابيع المودة). والعلامة الكنجي في (كفاية الطالب وغيرهم<sup>(١)</sup>).

وعن أبي زُرعة بن عمرو بن جرير.. عن عبد الله بن نُجَيبٍ، سمع علياً يقول:

«كنتُ أدخل على نبي الله ﷺ، فإن كان يصلي سَبَّحَ فدخلتُ.. وإن لم يكن يصلي أَدْنَى لي فدخلتُ»..

أخرجه الإمام أحمد بن حنبل. والمصنف في (السنن). وابن ماجه. وابن خزيمة<sup>(٢)</sup>.

قال عز من قائل في محكم كتابه الكريم:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جَمْعِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة المجادلة، الآية: ١٢].

أورد الطبري في (تفسيره) لهذه الآية، إن الله سبحانه وتعالى نهى المسلمين عن مناجاة رسول الله ﷺ حتى يتصدقوا.. فلم يناجِه إلا علي بن أبي طالب، قدم ديناراً فتصدق به.. ثم نزلت الرُّخصة في ذلك ونُسِخَتْ.

(١) (ملاحح شخصية الإمام علي) عبد الرسول عبد الغفار ص ١١٢.

(٢) النسائي في (خصائصه) ص ١١٠.

## أداءه عن النبي ﷺ البراءة



في موسم الحج . . وعلى وجه التحديد أول ذي الحجة من السنة التاسعة للهجرة . . أوفد الصادق الأمين محمد ﷺ صاحبه أبو بكر الصديق (رض) على رأس بعثة إسلامية إلى مكة المكرمة التي كان يحجها كثير من المشركين إلى جانب المسلمين . .

يأتي المشركون إلى الكعبة المشرفة يطوفون بها . . ويتقربون إلى الكهنة فيها ورجال دياناتهم، ليقدموا لهم الذورات والقرايين، في داخل البيت الحرام ومنهم عراة دون غطاء . . إلى أن نزلت الآية الكريمة:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٢٨]

فأرسل النبي ﷺ بعثة الحج تلك يرأسها أبو بكر الصديق (رض)، ليتلو على المسلمين في مكة المكرمة (البراءة)، وذلك لتحقيق جملة أغراض منها:

- ١ - تأكيد سيادة الدين الإسلامي والمسلمين على مكة بصورة عامة، وعلى بيت الله الحرام بصورة خاصة . .

- ٢ - تعريف المسلمين بالكيفية التي يؤدي بها المسلم مناسك الحج في كل عام من موسم الحج . .

- ٣ - إنذار واضح وشديد للمشركين بعدم السماح لهم بدخول بيت الله الحرام، اعتباراً من العام القادم، وحتى يشهروا إسلامهم . . .

لذا يتوجب على كهنتهم أن يرحلوا من هذا البيت، ويحملوا معهم ما بقي لهم من رموز وطقوس فيه . .

٤ - إعلام للمسلمين بأن بيت الله لا يعمره، ولا يديمه إلا المسلمون..  
تطبيقاً لقوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ  
أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٧].  
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ  
وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة  
التوبة، الآية: ١٨].

٥ - كان النبي ﷺ يرمي من تلاوة ما ورد في سورة التوبة من براءة، إعلام  
المشركين أن ما بينهم وبين المسلمين من معاهدات غير محدودة الزمن منتهية..  
وإن ما بينهما من اتفاقيات، أو معاهدات محدودة الزمن، ووقتيه بمدتها،  
فهي قائمة يحترمها المسلمون، إلا إذا أخل المشركون بها..  
إلا أن رسول الله ﷺ وبعد أن أوفد صاحبه الصديق (رض) ليتلو (البراءة)  
جاءه جبريل يحمل معه أمر ربه سبحانه وتعالى:  
(أن لا يؤديها عنك إلا أنت أو رجل منك..).

فأوفد النبي ﷺ ابن عمه علياً بن أبي طالب، تنفيذاً لأمره سبحانه وتعالى  
إلى مكة المكرمة ليتلو على الحجيج البراءة بدلاً من أبي بكر (رض)..  
يقول جابر الأنصاري الذي كان في بعثة الحج مع أبي بكر:  
كدنا نصل مكة حتى استوقفنا رغبة ناقة رسول الله ﷺ... فإذا عليها  
علي. فقال له أبو بكر: جئت أميراً، أم رسولاً؟  
أجابه علي (ع):

«بل أرسلني رسول الله ﷺ براءة أقرأها على الناس يوم الحج»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح الترمذي ج ٢ ص ١٨٣. النسائي في خصائصه ص ٢٠. والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣  
ص ٢٨٣. والدر المنثور للسيوطي. تفسير ابن جرير الطبري ج ١٠ ص ٤٦. كنز العمال ج ١  
ص ٢٤٦.

وانسحب أبو بكر الصديق (رض) من مهمته التي أمره بها رسول الله ﷺ ،  
بناء على أمره بتقديم الإمام علي بن أبي طالب عليه لتنفيذ تلك المهمة الجليلة  
الصعبة، التي ستبدل أكثر العلاقات بين المسلمين والمشركين، وستغير كل  
الموازين بينها. . بل وستزلزل أرض الجزيرة العربية التي اعتاد أهلها على الطواف  
بالكعبة كل عام وتقديم الأضاحي والندورات لكهنتها!

تلك الرسالة سوف تطالب المسلمين بتوسيع سيطرتهم في سبيل الله سبحانه  
وتعالى، ونشر دينهم على عموم الجزيرة العربية. . وكذلك القضاء على الشرك  
والمشركين. .

وتلا علي كرم الله وجهه على الناس أجمعين، مسلمين وغير مسلمين. . ما  
أمره الصادق الأمين ﷺ بتلاوته:

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ  
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ  
تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَنَشِرِ الَّذِينَ  
كَفَرُوا بِعَذَابٍ آَلِيمٍ﴾ [سورة التوبة، الآيات: ١ - ٣].

ثم:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ  
الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ  
إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٢٨].

... وبعد أن أنهى الإمام ما تلاه بلغ بقية الرسالة إلى الحجاج من

المسلمين:

(إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف

بالبیت حریان)...

ثم عاد إلى المدينة بعد أداءه فريضة الحج ومراسيمها. .

وعلم المشركون أن في تلك الرسالة رسالة لهم . . أن لا شرك ولا إشراك في الجزيرة العربية . .

بل يجب أن يسود الدين الإسلامي تحت شعار (لا إله إلا الله) فيها، دون أن يشرك في الله مشرك . .

عن عبد الله بن عباس، حبر الأمة (رض) قال:

بعث ببراءة مع أبي بكر (رض)، ثم بعث علياً ليأخذها منه . .

فجاء أبو بكر (رض) للنبي ﷺ، فقال:

يا رسول الله هل نزل في شيء!! . . قال ﷺ:

«لا يؤدي عني غيري، أو رجل من أهل بيتي»<sup>(١)</sup> . . . وفي رواية

أخرى: «لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني» . . .

وهكذا أرسل رسول الله ﷺ علياً ليتولى بنفسه إبلاغ، البراءة إلى المشركين نيابة عنه، لكونه ابن عمه ومن عصبته<sup>(٢)</sup> .

وذكر (الصدوق) أن ابن عمر بن الخطاب (رض)، ذكر إرسال النبي ﷺ لعلي بتلاوة براءة، وشهد لعلي بهذه الفضيلة التي حسبها من فضائله<sup>(٣)</sup> . .

وقد أورد (الترمذي) في صحيحه<sup>(٤)</sup>، الحديث عن تلاوة البراءة . . وكذلك الإمام أحمد بن حنبل في مسنده<sup>(٥)</sup> . . وفي مستدرک الحاكم<sup>(٦)</sup> أيضاً وورد في كتاب (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) للإمام الحافظ النقاد أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ذكر لقول رسول الله ﷺ:

(١) البلاذري في (أنساب الإشراف) ج ١ ص ٢٨٣.

(٢) (البداية والنهاية في التاريخ) ٢ ص ٣٧.

(٣) علل الشرائع ج ١ ص ١٨٩.

(٤) ج ٤ ص ٣٣٩.

(٥) ج ٢ ص ٣١٩.

(٦) ج ٣ ص ٥١ (مستدرک الصحيحين).

«... لا يؤدي عني إلا أنا ورجل مني» وروايات مختلفة المصادر منها:

عن محمد بن بشار، عن عفان وعبد الصمد، قالوا: حدثنا حماد بن سلمة، عن سماك بن حرب، عن أنس بن مالك، قال:

بعث النبي ﷺ سورة براءة مع أبي بكر، ثم دعاه، فقال:

«لا ينبغي أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي».. فدعا علياً، فأعطاه إياها..

ويسند النسائي هذه الرواية إلى الإمام أحمد بن حنبل في (فضائل الصحابة) وفي (الفضائل).. وأخرجه أبو الحسين الصيداوي في (معجم شيوخه).. وكذلك الترمذي..

وفي رواية أخرى أوردها عن إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، قال:

قرأت علي أبي قرّة موسى بن طارق، عن ابن جريج:

حدثني عبد الله بن خثيم، عن أبي الزبير، عن جابر:

أن النبي ﷺ حين رجع من عمرة (الجعرانة) بعث أبا بكر على الحج، فأقبلنا معه، حتى إذا كنا بالعرج، ثوب بالصبح.. فلما استوى للتكبير، سمع الرغوة خلف ظهره.. فوقف عن التكبير، فقال:

(هذه رغوة ناقة رسول الله ﷺ «الجدعاء» لقد بدا لرسول الله ﷺ في

الحج، فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلي معه).

فإذا علي (رض) عليها، فقال له أبو بكر:

أمير أم رسول؟ قال:

«لا، بل رسول أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة أقرؤها على الناس في

مواقف الحج»

فقدما مكة.. فلما كان قبل التروية بيوم، قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم

عن مناسكهم، حتى إذا فرغ، قام علي (رض) فقرأ على الناس براءة حتى



ختمها . . فلما كان النفر الأول، قام أبو بكر، فخطب الناس، فحدثهم كيف  
(يَنْفِرُونَ) أو كيف يرمون، فعلمهم مناسكهم . .

فلما فرغ قام علي (رض) فقرأ على الناس براءة حتى ختمها . .  
وفي رواية ثالثة، قال فيها:

أخبرنا العباس بن محمد الدوري، قال: حدثنا أبو نوح قراد عن يونس بن  
أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يثيع، عن علي (رض):  
أن رسول الله ﷺ، بعث ببراءة إلى أهل مكة مع أبي بكر، ثم أتبعه بعلي،  
فقال له: (خذ الكتاب فامضى به إلى أهل مكة) . . قال:

فلحقه فأخذ الكتاب منه، فانصرف أبو بكر وهو كئيب . . فقال  
لرسول الله ﷺ:

أنزل في شيء؟ قال:

«لا، إلا إني أمرت أن أبلغه أنا أو رجل من أهل بيتي»<sup>(١)</sup>.

---

(١) وتلك الرواية يسندها الإمام النسائي إلى الدارقطني، ويعقوب بن شيبة، والترمذي، والإمام  
أحمد بن حنبل، والبلاذري.



## وصية الغدير، وآية الولاية<sup>(١)</sup>

واقعة يوم الغدير . . . وحديث الرسول الأعظم ﷺ فيها، من الوقائع الرئيسة التي يستند إليها المسلمون من الشيعة في إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب (ع) . . . وكذلك حديث النبي ﷺ عند غدير خم الذي يبعد في موقعه عن منطقة (الجحفة) بناحية (رابغ) مسافة لا تزيد عن ثلاثة أميال . . . والتي تتفرق منها طرق عديدة لمدن عدة . . . وهو مكان لا يصلح للنزول لعدم وجود الماء والمرعى . . . ومع ذلك توقف النبي ﷺ ومن معه في ذلك المكان القافر الشديد الحرارة .

خطبة رسول الله ﷺ يوم الغدير التي طلب فيها من المسلمين أن يوالوا الإمام علياً . . . فدعا لمن يواليه . . . كما دعا على من يعاديه . . .

تلك الخطبة التي أجمع عليها كل فقهاء المسلمين والمؤرخين، ورواة الحديث على اختلاف مذاهبهم، فذكروها بالإجماع . . .

واتفقوا على ما جاء بها، لا سيما ذكر علي بن أبي طالب فيها، وإنه كان هو المقصود بتلك الخطبة دون غيره . . . أي أنهم اتفقوا عليها، وعليه .

ولم يذكر أي واحد من المسلمين أن الخطبة جاءت في غير علي (ع) . . . ولا في أي أحد من صحابة رسول الله ﷺ . . . . .

نعم اتفقوا على نقطتين مهمتين حول الخطبة عند غدير خم:

١ - إنها جاءت في حق علي بن أبي طالب . . . سواء كانت وصية له، أم وصية به .

(١) هذا الموضوع لم يكن تكراراً لموضوع (من كنت مولاه . . .) في الفصل الرابع . . . وإنما هو مكمل له .

٢ - لم يكن لأي أحد من الصحابة له ذكر فيها إلا علي . . فلا وصية لغيره ،  
أو وصية بغيره . .

لكنهم اختلفوا في تفسير خطبة النبي ﷺ . . . . هل هي جاءت بالوصية نصاً  
للإمام علي ليخلف رسول الله ﷺ بعده في خلافة المسلمين ، وإدارة شؤونهم !  
أم هي وصية به للحفاظ على موقعه الذي كان به في حياة النبي ﷺ ،  
ولتكون له المكانة الكبيرة مستمرة ومحفوظة لدى المسلمين بعد حياته !  
جاء في خطبة الرسول الأعظم ﷺ عند غدیر خم بعد أن أخذ بيد علي بن  
أبي طالب رافعاً إياها إلى الأعلى :

«مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ  
وَانصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذِلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَأَدْرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ» .

أخرج هذا الحديث ، وتلك الخطبة كل رواية الحديث ، والفقهاء ، وأجمع  
عليها المسلمون (ولا حاجة لنا بذكرهم مرة أخرى بعد أن ذكرناهم تفصيلاً في  
الفصل الرابع «إشكالية الخلافة بعد النبي ﷺ» في موضوع «من كنت مولاه فهذا  
علي مولاه . .» لذا أرجو من القارئ الكريم العودة له ليكون موضوعنا هذا مكتملاً  
له . .).

يقول سيد الكائنات محمد ﷺ (من كنت مولاه . .) وعني بها مَنْ كان يدين  
للنبي ﷺ بالولاية ، ويؤمن بولايته ويلتزم بها ، ويطيعه فيما يأمرهم بإذن الله تعالى ،  
لأن إطاعة النبي ﷺ أوجبها على المسلمين رب العالمين سبحانه وتعالى . .

فهي فريضة من فرائض الإسلام التي أوجبت حب نبيهم . . وحب من حب  
الله . . ذلك لأن مَنْ أحب النبي ، فقد أحب الله . .

إذن أوجب سبحانه وتعالى موالاة النبي ﷺ وطاعته وحبه . . وإلا فلا يكون  
المسلم مسلماً بغيرها . .

وقد جعل الله تعالى لنبيه الموقع الأول ، والمكانة المتقدمة . . وأولاه قيادة  
المسلمين عامة والولاية عليهم . .

ثم في قول رسول الله ﷺ في خطبته ، يقول : ( . . . فهذا علي مولاه).

ينتج من قوله ﷺ ذلك، إنه جعل للإمام علي المقام الذي جعله الله له . . حيث أعطى النبي ﷺ لعلي ما أعطاه الله لمحمد ﷺ ، وبأمر من الله سبحانه وتعالى . . نعم قصد الرسول ﷺ في قوله هذا أن يكون للإمام علي بعده، نفس الموقع الذي كان هو فيه من قيادة للمسلمين وولايته عليهم . . فجعله بموقعه بعد موته . . وبمكانته بعد وفاته . وأمر المسلمين جميعاً أن يعقدوا له الولاية والطاعة، كما كانوا يوالونه ويطيعونه . . ودعا ربه أن ينصر مَنْ يواليه، ويطيعه وينصره . . ويعاد مَنْ يحاربه ويعاديه ويخذه ولا ينصره . .

ذلك لأن النبي ﷺ كان دائماً يضع علياً في منزلته منه . . ويكرر قوله له : « . . إنه ليس أحد أحق منك بمقامي لقدمك في الإسلام، وقربك مني، وصهرك وعندك سيدة نساء العالمين . وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن، فأنا حريص على أن أراعي ذلك لولده . . »<sup>(١)</sup>

كما قال ﷺ لعلي بن أبي طالب :

«أخصمك يا علي بالنبوة، فلا نبوة بعدي . . »<sup>(٢)</sup>

وقال رسول الله ﷺ :

«لكل نبي وصي، وأنا وصي علي بن أبي طالب . . »<sup>(٣)</sup> . وقال ﷺ :

«أنا خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء»<sup>(٤)</sup> .

وعن أم المؤمنين أم سلمى (رض)، قالت : قال رسول الله ﷺ :

(١) رواه أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره للقرآن الكريم .  
(٢) رواه الإمام أحمد بن حنبل (رض) في مسنده .  
(٣) رواه ابن عساکر في تاريخه ج ٣ ص ٥٠ . والخوارزمي في مناقبه ص ٤٢ . وورد في ينابيع المودة ص ٧٩ .  
(٤) المصادر السابقة . ذخائر العقبى .

«إن الله اختار لكل نبي وصياً، وعلي وصي في عترتي وأهل بيتي وأمتي بعدي»<sup>(١)</sup>.

تلك الأحاديث والأقوال الشريفة لسيد المخلوقات ﷺ . . لم يخص بها أحداً من الصحابة والقراة . . غير علي بن أبي طالب الذي عقد له، اجتماع (خم) . . ودعى في خطبته المسلمين مولاته . . بل وجعله في مكانته وموقعه منهم . . ذلك للخصائص التي أنعم الله بها عليه . . فقول الرسول ﷺ :  
«من كنت مولاه فهذا علي مولاه» أراد به ﷺ :  
«من كنت أملك طاعته فعلي يملك طاعته . .»<sup>(٢)</sup>.

إذن فلا تفسير لغير تفسير الوصاية والولاية له بأمر من الله تعالى، واستناداً لقوله: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» .

ذكر اليعقوبي حديث الغدير . . . حيث سماه (يوم النص على علي بن أبي طالب) . . ويقصد النص على خلافة علي من بعده<sup>(٣)</sup> .

وعن عامر بن أبي ليلى بن ضمرة، وحذيفة بن أسيد، قالوا:  
(بعد حجة الوداع التي حجها النبي ﷺ والتي لم يحج بعدها، انصرف إلى الناس وذلك يوم غدير خم، وخم من الجحفة، وله بها مسجد معروف، فقال:

«أيها الناس إنه قد نبأني اللطيف الخبير أن ادعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، هل بلغت، فما أنتم قائلون؟» .

قالوا: نقول قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً .

قال: «ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإن جنته حق، وإن ناره حق، والبعث بعد الموت حق!» .

قالوا: بلى نشهد . . وقال ﷺ : اللهم اشهد . . ثم قال ﷺ : «أيها الناس

(١) الموفق بن أحمد الحنفي في مناقبه . الحموريني الشافعي في فرائد السمطين . . وأحمد بن حنبل في مسند . . والثعلبي أبو إسحاق في الكشف والبيان .

(٢) (معاني الأخبار) للصدوق ص ٧٤ .

(٣) اليعقوبي في (تاريخه) ج ٢ ص ٣٢ .

ألا تسمعون، ألا فإن الله مولاي، وأنا أولى بكم من أنفسكم.. ألا ومن كنت مولاه فهذا مولاه..» وأخذ بيد علي فرفعها حتى عرفه القوم أجمعون. ثم قال ﷺ: «اللهم والٍ من والاه، وعادٍ من عاداه..»<sup>(١)</sup>.

أخرجه ابن عقدة<sup>(٢)</sup> في الموالاتة من طريق عبد الله بن سنان عن أبي الطفيل..

روى أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره:

(إن سفيان بن عُيينة سئل عن قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعِ﴾ [سورة المعارج، الآية: ١] فيمن نزلت، فقال للسائل:

سألني عن مسألة ما سألتني أحد قبلك.. وقال:

حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام: إن رسول الله ﷺ لما كان بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا.. فأخذ بيد علي رضي الله عنه، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه».. فشاع ذلك وطار في البلاد..

فبلغ ذلك (الحارث بن النعمان الفهري)، فأتى رسول الله ﷺ على ناقه، فنزل بالأبطح عن ناقته، وأناخها.. فقال:

يا محمد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وإنك رسول الله، فقبلناه منك.. وأمرتنا أن نصلي خمساً، فقبلناه منك.. وأمرتنا بالزكاة، فقبلنا.. وأمرتنا أن نصوم شهراً، فقبلنا.. وأمرتنا بالحج، فقبلنا..

ثم لم ترضى بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا، وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه.. فهذا شيء منك أم من الله عز وجل؟

فقال له النبي ﷺ: «والذي لا إله إلا هو أن هذا من الله عز وجل وليس مني.. وقالها ثلاثاً..».

(١) ينابيع المودة ص ٣٨.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي.. كان حافظاً للحديث، وكان يقول: أحفظ مائة ألف حديث. وله عدة كتب، منها الولاية. وهو من روى غدير خم. ولد في الكوفة سنة ٢٥٠هـ وتوفي فيها سنة ٣٣٢هـ.

فنهض الحارث ورفس راحلته، وقال:

اللهم إن كان هذا صحيحاً، فأنزل علينا عذاباً أليماً!!

وعندما سمع الرسول ﷺ ذلك دعا عليه، فأمرت السماء عليه حجراً أهلكته.. ونزلت الآية الكريمة: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ذكر ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة<sup>(٢)</sup>، وقال:

(ذكروا أن رجلاً من همدان يقال له «برد» قدم على معاوية بن أبي سفيان،

فسمع عمرو بن العاص يقع في علي بن أبي طالب.. فقال:

يا عمرو إن أشياخنا سمعوا رسول الله ﷺ يقول: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِي

مَوْلَاهُ.. أَحَقُّ ذَلِكَ، أَمْ لَا؟

فقال عمرو بن العاص:

حق، وأنا أزيدك أنه ليس أحد من صحابة رسول الله ﷺ له مناقب مثل

مناقب علي بن أبي طالب..

ففزع الفتى.. ورجع إلى قومه، فقال:

(إنا أتينا قوماً أخذنا الحججة عليهم من أفواههم، علي على الحق فاتبعوه).

وروى فقهاء الشيعة عن جعفر بن محمد الصادق، أنه قال:

(أوصى الله نبيه وأمره أن ينصب لهم علياً إماماً يقتدون به من بعده، فخشي

رسول الله ﷺ أن يقول الناس أنه حابي ابن عمه.. فأوحى الله إليه:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ

وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦٧]...

(١) (جواهر العقدين) - إصدار وزارة الأوقاف العراقية ص ٩٨٧.. تفسير الثعلبي في السورة المذكورة..

تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٢٧٨.. السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٥.. وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٣٧.

(٢) ج ١ ص ١٢٩.

فقام يوم الغدير، فنصب لهم علياً، وقال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ..» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣] فطاعة علي (ع) آخر فريضة نزلت من فرائض الإسلام<sup>(١)</sup>..

وذكر الشيخ المفيد: (أن رسول الله ﷺ أوجب لعلي فرض طاعته على الخلائق واختصاصه بخلافته، ودعا إلى اتباعه، والنهي عن مخالفته، والدعاء لمن اقتدى به وقام لنصرته، والدعاء على مَنْ خالفه، واللعن على مَنْ بارزه بعداوته..)<sup>(٢)</sup>.

وأورد الشريف المرتضى عن حديث الغدير، على أنه من النصوص الجليلة على خلافة علي بن أبي طالب (ع)<sup>(٣)</sup>..  
ويقول العلامة الطبرسي:

(إن خبر الغدير رواه الشيعي، وغير الشيعي، وتلقته الأمة بالقبول على اختلافها في النحل وتباينها في المذاهب، وإن كانوا اختلفوا في تأويله..  
ويقول إن النبي ﷺ قرر لأمة في ذلك المقام على فرض طاعته، فقال ﷺ: «ألسنت أولى بكم من أنفسكم!» فلما أجابوه بالاعتراف رفع أمير المؤمنين علي، وقال عاطفاً على ما تقدم: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ»..

ثم يقول: وإذا كان النبي ﷺ أولى بالخلق من أنفسهم، حيث كان مفترض الطاعة عليهم وأحق بتدبيرهم وأمرهم ونهيهم بلا خلاف. وجب أن يكون ما أوجه لأمير المؤمنين فيكون أولى بالمؤمنين من حيث إطاعته مفترضة عليهم، وأمره ونهيه مما يجب نفوذه فيهم وفرض الطاعة محقق بالتدبير، ومن هذا الوجه لا يكون إلا

(١) الرازي في (الزينة) ص ٢٠٢.

(٢) (الإرشاد) للشيخ المفيد ص ٩٥.

(٣) (الشافعي) للمرتضى ص ٨٥.



النبي أو الإمام . . فإذا لم يكن نبياً، وجب أن يكون إماماً . . (١).

وعن جعفر بن محمد الصادق، قال:

(نعطي حقوق الناس بشهادة شاهدين، وما أعطي أمير المؤمنين علي حقه  
بشهادة عشرة آلاف نفس!!).

وذكر سبط ابن الجوزي:

(إن المراد من الحديث الطاعة المحضة المخصوصة، ومعنى ذلك مَنْ كُنْتُ  
أولى به من نفسه، فعلي أولى به).

ويفسر قوله ﷺ «أست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، فيقول:

(هذا نص صريح في إثبات إمامته وقبول طاعته . .) (٢).

كما أنه يروي حديث الغدير عن زيد بن أرقم، وعن أبي هريرة، والبراء بن  
عازب . . ويذكر اتفاق علماء التاريخ والحديث والسير على أن خطبة الغدير، كانت  
بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع . . حيث جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين  
ألفاً ممن كانوا يسكنوا مكة والمدينة وما حولهما.

## الإجماع على اجتماع الغدير:

. . من هنا نجد أن واقعة الغدير، واجتماع الحجيج العائد بقيادة النبي ﷺ  
وخطبته في ذلك الملاء العظيم من المسلمين . . أجمع عليه رواية التاريخ، وأثبتتها  
المصادر التاريخية على اختلاف مللها ونحلها، عن صحابة رسول الله ﷺ الذين  
شهدوا معه ذلك الحدث العظيم . .

وقد أعطت مؤلفات ومصادر الشيعة أهمية كبرى في النص على خلافة الإمام  
علي كرم الله وجهه من خلال حادث وحديث الغدير . . .

لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب يوم الغدير، استأذن الشاعر

(١) (أعلام الورى بأعلام الهدى) للطبرسي ص ١٦٩.

(٢) (تذكرة الخواص) ص ٣٧ لسبط بن الجوزي المتوفي ٦٥٤هـ.

حسان بن ثابت من الرسول الأعظم ﷺ، أن يقول في تلك المناسبة شعراً، فأذن له فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم  
فقال: فمن مولاكم ونبيكم؟  
إلاهك مولانا وأنت نبينا  
فقال له قم يا علي فإنني  
فمن كنت مولاه فهذا وليه  
هناك دعا اللهم وال وليه  
بخم واسمع بالرسول مناديا  
فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا  
ولم تلق منا في الولاية عاصيا  
رضيتك من بعدي إماماً وهاديا  
فكونوا له اتباع صدق مواليا  
وكن للذي عادا علياً معاديا<sup>(١)</sup>

لم تقتصر رواية الغدير على الرواة من الشيعة.. وإنما كثير من العلماء والرواة من أهل السنة ذكروا موضوع الغدير تفصيلاً.. (وقد ذكرنا قسماً منهم في موضوع «مَنْ كنت مولاه فهذا علي مولاه» لذا فلا حاجة لنا لتكرار ما ذكرناه).. ولكن نضيف لهم، إن الجاحظ (المتوفي ٢٥٥هـ) تحدث عن حديث الغدير في كتابه (العثمانية). وكذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي (المتوفي ٤١٥هـ) في (شرح اصول الخمسة).. كما أورد النسائي عدة روايات في حديث الغدير عن زيد بن أرقم، والبلاذري..

أما الباقلاني (المتوفي ٤٠٣هـ) فقد ذكر حديث الغدير وفسر (من كنت مولاه..) قال:

إنه يحتمل أمرين، أحدهما مَنْ كنت ناصره علي دينه، وحامياً عنه بظاهري وباطني وسري وعلانيتي.. فعلي ناصره علي هذا السبيل!!

كما يحتمل أيضاً أن يكون، مَنْ كنت محبوباً عنده وولياً، فعلي مولاه... أي إن ولاءه ومحبه واجبه.. كما أن ولائي ومحبتني علي هذا السبيل واجب!!  
فالباقلاني يعطي تفسيراً لكلمة (مولى) مخالفاً بقية تفاسير الفقهاء المارة

(١) ذكره الخوارزمي المالكي في (المناقب) ص ٨٠.. وجلال الدين السيوطي في (الازدهار فيما عقده الشعراء من الأشعار) وكذلك الشافعي في (كفاية الطالب). والرضي في (خصائص أمير المؤمنين) ص ٦. وسليم بن قيس في (السقيفة) ص ٢٠٣. والشيخ المفيد في (الإرشاد) ص ٩٤.

الذكر... وهو لا يفسر ذلك الحديث بالإمامة، أو الخلافة لعلي..

ويقول لو كان هذا الحديث صحيحاً لاحتج به علي يوم السقيفة<sup>(١)</sup>!!

نقول.. نعم لم يحتج الإمام علي كرم الله وجهه بحديث الغدير يوم السقيفة، لسبب جلي وبسيط.. وهو أنه لم يحضر السقيفة، ولم يشارك فيها.. بل عزَّ على القوم أن يكون بينهم لعلمهم بأن مقاييس أمورهم تنقلب بوجوده..

لقد كان شغله الشاغل، وهمه الكبير تحضير جنازة أعظم مخلوق، وأجل إنسان، وسيد كل مرسل.. ألا وهو الرسول القائد العظيم، وحزنه بفقدانه لاتسعه الأحزان، ورزيته بموته اهتزت لها القلوب، وتجلجلت الأبدان..

... لكن الإمام ذكر واقعة الغدير بعد حين في خطبته (الشقشقية) والتي سيأتي ذكرها، وكذلك ذكرها في خطب وأحاديث غيرها، منها عند استخلافه في خلافته واجتماعه مع أصحابه في (الرحبة) قرب الكوفة سنة خمس وثلاثين هجرية. وقد قصد الإمام علي من ذلك تثبيت حقه للمسلمين، وللتاريخ.. فكان له ذلك دون شك أو ريب، بعد أن رأى فرصة إظهار الحق قد تحققت، وأن أوانها..

## آية الولاية..

قال عز من قائل في سورة المائدة الآية ٥٥:

﴿إِنهَا وَلِيكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

هذه الآية الكريمة قطعت الشك باليقين في تفسير حديث الغدير لصالح الإمام علي كرم الله وجهه، وولايته على المسلمين بعد رسول الله ﷺ الذي جاء حديثه (وصاية له).. لا (وصاية به)!!

(إنما وليكم الله..): معناها واضح وضوح الشمس.. إنه ولينا، ومولانا، ونعم المولى ونعم النصير..

(١) (التمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) للباقلاني ص ١٧٢ - ١٧٣.

(ورسوله . .) كذلك هو رسول الله ﷺ . . ولينا بعد الله عز وجل . . ولا حاجة لهذا الجزء من الآية الشريفة إلى تفسير، أو تأويل لوضوحها أيضاً . .  
(والذين آمنوا . . الذين يقيمون الصلاة . . ويؤتون الزكاة وهم راكعون . .) أما أوليائنا بعد الله ورسوله هم :

(الذين آمنوا . .) ولكن! لا كل الذين آمنوا . . لأن كل صحابة النبي ﷺ من المؤمنين . لكنها جاءت محددة تحديداً واضحاً تكاد تسمي مَنْ هو كان مقصوداً بها من بين الذين آمنوا . .

إذا مَنْ مِنْ الذين آمنوا!! . . هم :

(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . .) وقد اتفق كل فقهاء المسلمين دون استثناء، إنها جاءت بحق علي بن أبي طالب عندما كان يقيم صلاته، جاءه أحد المحتاجين من المسلمين طالباً منه المساعدة لسد حاجته . .

فمدَّ له الإمام إصبع يده الذي به خاتمه، مشيراً له أن يأخذه منه . . فأخذه ذلك السائل، وعندها نزلت تلك الآية الكريمة بحقه<sup>(١)</sup> . .

إذن نستنتج من هذه الآية الشريفة، الواضحة المعنى التي لا تحتاج إلى تأويل أو تفسير، أو اجتهاد . . إن الإمام علياً بن أبي طالب، هو ولي المسلمين الثالث بعد الله سبحانه وتعالى، وبعد رسوله ﷺ . . .

وتطبيقاً لتلك الآية، أوصى الرسول ﷺ للإمام علي أن يكون ولياً على المسلمين من بعده، وذلك في مجالات ومواقف وأحاديث عديدة . . تصريحاً

(١) بعض المصادر المؤيدة لنزول هذه الآية الشريفة في حق الإمام علي :

أ . في التفاسير: تفسير النيسابوري . البيضاوي . . الثعلبي . . الفخر الرازي في (تفسيره الكبير) ورشيد رضا في (تفسيره المنار) . .

ب . في المصادر: السيوطي في (الدر المشثور) . الهيثمي في (مجمعه) ج ٧ ص ١٧ . (كتر العمال) ج ٦ ص ٣١٩ . (ذخائر العقبي) ص ١٠٢ . الطبراني في (الأوسط) . وابن مردويه عن عمار بن ياسر . والقرطبي الأندلسي في (الجامع لأحكام القرآن) . والآلوسي في (روح المعاني) . وكذلك في (مجمع البيان) للطبرسي . الواحدي في (أسباب النزول) . ابن حجر العسقلاني في (صواعقه المحرقة) . وابن كثير أبو بركات النسفي . وابن عساكر . والكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) . وابن أبي حاتم . وعبد الرزاق وغيرهم .

وتلميحاً . . . وتَوَجَّهًا بيوم غدیر خم ، حيث أوصى له بصورة مباشرة . . . أو ( بصورة رسمية ) حسب التعبيرات السياسية في العصر الحديث . . .

. . . هذا ومن غير المعقول أن يفسر مفسر حديث الغدير ، أن النبي ﷺ أوصى بعلي ولم يوص له !! ذلك لأن من غير المعقول أيضاً أن يجمع الرسول ﷺ المسلمين البالغ عددهم أكثر من مائة ألف مسلم مرة أخرى بعد أن خطب فيهم خطبته المشهورة في حجة الوداع ، ليقول لهم أوصيكم بابن عمي علي بن أبي طالب أن تحبوه لأن محبته واجبة !! كما ذكر الباقلائي وغيره من بعض مفسري خطبة الغدير تفسيراً سياسياً لمصلحة مَنْ لعب بالحكم والخلافة بعد الخلفاء الراشدين !!

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية : ١٤٦] .

والوصية بمحبة الإمام لا تحتاج أن يجمع النبي ﷺ في ذلك الحر الشديد المسلمين مرة ثانية وهم مثقلون بمتاعب السفر والسير بعد عودتهم من مراسم الحج معه ، وهو الذي أوصى به وبآل بيته بمواضع ومواقف عديدة ومختلفة . . .

فهل يحتاج علي بن أبي طالب في ذلك الظرف الصعب العصيب وصية خاصة بمحبته واحترامه من قبل المسلمين ! وقد قال ﷺ من قبل عنه :

«إن هذا أخي ووصي ، وخليفتي من بعدي فاسمعوا وأطيعوا»<sup>(١)</sup> . وفي رواية أخرى قال ﷺ لعلي :

«أنت أخي ووصي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني . . .»<sup>(٢)</sup> .

لقد ذكر كثير من الرواة أن رسول الله ﷺ لم يجمع حشد المسلمين ، ويخطب فيهم إلا لموضوع جليل ومهم . . . مثل الدفاع عن المبادئ الإسلامية ، ورد

(١) تاريخ ابن أثير ج ٢ ص ٦٢ . تاريخ ابن عساکر ج ١ ص ٨٥ . تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣١٩ . كنز العمال ج ١٥ ص ١٥ . السيرة الحلبية ج ١ ص ٣١١ .

(٢) (الرياض النضرة) لمحج الدين الطبري ج ٢ ص ١٧٨ . (تذكرة الخواص) للعلامة سبط ابن الجوزي ص ٤٣ . (مجمع الزوائد) لأبي بكر الهيثمي ج ٩ ص ١١٣ . (تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني . (ميزان الاعتدال) للعلامة الحافظ الذهبي ج ٤ ص ١٢٧ . (المحاسن والمساويء) للبيهقي ص ٣١ . (شواهد التنزيل) للحسكاني ص ٧٧ ج ١ . وفي (كنز العمال) ج ٦ ص ١٥٤ .

الغزاة، وكذلك إلزامهم بتنفيذ أمر من أوامر الله سبحانه وتعالى بعد نزول آية من آياته، أو لتعليمهم تعاليم الدين الحنيف..

وكانت وصية الغدير حدثاً من الأحداث المهمة في الإسلام، والتي جاءت لتنفيذ أمر من أوامره سبحانه وتعالى، تطبيقاً للآية الكريمة:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم، الأيتين: ٣ و٤].

في وصية الغدير لم يذكر الرسول ﷺ أي واحد من آل بيته تخصيصاً، أو من أصحابه... ولم يوصي بأحد منهم.. كما ذكرنا.

بل جاءت تلك الخطبة وصية خاصة لعلي بن أبي طالب.. ومن ثم بآل بيته عموماً. حيث ذكر اسمه فيها وحده دون غيره: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ.. فهذا علي مَوْلَاهُ..» ونستطيع أن نفسر هذا المقطع من الخطبة الشريفة بأحاديث شريفة أخرى خص فيها الإمام علي، وحدد فيها موقعه منه ومن المسلمين.. منها: «لكل نبي وصي. وأنا وصي علي بن أبي طالب» وغير هذا الحديث، أحاديث للوصاية قالها رسول الله ﷺ بحق علي كثيرة، أوردنا منها فيما مر..

وفي رواية رواها أبو بكر (رض) عن الرسول ﷺ أيضاً الذي قال:

«علي مني كمنزلتي من ربي..»<sup>(١)</sup>.. وغير ذلك من أحاديث شريفة، كثيرة ومنوعة<sup>(٢)</sup>..

ورد في مجمع الهيثمي<sup>(٣)</sup>، عن سلمان الفارسي، قال:

قلت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن لكل نبي وصياً، فمن وصيك؟

قال النبي ﷺ: «يا سلمان.. تعلم مَنْ وصي موسى؟».

قلت: نعم.. (يوشع بن نون)..

قال ﷺ: لِمَ؟

(١) (جواهر العقدين في فضل الشرفين) لعلي بن عبد الله السمهودي الحسيني وزارة الأوقاف العراقية ج ١ ص ٣١٧.

(٢) راجع (خصائص الإمام في الأحاديث النبوية) من هذا الكتاب.

(٣) ج ٩ ص ١١٣.

قلت: لأنه كان أعلمهم يومئذ . . .

قال ﷺ: «فإن وصيي، وموضع سري، وخير من أترك بعدي، وينجز عدتي، ويقضي ديني . . . علي بن أبي طالب»<sup>(١)</sup>.

. . . تلك هي وصية الغدير يوم الغدير . . . واقعة وقعت . . . وتاريخ مهم من تاريخ المسلمين . . . وحدث جلل وأمر جليل من أوامر الله الواضحة التي لا لبس فيها ولا اختلاف . . . وكل أوامره سبحانه وتعالى جلية وواضحة غير ذات لبس ولا اختلاف . . .

إذن للمسلم خياران، لا ثالث لهما:

إما أن يقر ويؤمن بيوم الغدير، وما جاء بخطبة رسول الله ﷺ فيها، من وصية واضحة للإمام علي، دون أن يجزىء محتواها ولا يغير من فحواها . . .  
أي إنه لا يمكن للمسلم أن يقر بيوم الغدير وخطبته، ولا يؤمن بمحتواها الحقيقي التي جاءت من أجله!!!

وإما أن لا يؤمن بيوم الغدير وما جاء به بصورة مطلقة . . . وفي هذه الحالة عليه أن يعود إلى الآية الكريمة الواضحة . . . إلى قوله تعالى في سورة المائدة:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ زَاكِعُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥].

هذه الآية لا اختلاف عليها بين المسلمين في تفسيرها ومعناها، ومن المقصود بالولاية كما ذكرنا:

إنه الله سبحانه وتعالى عزت قدرته . . . وبعده نبيه الكريم ﷺ . . . وبعده علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولي على المسلمين بعد نبي المسلمين ﷺ . . .  
وهنا لا بد لنا أن نورد بعض الرواة والحفظة والمؤرخين من غير الشيعة . . .  
والذين أيدوا نزول آية الولاية بحق الإمام علي كما ذكرنا، بالإضافة إلى ما مر ذكرهم فيما سبق من هذا الموضوع<sup>(٢)</sup>:

(١) رواه الطبراني، ذكره المناوي في فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٩ في الشرح . . . وأخرجه البزار أيضاً.

(٢) راجع ص ٣٧٧ من هذا الكتاب/ الهامش.

- ١ - الحافظ أبو القاسم الطبراني - المتوفي ٣٧٠هـ في (أحكام القرآن) ج ٢ ص ٥٤٢.
- ٢ - الحافظ أبو سعد السمعاني الشافعي - المتوفي ٥٦٢هـ في (فضائل الصحابة).
- ٣ - الحافظ محمد بن أحمد بن جزي الكلبي - المتوفي ٧٥٨هـ في تفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل) ج ١ ص ١٨١.
- ٤ - الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي - المتوفي ٥٩٧هـ.
- ٥ - الحافظ عبد بن حميد الكشي - المتوفي ٢٤٩هـ في تفسيره.
- ٦ - الحاكم ابن البيع النيسابوري - المتوفي ٤٠٥هـ في (معرفة أصول الحديث) ص ١٠٢.
- ٧ - ابن جرير الطبري - المتوفي ٣١٠هـ في تفسيره ج ٦ ص ١٨٦ وبمختلف الطرق.
- ٨ - القاضي أبو عبد الله محمد بن عمر المدني الواقدي - المتوفي ٢٠٧هـ في (ذخائر العقبي) ص ١٠٢.
- ٩ - الفقيه أبو الحسن علي بن محمد الطبري الشافعي - المتوفي ٥٠٤هـ في تفسيره.
- ١٠ - أخطب الخطباء الخوارزمي - المتوفي ٥٦٦هـ في مناقبه ص ١٧٨.
- ١١ - ابن أبي حاتم الرازي - المتوفي ٣٢٧هـ. كما في تفسير ابن كثير. والدر المنثور، وأسباب النزول للسيوطي.
- ١٢ - أبو الحسن الماوردي الشافعي - المتوفي ٤٥٠هـ - في تفسيره.
- ١٣ - أبو القاسم جار الله الزمخشري الحنفي - المتوفي ٥٣٨هـ - في (الكشاف) ج ١ ص ٤٢٢.
- ١٤ - عز الدين ابن أبي الحديد المعتزلي - المتوفي ٦٥٥هـ - في (شرح نهج البلاغة) ج ٣ ص ٢٧٥.



- ١٥ - الإمام أبو بكر بن سعدون القرطبي - المتوفي ٥٦٧هـ - في تفسيره ج ٦ ص ٢٢١.
- ١٦ - أبو المظفر ابن الجوزي الحنفي - المتوفي ٦٥٤ - في (تذكرة الخواص) ص ٩.
- ١٧ - أبو حيان أثير الدين الأندلسي - المتوفي ٧٥٤هـ - في تفسيره (البحر المحيط) ج ٣ ص ٥١٤.
- ١٨ - القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي - المتوفي ٦٨٥هـ - في تفسيره ج ١ ص ٣٤٥ وفي (مطلع الأنظار) ص ٤٧٧ و ٤٧٩.
- ١٩ - علاء الدين الخازن البغدادي - المتوفي ٧٤١هـ - في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦.
- ٢٠ - الشيخ محمد مؤمن الشبلنجي - في (نور الأبصار) ص ٧٧.
- .. ذكر العلامة الزمخشري في خصائص العشرة الكرام البررة، خصوصية من خصائص الإمام علي (ع):
- (إنه ولي الله وولي رسوله، وولي المؤمنين كما جاء بالآية الكريمة إنما وليكم والله ورسوله ..).
- ذلك هو الإمام علي الذي يصف مكانته من الولاية، كما سماها الرسول الأعظم ﷺ .. أو الخلافة كما سُميت بعده:
- «... وإن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير...»<sup>(١)</sup>.
- ومن خطبته له:
- «... والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما أنطق إلا صادقاً وقد عهد إلي بذلك كله...»<sup>(٢)</sup>.

(١) (نهج البلاغة) محمد عبده ج ١ ص ٣٠.

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٩٠.

ومن كلام له :

«إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به ..»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام علي :

«... واجمعوا علي منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري»<sup>(٢)</sup>.

... وبعد حين، عاد حقه في الولاية أو الخلافة بعد مقتل الخليفة الثالث

عثمان بن عفان (رض) عام ٣٥ هجرية. وعلى وجه التحديد في ١١/٧/٦٥٥م،  
وفي رواية أخرى في ٢٦/٥/٦٥٦م.

وهنا لا بد لنا أن نقول: أن الأمة الإسلامية أجمعت على خلافة الإمام

علي (ع) على اختلاف مذاهبها ومشاربها، ولم تختلف عليه.. ولكنها اختلفت  
على خلافة غيره!!

نعم كان علي مؤهلاً للولاية.. بل في مقدمة الذين كانوا أهلاً لها..

فَمَنْ مثله في إيمانه وزهده.. في تقواه وورعه.. في عبادته وبقينه..

وَمَنْ مثله في فقهه وعلمه واعتقاده.. في بطولته وبطولاته.. في شجاعته

ومواقفه وتضحياته وجهاده..

وَمَنْ مثله في فصاحته وبلاغته.. وَمَنْ مثله في حلمه وسعة صدره وصبره

وسماحته..

وَمَنْ مثله عرف الله وأطاعه وأعطاه حقه.. وعرف رسوله وآمن بكل ما جاء

به.. وَمَنْ مثله جمع حكمة الحكماء، وعلم العلماء، وفقه الفقهاء.. وَمَنْ قبله

أسلم وصلى.. ومن غيره تربي بأحضان سيد الكائنات.. وولد في بيت الله،

واستشهد في بيت الله!!!..

روى أنس بن مالك، أن يهودياً دخل المسجد أيام خلافة أبي بكر (رض)،

فسأل الناس:

(١) نفس المصدر ج ٣ ص ١٥٧.

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٠٢.

- أين وصي رسول الله؟ فأشاروا إلى أبي بكر، فقال الرجل له :
- أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا وصي أو نبي . . فقال أبو بكر :
- سل عما بدا لك . . قال اليهودي :
- أخبرني عما ليس لله . . وعما ليس عند الله . . وعما لا يعلمه الله . . !! قال أبو بكر :
- هذه مسائل الزنادقة يا يهودي!
- همَّ أبو بكر والمسلمون باليهودي . . فقال لهم ابن عباس (رض): ما أنصفتم الرجل! فقال أبو بكر :
- أما سمعت ما تكلم به! . . . فقال ابن عباس :
- إن كان عندكم جوابه . . وإلا فاذهبوا به إلى علي بن أبي طالب يجيبه، فإنني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعلي: «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه». فقام أبو بكر ومَنْ حضره فأتوا علياً في داره . . فاستأذنوا عليه، فقال أبو بكر :
- يا أبا الحسن إن هذا اليهودي سألني مسائل الزندقة . . فقال الإمام علي بن أبي طالب: ما تقول؟ . . . قال اليهودي :
- أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي . .
- فأعاد اليهودي أسئلته عليه . . أجابه الإمام :
- أما ما لا يعلمه الله: فذلك قولكم معشر اليهود أن عزيراً ابن الله . والله لا يعلم أن له ولداً. إذ لو كان له ولد، لكان يعلمه . .
- وأما قولك، بما ليس عند الله: فليس عنده ظلم للعباد . .
- وأما قولك، بما ليس لله: فليس لله شريك . .
- فقال اليهودي :
- (أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنت وصي رسول الله . . .) (١)

(١) (علي إمام المتقين) المرحوم عبد الرحمن الشرقاوي ج ١ ص ٨٣.

## أشجعهم وأعلمهم..

إذا أعد المؤرخون سجلاً بأسماء أشجع الشجعان منذ بدأ الحياة على الأرض وحتى يومنا هذا، فلا بُدَّ لهم أن يبدأوا سجلهم بالإمام علي بن أبي طالب.. ولا بُدَّ لهم أن يختموا ذلك السجل به أيضاً..

فعندما نذكر الأبطال، نذكر أولهم الإمام.. وعندما نذكر الإمام، نذكر البطولات والشجاعة ونقرنهما به..

وكل كتب السيرة والتاريخ التي كتبت عن الإمام، أجمعت على أن علياً بن أبي طالب أشجع الصحابة.. وأقواهم.. وأكثرهم إقداماً.. وقد فرَّ أمامه الشجعان والأبطال والصناديد في كل المعارك والغزوات الإسلامية التي شارك فيها..

وفرَّ منه مَنْ كان له قوة تقارب الخيال

وكانت قوته حديث الناس يتحدثون عنها قصصاً عجيبة وغريبة قاربت الخيال

أيضاً!!

كان شجاعة وقوة الإمام علي كرم الله وجهه مضرب الأمثال عبر الأزمنة والأجيال.. حتى رويت عن شجاعته وقوته أحداث قاربت المعجزات.. كاقْتلاع باب خيبر، وقد عجز عن تحريكه فيما بعد عشرون صحابياً.. وتحويل الصخرة العظيمة التي عجز الجيش كله عن تحريكها.. وغير ذلك من الروايات المشهورة<sup>(١)</sup>.

لقد فرَّ الشجعان من الصحابة في المعارك الإسلامية المختلفة بمواقف

(١) (مع الصادقين) د. محمد التيجاني السماوي ص ١٠١.

عديدة . . بينما لم يفرّ الإمام علي في أية معركة مطلقاً . . ولم تُسجل عليه أية هزيمة في أية معركة اشترك بها . . بل كان ثابتاً في موقعه . . مستمراً في زحفه ضد عدوه . . مشهوراً بضربته الأحادية المنفردة دون تكرار لها . . كان كراراً ليس فراراً .  
وكان أشجع الصحابة قاطبة دون استثناء . . ولم نسمع بمن هو أشجع منه بين صفوف المسلمين . .

الإمام علي له من القوة العظيمة التي عدها أقرانه بالقوة الخارقة التي وهبها الله سبحانه وتعالى له دون غيره . . وحسبنا في ذلك :

إصراره في طلبه من الرسول ﷺ بمنازلة بطل جزيرة العرب (عمرو بن عبد ود العامري) الذي كانت صناديد العرب تهاب اسمه، وتتحاشى الاشتراك في قتال القوم الذين يقاتل معهم!!

وحسبنا كذلك مبيته في فراش رسول الله ﷺ، عندما هاجر مع صاحبه إلى يثرب . . بعد أن علم ﷺ بمؤامرة قريش على قتله في فراشه . . وقد مر ذلك علينا سابقاً في مواضع مختلفة . .

وإذا ما أضفنا صفة الشجاعة هذه إلى صفاته المتميزة الأخرى التي انفرد بها . . لذا يصبح حقاً أنه (رباني) هذه الأمة . . كما ذكر ذلك الإمام الفقيه الحسن البصري . . وكما قال عن شجاعته خصمه اللدود معاوية بن أبي سفيان :  
( . . إنه لم يبرز إليه أحد إلا قتله . . )<sup>(١)</sup> .

والحديث عن شجاعة الإمام وقوته وبطولاته، والوقائع التي استبسل فيها، يراد لها فصولاً عديدة . .

ونحن هنا لا نريد التوسع في ذلك، لأننا أوردنا في بداية هذا الكتاب مواضيع تتعلق بشجاعته، وبطولاته، ابتداءً من موضوع (الفتى الذي لا فتى غيره) حتى معارك المسلمين التي قاتل فيها دفاعاً عن الحق . .

. . . وبطولات الإمام ما اقتصرت يوماً على ميادين الحرب . . فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته، وطهارة وجدانه، وسحر بيانه، وعمق إنسانيته، وحرارة إيمانه،

(١) (حياة الإمام علي) محمود شلبي ص ٥١٩ .

وسمو دعتة، ونصرته للمحروم والمظلوم من الحارم والظالم . . . وتعبده للحق أينما تجلى له الحق . . .

وهذه البطولات، ومهما تقادم بها العهد، لا تزال مقلعاً غنياً، نعود إليه اليوم وفي كل يوم كلما اشتد بنا الوجد إلى بناء حياة صالحة، فاضلة<sup>(١)</sup> . . .

يصف الأستاذ جورج جرداق شجاعة الإمام علي، فيقول:

(. . .) والشجاعة في حدودها الصحيحة ليست عملاً جسدياً، بل طبعاً من طباع النفس، ومزية من مزايا الإيمان . . . وشجاعة الإمام هي من الإيمان بمنزلة التعبير من الفكرة . . . وبمثابة العمل من الإرادة، لأن محورها الدفاع عن طبع في الحق وإيمان بالخير . والمشهور أن أحداً من الأبطال لم ينهض له في ميدان . وإن فارساً لم يثبت أمامه على صهوة، فقد كان لجرأته على الموت، لا يهاب صنديداً بالغاً ما بلغ من القوة والبأس والصولة ورهبة الصيت . . .

بل إن فكرة الموت لم تجل مرة في خاطر الإمام وهو في موقف نزال . . . وإنه لم يقارع بطلاً إلا بعد أن حاوره لينصحه ويهديه . . .)<sup>(٢)</sup> .

لو تجسمت الشجاعة وتمثلت في شخص، لكان ذلك الشخص هو علي بن أبي طالب . . . بل لو عرفه قدماء اليونان لا اتخذوه إلهاً للشجاعة في جملة آلهتهم التي عبدوها . . .

سئل في بعض حروبه:

إذا جالت الخيل، أين نطلبك؟ قال:

(حيث تركتموني، فإني لا أفر . . . ولا أتبع فاراً).

وذكر أن درعه كانت لا ظهر لها . . . فقالوا له:

أنا نخاف عليك أن تؤتى من قبل ظهرك! فقال:

«إذا مكنت عدوي من ظهري، فلا أبقي الله عليه إن أبقي علي»<sup>(٣)</sup> .

(١) ميخائيل نعيمة (في تقديمه لكتاب (علي وحقوق الإنسان لجورج جرداق).

(٢) (علي وحقوق الإنسان) جورج جرداق ص ٨٠.

(٣) (الإمام علي أسد الإسلام وقديسه) روكسي العزيزي ص ١١٧ - ١٦٠.

## سلوني . . . وسلوني :

لنطوي صفحة شجاعة الإمام علي، لنفتح صفحة أخرى من صفحاته المشرقة التي انفرد بها دون غيره . . . كما انفرد ببقية صفاته دون غيره أيضاً . . .

ولنطرق في هذه الصفحة باب علمه ومعرفته . . . ذلك العلم الذي تعلمه من رسول الله ﷺ الذي أخذ علمه من الوحي الإلهي، فعلم النبي ﷺ الإمام، حتى أوصله في علمه إلى المصاف الذي هو فوق الأولياء، ودون الأنبياء . . . ولو لم يكن في مثل هذا المستوى والمرتبة النادرة لما قال عنه النبي ﷺ : «أنا مدينة العلم وعلي بابها» .

وكفاه فخراً بعلمه، حينما قال عنه ذلك العالم العظيم محمد ﷺ :  
(أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب) (١) .

عن ابن مسعود، قال :

كنت عند النبي ﷺ، فسأله سائل عن علم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . . .

أجابه النبي ﷺ :

«قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء، والناس جزءاً واحداً، وهو أعلم بالعُشر الباقي» (٢) .

وقال ذلك أيضاً حبر الأمة ابن عم رسول الله ﷺ عبد الله بن عباس (رض) :

(أعطي علي تسعة أعشار العلم، وأنه لأعلمهم بالعُشر الباقي) وفي رواية أخرى قال عبد الله بن عباس (رض) :

(١) ورد في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٦ عن الديلمي عن سلمان .

(٢) أخرجه الخوارزمي . . . وابن المغازلي الشافعي . . . وذكره المتقي في (كنز العمال) ج ٦ ص ١٥٤ . وأبو نعيم في (الحلية) . . . وابن الجوزي عن ابن مسعود . . . وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (المناقب) والمحجب الطبري في (الرياض النضرة) ج ٢ ص ٢٠٠ . . . والشافعي في (مطالب السؤل) ص ٢١ . . . وكذلك في (فرائد السمطين) لإبراهيم الحموي . . . والقندوزي في (ينابيع المودة) ص ٧٠ .

(.. سلوه .. فوالله لقد أعطي علي تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العُشر العاشر ..) (١).

وقال عنه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض):

(العلم ستة أسداس، لعلي من ذلك خمسة أسداس، وللناس سدس. ولقد شاركنا في السدس حتى لهو أعلم به منا) ..

وقال عمر (رض) أيضاً:

قال رسول الله ﷺ:

«ما اكتسب مكتسب مثل فضل علي، يهدي صاحبه إلى الهدى، ويرده عن الردى» (٢).

روى الإمام أحمد بن حنبل (رض) في مسنده، عن معاوية بن أبي سفيان، قال:

(إن علياً كان رسول الله ﷺ يغيره العلم غراً) (٣).

وسُئل عطاء بن أبي رباح، عن أعلم من علي بعد رسول الله ﷺ .. أجاب بعدم وجود أعلم منه بعد الرسول ﷺ ..

وذكر الخطيب البغدادي، عن أنس بن مالك (رض)، قال:

قيل: يا رسول الله عمن نكتب العلم؟ أجاب ﷺ:

«عن علي بن أبي طالب .. وعن سلمان» (٤).

وورد في التفسير الكبير للفخر الرازي، في ذيل تفسير قوله تعالى:

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج ٢ ص ٢١ .. (الاستيعاب) لابن عبد البر ج ٢ ص ٤٦٢ .. (أسد الغابة) لابن الأثير ج ٤ ص ٢٢ .. القندوزي في (ينابيع المودة) ص ٧٠ .. (ذخائر العقبى) للطبري ص ٧٨ والسيوطي في (تاريخ الخلفاء) والدمشقي في (الشذرات الذهبية).

(٢) ورد في (ذخائر العقبى) ص ٦١ وأخرجه الطبراني.

(٣) رواه الطبري في (ذخائر العقبى) ببعض الاختلاف .. ورواه الحموي في (فرائد السمطين) ج ١ الباب ٦٨.

(٤) (تاريخ بغداد) ج ٦ ص ١٥٨.



﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى، الآية: ١١]. . . ذكر حديثاً قال فيه :

قالوا لعلي : حدثنا عن نفسك ، فقال :

«مهلاً فقد نهى الله عن التزكية» . . . فقيل له :

أليس الله تعالى يقول : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ . . . فقال :

«إني أحدث . . . كنت إذا سئلت أعطيت ، وإذا سكت ابتديت . . . وبين

الجوانح علم جم . . . فاسألوني . . .»<sup>(١)</sup> .

وعن عطاء بن مسلم ، قال : سمعت سفيان يقول :

(ما حاج علي أحداً ، إلا حجه)<sup>(٢)</sup> .

وعن عبد الله بن عباس (رض) قال ، وقد سأله الناس عن علي بن أبي

طالب :

(كان ممتلئاً جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدة ، مع قرابته من

رسول الله ﷺ)<sup>(٣)</sup> .

كان الإمام علي قطب الإسلام . . . وفذاً من أفذاذ العقل . . . وموسوعة

المعارف العربية . . . وما من علم من علوم العرب إلا وقد وضع أصله ، أو ساهم في

وضعه . وكان من العلوم في المحل الذي لا تحلق إليه البشر كما ذكر ذلك الشيخ

الرئيس ابن سينا . . .

. . . قال سعيد بن المسيب :

(ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب)<sup>(٤)</sup> .

(١) (الفضائل) مرتضى الحسيني ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٢) ابن سعد في (طبقاته) ج ٢ القسم ٢ ص ١٠١ .

(٣) (الرياض النضرة) ج ٢ ص ١٩٤ . وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (المناقب) .

(٤) ورد ذلك في (الاستيعاب) لابن عبد البر ج ٢ ص ٤٦٢ . وفي (أسد الغابة) لابن أثير ج ٤ ص ٢٢ . وابن

حجر العسقلاني في (صواعقه) ص ٧٦ . والمحج الطبري في (الرياض النضرة) ج ٢ ص ١٩٨ .

والإمام أحمد في (المناقب) .

.. نعم انفراد الإمام علي (ع) من بين الصحابة في قوله: (سلوني.. .) ولم يقل غيره ذلك أحد.. .

وكم من مرة كرر قوله أمام جمع المسلمين من على منابر مساجدهم، وفي حشودهم:

«يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني.. . سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين.. . أما والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم.. . وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهي كل كتاب من هذه الكتب، ويقول: يا رب إن علياً قضى بقضائك.. . والله إنني لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه.. .»  
.. ثم يقول:

«سلوني قبل أن تفقدوني.. . فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيم نزلت، وأنبأتكم بناسخها ومنسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيها من مدنيها.. . والله ما من فئة تضل أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدها، وسائقها، وناعقها.. .»

فسأله أحد القراء:

فما نزل فيك؟ قال الإمام:

«لولا أنك سألتني على رؤوس الملائم ما حدثتك!! أما تقرأ قوله تعالى في سورة هود: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾»

فرسول الله ﷺ على بيته من ربه.. . وأنا الشاهد منه، أتلوه، وأتبعه».

ثم أمسك الإمام عن الحديث عن نفسه حياةً وتحرراً.. . فقام عبد الله بن عباس (رض)، وقال:

(وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنهَا وَلِيكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ . . . نزلت في علي بن أبي طالب (ع))<sup>(١)</sup> .

ويقول الإمام علي ذلك العالم النحرير في معرض طلبه من المسلمين أن يسألوه حتى يُعلمهم مما تعلمه :

«سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم . . . وسلوني عن كتاب الله . . . فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل . . .»<sup>(٢)</sup> .

. . . تلك النداءات التي انطلقت من علي بن أبي طالب، تنم عن آيات جليلة على سعة معرفته وعمقها بكل المجالات والحقول الواسعة في العلم والمعرفة والفقه والكون . . . ولا عجب في ذلك إذا ما عرفنا أن معرفته تلك غره إياها معلمه العظيم، سيد الكائنات الذي تلقى كل علمه ومعرفته من رب العالمين عن طريق وحيه كما مر ذكره . . .

فكان وحده منفرداً بعد الرسول ﷺ بالعلم والمعرفة بكل ضروبها، وشتى أركانها . . . وكان وحده الذي كرر القول للمسلمين: (سلوني . . . وسلوني . . .) وما كان أحد من الناس يقولها غيره . . .

لقد تعود الإمام أن يقول كلما يعتلي المنبر:

«سلوني قبل ألا تسألوني . لن تسألوا بعدي مثلي» .

فسأله ابن الكواء: ما الذاريات! قال الإمام: الريح . . .

قال: فما الحاملات وقرأ؟ أجابه: السحب . . .

(١) (علي إمام المتقين) المرحوم عبد الرحمن الشرقاوي ج ٢ ص ٢١ .

(٢) (حلية الأولياء) لأبي نعيم ج ١ ص ٦٧ . (طبقات ابن سعد) ج ٢ ص ١٠١ . (كنز العمال) ج ١ ص ٢٢٨ . (الإصابة) لابن حجر . (الاستيعاب) لابن عبد البر ج ٢ ص ٤٦٣ . (المناقب) للخوارزمي . (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد، بنحو آخر . . . وذكره القندوزي في (ينابيع الموده) .

فسأله ابن الكواء: فما الجاريات يسراً؟ قال: السفن . . .

فسأله: فما المقسمات أمراً؟ قال: الملائكة . . .

وتعالت الصيحات: الله أكبر . . . صدق الرسول ﷺ إذ قال:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها»<sup>(١)</sup>.

وقد خاطب من على منبر رسول الله ﷺ المسلمين مراراً، بأنه تعلم من النبي ﷺ علم السموات والأرض . . . وهو يريد أن يفيد المسلمين ببعض مما تعلمه منه، ويقول:

«إن في صدري هذا لعلماً جماً، علمنيه رسول الله ﷺ، ولو أجد له

حفظه يرعونه حق رعايته، ويروونه عني كما يسمعونه مني . . . إذأ

لأودعتهم بعضه».

كان الإمام علي كرم الله وجهه يطالب المسلمين بالمبادرة إلى سؤاله ليفيدهم

من علمه . . . وكم كان يقول لهم:

«سلوني قبل أن تفقدوني» . . .

ولكن لا مجيب له، ولا سائل يسأله حتى يتعلم من علمه . . . إلا بعض من

أصحاب المدارك المحدودة، والعقليات السقيمة . . .

حيث يسأله سنان بن أنس النخعي، ويقول للإمام:

أخبرني يا أمير المؤمنين بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر!!

وكذلك فعل تميم بن أسامة التميمي!!

إلا أن الإمام يجيب الأول:

«والله لقد حدثني خليلي أن على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً

يلعنك . . . وإن كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك . . . وإن في

بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله ﷺ» . . .

(١) (علي إمام المتقين) ج ٢ ص ٢١.

وكان ابنه أحد قتلة الحسين في (واقعة كربلاء) يومئذ طفلاً صغيراً عند ذلك القول!!

لله درك يا أبا الحسن، وأنت تعرض على المسلمين ما عندك من علم لا يعلمه إلا الله وأنبيائه وتُسأل ما سُئلت!!

مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ . .

كان الإمام علي (ع) سابق عهده وزمانه في علمه ومعرفته بكل أمور الدين والدنيا . . فهو خُلِقَ لغير زمانه، وعاش في غير عهده، لأن المجتمع الذي كان فيه لا يقارب العلم، ولا يجاري المعرفة . .

لذا فإنه كان يُعاني من جهل قومه، ومن عدم تقيمهم لما كان هو فيه من علم ومعرفة ويقين . . فهو لم يكن ابن زمانه . . ولا ابن مكانه قياساً على ما كان عليه من معرفة موسوعية . وقد قال في ذلك:

«إنما مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا» .

لم يستطع الإمام أن يسدي لمجتمعه ويقدم له الكثير من المعرفة والحكمة بسبب الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية على حد سواء . .

ومع ذلك استطاع أن يبث بعض من مفاهيمه الإسلامية . . وإن يكشف بعض أسرار المعرفة لبعض الخاصة من المسلمين الذين قدروا للإمام علي حق قدره في علمه وحكمته ومعرفته . .

فقال على سبيل المثال من خطبة له فيهم:

«الحمدُ لله الذي لم يسبقْ له حالٌ حالاً فيكونُ أولاً قبلَ أن يكونَ آخراً .  
ويكونُ ظاهراً قبلَ أن يكونَ باطناً، كُلُّ مُسَمًى بالوحدةِ غيرهُ قليلٌ،  
وكُلُّ عزيزٍ غيرهُ ذليلٌ، وكُلُّ قويٍّ غيرهُ ضعيفٌ . وكُلُّ مالِكٍ غيرهُ  
مملوكٌ . وكُلُّ عالمٍ غيرهُ متعلِّمٌ . وكُلُّ قادرٍ غيرهُ يقدرُ ويعجزُ . وكُلُّ  
سَمِيعٍ غيرهُ بصمٌ عن لطيفِ الأصواتِ، ويصمُّه كبيرُها ويذهبُ عنه ما

بَعْدَ مِنْهَا<sup>(١)</sup>. وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ  
الْأَجْسَامِ. وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ بَاطِنٌ. وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ ظَاهِرٌ.

لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ. وَلَا تَخَوْفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ. وَلَا  
اسْتِعَانَةَ عَلَى نِدِّ مُنَاوِرٍ<sup>(٢)</sup>، وَلَا شَرِيكَ مُكَائِرٍ<sup>(٣)</sup> وَلَا ضِدًّا مُنَافِرٍ، وَلَكِنْ  
خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ<sup>(٤)</sup>. لَمْ يَحْلُلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالُ هُوَ  
فِيهَا كَائِنٌ. وَلَمْ يَنَأَ عَنْهَا فَيُقَالُ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ<sup>(٥)</sup> لَمْ يُوْذَهُ خَلْقٌ مَا  
أَبْتَدَأَ<sup>(٦)</sup>، وَلَا تَدْبِيرٌ مَا ذَرَأَ<sup>(٧)</sup>، وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجَزٌ عَمَّا خَلَقَ. وَلَا  
وَلَجَتْ<sup>(٨)</sup> عَلَيْهِ شُبُهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ، بَلْ قَضَاءٌ مُتَقَنَّ وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ،  
وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ<sup>(٩)</sup> الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقْمِ الْمَرْهُوبُ مَعَ النَّعْمِ».

... كَانَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (ع) فَقِيهًا وَاسِعَ الْمَعْرِفَةِ فِي عِلْمِ الْفِقْهِ، وَهُوَ أَصْلُهُ  
وَأَسَاسُهُ. وَكُلُّ فَقِيهٍ مِنْ فَقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ اسْتِفَادَ مِنْ فَقْهِهِ. . . بَلْ وَيُنْتَمِي إِلَى فَقْهِهِ. . .  
كَمَا يَنْتَمِي كُلُّ (إِمَامٍ) إِلَى الْإِمَامِ عَلِيٍّ، الَّذِي أَوْلَى مَنْ سُمِّيَ (إِمَامًا) قَبْلَ غَيْرِهِ، وَلَمْ  
يَسْمَى غَيْرُهُ بِهَذَا الْاسْمِ قَبْلَهُ. . .

وَتَرْتَبِطُ هَذِهِ الصِّفَةُ، وَأَعْنِي صِفَةَ (الْإِمَامَةِ) بِالْإِمَامِ وَحْدَهُ. . . فَعِنْدَمَا نَذَكُرُهَا  
نَقْرِنُهَا بِهِ وَنَقْرِنُهُ بِهَا. . . فَهُوَ إِمَامُ الْأُمَّةِ. . . وَمَنْ ادَّعَى الْإِمَامَةَ بَعْدَهُ كَانَ يَسْتَمِدُّ مِنْهُ  
صِفَاتِ الْإِمَامَةِ. . .

(١) السامعون من الحيوان والإنسان لقوى سمعهم حد محدود، فما خفى من الأصوات لا يصل إليها.  
وما عظم من الأصوات حتى فاق المألوف سماعه والذي لا يستطيع احتمالها يُصاب بالصمم. أما  
سبحانه وتعالى فيستوي عنده الخفي والشديد والقريب والبعيد.

(٢) الند: النظير والمثل. والمناور المرائب والمحارب.

(٣) الشريك المكائر: أي المفاخر بالكثرة.

(٤) داخرون: أذلاء، من دخر: ذل وصغر.

(٥) أي لم يفصل عنها انفصال الجسم حتى يقال هو بائن أي منفصل.

(٦) يوده: أي لم يثقله. آده الأمر: أثقله وأتعبه.

(٧) ذرأ: أي خلق.

(٨) ولجت عليه: دخلت عليه.

(٩) مبرم: محتوم. وأصله من أبرم الحبل جعله طاقين ثم فتله وبهذا أحكمه.

ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد :

(... ) وخاصة أخرى من خواص الإمامة، ينفرد بها الإمام علي ولا يجاربه فيها أمام غيره، وهي اتصاله بكل مذهب من مذاهب الفرق الإسلامية منذ وجدت في صدر الإسلام، فهو منشئ هذه الفرق أو قطبها الذي تدور عليه.

وندرت فرقة في الإسلام لم يكن عليّ معلماً لها منذ نشأتها، أو لم يكن موضوعاً لها ومحوراً لمباحثها.

فالإمام أحق لقب به، وهو أحق الأئمة بلقب الإمام.. (١).

ويلخص الإمام عليّ سنة الإمامة في قوله :

«مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ،  
وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ  
بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ» (٢).

قال الحسن البصري عن الإمام :

(كان علي رباني هذه الأمة وذا فضلها، ولذا تسميه الفلاسفة : إمام الأئمة  
وحكيم العرب).

نعم كان الإمام علي إمام الأئمة.. وكل إمام بعده تتلمذ عليه أو انتسب إليه،  
أو أخذ منه، وتعلم من علمه..

فأصحاب الإمام أبي حنيفة، كالإمام أبي يوسف ومحمد وغيرهما، أخذوا  
عن الإمام أبي حنيفة.. وأما الإمام الشافعي فقرأ على الإمام محمد بن الحسن،  
وبالتالي يرجع فقهه أيضاً إلى الإمام أبي حنيفة..

وأما الإمام أحمد بن حنبل فقرأ على الإمام الشافعي، فيرجع فقهه أيضاً إلى  
الإمام أبي حنيفة. وأبو حنيفة قرأ على الإمام جعفر بن محمد الصادق.. وقرأ

(١) (عقريّة الإمام علي) لعباس محمود العقاد ص ١٨٨.

(٢) (نهج البلاغة) محمد عبده ج ٣ ص ١٥٣.

الإمام جعفر الصادق على أبيه . . حتى ينتهي الأمر إلى الإمام علي بن أبي طالب . .

أما الإمام مالك بن أنس، فقرأ على ربيعة الرأي . . وقرأ ربيعة الرأي على عكرمة . . وقرأ عكرمة على الإمام عبد الله بن عباس . .

وقرأ الإمام عبد الله بن عباس على الإمام علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>.

ذكر المؤرخون إجماعاً أن المدارس الفكرية، والحركات الفقهية على اختلاف ما اختلفوا عليه، ينتمون إلى مدرسة الإمام (ع) . .

وهو الذي تنازعت كل المدارس والحركات التي نشأت في عهد المسلمين المختلفة . . فالأشاعرة انتسبوا إليه . . والمعتزلة نسبوا أنفسهم له . . والمتصوفة ادعوا بانتمائهم إلى مدرسته . . والقدرية، والجبرية، وأهل الرأي والفقه وغيرهم ادعوا انتسابهم لأفكاره . .

وأما الشيعة من الإمامية والزيدية والكيسانية فانتماؤها إليه ظاهر<sup>(٢)</sup> . . فقد حملوا مبادئه، وسلكوا صراطه، وعملوا بما تعلمه وعمله، فصار لهم إماماً وقدوة ومعلماً . .

وأهل السنة والجماعة، يرجعون لأحكامه وقضائه وعلمه، مقتدين بمن سبقوه بالخلافة الذين أخذوا منه وتعلموا من علمه . .

وكانوا يرجعون إليه في أمهات المسائل المعقدة، والأحكام الصعبة الفهم والوضوح . ولم يرجع الإمام علي إلى أي أحد من الخلفاء أو الصحابة في تفسير أو توضيح أية مسألة من مواضيع الفقه والدين، وسائر الأحكام . .

وهذا الخليفة الأول أبو بكر الصديق (رض) يقول:

(لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)<sup>(٣)</sup>

(١) (حجج النهج) د . سعيد السامرائي ص ٣٣.

(٢) (الإمام علي أسد الإسلام وقديسه) روكسي العزيزي ص ٧٦.

(٣) وفي رواية أخرى يُنسب هذا القول إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض).



أما الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض)، كان يكرر قوله المشهور:  
«لولا علي لهلك عمر»<sup>(١)</sup> وقوله (رض):  
«لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر».

## الأمور الغيبية والمستقبلية . .

قال الإمام علي (ع) من على منبر رسول الله:

« . . . والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت . ولكن أخاف أن تكفروا في برسول الله ﷺ . ألا وإني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه .

والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق ما أنطق إلا صادقاً، ولقد عهد إليّ بذلك كله وبمهلك مَنْ يهلك، ومنجي مَنْ ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمر على رأسي إلا أفرغه في أذني، وأفضى به إليّ» .

نستدل من ذلك أن الإمام علي (ع) كان له معرفة بالأمور الغيبية التي تعلمها من النبي ﷺ . .

فالنبي ﷺ علم علياً بمن يهلك من الصحابة والمسلمين، وبنجاة مَنْ ينجو منهم . .

وعن ما سيحدث في الإسلام والمسلمين ودولتهم وخلافتهم . . وما إلى ذلك من مجريات الأمور التي ستقع بعد النبي ﷺ . . فلا غرابة في ذلك بعد أن كان له مع النبي ﷺ خلوات ومناجاة لم تكن لغيره ولم يحظ بها سواه .

وللإمام علي بعض الخطب والأحاديث تكلم فيها عن حوادث استبق حدوثها . . . .

(١) (الرياض النضرة) ج ٢ ص ١٩٤ . (المناقب) للخوارزمي ص ٤٨ . وكذلك ورد في (الاستيعاب) ج ٣

فقال له بعض من سمع أقواله :

لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب!!

فضحك الإمام وقال للرجل الذي كان من بني كلب :

«يا أخا كلبٍ ليسَ هوَ بعلمِ غَيْبٍ، وإنما هوَ تَعَلُّمٌ من ذِي عِلْمٍ . وإنما

عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وما عَدَدَهُ اللهُ سبحانه بقوله :

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا

تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٣٤].

فَيَعْلَمُ سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى وقبيح أو جميل . وسخي

أو بخيل، وشقي أو سعيد، ومن يكون في النار خطباً، أو في الجنان

للنبيين مُرافِقاً . فهذا علم الغيب الذي لا يَعْلَمُهُ أحدٌ إلا اللهُ . وما

سوى ذلك، فَعِلْمُ عِلْمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي،

وَتَضَطَّمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي . .»<sup>(١)</sup>.

لقد تحدث الإمام علي كرم الله وجهه عن أمور مستقبلية ستحدث بعد

عصره . . وتلك الأحداث التي ستقع بعده، لا يعرفها غيره لا من الصحابة ولا من

القرابة . . تعلمها من رسول الله ﷺ، وأخبره بما سيحدث بعدهما من وقائع وأمور

تهم الإسلام والمسلمين . .

وكما قال الإمام : «ليس هو بعلم غيب» وإنما تعلّم من ذي علم . . أو وعابها

بنفسه من خلال ما وهبه الله سبحانه وتعالى من قابليات خارقة في فهم العلم

واستيعاب المعرفة واستقراء المستقبل .

وهذا نستدل به على عظمة الإمام، وسمو كيانه الروحي الذي أهله لمعرفة

الكثير من أسرار المستقبل . .

(١) تضطّم: تنظم عليه جوانحي . والجوانح الاضلاع ما تحت الصدر . وانضمامها عليه اشتماله على

قلب يعيها .

وهنا لا بد لنا أن نشير إلى أقواله وخطبه وكلماته في (نهج البلاغة)، نجد فيها الكثير من الأمور التي تناول الإمام فيها الحديث عن أمور مستقبلية حدثت فعلاً بعد عصره . .

نحو خطب الملاحم . . وأقواله التي ذكر فيها ما سيحدث بالإسلام في أواخر الزمان . . منها ما نعيشه أيامنا الحاضرة . . وكذلك ذكره لوقائع توقعها أن تقع بعده . . ووقعت فعلاً . .

يقول الإمام علي (ع) في معرض وصفه الدقيق لما سيحصل للدين في زمانٍ بعد زمانه :

«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ. مَسَاجِدُهُمْ يَوْمئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبُنَى، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى. سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ. مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ يَرُدُّونَ مَنْ شَدَّ عَنْهَا فِيهَا، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا. . .»

وقال (ع) :

« . . . يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، الْمُؤْمِنُ فِيهِ أَدْلُ مِنَ الْأُمَّةِ . . . »

أخرجه سعيد بن منصور<sup>(١)</sup> .

كما قال الإمام علي في خطبة له :

« . . . وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقُ مِنْهُ<sup>(٢)</sup> إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ .

وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ<sup>(٣)</sup> .

(١) (تاريخ الخلفاء) للإمام السيوطي ص ٢١٩ .

(٢) أنفق منه : أروج منه .

(٣) (شرح نهج البلاغة) محمد عبده ج ٢ ص ٣١ .

وقال (ع):

«يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل، ولا يظرف فيه إلا الفاجر، ولا يضعف فيه إلا المنصف».

يعدون الصدقة فيه غرمًا، وصلة الرحم منًا، والعبادة استطالة على الناس، فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء وإمارة الصبيان وتدبير الخصيان».

وقال عما سيفقده الناس:

«يوشك أن يفقد الناس ثلاثاً:

درهماً حلالاً . . . ولساناً صادقاً . . . وأخاً يستراح إليه».

أحاديثه عن أمور مستقبلية حدث . . .

من الأحداث المستقبلية التي تحدث عنها. وحدث فعلاً، نذكر بإيجاز بعضاً مما رواه لنا المؤرخون والرواة:

١ - روى الحسن بن محبوب، عن ثابت الشمالي، عن سويد بن غفلة . . . إن الإمام علياً خطب ذات مرة في مسجد الكوفة . . . فنهض رجل من تحت منبره، فقال:

- يا أمير المؤمنين إني مررت بوادي القرى، فوجدت (خالد بن عرفطة) قد مات، فاستغفر له . . . فقال له الإمام:

- والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ظلاله، صاحب لوائه (حبيب بن حمار) . . . فقام رجل آخر من تحت المنبر، وقال:

- يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمار، وإني لك شيعة ومحب . . . فقال له أمير المؤمنين:

- أنت حبيب بن حمار! . . . فقال: نعم . . . وقال الإمام ثانية:

- والله إنك لحبيب بن حمار؟ . . . فقال: إي والله!

قال له الإمام علي (ع):

.. أما والله إنك لحاملها ولتحملنها، ولتدخلن بها من هذا الباب.. (وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة) ..

قال (ثابت الثمالي): فوالله ما متُّ حتى رأيتُ ابن زياد، وقد بعث (عمر بن سعد بن أبي وقاص) إلى حرب الحسين بن علي، وجعل خالداً بن عرفطة على مقدمته.. وحبیباً بن حمار صاحب رايته!!

فدخل بها من باب الفيل التي ذكرها الإمام علي<sup>(١)</sup> ..

٢ - روى محمد بن علي الصوّاف، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه، عن شَمِير بن سَدِير الأزدي، قال الإمام لعمر بن الحمق الخزاعي:

لا تنزل في قومك، ولا في بني كنانة..

فسأله عمرو: فأين أنزل يا أمير المؤمنين؟

قال له الإمام علي: انزل في بني عمرو بن عامر من الأزد..

فقال قوم حضروا ذلك المجلس:

ما نراه إلا كاهناً يتحدث بحديث الكهنة!! ثم استمر الإمام في قوله له:

«... يا عمرو إنك لمقتول بعدي، وإن رأسك لمنقول، وهو أول

رأس ينقل في الإسلام.. والويل لقاتلك!

أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك<sup>(٢)</sup> إلا هذا الحي من بني

عمرو بن عامر فانهم لن يسلموك، ولن يخذلوك..».

قال الأزدي (راوي الحديث):

فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق الخزاعي في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزاعة،

(١) (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٧.

(٢) أي أسلموك بما معك.

فأسلموه، فقتل، وحُمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام.. وهو أول رأس حُمل في الإسلام من بلد إلى آخر<sup>(١)</sup>..

٣ - ذكر عثمان بن سعيد، عن يحيى التيمي، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، قال:

قام (أعشى بأهله) - وهو غلام يومئذ حدث - إلى الإمام علي (ع) وهو يخطب، ويذكر الملاحم، فقال:

يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة!!

فقال له الإمام علي:

إن كنت آثماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف.. ثم سكت.

فقام رجال، فقالوا:

ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟... قال:

غلام يملك بلدتكم هذه، لا يترك لله حرمة إلا إنتهكها.. يضرب عنق هذا

الغلام بسيفه.

فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟... قال:

عشرين إن بلغها.. قالوا: فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟... قال: بل يموت

حتف أنفه بداء البطن.. يثقب سريرته لكثرة ما يخرج من جوفه..

قال إسماعيل بن رجاء:

فوالله لقد رأيت بعيني (أعشى بأهله) أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا

من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج بن يوسف

الثقفي.. فقرعه ووبخه واستنشه من شعره الذي يُحرض فيه عبد الرحمن على

الحرب.. ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس<sup>(٢)</sup>..

٤ - روى ابن ميمون الأزدي في كتاب (الغارات)، عن أحمد بن الحسن

(١) المصدر السابق ص ٢٨٩.

(٢) نفس المصدر ص ٢٨٩.

الميثمي، قال: كان (ميثم التمار) مولى علي بن أبي طالب (ع) عبداً لامرأة من بني أسد.. فاشتراه علي (ع) منها وأعتقه، وقال له: ما اسمك؟ فقال: سالم.. فقال له الإمام:

إن رسول الله ﷺ أخبرني أن اسمك الذي سماك أبوك في العجم (ميثم).. فقال: صدق الله ورسوله، وصدقت يا أمير المؤمنين.. فهو والله اسمي..

قال الإمام: فارجع إلى اسمك، ودع سالماً، فنحن نكنيك به.. فكناه أبا سالم، وكان قد أطلعه الإمام علي (ع) على علم كثير، وأسرار خفية من أسرار الوصية.

فكان ميثم يُحدث ببعض ذلك، فيشك فيه قوم من أهل الكوفة.. وينسبون علياً (ع) في ذلك إلى المخزقة (اختلاق الكذب) والإيهام والتدليس، حتى قال له يوماً بمحضرٍ من خلق كثير من أصحابه.. وفيهم الشاك والمخلص:

(.. يا ميثم إنك تؤخذ بعدي وتُصلب.. فإذا كان اليوم الثاني ابتدر مُنْخَرَاك وفمك دماً، حتى تخضب لحيتك..

فإذا كان اليوم الثالث، طعنت بحربة يقضي عليك.. فانتظر ذلك. والموضع الذي تُصلب فيه علي باب دار (عمرو بن حريث).. إنك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشية، وأقربهم من المطهرة (الأرض).. ولأرينك النخلة التي تصلب على جذعها..)

ثم أراه إياها بعد ذلك بيومين.. وكان ميثم يأتيها فيصلي عندها، ويقول: بوركنت من نخلة لك خلقت، ولي نبت.. فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي (ع) حتى قطعت، فكان يرصد جذعها، ويتعاهده ويتردد إليه، ويبصره.. وكان يلقي عمرو بن حريث، فيقول له:

إنني مجاورك فأحسن جوارِي!.. فلا يعلم عمرو ما يريد، فيقول له: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود، أم دار ابن حكيم!

وَحَجَّ فِي السَّنَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا . . فَدَخَلَ عَلَيَّ (أُمِّ سَلْمَى) (رَضِيَ) ، فَقَالَتْ لَهُ :  
مَنْ أَنْتَ؟ . . قَالَ : عِرَاقِي ! فَاسْتَنْسَبْتَهُ . . فَذَكَرَ لَهَا أَنَّهُ مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . .  
فَقَالَتْ لَهُ :

أَنْتَ هَيْثُمْ . . قَالَ : بَلْ أَنَا مَيْثُمْ . .

فَقَالَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ لَرُبَّمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُوصِي بِكَ عَلِيًّا فِي  
جَوْفِ اللَّيْلِ . فَسَأَلَهَا عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ . . فَقَالَتْ : هُوَ فِي حَائِطِ لَهُ (بِسْتَانِ  
لَهُ) . .

قَالَ : أَخْبَرِيهِ أَنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ السَّلَامَ عَلَيْهِ . . وَنَحْنُ مُلْتَقُونَ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَا أَقْدِرُ الْيَوْمَ عَلَى لِقَائِهِ ، وَأُرِيدُ الرَّجُوعَ . .

فَدَعَتْ بَطِيْبَ فَطِيْبٍ لِحَيْتِهِ . . فَقَالَ لَهَا :

أَمَّا إِنَّهَا سَتَخْضِبُ بَدْمًا ! فَقَالَتْ لَهُ : مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا؟

قَالَ : أَنْبَأَنِي سَيِّدِي . . فَبَكَتْ أُمُّ سَلْمَى ، وَقَالَتْ لَهُ :

إِنَّهُ لَيْسَ بِسَيِّدِكَ وَحَدِّكَ . . هُوَ سَيِّدِي وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ . ثُمَّ وَدَعْتَهُ .

فَقَدَّمَ الْكُوفَةَ ، فَأَخَذَ ، وَأَدْخَلَ عَلَيَّ (عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ) ، وَقِيلَ لَهُ :  
هَذَا كَانَ مِنْ آثَرِ النَّاسِ عِنْدَ (أَبِي تَرَابٍ) <sup>(١)</sup> . . قَالَ : وَيَحْكُمُ هَذَا الْأَعْجَمِيُّ ! قَالُوا :  
نَعَمْ . . فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : أَيْنَ رَبُّكَ؟ قَالَ : بِالْمَرْصَادِ . .

قَالَ : قَدْ بَلَغَنِي اخْتِصَاصُ أَبِي تَرَابٍ لَكَ ! قَالَ :

قَدْ كَانَ بَعْضُ ذَلِكَ فَمَا تَرِيدُ؟ قَالَ :

وَإِنَّهُ لَيَقَالُ إِنَّهُ قَدْ أَخْبَرَكَ بِمَا سَيَلْقَاكَ ! قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّهُ أَخْبَرَنِي . .

قَالَ : مَا الَّذِي أَخْبَرَكَ أَنِّي صَانِعُ بِكَ؟

قَالَ : أَخْبَرَنِي أَنَّكَ تَصْلُبُنِي عَاشِرَ عَشْرَةِ وَأَنَا أَقْصَرُهُمْ خَشْبَةً ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْ

الْمَطْهَرَةِ . . قَالَ : لِأَخَالِفْنَهُ !

---

(١) (أَبِي تَرَابٍ) الْإِمَامُ عَلِيُّ (ع) كُنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَبِي تَرَابٍ ، عِنْدَمَا وَجَدَهُ مَضْطَجِعًا عِنْدَ الْمَسْجِدِ  
وَرَدَاؤُهُ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ وَتَلَوْتُ بِالْتَرَابِ . . وَتِلْكَ الْكُنْيَةُ كَانَتْ مِنْ أَحْبَبِ الْكُنْيَاتِ إِلَى نَفْسِ الْإِمَامِ ،  
لِأَنَّهَا جَاءَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ مَرَّ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ (أَلْقَاهُ . .) .



قال: ويحك! كيف تخالفه، إنما أخبر عن رسول الله ﷺ، وأخبر رسول الله ﷺ عن جبرائيل عن الله... فكيف تخالف هؤلاء!!

أما والله لقد عرفتُ الموضوع الذي أُصلب فيه أين هو من الكوفة... وإني أول خلق الله ألجم في الإسلام بلجام كما يُلجم الخيل... فحبسه، وحبس معه (المختار بن عبيدة الثقفي)... فقال ميثم للمختار وهما في حبس ابن زياد:

إنك تُفليت، وتخرج ثائراً بدم الحسين (ع)... فتقتل هذا الجبار الذي نحن في سجنه وتطأ بقدمك هذه على جهته وخديه...

فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله، طلع البريد بكتاب (يزيد بن معاوية) إلى عبيد الله بن زياد، يأمره بتخلية سبيله، وذلك أن أخته كانت تحت (عبد الله بن عمر بن الخطاب) (رض)، فسألت بعلمها أن يشفع فيه إلى يزيد فشفع، فأمضى شفاعته، وكتب بتخلية سبيل المختار على البريد، فوافى البريد، وقد أخرج ليضرب عنقه، فأطلق...

وأما ميثم فأخرج بعد ليُصلب... وقال عبيد الله:

لأَمْضِينَ حَكَمَ أَبِي تَرَابٍ فِيهِ!! فَلَئِمَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ:

مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ هَذَا يَا مَيْثِمُ!!

فَتَبَسَمَ، وَقَالَ: لَهَا خَلَقْتُ، وَلِي عُذِيثٌ...

فلما رُفِعَ عَلَى الخَشْبَةِ، اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث، فقال عمرو:

لقد كان يقول لي: إني مجاورك، فكان يأمر جاريتَه كُلَّ عَشِيَةِ أَنْ تَكْنَسَ تحت خشبته وترشه، وتجمر بالمجمر تحته...

فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم، ومخازي بني أمية، وهو مصلوب على الخشبة! فقيل لابن زياد: قد فضحككم هذا العبد!

فقال: إجموه فألجم... فكان أول خلق الله ألجم في الإسلام!

فلما كان اليوم الثاني فاضت منخراه وفيه دماء... فلما كان الثالث طعن بحربة

فمات! وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين بن علي العراق بعشرة أيام<sup>(١)</sup>!

٥ - الرواية التي مر ذكرها في هذا الموضوع... المتعلق بـ (سلوني)...  
عندما قام للإمام سنان بن أنس النخعي يسأله عن ما في رأسه ولحيته من طاقة شعر  
وجواب الإمام علي (ع) له، وذكر مَنْ في بيته، وهو ابنه الذي كان صغيراً، والذي  
ساهم مع مَنْ ساهم في قتل الحسين بواقعة كربلاء...

٦ - ذكر الشعبي: أن الإمام علياً مرَّ بكربلاء في مسيره إلى صفين... وحاذى  
نينوى وهي قرية على الفرات، فوقف ونادى صاحب مطهرته:

أخبرنا أبا عبد الله ما يقال لهذه الأرض؟

فقال: كربلاء!.. فبكى الإمام، ثم قال:

دخلتُ على رسول الله ﷺ، وهو يبكي، فقلتُ:

ما يبكيك يا رسول الله! فقال ﷺ:

«كان عندي جبريل آنفاً، فأخبرني أن ولدي الحسين يُقتل بشاطئ

الفرات بموضع يقال له كربلاء... ثم قبض جبريل قبضة من تراب

فشممني إياها... فلم أملك عيني أن فاضتا...».

رواه ابن سعد، والإمام أحمد بن حنبل، والملا في سيرته، وابن الأخرى  
في معالم العترة الطاهرة، وأم سلمى، والحافظ بن يوسف الزرندي في الدرر. كما  
أخرجه الطبراني، ورواه ابن عباس<sup>(٢)</sup> وغيرهم.

وعن أسماء بنت عميس التي روت هذا الحديث... عن النبي ﷺ الذي قال

لها:

«ابني هذا يا أسماء تقتله الفئة الباغية من أمتي، لا أنالهم الله شفاعتي يا

أسماء...» أخرجه الإمام علي بن موسى الكاظم<sup>(٣)</sup>.

(١) (حجج النهج) الدكتور سعيد السامرائي ص ١٤٧.

(٢) (تذكرة الخواص) ص ١٤٢. و(جواهر العقدين في فضل الشرفين) لعلي بن عبد الله السمهودي (نشر  
وزارة الأوقاف العراقية) ص ٣٥٥.

(٣) المصدر السابق ص ١١. و(ذخائر العقبى) ص ١١٩.

٧ - إخبار الإمام علي (ع) أصحابه عن الضربة التي سيضربه بها (ابن ملجم) بسيفه على رأس الإمام، فتقضي عليه . . .

وكان يقول لأهل العراق عند تضجره منهم :

«وددت أنه قد انبعث أشقاكم فحضب هذه «يعني لحيته» من هذه  
«ووضع يده على مقدم رأسه» . . .

رواه الطبراني في (الكبير) . . . وأبو يعلي في (مسنده) . . . وأخرجه أبو  
حاتم<sup>(١)</sup> .

. . . ذكر يزيد بن أمية الديلي، قال :

مرض علي بن أبي طالب مرضاً شديداً، حتى خفنا عليه . . . ثم إنه برأ  
ونقه . . . فقلنا :

هنيئاً لك أبا الحسن، الحمد لله الذي عافاك، قد كنا نخاف عليك . . . قال :

لكني لم أخف على نفسي . . . أخبرني الصادق المصدق أني لا أموت حتى  
أضرب على هذه (وأشار إلى مقدم رأسه الأيسر) فتحضب هذه منها بدم (وأخذ  
بلحيته) وقال لي :

«يقتلك أشقى هذه الأمة كما عقر ناقة الله أشقى بني فلان من ثمود» . . .

أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (فضائل الصحابة) . . . والهيثمي في  
(المجمع) . . .

ولما كانت الليلة التي قُتل في صبيحتها أكثر الخروج، والنظر إلى السماء  
وهو يقول :

«والله ما كذبتُ ولا كُذبتُ، إنها الليلة التي وعدتُ . . .»<sup>(٢)</sup> !!

(١) (مسند) أبي يعلي ج ١ ص ٣٤. المعجم الكبير ج ٨ ص ٧٥. (ذخائر العقبى) ص ١١٦ (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) ج ٤ ص ٣٣٢.

(٢) (جواهر العقدين في فضل الشرفين) ص ٣٥٣.

.. وهناك روايات مختلفة أخبر فيها الإمام علي أصحابه عنها قبل وقوعها وحدثت فعلاً بعده... منها:

٨ - أخباره بامتلاك معاوية بن أبي سفيان أمر المسلمين بعده.. وفي ذلك قال لأصحابه:

«أما إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقٌ<sup>(١)</sup> الْبَطْنِ .. يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ. فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ.. أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي، وَالْبِرَاءَةَ مِنِّي.. فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ. وَأَمَّا الْبِرَاءَةُ فَلَا تَتَّبِرُوا مِنِّي، فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ»<sup>(٢)</sup>.

٩ - إخباره عبد الله بن عباس (رض) عن انتقال الحكم إلى أولاده، وقيام الحكم العباسي..

١٠ - إخباره تولي أولاد (مروان بن الحكم) الحكم، وما ستلقى الأمة منهم.. وذلك بعد أن جاؤوا بمروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين إلى أبيهم.. فقالا له يبايعك يا أمير المؤمنين.. فقال لهم:

«أَوْ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ! لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ. إِنَّهَا كَفَّ يَهُودِيَّةً، لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِأَسْتِهِ»<sup>(٣)</sup>.. أما إنَّ له إمْرَةً كَلْعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ.. وهو أَبُو الْأَكْبِشِ<sup>(٤)</sup> الْأَرْبَعِيَّةِ، وَاسْتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمَنْ وَلِدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ».

١١ - إخباره عن قيام الدولة العلوية في المغرب.. ودولة بني بويه في العراق.

(١) مندحق: كبير. عظيم.

(٢) نهج البلاغة - محمد عبده - ج ١ ص ١٠٦.. في رواية أخرى يقال عنى به زياداً، وبعضهم يقول عنى المغيرة ابن شعبة.

(٣) وهو ما يحرص الإنسان على إخفائه.

(٤) جمع كبش. وهو من القوم رئيسهم. ويعني ببني عبد الملك بن مروان وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام. ولم يتولى الخلافة أربعة أخوة سوى هؤلاء.

١٢ - أخباره عن حركة عبد الله بن الزبير وفشله ومقتله .

١٣ - عن الحجاج بن يوسف الثقفي ، وظلمه وقسوته ، وما يجري به . .

١٤ - عن البصرة وهلاكها بالغرق . . وبسيطرة الزنج عليها . .

١٥ - أخباره عن مقتل محمد صاحب النفس الزكية ، وأخيه إبراهيم بعد

ثورتهما على العباسيين في عهد أبي جعفر المنصور . . .

وغير ما ذكرناه آنفاً ، من أخبار وحوادث أوردتها كتب التاريخ . .

### كلامه دون كلام الخالق . . وفوق كلام المخلوق :

أما الفصاحة والبلاغة ، فهو كما وصفه ابن أبي الحديد المعتزلي :

(فهو سيد البلغاء ، وإمام الفصحاء ، حتى قيل في كلامه دون كلام الخالق ،

وفوق كلام المخلوق . .) عدا كلام النبي ﷺ ، فقد كان أفصح العرب إطلاقاً . .

وهو الذي علم علياً من فصاحته وبلاغته . .

وحسبنا في بلاغة الإمام علي ، الروائع من بلاغته في (نهج البلاغة) وفيه من

البلاغة أبلغها . . ومن الفصاحة أفصحها . . ومن الحكم أحكمها . . ومن العلوم

أوسعها . .

وكتاب نهج البلاغة يدل عليه اسمه . . يجمع من كل شيء بعضه . .

ورد في مقدمة السيد الشريف الرضي في نهج البلاغة ، وصفاً لبلاغة الإمام

علي ، قال فيها :

( . . . إذ كان أمير المؤمنين (ع) مُشْرِعَ الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة

ومولدها ، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها . وعنه أخذت قوانينها . وعلى أمثلته هذا

كل قائد خطيب ، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ .

ومع ذلك فقد سبق وقصروا . . وتقدم وتأخروا . لأن كلامه عليه السلام

الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي ، وفيه عبقة من الكلام النبوي . .) (١)

(١) (نهج البلاغة) شرح محمد عبده ج ٣ ص ١٦٥ .

نعم . . في كلامه مسحة من العلم الإلهي ، وفي قوله دقة في التعبير ، وبلاغة في التفسير ، وروائع في التصوير . . وكأنه في وصفه للشيء أمام المستمع له مصور . . قال في وصفه للإسلام :

«لَأَتَسَبَّنَ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَتَسَبَّهَا أَحَدٌ قَبْلِي . . الْإِسْلَامُ : هُوَ التَّسْلِيمُ . .  
والتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ . . وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ . . وَالتَّصْدِيقُ هُوَ  
الْإِقْرَارُ . . وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ . . وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ»<sup>(١)</sup> .

. . كان الإمام علي (ع) أحد العلماء الربانيين<sup>(٢)</sup> . . وله ما شئت من ضرس قاطع في العلم ، كما ذكر عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة<sup>(٣)</sup> . .  
قال سبط ابن الجوزي :

(كان علي ينطق بكلام قد حفَّ بالعصمة . . ويتكلم بميزان الحكمة . . كلام ألقى الله عليه المهابة . . فكل من طرق سمعه راقه فهابه . .  
وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة . . والطلاوة والفصاحة ، ولم تسقط له كلمة . . ولا بارت له حجة .

أعجز الناطقين ، وحاز قصب السبق في السابقين . . )<sup>(٤)</sup> .

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي :

(واعلم أننا لا يتخالجنا الشك في أنه (ع) أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين ، إلا من كلام الله سبحانه ، وكلام رسول الله ﷺ)<sup>(٥)</sup> .

يقول الأستاذ جورج جرداق في نهج البلاغة :

( . . هل سألت تاريخ هذا الشرق عن نهج للبلاغة آخذ من الفكر والخيال ،

(١) (نهج البلاغة) محمد عبده ج ٣ ص ١٦٥ .

(٢) (تاريخ الخلفاء) الإمام السيوطي ص ١٩٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٣ .

(٤) تذكرة الخواص لابن الجوزي .

(٥) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٩٩ .

والعاطفة آيات تتصل بالذوق الفني الرفيع ما بقي الإنسان، وما بقي له خيال وعاطفة وفكر، مترابط بآياته متساق، متفجر بالحسن المشبوب والإدراك البعيد، متدفق بلوعة الواقع وحرارة الحقيقة والشوق إلى معرفة ما وراء هذا الواقع . .

متألف يجمع بين جمال الموضوع، وجمال الإخراج حتى ليندمج التعبير بالمدلول أو الشكل بالمعنى، اندماج الحرارة بالنار والضوء بالشمس والهواء بالهواء . . فما أنت إزاءه إلا ما يكون المرء قبالة السيل إذ ينحدر، والبحر إذ يتموج والرياح إذ تطوف . .

أو قبالة الحدث الطبيعي الذي لا بد له أن يكون بالضرورة على ما هو كائن عليه من الوحدة التي لا تُفَرِّق بين عناصرها إلا لتمحو وجودها، وتجعلها إلى غير كَوْن<sup>(١)</sup>.

ويقول الكاتب الكبير الأستاذ جورج جرداق في مجال آخر في نهج البلاغة أيضاً:

. . . هذه الحقيقة تتركز جليةً واضحة في شخصية علي بن أبي طالب . . . فإذا هو الإمام في الأدب وسره البلاغة، كما هو الإمام في ما أثبت من حقوق وفي ما علم وهدى . .

وآيته في ذلك (نهج البلاغة) الذي يقوم في أسس البلاغة العربية في ما يلي القرآن من أسس . .

وتتصل به أساليب العرب في نحو ثلاثة عشر قرناً، فتبني على بنائه وتقتبس منه ويحيا جيدها في نطاق من بيانه الساحر . .  
ثم يقول:

. . . وإن شروط البلاغة التي هي موافقة الكلام لمقتضى الحال، لم تجتمع لأديب عربي كما اجتمعت لعلي بن أبي طالب . .  
فإنشاؤه أعلى مثل لهذه البلاغة بعد القرآن . . فهو موجزٌ على وضوح، قويٌّ

(١) (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية) جورج جرداق - المجلد الأول ص ٤٥.

جياش، تام الانسجام لما بين ألفاظه ومعانيه وأغراضه من ائتلاف . . . حلو الرنة في الأذن، موسيقي الوقع . . .

فأسلوب علي صريحٌ كقلبه وذهنه، صادق كطويته . . . فلا عجب أن يكون نهجاً للبلاغة . . .<sup>(١)</sup>

قال الكاتب إبراهيم اليازجي :

(ما أتقنت الكتابة إلا بدروس القرآن ونهج البلاغة . . . ونهج البلاغة يحتاج له كل مَنْ يريد أن يفهم المجتمع العربي، والعقلية العربية، وفهم أسلوب الحكم في البلاد العربية . . . وكذلك الفقيه الذي يرغب في أن يكون نافذ الفكر، مستنير البصيرة . . . هو في أقصى الحاجة إلى نهج البلاغة . . .

وكذلك يحتاج لنهج البلاغة رجل الوعظ المسلم الذي يريد أن يكون واسع الآفاق)<sup>(٢)</sup>

جاء رجل إلى الإمام، فقال :

أخبرني عن القدر . . . فقال له الإمام :

طريق مظلم لا تسلكه . . . وكرر الرجل عليه السؤال . . . فقال له :

بحر عميق لا تلجه . . . ثم عاد الرجل بسؤاله للإمام . . . فقال له :

سرُّ الله قد خفي عليك فلا تفتشه . . .

ولم يكتف الرجل، فقال : أخبرني عن القدر! . . . فقال له :

يا أيها السائل إن الله خلقك لما شاء، أو لما شئت؟ قال :

بل لما شاء . فقال له الإمام : فيستعملك لما شاء . . .

وجاء رجل يهودي إلى الإمام فسأله متى كان ربنا؟

فأجابه الإمام :

«لم يكن فكان، هو كان ولا كينونة . . . وكان بلا كيف . . . كان ليس له

(١) (علي وسقراط) جروج جرداق ص ١٨٤ و ٢٠٨ .

(٢) (الإمام علي أسد الإسلام وقديسه) روكسي العزيزي ص ٢٠٩ .



قبل ولا غاية . انقطعت الغايات دونه ، فهو غاية كل غاية . . . » .

فأسلم اليهودي على جواب الإمام . . .

سأل الإمام أحد المهتمين بالإلهيات : هل نرى ربنا!

أجابه الإمام :

«وكيف نعبد ما لم نره! سبحانه وتعالى لم تره العيون بكشف العيان . . .

لكن تراه القلوب بحقائق الإيمان . وقد قال رسول الله ﷺ : «اعبد الله

كأنك تراه . . . فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

. . . لقد قال الإمام في أكثر من مرة أنه يعبد الله كأنه يراه . . .

ولعل بعض المتمردين يستهجنون لهذا القول ، ظناً منهم أنه مبالغ فيه .

وهو (ع) لم يتركه دون برهان . . بل شرح حقيقته للعقلاء بلسان الأنبياء

والصالحين ، اقتناعاً منه بقناعتهم ، واعتماداً منه على برهانهم . . .

إلى جانب ذلك تصدى الإمام لأهل العقول المتمردة ، طالباً منهم التوقف

عند حدود عقولهم وحواسهم ، والانصراف إلى الله بقلوبهم ، فإنها وحدها التي

تراه<sup>(١)</sup> . سأل الإمام علياً كرم الله وجهه سائل :

يا أمير المؤمنين ، بم عرفت ربك؟ أجابه :

«بما عرفني نفسه ، لا تشبهه صورة ، ولا يدرك بالحواس ، ولا يقاس

بالناس قريب في بعده ، بعيد في قربه . . فوق كل شيء ولا يقال شيء

تحت ، وتحت كل شيء ولا يقال شيء فوقه . . أمام كل شيء ولا يقال

شيء أمامه . . داخل في الأشياء ولا كشيء ، ولا من شيء ، ولا في

شيء ، ولا بشيء . . .

سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره . . خلق الأشياء لا من شيء كان

معه ، ولا عن شيء احتذاه ، ولا عن شيء امتثله ، فكل صانع فمن

(١) (الإمام علي والفلسفة الزمنية) فرح موسى ص ٥٥ .

شيء صنع ، وكل عالم فمن بعد جهل علم . .

والله تعالى عالم لا من بعد جهل . .

والإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب ، فكلما ازداد الإيمان ازداد القلب  
بياضاً ، فإذا استكمل الإيمان أبيض القلب .

وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب ، فكلما ازداد النفاق ازداد  
القلب سواداً ، فإذا استكمل النفاق اسود القلب . .

وأسلم الناس مَنْ جعل عقله أميره ، وحذره وزيره ، والموعظة زمامه ،  
والصبر قائده ، والاعتصام بالتقوى ظهيره ، وخوف الله تعالى جليسه ،  
وذكر الموت والبلى أنيسه<sup>(١)</sup> .

أوصى الإمام علي ابنه الحسن ، قائلاً له :

«يا بني احفظ عني أربعاً ، وأربعاً :

أغنى الغنى العقل . . . وأكبر الفقر الحمق . . وأوحش الوحشة  
العجب<sup>(٢)</sup> . . وأكرم الحسب حسن الخلق . . .»

أما الأربع الأخرى :

«إياك ومصادقة الأحمق ، فإنه يريد أن يتفَعَكَ فيضُرَّكَ . .

وإياك ومصادقة الكذاب ، فإنه كالسراب يقربُ عليك البيعدَ ويبعدُ  
عليك القريب .

وإياك ومصادقة البخيل ، فإنه يَبْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ ما تكونُ إليه . .

وإياك ومصادقة الفاجر ، فإنه يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ<sup>(٣)</sup> . . .»

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج ٢ ص ٣٦٥ .

(٢) العجب من أعجب بنفسه مقتته الناس ، فلا يوجد له أنيس .

(٣) التافه : القليل .

وقد ذكر الإمام (ع) الأربعة مرة أخرى في قول آخر له، حيث قال:

«مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا، لَمْ يُحْرَمِ أَرْبَعًا:

مَنْ أُعْطِيَ الدَّعَاءَ . . . لَمْ يُحْرَمِ الإِجَابَةَ .

وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ . . . لَمْ يُحْرَمِ القَبُولَ .

وَمَنْ أُعْطِيَ الاسْتِغْفَارَ . . . لَمْ يُحْرَمِ المَغْفِرَةَ .

وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ . . . لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ» .

وتصديق ذلك كتاب الله تعالى، قال الله عز وجل:

في الدعاء: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر، الآية: ٦٠].

وقال في الاستغفار: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ

يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٠].

وقال في الشكر: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٧].

وقال في التوبة: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ

يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة

النساء، الآية: ١٧].

وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

«سبع من الشيطان:

شدة الغضب . . . وشدة العطس . . . وشدة التثاؤب . . . والقيء . . .

والرُعاف . . . والتَّجْوَى . . . والنوم عند الذكر» .

وقال الإمام قولاً هو من روائع حكمه:

«مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ . . . وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عَقُولِهَا» .

مشى يوماً في السوق، فمر ببائع يحلف، فقال له:

«لا تحلف! ويل للصانع وييل للتاجر من «لا والله» و«بلى والله» ألا إن

كل يمين فاجرة تذهب بالبركة . . فاتقوا « لا والله » و« بلى والله » وقد قال رسول الله ﷺ :

«التاجر الصدوق يُحشر مع النبيين والصديقين والشهداء» .

أنحُ على هذا النحو :

كان الإمام علي ركناً من أركان الفقه واللغة العربية بشتى علومها . . كما هو ركن من أركان الإسلام من حيث الموقع . .

لم يكن في زمان الإمام أو من أقرانه مَنْ يقف إلى جانبه في شتى علوم المعرفة . .

منها فصاحته وبلاغته باللغة العربية . . إنه تلميذ ذلك العبقرى الفذ محمد ﷺ . . فهو له ما ليس لغيره من قوى خارقة في كل علم وكل مقدرة، متأتية من قواه الذهنية الخارقة، وحدة ذكائه المفرط . .

ذكر الدكتور مهدي محبوبة<sup>(١)</sup> :

(أما العلوم العربية اللغوية من بلاغة وفصاحة وخطب ورسائل ونحو، فمرجعها إليه ثابت . . .

فقد رجع إليه أساطين البلاغة والفصاحة في الأمة العربية، يتفأون ظلالة، ويرتشفون نهل رسائله وخطبه . . وقد شهد بذلك أفضل كتاب العرب وسادة القول والبيان . .

فقد ذكر الخليل بن أحمد العلامة المشهور صاحب علم العروض، وأول واضع للقاموس العربي، ومن أكابر علماء اللغة في صدر الإسلام بقوله :

«احتياج الكل إليه، واستغناؤه عن الكل دليل على أنه إمام الكل» . .

وقال ابن نباته : «حفظت من الخطابة كترأ لا يزيد الانفاق إلا سعة وكثرة،

حفظت مئة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب» . .

(١) (ملاحم من عبقرية الإمام) د. مهدي محبوبة دار الكتاب العربي - بيروت ص ١٣٦.

وقد أفاض الجاحظ أبو عثمان، العالم المشهور، في ذكر الإمام علي، وبما له من سبق في البلاغة والفصاحة، وكان ذلك في كثير من كتبه . .

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب :

«إنه حفظ الناس عن الإمام علي أربع مئة وثمانين خطبة ونيفاً . .

كان الإمام مشرعاً للفصاحة وساناً للبلاغة . .

كان يمتاز بدقة السبك، وحسن الأسلوب، وإحكام الحجّة، وسهولة اللفظ، وجزالة المعنى، وبساطة التعبير، والإحاطة بالقصد)

ذكر أبو القاسم الزّجاجي في أماليه :

(حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري، عن السجستاني، عن ابن إسحاق الحضرمي، عن سعيد بن سَلْم الباهلي . . حدثنا أبي عن جدي، عن أبي الأسود الدؤلي، قال :

دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فرأيتَه مطرقاً مفكراً . .  
فقلتُ :

فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال :

إني سمعتُ ببلدكم هذا لحناً، فأردت أن أصنع كتاباً فيه أصول العربية . .  
فقلت : إن فعلت هذا أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللغة . .

ثم أتيتَه بعد ثلاث، فألقى إلي صحيفة فيها :

«بسم الله الرحمن الرحيم، الكلمة : اسم، وفعل، وحرف .

فالاسم : ما أنبأ عن المسمى .

والفعل : ما أنبأ عن حركة المسمى .

والحرف : ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل . .»

ثم قال : تتبعه وزد فيه ما وقع لك . . واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء

ثلاثة : ظاهر . . ومضمّر . . وشيء ليس بظاهر ولا مضمّر، وإنما

يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمّر . .

قال أبو الأسود:

فجمعت منه أشياء، وعرضتها عليه.. فكان ذلك من حروف النصب،  
فذكرت منها (إِنَّ) و(أَنَّ) و(ليت).. و(لعل).. و(كأن).. ولم أذكر (لكن).  
فقال لي: لِمَ تركتها! فقلت: لم أحسبها منها.

فقال: بل هي منها فزدها فيها<sup>(١)</sup>.

ثم قال الإمام لأبي الأسود الدؤلي:

«أنح هذا النحو في العربية».

لذا سُمِّيَ هذا العلم بـ (علم النحو).. فكان الإمام هو مبتدع علم النحو،  
وهذا ما أقره كل علماء اللغة العربية دون استثناء..

قال معاوية بن أبي سفيان:

(والله ما سن الفصاحة لقريش غير علي بن أبي طالب..!!).

## أول مَنْ جمع القرآن..

ومن علوم الإمام علي، علم تفسير القرآن الذي عكف على دراسته، دراسة  
المتبصر الحكيم، وقام بجمعه بعد وفاة النبي ﷺ حينما اعتكف في بيته، ولم  
يخرج منه إلا إلى الصلاة، حتى جمع القرآن الكريم.. وهو أول مَنْ جمعه..

جاء في (المناقب) للخوارزمي الحنفي بسند عن الإمام علي، قال:

«لما قبض رسول الله ﷺ أقسمتُ أن لا أضع ردائي على ظهري حتى  
أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي على ظهري حتى جمعت  
القرآن»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في كتاب (تأريخ القرآن):

(ولقد كان في دار الكتب العلوية في النجف مصحف بالخط الكوفي

(١) (تأريخ الخلفاء) الإمام الحافظ السيوطي ص ٢١٣.

(٢) (المناقب) للخوارزمي ص ٤٩.

مكتوب في آخره: كتبه علي بن أبي طالب سنة أربعين من الهجرة).

وجاء في موضع آخر:

(أما مصحف علي فيعزى إليه، إنه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي ﷺ فأقسم ألا يضع على ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن.. فكان أول مصحف جُمع فيه القرآن).

يروى ابن النديم في كتابه (الفهرست):

إن هذا المصحف كان عند أهل جعفر.. ويقول:

(ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلي حمزة الحسنی رحمه الله مصحفاً قد سقطت منه أوراق بخط علي بن أبي طالب، يتوارثه بنو حسن علي مر الزمان..).

وذكر أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي:

(وروى بعضهم أن علياً بن أبي طالب (ع) جمعه لما قبض رسول الله ﷺ، وأتى به يحمله على جمل، فقال:

«هذا القرآن جمعته».

وكان قد جزأه سبعة أجزاء:

١ - جزء البقرة.

٢ - جزء آل عمران.

٣ - جزء النساء.

٤ - جزء المائدة.

٥ - جزء الأنعام.

٦ - جزء الأعراف.

٧ - جزء الأنفال.

وذلك باعتبار أول كل جزء.. وروي أن مصحف علي كان ترتيب النزول، وتقديم المنسوخ على الناسخ<sup>(١)</sup>.

(١) (الإمام علي أسد الإسلام وقديسه) رويس بن زائد العزيزي ص ٥٩.

وقد سأل الإمام علي أصحابه مراراً وتكراراً، أن يسألوه عن الكتاب الكريم، بمواقف عدة، لأنه أعلمهم به، وبآياته . . .

. . . أما مصادر القراءات والقراء، لو رجعنا لها وإليهم . . . وجدنا أئمة القراء كلهم يرجعون إلى الإمام . . .

نحو أبي عمرو بن العلاء . . . وعاصم بن أبي النجود . . . وغيرهم .  
وهؤلاء يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي . . . والسلمي كان تلميذاً للإمام، ومنه أخذ القراء . . .

لذا يعتبر هذا العلم، أو هذا الفن، إن صحت تسميته من العلوم أو الفنون التي ترجع له . . .

### آثار الإمام علي (ع) . . .

أخذ (حبر الأمة) عبد الله بن عباس (رض) كل أحاديثه، وتفاسيره من أستاذه الإمام علي بن أبي طالب . . .

وعن عبد الله بن عباس، أخذ كل المفسرين . . . فكتب التفسير مرجعها ما فسرته الإمام، وما وضعه من تفاسير . . .

لقد استطاع العلماء والباحثون جمع بعض ما خلفه علي بن أبي طالب من مبادئ ومفاهيم وحقائق في مؤلفات عديدة . . . نورد منها:

#### ١ - نهج البلاغة:

جمعه الشريف أبو الحسن الرضي بن الحسين الموسوي، المتوفي سنة ٤٠٦ هـ ويشتمل الكتاب على ما اختاره الشريف من خطب الإمام، وكتبه، ورسائله، وحكمه، ومواعظه . . .

وقد اهتم بالكتاب المذكور جل العلماء والمفكرين، ورجال الأدب قراءة واستيعاباً وشرحاً، حتى بلغت شروحه أكثر من خمسين شرحاً . . . ومن أشهر الشراح لنهج البلاغة:

أبو الحسن البيهقي . . . والإمام فخر الدين الرازي . . . والقطب الراوندي . . .



ومحمد ميثم البحراني . . . وعز الدين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي . . . والشيخ محمد عبده . . .

ولقد انطوى (نهج البلاغة) على روائع في الفكر بشتى شعبه ومناحيه: في العقائد، والأخلاق، ونظام الحكم، وفي الحكم، وعن طبيعة المجتمع، وعلاقة الإنسان بالله تعالى، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته مع نفسه . . . إلى آخره من أبواب مختلفة في علوم المعرفة . . . وغيرها من العلوم والمعارف . . . وهو إلى جانب ذلك جاء آية في الأدب الإنساني الرفيع الذي عز نظيره في أدب اللغة العربية . . . دقة وعمقاً وتصويراً . . . وجزالة اللفظ . . .

وقد ورد فيه . . . وهو من روائع قوله:

«فَرَضَ اللهُ الإِيْمَانَ، تَطْهِيْرًا مِنَ الشُّرْكِ.

وَالصَّلَاةَ، تَنْزِيْهًا عَنِ الكِبْرِ.

وَالزَّكَاةَ، تَنْسِيْبًا لِلرِّزْقِ.

وَالصِّيَامَ، إِبْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الخَلْقِ.

وَالْحَجَّ، تَقَرُّبَةً لِلدِّينِ<sup>(١)</sup>.

وَالجِهَادَ، عِزًّا لِلإِسْلَامِ.

وَالأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ، مَصْلِحَةً لِلعَوَامِّ.

وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ، رَدْعًا لِلسُّفْهَاءِ.

وَصِلَّةَ الرِّحْمِ، مَنَّمَاً لِلعَدَدِ.

وَالقِصَاصَ، حَقْنًا لِلدِّمَاءِ.

وإِقَامَةَ الحُدُودِ، إِعْظَامًا لِلْمَحَارِمِ.

(١) أي سبباً لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض، إذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقام واحد لغرض واحد، فإن تجديد الألفة بين المسلمين في كل عام بالاجتماع والتعارف مما يقوي الإسلام.

وَتَرَكَ شُرْبَ الْخَمْرِ، تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ .

وَمُجَانِبَةً السَّرْقَةِ، إِجَاباً لِلْعِفَّةِ .

وَتَرَكَ الزُّنَا، تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ .

وَتَرَكَ اللُّوَاطِ، تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ .

وَالشَّهَادَةَ، إِسْتِظْهَاراً عَلَى الْمُجَاخِذَاتِ (١) .

وَتَرَكَ الكَذِبِ، تَشْرِيفاً لِلصُّدُقِ .

وَالسَّلَامَ، أَمَاناً مِنَ الْمَخَاوِفِ .

وَالْأَمَانَاتِ، نِظَاماً لِلْأُمَّةِ (٢) .

وَالطَّاعَةَ، تَعْظِماً لِلْإِمَامَةِ (٣) .

٢ - مسنده: الذي جمعه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي - المتوفي ٣٠٣هـ وأسماه (مسند علي). وقد ضمنه بعض ما أثر الإمام علي، من أحاديث وروايات عن رسول الله ﷺ .

٣ - غرر الحكم ودرر الكلم:

جمعه عبد الواحد محمد الأمدي . . وهو يشتمل على طائفة من حكَم الإمام علي القصيرة، ويقارب في حجمه حجم (نهج البلاغة) . .

٤ - مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب:

جمعه أبو إسحاق الوطواط الأنصاري المتوفي ٥٧٨هـ .

(١) إنما فرضت الشهادة، وهي الموت في نصر الحق ليستعان بذلك على قهر الجاحدين له فيبطل وجوده .

(٢) لأنه إذا روعيت الأمانة في الأعمال، أدى كل عامل ما يجب عليه فتنظم شؤون الأمة . أما لو كثرت الخيانات، فقد فسدت الأعمال، وكثر الإهمال فاختل النظام .

(٣) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج ٣ ص ١٩١ .

ومحمد ميثم البحراني . . . وعز الدين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي . . . والشيخ محمد عبده . . .

ولقد انطوى (نهج البلاغة) على روائع في الفكر بشتى شعبه ومناحيه : في العقائد، والأخلاق، ونظام الحكم، وفي الحكم، وعن طبيعة المجتمع، وعلاقة الإنسان بالله تعالى، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته مع نفسه . . . إلى آخره من أبواب مختلفة في علوم المعرفة . . . وغيرها من العلوم والمعارف . . . وهو إلى جانب ذلك جاء آية في الأدب الإنساني الرفيع الذي عز نظيره في أدب اللغة العربية . . . دقة وعمقاً وتصويراً . . . وجزالة اللفظ . . .

وقد ورد فيه . . . وهو من روائع قوله :

«فَرَضَ اللهُ الْإِيمَانَ، تَطْهِيراً مِنَ الشُّرْكِ .

وَالصَّلَاةَ، تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ .

وَالزَّكَاةَ، تَسْبِيحاً لِلرِّزْقِ .

وَالصِّيَامَ، إِبْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ .

وَالْحَجَّ، تَقَرُّبَةً لِلدِّينِ<sup>(١)</sup> .

وَالجِهَادَ، عِزاً لِلْإِسْلَامِ .

وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، مَصْلِحَةً لِلْعَوَامِّ .

وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، رَدْعاً لِلْسَفْهَاءِ .

وَصِلَّةَ الرَّحْمِ، مَثْمَاءً لِلْعَدَدِ .

وَالْقِصَاصَ، حَقْنًا لِلدَّمَاءِ .

وإِقَامَةَ الْحُدُودِ، إِعْظَامًا لِلْمَحَارِمِ .

---

(١) أي سبباً لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض، إذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقام واحد لغرض واحد، فإن تجديد الألفة بين المسلمين في كل عام بالاجتماع والتعارف مما يقوي الإسلام .

وَتَرَكَ شُرْبَ الْخَمْرِ، تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ .

وَمُجَانِبَةً السَّرِقَةِ، إِيْجَاباً لِلْعِفَّةِ .

وَتَرَكَ الزُّنَا، تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ .

وَتَرَكَ اللُّوَاطِ، تَكْثِيْراً لِلنَّسْلِ .

وَالشَّهَادَةَ، إِسْتِظْهَاراً عَلَى الْمُجَاْحِدَاتِ<sup>(١)</sup> .

وَتَرَكَ الكَذِبِ، تَشْرِيفاً لِلصُّدُقِ .

وَالسَّلَامَ، أَمَاناً مِنَ المَخَاوِفِ .

وَالْأَمَانَاتِ، نِظَاماً لِلْأُمَّةِ<sup>(٢)</sup> .

وَالطَّاعَةَ، تَعْظِيْماً لِلْإِمَامَةِ<sup>(٣)</sup> .

٢ - مسنده: الذي جمعه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي - المتوفي ٣٠٣هـ وأسماء (مسند علي). وقد ضمنه بعض ما أثر الإمام علي، من أحاديث وروايات عن رسول الله ﷺ .

٣ - غرر الحكم ودرر الكلم:

جمعه عبد الواحد محمد الأمدي . . وهو يشتمل على طائفة من حكَم الإمام علي القصيرة، ويقارب في حجمه حجم (نهج البلاغة) . .

٤ - مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب:

جمعه أبو إسحاق الوطواط الأنصاري المتوفي ٥٧٨هـ .

---

(١) إنما فرضت الشهادة، وهي الموت في نصر الحق ليستعان بذلك على قهر الجاحدين له فيظل جحوده .

(٢) لأنه إذا روعيت الأمانة في الأعمال، أدى كل عامل ما يجب عليه فتتظم شؤون الأمة . أما لو كثرت الخيانات، فقد فسدت الأعمال، وكثر الإهمال فاختل النظام .

(٣) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج ٣ ص ١٩١ .

ويحتوي على طائفة من حِكَم الإمام علي . . . وطبع هذا الكتاب في (بولاق) وترجم إلى اللغة الألمانية .

٥ - مائة كلمة جمعها (الجاحظ) .

٦ - نثر اللاليء: جمع أبي الفضل بن الحسن الطبرسي، صاحب مجمع (البيان في تفسير القرآن)، وهذا الكتاب جمع حكمه مرتبة على حروف المعجم .

٧ - ما اشتمل عليه (كتاب صفين) لنصر بن مزاحم، من خطب الإمام وكتبه إلى معاوية وغيره .

٨ - جنة الأسماء :

شرحه الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي - المتوفي سنة ٥٠٥ هـ .

٩ - قلائد الحِكَم وفرائد الكلم :

جمع القاضي الإمام أبو يوسف يعقوب بن سليمان . . . وهذا الكتاب جمع لكلام الإمام علي .

١٠ - مآثر عنه من الأدعية والمناجاة، وقد طبع تحت اسم (الصحيفة العلوية)<sup>(١)</sup> . . .

أقول، لولا الظروف السياسية الخاصة التي وضعت الإمام علي بين فكيها، لوصلنا منه أضعاف ما وصل إلينا . . .

ولكن ما بالك ومعاوية بن أبي سفيان، منع كل ذكر حسن لآل البيت، وأولهم علي بن أبي طالب . . . ولم يكتف بذلك، بل أمر بسبه على منابر المسلمين، والإمام هو رابع خلفاء المسلمين!!

فكيف به لا يمنع عن المسلمين فقهاء . . . وعلمه . . . وأقواله . . . وحكمه . . . وتراثه!!

(١) (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) مؤسسة البلاغ ج ٣ ص ١٢٨ .

## وعلوم الطبيعة . . .

لم يقتصر علم ذلك العالم الرباني الجليل علي بن أبي طالب، على علوم الفقه، والتفسير، والفصاحة، واللغة، والحكم، والمواعظ والإرشاد. بل تجاوز ذلك إلى شتى أنواع العلوم والمعرفة. . منها علم الطبيعة بما فيها من أفلاك ومجرات وأوتاد ومنظومات . .

فهو بطرق السماء أعلم من طرق الأرض، كما قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقُدُونِي، فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنْنِي بِطُرُقِ الْأَرْضِ».

والقصد من ذلك أنه في العلوم الملكوتية، والمعارف الإلهية أوسع إحاطة منه بالعلوم الصناعية. .

وفي تلك تظهر مزية العقول العالية، والنفوس الرفيعة، وبها ينال الرشد ويستضيء الفكر<sup>(١)</sup>.

في خطبته المشهورة بـ (الأشباح) التي أشار فيها إلى حركة الأرض. . وهو أول من أشار إلى حركتها. . قال الإمام:

«كَبَسَ<sup>(٢)</sup> الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجِ مُسْتَفْحَلَةٍ<sup>(٣)</sup>، وَلَجَجَ بِحَارِ زَاخِرَةٍ<sup>(٤)</sup>، تَلْتَطِمُ أَوَاذِي أَمْوَاجِهَا، وَتَضَطِّقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا<sup>(٥)</sup>، وترغو زبداً (كالفحول) عند هياجها، فَخَضَعَ جَمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاظِمِ لِثِقَلِ حَمِلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا<sup>(٦)</sup>، وَذُلُّ مُسْتَعْذِيَاً

(١) (شرح نهج البلاغة) للشيخ محمد عبده ج ٢ ص ١٣٠.

(٢) طم بالتراب.

(٣) ذات حركة شديدة.

(٤) كناية عن البحار والمحيطات عند هيجان الرياح.

(٥) جمع ثبج: ما بين الكاهل والظهر استعارة لأعلى الموج.

(٦) الكلكل: الصدر.

إِذ تَمَعَّكَتْ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا، فَاصْبَحَ بَعْدَ أَصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ  
 سَاجِيًا<sup>(٢)</sup>، مَقْهُورًا، وَفِي حَكَمَةٍ<sup>(٣)</sup> الذُّلُّ مُنْقَادًا أَسِيرًا. وَسَكَنَتْ  
 الْأَرْضُ مَدْحُوءَةً<sup>(٤)</sup> فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ<sup>(٥)</sup> وَاعْتِلَائِهِ  
 وَشُمُوحِ أَنْفِهِ وَسُمُوقِ غُلُوقِهِ وَكَعَمْتِهِ<sup>(٦)</sup> عَلَى كِظِّهِ<sup>(٧)</sup> جَرِيَّتِهِ. فَهَمَدَ بَعْدَ  
 نَزَقَاتِهِ، وَلَبَدَ<sup>(٨)</sup> بَعْدَ زَيْغَانٍ<sup>(٩)</sup> وَثَبَاتِهِ الشَّمَخِ البُدْخِ عَلَى أَكْتِافِهَا، فَجَّرَ  
 يَنَابِيعَ العُيُونِ مِنْ عَرَائِينِ<sup>(١٠)</sup> . . .

فلما سكن هيج الماء من تحت أكتافها، وحمل شواهي الجبال  
 أنوفها، وفرقها في سهوب بيدها وأخايدها، وعدل حركاتها  
 بالرأسيات من جلاميدها، وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها<sup>(١١)</sup>  
 فسكنت من الميدان لرسوب الجبال في قطع أديمها وتغلغلها متسربة  
 في جوابات<sup>(١٢)</sup> خياشيمها وركوبها أغناق سهول الأرضين  
 وجرائيمها<sup>(١٣)</sup>، وفسح بين الجو وبينها، وأعد الهواء متنسماً  
 لساكنها، وأخرج إليها أهلها، على تمام مرافقها، ثم لم يدع جُرُزَ<sup>(١٤)</sup>  
 الأرض التي تقصر مياه العيون من روابيها، ولا تجد جداول الأنهار

- 
- (١) أي سكن الموج بفعل الجاذبية وهدوء الهواء .  
 (٢) ساجياً: ساكتاً .  
 (٣) لجام .  
 (٤) مبسوطة .  
 (٥) بأوه: كبره وزهوه .  
 (٦) كعمته: كعم البعير: شد فاه لثلا يعض . ويراد بها هنا ما يشاهد من جري الماء من ثقل الاندفاع .  
 (٧) كظة: امتلاء البطن بالطعام .  
 (٨) لبد: قام ووثب .  
 (٩) التبخر في المشية .  
 (١٠) عظم الأنف: والمراد أعالي الجبال .  
 (١١) جمع صيخود: الصخرة الشديدة .  
 (١٢) الجوبات: جمع جوبة: حفرة .  
 (١٣) المراد هنا ما سفل عن السطوح من الطبقات الترابية .  
 (١٤) جُرُز الأرض: التي تمر عليها مياه العيون فتنبت .

دُرَيْعَةً إِلَى بُلُوغِهَا حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةً سَحَابٍ تُحِي مَوَاتِنَهَا وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا» .

وقال عليه السلام، وهو يصف المجموعة الشمسية، وما حولها من أفلاك وأجرام:

« . . . . وَأَقَامَ رَصْدًا مِّنَ الشُّهُبِ الثَّوَابِقِ عَلَى نِقَابِهَا<sup>(١)</sup>، وَأَمَسَّهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ<sup>(٢)</sup> فِي خَرَقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ<sup>(٣)</sup>، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوتَةً مِنْ لَيْلِهَا. وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ<sup>(٤)</sup> مَجْرَاهُمَا وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَلِيَعْلَمَ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ بِمَقَادِيرِهَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَا فَلَكَّهَا وَنَاطَ<sup>(٥)</sup> بِهَا زَيْتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا. وَرَمَى مُسْتَرْقِي السَّمْعِ بِثَوَابِقِ شُهُبِهَا، وَأَجْرَاهَا عَلَى أَذْلالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَابِتِ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا وَهَبُوطِهَا وَصُعُودِهَا وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا» .

## علم الجفر والجامعة . .

للإمام علي، إضافة لما تقدم من علوم، العلم في علم المخلوقات وأسرارها، من حيوان ونبات وغيرهما . . . وكذلك علم الحساب والرياضيات . . . وعنده علم آخر انفرد بعلمه وحده في زمانه . . وهو علم (الجفر والجامعة).  
وعلم (الجفر)، عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر، المحتوي على كل ما كان وما يكون، كلياً وجزئياً . .

(١) النقاب: جمع نقب: الحجاب.

(٢) تضطرب.

(٣) الأيد: القوة.

(٤) الأوضاع التي ينقلان فيها بمداريها.

(٥) عَلَّقَ.



وقد يقرون (بالجامعة) . . . فيقال (الجفر والجامعة) . . .

فالجفر: عبارة عن لوح القضاء والقدر، الذي هو عقل الكل . . .

والجامعة: لوح القدر، الذي هو نفس الكل . . .

وقد ادعى طائفة أن الإمام علياً بن أبي طالب وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريق البسط الأعظم في جلد جفر، وهو الذكر من المعزى. والشاء الذي يبلغ أربعة أشهر يستخرج منها بطريق مخصوصة وشرائط معينة ألفاظ مخصوصة يستخرج منها ما في لوح القضاء والقدر.

وهذا علم يتوارثه أهل البيت، ومَنْ ينتمي إليهم ويأخذ منهم من المشايخ الكاملين. وكانوا يكتُمونه عن غيرهم كل الكتمان<sup>(١)</sup> . . .

وقال ابن طلحة:

(الجفر والجامعة) كتابان جليلان أحدهما ذكره الإمام علي، وهو يخطب بالكوفة على المنبر، والآخر أسرَّ إليه به الرسول، وأمره بتدوينه فكتبه علي حروفاً متفرقة على طريقة سفر آدم في جفر، فاشتهر بين الناس به لأنه وجد فيه ما جرى للأولين والآخرين . . .

وقال الجرجاني:

(الجفر والجامعة): كتابان لعلي ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم، وكانت الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونها ويحكمون بها . . .

وقال ابن خلدون في مقدمته:

اعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي، وهو رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص. وقع ذلك لجعفر ونظائره على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء، وكان مكتوباً عند جعفر في

(١) (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) حاجي خليفة ج ١ ص ٥٩١.

جلد ثور صغير، فرواه عنه هارون العجلي، وكتبه وسماه (الجفر) باسم الجلد الذي كتب منه، لأن الجفر في اللغة، هو الصغير وصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم. وكان فيه تفسير القرآن، وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق<sup>(١)</sup> . .

## علم الحيوان . .

وصف الإمام علي الطيور وبعض الحيوانات، منها الخفاش . . والطاووس، والنملة . . والجرادة.

وصفاً علمياً دقيقاً وبلغياً، يعجز العلماء في زمانه أن يجاروا ذلك الوصف، أو أن يصلوا إلى حدوده . .

ولا يسع المجال هنا أن نورد من أقواله في ذلك الوصف الشيق للحيوانات التي وصفها . . وللقارئ الكريم أن يرجع إلى كتاب (نهج البلاغة) يجد البلاغة في الوصف والتشبيه . .

## علم الرياضيات . .

أما علمه في علوم الحساب والرياضيات التي كانت معرفته فيهما تفوق معرفة أقرانه ومعاصريه . . نعرض من معرفته الواسعة في هذا العلم، مسألة واحدة كمثال على ما كان يتمتع به من باع طويل في تلك المعرفة :

جاءه ثلاثة من الرجال ومعهم سبعة عشر جملاً . . وطلبوا منه تقسيم تلك الجمال بينهم بنسب مختلفة :

لأولهم النصف . . ولثانيهم الثلث . . ولثالثهم التسع . .

طلب منهم الإمام علي إضافة جمل آخر إلى الجمال السبعة عشر . .

أصبح عدد الجمال بعد الإضافة ثمانية عشر جملاً . .

---

(١) هذا الموضوع من كتاب (الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين) الأستاذ محمد رضا

قال الإمام:

أعطوا الأول نصف العدد = ٩ جمال .

وأعطوا الثاني ثلث العدد = ٦ جمال .

وأعطى الثالث تسع العدد = ٢ جمليين .

وبذلك قسّم ذلك العدد إلى ما طلبوا منه تقسيمه :

٩ + ٦ + ٢ = ١٧ جملاً مجموع الجمال المطلوب تقسيمها بينهم!

## فلسفته وحكمته . .

لم يكن لعلم الإمام علي أية حدود، فعلمه، لم يقتصر على بعض منه، بل عِلِمٌ من كل عِلِمٍ كل جوانبه، وأحاطه سعة، حتى غار في أعماقه فانتهل منه ما ظهر وما بطن . .

ففي رحاب علم الحكمة، لم يصل إلى حكمته أي حكيم قبله ولا بعده . .  
وأما الفلاسفة، وفلسفته ينتمون، كما الحكماء لحكمته مدينون . . وأهل المنطق من علم منطقهم تعلموا وتنوروا . . وعلماء الاجتماع من أفكاره ومبادئه أخذوا . .

فالفلاسفة الثوبختيون (الفضل وإسماعيل وموسى وعلي) والرازي والفارابي وإخوان الصفا وغيرهم كثير، أخذوا من فلسفته، وتعلموا من مدرسته . .

والشيخ (ابن سينا) الفيلسوف المعروف، ذكر الإمام بقوله :

(كان عليّ من العلوم في المحلّ الذي لا يخلُق إليه البشر)<sup>(١)</sup> .

وقال المناوي في (فيض التقدير):

(وقد شهد لعلي كرم الله وجهه بالأعلمية الموافق والمخالف)<sup>(٢)</sup> ،

والمعادي، والمخالف) يقول الإمام علي (ع) لسائله، عن القضاء والقدر:

«وَيْحَكَ لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءَ لَازِمًا وَقَدْرًا حَاتِمًا . وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ

(١) (ملاحم من عبقرية الإمام) د. مهدي محبوبية ص ١٤٤ .

(٢) نفس المصدر .

الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ.

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرَ عِبَادِهِ تَخْيِيرًا، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا، وَكَلَّفَ يَسِيرًا، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا.

وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوبًا، وَلَمْ يُطْعَ مُكْرَهًا، وَلَمْ يُرْسَلِ الْأَنْبِيَاءُ لِعِبَاءٍ، وَلَمْ يُنْزَلِ الْكُتُبُ لِلْعِبَادِ عَبَثًا، وَلَا خُلِقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا...».

وقال عن كلام الحكماء:

«إِنَّ كَلَامَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَابًا كَانَ دَوَاءً، وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً».

وسأله رجل من المسلمين، فقال:

كيف يُحاسب الله الخلق على كثرتهم!

أجابه الإمام:

«كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ».

وسأله: كيف يحاسبهم ولا يرونه؟

أجابه:

«كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ».

ومن روائع حكمه، قال:

«أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ . . . وَأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ:

فَأَصْدِقَاؤُكَ: صَدِيقُكَ . . . وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ . . . وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ.

وَأَعْدَاؤُكَ: عَدُوُّكَ . . . وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ . . . وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ».

ونحن بصدد (الثلاثة) قالها الإمام في الظلم:

«أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ:

فَظَلَمَ لَا يُغْفَرُ . . . وَظَلَمَ لَا يَتْرُكُ . . . وَظَلَمَ مَغْفُورًا لَا يُطَلَّبُ .

فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ :

فَالشُّرْكُ بِاللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [سورة

النساء ، الآية : ٤٨ ]

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ :

فَظَلَمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ (١)

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ :

فَظَلَمَ الْعِبَادِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا .

وسأله عمر بن الخطاب (رض) ذات يوم :

(يا أبا الحسن ، أسألك عن شيء هل عندك منه علم؟) .

قال : ما هو؟

قال : الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيراً . . . والرجل يبغض الرجل ولم ير

منه شراً . . .

أجابه الإمام : نعم قال رسول الله ﷺ :

«إن الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها

اختلف» (٢) .

وجاءوا بالصحابي (حذيفة) إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) سأله

جماعة من الناس .

- كيف أصبحت؟ فقال :

- أصبحت أحب الفتنة ، وأكره الحق ، وأصدق اليهود والنصارى ، وأؤمن بما

(١) الهنات : جمع هنه : الشيء اليسير والعمل الحقير ، والمراد به : صغائر الذنوب .

(٢) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج ١ ص ١١٠ .

لم أره، وأقر بما لم يُخلق وأصلي بغير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء!

فأشكل ذلك على عمر (رض) حتى جاء الإمام علي وأخبره بما قال له الرجل: أجاوبهم الإمام متبسماً:

صدق الرجل . . ثم قال:

الفتنة: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاكُم وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢٨]

وهذا قول الله تعالى، لذا فإنه يحب المال والبنين . .

والحق: هو الموت، وإنه يكره الحق، أي الموت .

ويصدق اليهود والنصارى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ

وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٣].

وما يؤمن به لم يره: أي يؤمن بالخالق سبحانه وتعالى .

وأما يقر بما لم يُخلق: ويعني الساعة التي لم تُخلق بعد . .

ويصلي بغير وضوء: أي يقول اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد . .

وله في الأرض ما ليس لله: أي له زوجة وولدا! عندها أطلق عمر سراح

الرجل، وقال قوله المشهور:

(لولا علي لهلك عمر) . . . (بئس المقام بأرض ليس فيها أبو الحسن)<sup>(١)</sup> .

وعلمه بعلم الحديث . . .

أما علم الإمام علي بعلم الحديث، فلا يُجاره أحد من صحابة

رسول الله ﷺ، لأنه رافقه ولازمه منذ بدأ الدعوة حتى الدقائق الأخيرة من حياة النبي ﷺ الطاهرة .

فسمع منه ما لم يسمع غيره . . وحفظ عنه ما لم يحفظه غيره . .

لقد روى الإمام ما سمعه مباشرة من الرسول الأعظم ﷺ، دون أن يروي ما

(١) (عن جريدة العرب اللندنية) من مراسلها في القاهرة السيد حسن فتحي .

نقله غيره عن النبي ﷺ . . . وامتنع عن رواية أي حديث منقول لم يسمعه هو . .  
فكل ما رواه من أحاديث، وما ذكره من أقوال عن سيد الكائنات ﷺ لا  
شك فيها ولا حاجة لها إلى سند أو تدقيق .

فهي مسندة منه، لأنه خير سند لها . سمعها من مصدرها مباشرة وحفظها  
حالما سمعها . .  
قيل له :

ما لك أكثر أصحاب رسول الله ﷺ حديثاً؟

فقال : «إني كنت إذا سأله أنبأني . . وإذا سكتُ ابتدأني» .

. . هنا يحق لي أن أستوقف قلبي ولو قليلاً، لكي أتساءل :

لِمَ لم يُنقل عنه (أعني الإمام علي) أحاديث ذلك الرجل الخالد عليه صلاة  
الله وسلامه، وهو المرافق الدائم له . . في بيته . . في جهاده وكفاحه . . في نشر  
دعوته . . وفي معاركه من أجل رفع راية الدين الحنيف!!

نعم المرافق له قبل الدعوة وبعدها . . حتى وسَّدهُ تربته الطاهرة بيديه . . فمن  
هو أولى منه بنقل أحاديثه الكريمة!!

وهل في نقله لها حاجة إلى سند أو إسناد!!

وعَتَبِي على أصحاب الصحاح . . والرواة الذين لم يأخذوا عنه الحديث . .  
ولم ينقلوا منه ما قاله رفيقه العظيم، إلا التزر اليسير!! لكنهم أخذوا الكثير من  
بعض الصحابة الذين لم يكن لهم تماس مع النبي ﷺ، كما كان علي ملتصقاً به  
ومعه بعض رفاق رسول الله ﷺ كأبي بكر وعمر وعمار وسلمان . .

بل إن بعضاً من أولئك الرواة من الصحابة لم يدركوا النبي ﷺ إلا آواخر  
حياته . . منهم أبو هريرة وغيره ممن صال وجال في نقل الأحاديث عن  
الرسول ﷺ حتى دون أن يسمعوا منه ما نقلوه عنه!!

فتقدموا بالنقل على ذلك الرفيق الذي وعيت أذنيه لكل حرف، أو كلمة قالها  
رفيقه . وتلك نتيجة من نتائج الأهواء السياسية . . والأجواء العدائية الحاقدة على آل  
البيت . .

ذلك التاج الذي أنبته نبتة فاسدة الأمويون، وآل سفيان ضد البيت الهاشمي . . .

فمنعوا المسلمين من رواية أي حديث يُنقل عن الإمام علي . . . ومنعوا ذكره . . . وألغوا وجوده من بين أقرب الصحابة لرسول الله ﷺ . . . بل أمروا بسبه على منابر المسلمين . . . فحق عليهم قول النبي ﷺ :

«مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي» وقوله: «. . . مَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي» .

لقد حاربوا كل مسلم ينتسب إليه، أو يأتي على ذكره، أو يورد فضائله . . . حتى أن الرجل ليقال له زنديق، أو كافر أحب إليه من أن يقال له من مؤيدي أو من أنصار علي !!

وبلغ بالأمويين حب الانتقام من أنصار علي بن أبي طالب، أنهم كانوا يقتلون كل مَنْ دُعي علياً أو حسناً أو حسيناً . . . حتى أن بعض ضعفاء النفوس من الفقراء، كانوا يأتون الأمير الأموي ليعتذروا له عن أسمائهم . . .

من ذلك أن رجلاً<sup>(١)</sup> وقف للحجاج، فقال له :

أيها الأمير إن أهلي عقوني فسموني علياً، وإني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير أحوج<sup>(٢)</sup> !!

ذكر الأستاذ أحمد أمين :

( . . . ) ثم تتبع بنو أمية أهل البيت يستذلونهم ويقتلونهم، ويقطعون أيديهم وأرجلهم على الظنة . . . وكل مَنْ عرف بالتشيع لهم سجنوه أو نهبوا ماله أو هدموا داره . . .

وأتي الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمة . . .

ويقول المدائني :

إن زياد بن سميه كان يتتبع شيعة علي في الكوفة وهو بهم عارف، لأنه كان

(١) يقال إنه جد الأصمعي كما ذكر أحمد أمين في (فجر الإسلام) .

(٢) (علي وعصره) جورج جرداق ص ٩٠ .



منهم أيام علي، فقتلهم تحت كل حجر ومدبر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل،  
وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق. فلم  
يبق به معروف منهم...

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي  
وأهل بيته شهادة!

وكتب إلى عماله أن: انظروا إلى مَنْ قامت عليه البيعة أن يحب علياً وأهل  
بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه<sup>(١)</sup>.

قال يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عندما جيء إليه برأس الحسين بعد واقعة  
كربلاء:

ليت أشياخي ببدر شهدوا      وقعة الخزرج من وقع الأسل  
قد قتلنا القوم من ساداتهم      وعدلنا قتل بدر فاعتدل  
لعبت هاشم بالملك فلا      خبر جاء ولا وحي نزل  
لست من خندق إن لم أنتقم      من بني أحمد ما كان فعل<sup>(٢)</sup>

وقد روي أنه استدعى ابن زياد وقرب مجلسه، ورفع منزلته، وأدخله على  
نساءه فسكر معه، وأنشد ذلك!!

وذكر سبط بن الجوزي، أن هشاماً بن محمد روى عن أبيه، عن عبيد ابن  
عمير، قال: (كان رسول قيصر حاضراً عند يزيد عند وصول رأس الحسين، فقال  
ليزيد:

هذا رأس مَنْ؟ فقال: رأس الحسين.

قال: ومَنْ الحسين! قال: ابن فاطمة..

قال: ومَنْ فاطمة! قال: بنت محمد.

قال: نبيكم!!.. ومَنْ أبوه! قال: علي بن أبي طالب.

(١) (فجر الإسلام) أحمد أمين ص ٢٧٤.

(٢) (جواهر العقدين في فضل الشرفين) علي بن عبد الله السمهودي - وزارة الأوقاف العراقية ج ٢  
ص ٣٧٤.

قال: ومَن علي؟ قال: ابن عم نبينا.

قال: تباً لكم ولدينكم، ما أنتم وحقّ المسيح على شيء... إن عندنا في بعض الجزائر في دير، حافر حمار ركبه عيسى المسيح، ونحن نحج إليه في كل عام من الأقطار... ونندُرُ له النذور ونُعظمه... فأشهد أنكم على باطل... ثم قام ولم يعد إليه<sup>(١)</sup>.

أما الحجاج بن يوسف الثقفي: فقد كان من أقسى القساة على آل بيت محمد وشيعة علي... والذي يُعد من مشاهير جلاوزة التاريخ الذين تصدرت أسماء كبار السفاحين والمجرمين السياسيين الذين تحكّموا برقاب الناس ومصائرهم، حتى صار واحداً من أشقى بني آدم وأكثرهم إيغالاً في القسوة والإجرام.

هذا الحجاج الذي ضُرب المثل بجوره وخطاياها، حتى قال عنه الإمام العادل (عمر بن عبد العزيز): لو جاءت كل أمة بخطاياها، وجئنا نحن بالحجاج وحده لرجحناهم جميعاً!!!<sup>(٢)</sup>.

لقد قتل مدة ولايته مائة وعشرين ألفاً... وكان في سجونه عند موته خمسون ألف رجل... وثلاثون ألف امرأة سجيناً!!

كلهم كانوا من المشايعين، أو المحبين لآل البيت وللإمام علي!!

.. أذن كيف بعد ذاك الأرهاب، وتلك القسوة، أن يكون من الممكن أن يجرأ أحداً على نقل حديث من أحاديث رسول الله ﷺ عن الإمام علي الذي حُرّم اسمه، ورُقن ذكره... وألغي دوره... وتُنكّر حتى لخلافته!!

نعم... كان يذكره علناً من ضاقت به سُبُل العيش، ويريد أن يضع نهايةً لحياته دون أن يتتحر بيده، فيخسر آخرته كما خسر دنياه!!

(١) (تذكرة خواص الأمة) لسبط بن الجوزي ص ١٤٩.

(الصواعق المحرقة) ص ١٢٢. (فضائل أهل البيت) علي بن عبد الله الحسيني - طبع وزارة الأوقاف العراقية ج ٢ ص ٣٧٦.

(٢) (رجال حول الرسول) خالد محمد خالد ص ٥٩١.

## والأحاديث الموضعة!!

وهنا لا يفوتنا المرور على واضعي الحديث، الذين كذبوا على رسول الله ﷺ وبالتالي فقد كذبوا على الله سبحانه وتعالى . . .

وذلك مجازاة للوضع السياسي الذي ساد في عهد معاوية بن أبي سفيان (زعيم الفئة الباغية) كما سماها النبي ﷺ عندما قال لعمار بن ياسر (رض): (تقتلك الفئة الباغية يا عمار . . .) (١).

تلك الفئة التي قال عنها الصحابي الجليل عبد الله بن عمر (رض) في أخريات أيامه:

(ما أجدني آسى على شيء فاتني من الدنيا إلا أنني لم أقاتل مع علي الفئة الباغية . . .) (٢).

. . . ومعاوية . . . زعيم تلك الفئة، قال عنه الكاتب الكبير المرحوم عبد الرحمن الشرقاوي:

( . . . لو أن ابن أبي سفيان، وابن العاص مكننا علياً لارتفعت راية الإسلام على كل مكان من أرض البشر . . . ودخل كل الناس . . . كل بني آدم في دين الله أفواجا! . . .) (٣).

يقول الأستاذ محمود أبو ربه:

( . . . وقد علا موج هذا الوضع وطغا مأؤه في عهد معاوية الذي أعان عليه، وساعده بنفوذه وماله . . .

فلم يقف وضاع الحديث عند بيان فضله، والإشادة بذكره . . . بل أمعنوا في مناصرته، والتعصب له حتى رفعوا مقام الشام الذي يحكمه إلى درجة لم تبلغها مدينة الرسول ﷺ . . . ولا البلد الحرام الذي ولد فيها . . .

(١) (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة ج ١ ص ١٤٦. وورد في (مسند) الإمام أحمد ج ٢، ٣، ٤، ٦ في ص ١٦١، ٥ - ٣١٩ - ٣١٥ وكذلك ذكر ذلك الحديث البخاري وغيره . . .

(٢) (رجال حول الرسول) خالد محمد خالد ص ١٢٠.

(٣) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج ٢ ص ٣٦٣.

وأسرفوا في ذلك إسرافاً كثيراً وأكثروا، حتى ألفت في ذلك مصنفات خاصة .

ومعاوية كما هو معروف، أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة . . فهو بذلك من (اللقاء) .

وكان كذلك من المؤلفة قلوبهم الذين كانوا يأخذون ثمناً لإسلامهم . . وهو الذي هدم مبدأ الخلافة الرشيدة في الإسلام، فلم تقم لها من بعد ذلك اليوم قائمة . .

معاوية هذا، وضعوا له أحاديث نبوية كذبوا فيها على النبي ﷺ . .  
منها، قول الرسول ﷺ فيه: اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب وأدخله الجنة .

وعلى كثرة ما جاء في فضائل معاوية من أحاديث لا أصل لها، فإن «إسحاق بن راهويه» وهو الإمام الكبير وشيخ البخاري، قد قال:  
«إنه لم يصح في فضائل معاوية شيء»<sup>(١)</sup> .

## وأبو هريرة . .

ونحن بصدد الحديث عن رواية الحديث الذين توسعوا بروايته، حتى وضع منهم ما رواه عن الرسول ﷺ من أحاديث!

لا بد لنا أن نذكر أكثر صحابي رواية لأحاديث رسول الله ﷺ . . هو أبو هريرة! الذي روى عن النبي ﷺ (٥٣٧٤) حديثاً . . والبخاري وحده في صحيحه روى منها (٤٤٦) حديثاً!!

بينما لم يرو صحابة رسول الله ﷺ المقربون منه مثل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسلمان، وعمار، وطلحة، وبلال، وعبد الله بن مسعود، والعباس، وابنه عبد الله والزبير، وأبو عبيدة، وعائشة، وبقية أمهات المؤمنين . . وغيرهم .

(١) (أضواء على السنة المحمدية) محمود أبو رية ص ١٢٧ .

لم يرو هؤلاء عُشر ما رواه أبو هريرة!! علماً أنه لم يصاحب النبي إلا سنة واحدة وتسعة أشهر. . . وإنه كان من عامة الصحابة. . . وكان بينهم لا في العير ولا في النفير<sup>(١)</sup>!

يقول د. طه حسين عن أبي هريرة:

(إنه لم يصاحب النبي إلا ثلاث سنين، وقد روى من الحديث أكثر مما روى المهاجرون الذين صحبوا النبي بمكة والمدينة. . . وأكثر من الأنصار الذين صاحبوا النبي منذ هاجر إلى المدينة حتى آثره الله بجواره. . . وهذا يكفي للتحفظ والاحتياط بإزاء ما يروى عنه من الحديث).

لقد أفزعت كثرة رواية أبي هريرة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فضربه بالدرة. . . وقال له:

أكثرت يا أبا هريرة من الرواية، وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله. . .).

ثم هدده وأوعده إن لم يترك الحديث عن رسول الله ﷺ، فإنه ينفيه إلى بلاده.

وقد أخرج ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد:

(لتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دؤس)<sup>(٢)</sup> أي أرض قومه وأهله. ومن أجل ذلك كثرت أحاديثه بعد وفاة عمر (رض)، إذ أصبح لا يخشى أحداً بعده. . .

وعن الزهري، عن أبي سلمى، قال: سمعت أبا هريرة، يقول:

(ما كنا نستطيع أن نقول، قال رسول الله حتى قبض عمر!!).

وقال الفقيه المحدث رشيد رضا:

(١) (أضواء على السنة المحمدية) ص ٢٢ و ١٩٥.

(٢) (رجال حول الرسول) خالد محمد خالد ص ٤٥٤.

(لو طال عُمر عمر حتى مات أبو هريرة، لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة)<sup>(١)</sup>.

والخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) صادر أمواله عندما كان عامله على البحرين سنة ٢١هـ حينما، استغل منصبه، فعزله وولى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي ..

وممن أتهم أبا هريرة بالكذب إضافة للخليفة عمر (رض) .. عثمان (رض) .. والإمام علي بن أبي طالب وغيرهم .. وكان الإمام علي سيء الرأي فيه، وقال عنه:

«ألا أن أكذب الناس على رسول الله لأبو هريرة»<sup>(٢)</sup>.

ولما سمعه يقول: حدثني خليلي!! قال له:

«متى كان النبي خليلك؟؟»<sup>(٣)</sup>.

وقال الكاتب الإسلامي الكبير مصطفى صادق الرافعي عنه:

(أول راوية أتهم في الإسلام) ..

والسيدة عائشة أم المؤمنين (رض) لما قالت له: إنك لتحدث حديثاً ما سمعته من النبي ﷺ ... أجابها بجواب لا أدب فيه ولا وقار، إذ قال:

شغلك عنه ﷺ المرأة والمكحلة!! (وهذا كما رواه ابن سعد والبخاري وابن

كثير وغيرهم)<sup>(٤)</sup>

وقال عنه الإمام أبو حنيفة (رض):

(... ) وأما أبو هريرة فكان يروي كل ما سمع من غير أن يتأمل في المعنى،

ومن غير أن يعرف الناسخ من المنسوخ) وهذا ما رواه محمد بن الحسن<sup>(٥)</sup> ..

(١) (أضواء على السنة المحمدية) ص ٢٠١ عن مجلة المنارج ١٠ ص ٨٥١.

(٢) روى ذلك ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٤٦٩.

(٣) (أضواء على السنة المحمدية) محمود أبو رية ص ٢٠٤.

(٤) نفس المصدر.

(٥) (المؤمل) لأبي شامة ص ٣١.

وعند أبي حنيفة الصحابة كلهم عدول، ما عدا رجلاً.. عدّ منهم أبا هريرة!  
وقال أبو جعفر الإسكافي:

(وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضي الرواية.. ضربه عمر بن الخطاب (رض) وقال له: أكثرت من الحديث، وأحربك أن تكون كاذباً على رسول الله) (١).

وقال ابن الأثير:

(أما رواية أبي هريرة فشك فيها قوم لكثرتها) (٢).

وقال ابن قتيبة في (التأويل):

(إنه لما أتى أبو هريرة من الرواية عنه ﷺ ما لم يأت بمثله مَنْ صحبه من جلة أصحابه والسابقين الأولين، أتهموه وأنكروا عليه، وقالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟؟.. وَمَنْ سمعه معك!!).

نعم.. لقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ ما لم يروه أقرب صحابته إليه..

فقد روى عن النبي ﷺ (٥٣٧٤) حديثاً، كما أسلفنا.. ولنرى عدد الأحاديث التي رويت من قبل صحابة رسول الله ﷺ الذين شاركوه وعاشوا معه منذ بداية الدعوة حتى اختاره الله إلى جواره:

أبو بكر الصديق (رض): روى عن النبي (١٤٢) حديثاً، أورد السيوطي منها في تاريخ الخلفاء (١٠٤) وله في البخاري (٢٢) حديثاً.

عمر بن الخطاب (رض): لم يصح عنه إلا حوالي (٥٠) حديثاً، كما أثبت ذلك ابن حزم.

عثمان بن عفان (رض): روى البخاري له (٩) أحاديث. ومسلم (٥).

علي بن أبي طالب (ع): روى له السيوطي (٥٨) حديثاً، وقال ابن حزم لم يصح منها إلا خمسون حديثاً، لم يرو البخاري ومسلم منها إلا نحواً من عشرين حديثاً!

(١) (شرح نهج البلاغة) ج ١ ص ٣٦٠.

(٢) (المثل السائر) ص ٨١.

الزبير بن العوام: روى له البخاري تسعة أحاديث، ومسلم حديثاً واحداً.  
طلحة بن عبيد الله: روى له البخاري أربعة أحاديث.  
عبد الرحمن بن عوف: روى له البخاري تسعة أحاديث.  
أبي بن كعب: له في الكتب الستة ستون حديثاً ونيف.  
زيد بن ثابت: روى له البخاري ثمانية أحاديث، واتفق الشيخان على  
خمسة.

سلمان الفارسي: أخرج له البخاري (٤) أحاديث ومسلم ثلاثة<sup>(١)</sup>.  
و... أبو هريرة وحده... روى (٥٣٧٤) حديثاً!!

مَنْ هُوَ أَبُو هُرَيْرَةَ!!

قال ابن عبد البر:

اختلفوا في اسم أبي هريرة، واسم أبيه، اختلافاً كثيراً لا يحاط به ولا يضبط  
في الجاهلية والإسلام... ومثل هذا الاختلاف والاضطراب لا يصح معه شيء  
يعتمد عليه..

وقد غلبت عليه كنيته... فهو كمن لا اسم له غيرها وأولى المواضع باسمه  
المكنى<sup>(٢)</sup>..

قال ابن قتيبة في (المعارف):

إن الناس اختلفوا في اسم أبي هريرة... وإنه من قبيلة باليمن يقال لها  
(دوس)... وقال أبو هريرة عن نفسه:

نشأت يتيماً وهاجرت مسكيناً... وكنت أجيراً (لبسرة بنت غزوان) بطعام  
بطني وعقبة رجلي... فكنت أخدم إذا نزلوا، وأحدو إذا ركبوا... وكُنيتُ بأبي  
هريرة بهرة صغيرة كنت ألعب بها..

(١) (أضواء على السنة المحمدية) محمود أبو رية ص ٢٢٤.

(٢) (الاستيعاب) لابن عبد البر ص ٧١٨.



كان إسلامه في سنة ٧ هـ . . . وأكثر أحاديثه لم يسمعها من النبي (١) . . .  
وسجل التاريخ أنه كان أكلواً نهماً، يطعم كل يوم في بيت أحد الصحابة،  
حتى كان بعضهم ينفر منه . . . حتى قال له رسول الله ﷺ ذات يوم:  
(زر غياً تزدد حباً).

وفي رواية لمسلم:

كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني . . .  
كان أبو هريرة مزاحاً مهذاراً، يتودد إلى الناس ويسليهم بكثرة الحديث.  
والإغراب في القول ليشتد ميلهم إليه، ويزداد إقبالهم عليه، حتى قالت عنه  
عائشة (رض):

(إنه كان رجلاً مهذاراً) (٢).

ولما وقع تمرد معاوية بن أبي سفيان على الخليفة الرابع علي بن أبي  
طالب . . . وانسلخ الأمويون بقيادة معاوية عن جادة الحق بقيادة علي . . .  
كان من الطبيعي أن يلتحق أبو هريرة بمعسكر معاوية، حيث المال والطعام  
والترف والسلطان والرشوة!!

ومعكسر علي يفتقر إلى ذلك، لأنه على الخط الذي سار عليه  
رسول الله ﷺ ومن بعده الراشدون من الخلفاء . . .

وقد احتضن بنو أمية هذا المحدث المتقول . . . واستعملوه لبث الدعاية لهم،  
وتبرير عصيان معاوية لخط الإسلام باختلاقه أحاديث مختلفة . . . منها قوله:

سمعت رسول الله يقول: إن الله ائتمن علي وحيه ثلاثة: أنا وجبريل  
ومعاوية! أو الأمانة ثلاثة: جبريل وأنا ومعاوية!! وهذا ما ذكره ابن عساكر وابن  
عدي والخطيب البغدادي (٣).

وقال لعائشة بنت طلحة وهي المشهورة بالجمال والكمال:

(١) محمود أبو رية ص ١٩٦ و ٢١٨.

(٢) (أضواء على السنة المحمدية) محمود أبو رية ص ١٩٧ - ٢٠٠.

(٣) (البداية والنهاية) لابن كثير ص ١٢٠.

والله ما رأيت وجهاً أحسن منك، إلا وجه معاوية على منبر رسول الله (١)!!  
وأبو هريرة استخدمه معاوية للطعن بالإمام علي ومعسكره شر استخدام..  
حتى قال في البراءة منه!! والإشادة بفضائل معاوية!

ومن قوله في ذلك كما رواه الأعمش:

والله لقد سمعت رسول الله يقول:

لكل نبي حرماً وإن حرمني بالمدينة ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها  
حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.. وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها!!  
وكافأه معاوية على هذا الحديث بإعطائه إمارة المدينة حيث ولاه عليها!!  
وبنى له قصرأ بالعقيق..

لكن أحد المسلمين تصدى لأبي هريرة يسأله:

أنشدك الله، أسمعت رسول الله يقول لعلي بن أبي طالب:

اللهم والٍ من والاه، وعادٍ من عاداه؟

فقال: اللهم نعم.. فقال:

فأشهد بالله لقد واليت عدوه، وعاديت وليه.. ثم قام عنه بعد أن لطمه هذه  
اللظة الأليمة (٢)!!

لقد زاد معاوية بن أبي سفيان في تكريم أبي هريرة حتى زوجه بسرة بنت  
غزوان أخت الأمير عتبة بن غزوان.. وهي التي كان يخدمها أيام فقره بطعام  
بطنه..

وذكر ابن سعد في (طبقاته) أنه قال:

أكريت نفسي من ابنة غزوان على طعام بطني وعقبة رجلي.. فكانت تكلفني  
أن أركب قائماً وأورد حافياً.. فلما كان بعد ذلك زوجنيها الله، فكلفتها أن تركب  
قائمة وأن تورد حافية!!

(١) (العقد الفريد) ج ٦ ص ١٠٩.

(٢) محمود أبو رية ص ٢١٦.

مات أبو هريرة سنة ٥٩هـ عن ثمانين سنة بقصره بالعقيق، وحمل إلى المدينة ودُفن بالبقيع، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان يومئذ أميراً على المدينة تكريماً له . .

ولما كتب الوليد إلى عمه معاوية ينعى له أبا هريرة، أرسل إليه معاوية :  
(انظر من ترك، وادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم وأحسن جوارهم وافعل إليه معروفاً) .

وهكذا يترادف رفاهم له حتى بعد وفاته!! (١)

**أقل الناس قيمة أقلهم علماً . .**

كان الإمام علي يحض الناس على التعلم، ويقول في السوق، وفي الطريق، وفي المسجد، وحيثما تجتمع له الناس:

«العلوم أربعة: الفقه للأديان . . . والطب للأبدان . . والنحو للسان . .  
والنجوم لمعرفة الأزمان» .

وكان يقول:

«العلم خير من المال . . العلم يحرسك، وأنت تحرس المال» (٢) .

لقد أعطى الإمام علي العلم والمعرفة المكانة الهامة لدى الإنسان . . فكم خاطب المسلمين لحثهم على طلبها، حتى كان يحاول أن يوقظ في كيانهم غريزة التعرف على العلم والمعرفة، وتشويقهم لطلب العلم من خلال تبسيطه فهمه لهم . .

فكان يربط بين الإنسان وبين العلم، لأن العلم عنده من مستلزمات الإنسان بعد الهواء والطعام، وتقييمه له بما عنده من درجات العلم . . ويقول في ذلك:

«أقل الناس قيمة أقلهم علماً» . . . ويقول:

(١) المصدر السابق ص ٢١٨ .

(٢) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشراقي ج ٢ ص ٣٠٠ .

«إِذَا أَرَدَلَ اللهُ عَبْدًا أَخْطَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ» . . . ويقول :

«لا شرف كالعلم، ولا فقر أشد من الجهل . . ولا كنز أنفع من العلم» . . .

ويقول :

«العلم وراثه كريمة» . . ويقول :

«ليس الخير أن يكثر مالك وولئك . . ولكن الخير أن يكثر علمك» .

«أعلم الناس مَنْ جمع علمَ الناس إلى علمه» .

«والعالم حي وإن كان ميتاً . . والجاهل ميت وإن كان حياً» ويقول :

«إن طلب العلم أوجب عليك من طلب المال» . .

«كل وعاءٍ يضيق بما جُعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع» .

«والفكرة تُورث نوراً، والغفلة تُورث ظلمة» .

وقوله المعروف : «الناس أعداء ما جهلوا» ويقول :

«ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن

يعلموا . . » و «مَنْ جهل شيئاً عابه . . » ويقول :

« . . . ولكن الخير أن يكثر علمك ، وأن يعظم حلمك» .

وأهمية العلم عنده كأهمية الدين . . بل هو دينٌ يدان به . . وفي ذلك يقول :

«العلم دينٌ يدان به . . » .

العلم عنده دين وحياة . . نعم دين وحياة، وهما لا حياة للإنسان بدونهما . .

وفي ذلك قال :

«العلم إحدى الحياتين» .

وفي وصيته لابنه الحسن :

« .. واعلم أنه لا خير في علمٍ لا ينفع، ولا يُنتفعُ بعلم لا يحقُّ تعلُّمُهُ .. » .

ويقول:

« لا تجعلوا علمكم جهلاً، وبقينكم شكاً، إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فأقدموا » .

وقال الإمام علي (ع):

« قَطَعَ الْعِلْمُ عُدْرَ الْمُتَعَلِّمِينَ » .

وقال لسائل سأله عن مُعْضِلَةٍ:

« سَلْ تَفْقُهًا وَلَا تَسْأَلْ تَعْتَنًا، فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ .. وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَتِّتِ » .

ويقول عن العلم أيضاً:

« الْعِلْمُ عِلْمَانُ: مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ .. وَلَا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ » <sup>(١)</sup> .

ويقول:

« الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ فَمَنْ عِلِمَ عَمِلَ . وَالْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ » .

ويقول:

« أَوْضَعَ الْعِلْمُ مَا وَقَفَ عَلَى اللِّسَانِ، وَأَرْفَعَهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ » .

.. ولما كان العقل عند الإمام هو وعاء العلم .. والعلم عنده من

---

(١) مطبوع العلم: ما رسخ في النفس وظهر أثره في أعمالها. ومسموعه: منقوله ومحفوظه. والأول هو العلم حقاً.

موضوعات العقل ، لذا فقد خصَّ ذلك العالم العظيم ، العقل بعضاً من أقواله ، كما خصَّ العلم ببعضها . .

وقد قال في العقل :

«العقل حسامٌ قاطع» و«العقل مرآة صافية»

ويقول : «الشقي من حُرِم ما أُوتِيَ من العقل والتجربة»

و «كفأك من عقلك ما أوضح لك سُبُلَ غيتك من رشذك» .

وقيل للإمام علي :

صف لنا العاقل . . قال :

«هو الذي يضع الأشياء موضعها» . . ف قيل له :

فصف لنا الجاهل . . قال : (قد فعلت) .

وعن عائشة (رض) قالت : قلت يا رسول الله . بَمَ يتفاضل الناس في

الدنيا؟ . . .

قال : بالعقل . . . قلت : وفي الآخرة؟ قال : بالعقل . . قلت : أليس إنما

يجزون بأعمالهم؟ . .

قال ﷺ : «وَهَلْ عَمَلُوا إِلَّا بِقَدْرِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعَقْلِ ، فَبِقَدْرِ مَا أَعْطَوْا

مِنَ الْعَقْلِ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ . . وَبِقَدْرِ مَا عَمَلُوا يَجْزُونَ . .»<sup>(١)</sup> .

الهِمُّ أَشَدُّ جُنُودَ اللَّهِ . .

اختلف بعض المسلمين حول أقوى مخلوقات الله . . فجاءوا الإمام

علي (ع) وقالوا : يا أبا الحسن ، نريد أن نعرف أي خلق الله أقوى من الآخر؟ ولم

يفاجأ علي بن أبي طالب ، وبسط يديه في هدوء ، وقال :

«أشد جنود الله عشرة :

(١) (من أدب القرآن) د. أحمد الشرباصي ص ١٢ دار المعارف القاهرة .

الجبال الرواسي . .

والحديد يقطع الجبال . .

والنار تذيب الحديد . .

والماء يطفىء النار . .

والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء . .

والرياح يقطع السحاب . .

وابن آدم يغلب الريح، لأنه يستتر بالثوب أو الشيء ويمضي  
لحاجته . .

والسكر يغلب ابن آدم . .

والنوم يغلب السكر . .

والهم يغلب النوم . . فأشد جنود الله الهم . . .» .

وإذا نظرنا إلى هذا الترتيب المنطقي . . . فإننا نجد الهموم أشد الأحاسيس  
تدميراً للإنسان . . والهموم هي تيارات من المخاوف والمشاعر تستبد بالنفس  
الإنسانية فتبدد طاقتها، وتبدد ملكاتها، وتجعل المصيبة فيما فات . . وتؤكد  
الإحساس بالكارثة فيما هو آت . .

وإذا أراد الإنسان أن ينتصر على الهموم، فلا مخرج إلا الإيمان<sup>(١)</sup> .

ويقول الإمام في الهم:

«الهُمُّ نَصْفُ الْهَرَمِ» . . .

قبس من آرائه العلمية:

وللإمام علي آراء علمية مختلفة . . شملت علم النفس وأسرارها . . وعلوم  
الطب وأغواره . . ومفاهيم من الحكمة بشتى ضروبها . . ففي الطب قال:

(١) حسن فتحي - مكتب جريدة العرب اللندنية في القاهرة - نقلاً عن الصحيفة المذكورة .

- «كم من أكلة منعت أكالات . .

- لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان . .

- يضر الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء :

الإفراط في الأكل اتكالا على الصحة . .

وتكلف عمل ما لا يطاق اتكالا على القوة . .

والتفريط في العمل اتكالا على القدر . .

وسئل : لماذا إذا أكل لا يشبع ؟

قال :

«من شبع عوقب في الحال ثلاث عقوبات :

يلقى الغشاء على قلبه . . والنعاس في عينه . . والكسل على بدنه .

وكثرة الطعام تमित القلب ، كما تमित كثرة الماء الزرع .

فلا تطلب الحياة لتأكل . . بل أطلب الأكل لتحيا . . ولا تجلس إلى

الطعام إلا وأنت جائع . . ولا تقم منه إلا وأنت تشتهي . .

وجود المضغ ، واعرض نفسك على الخلاء إذا نمت . .

فإذا استعملت هذا استغنيت عن الطب . . » .

وقال :

- امشي بدائك ما مشى بك .

- كلوا الرمان بشحمه ، فإنه دباغ المعدة .

- ما أكلته راح ، وما أطعمته فاح .

- توقوا البرد في أوله ، وتلقوه في آخره . فإنه يفعل في الأبدان كفعله

في الأشجار . . أوله يُحرق ، وآخره يُورق .



- صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ .

- لذة الكرام في الإطعام، ولذة اللثام في الطعام .

وقال الإمام علي (ع) :

- «من الفاقية مَرَضُ الْبَدَنِ، وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ . أَلَا

وإنَّ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ» .

- «الْحِدَّةُ ضَرَبٌ مِنَ الْجُنُونِ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ

مُسْتَحْكَمٌ» .

أما آراء الإمام من وراء كلماته، الشاملة على مختلف المفاهيم . . . نقتبس  
بعض الأقباس منها :

- «اعمل لديناك كأنك تعيش أبداً . . . واعمل لأخرتك كأنك تموت

غداً . . .

- الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ النُّفَاقِ .

- الدهر يومان :

يوم لك، ويوم عليك . . . فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك

فاصبر .

- لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه .

- تَكَلَّمُوا تُعْرِفُوا، فَإِنَّ الْمَرْأَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ .

- مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ .

- بكثرة الصمت تكون الهيبة .

- إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامَ .

- أكبر العيب أن تُصيب ما فيك فيه .

- الحرث، حرثان:

فحرث الدنيا . . المال والتقوى .

وحرث الآخرة . . الباقيات الصالحات . . وقد يجمعها الله تعالى لأقوام .

- أعجز الناس مَنْ عجز عن اكتساب الإخوان . . وأعجز منه من ضيع مَنْ ظفر به منهم .

- الكذاب والميت سواء، لأن فضيلة الحي على الميت الثقة به . . فإذا لم يوثق بكلامه فقد بطلت حياته .

- ما من يوم يمر على ابن آدم إلا قال له:

أنا يومٌ جديد، وأنا عليك شهيد . فقل فيَّ خيراً، واعمل خيراً، فإنك لن تراني بعد أبداً .

- سئل الإمام: كم المسافة بين المشرق والمغرب؟

أجاب: «مسيرة يوم للشمس» .

وسئل: كم بين السماء والأرض؟

أجاب: «دعوة مستجابة» . .

- «العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى» .

- ظلم الضعيف أفحش الظلم .

- أفضل الزهد إخفاء الزهد .

- مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعه .

- الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة .

- كفى بالقناعة ملكاً، وبِحُسن الخلق نعيماً .

كان الإمام يقول عن الحق، والباطل بينهما أربع أصابع . .  
فلما سُئِلَ في ذلك . . جمع أصابعه الأربعة ووضعها بين أذنه وعينه وقال :  
«الباطل أن تقول، سمعتُ . . والحق أن تقول، رأيت» .

- مَنْ لَمْ يُنَجِّهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ .

- مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ .

- أَضَاعَةَ الْفُرْصَةَ غِصَّةٌ .

- احْصِدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرٍ غَيْرِكَ بِقَلْبِهِ عَنِ صَدْرِكَ .

- لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقًا حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ :

فِي نَكْبَتِهِ . . وَغَيْبَتِهِ . . وَوَفَاتِهِ . .

- النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا، وَلَا يَلَامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمَّهِ .

- سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية : ١٥٦] أَجَابَ :

قَوْلَنَا (إِنَّا لِلَّهِ) إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى . .

وَقَوْلَنَا (إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهَلَاكِ .

- اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ .

- لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ، بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَرَضَ عَلَى

جَوَارِحِكَ فَرَائِضَ

يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

- خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً، إِنْ مَثَمَ مَعَهَا بَكَوَا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عَشِثُمْ خَنُوا

إِلَيْكُمْ .

- إِذَا غَضِبَ اللَّهُ عَلَى أُمَّةٍ، غَلَّتْ أَسْعَارُهَا، وَغَلَبَهَا أَشْرَارُهَا .

- سأل (ذُغَلَبَ اليماني) الإمام علياً (ع) :

هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟

قال له : «أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى!»!

فقال : وكيف تراه يا أمير المؤمنين!

فقال الإمام (ع) :

« لا تراه العُيُونُ بِمُشَاهِدَةِ الْعِيَانِ ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ . . قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلَامَسٍ . . بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ . مُتَكَلِّمٌ لَا بَرَوِيَّةَ ، مُرِيدٌ لَا بِيَهْمَةَ ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةَ . . لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ . . كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ<sup>(١)</sup> . . بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَةِ . . رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَةِ . تَعْنُو<sup>(٢)</sup> الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ ، وَتَجِبُ<sup>(٣)</sup> الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ<sup>(٤)</sup> . »

وقال الإمام من روائع قوله :

« لَا مَالَ أَعْوُدُ<sup>(٥)</sup> مِنَ الْعَقْلِ . . وَلَا وَخْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ . وَلَا عَقْلَ كَالْتَدْبِيرِ . وَلَا كَرَمَ كَالْتَقْوَى . وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ . وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ وَلَا قَائِدَ كَالْتَوْفِيقِ . وَلَا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ . وَلَا رِيحَ كَالثَّوَابِ . وَلَا وَرْعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ . وَلَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ . وَلَا عِلْمَ كَالْتَفْكَرِ . وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ . وَلَا إِيْمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ . وَلَا حَسَبَ كَالْتَوَاضِعِ . وَلَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ . وَلَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقَ مِنَ الْمَشَاوِرَةِ . »

(١) الغلظ والخشونة .

(٢) تذل .

(٣) تخفق وتضطرب .

(٤) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج ٢ ص ٩٩ .

(٥) أنفع .

كان ذلك جزءاً يسيراً من العلم والحكم والمعرفة، الذي يتفجر من جوانب الإمام علي (ع) . . . أوردنا بعضاً منها لنسند ما ذهبنا إليه من أنه (أعلمهم) من خلال تلك المآثر والأقوال التي يعجز عن ذكرها أي بليغ أو أديب مهما رُفعت درجاته، وعلت ثقافته، ووسع علمه . .

. . لقد أكثر الإمام من النظر الفلسفي في شؤون الحياة والكون والمجتمع البشري، وفي أمور التوحيد والألوهة والتطلع إلى ما وراء الطبيعة . . فكان مؤسس علم الكلام، وفلسفة الآلهيات في الإسلام .

وكان استاذاً اعترف برشده وأصالته كل من لحق به من أصحاب الآراء والمقولات وهم أتباع وشارحون . .

وفي كتابه العظيم (نهج البلاغة) فيض من فرائد الحكمة التي يجلس بها في الصف الأول بين حكماء الأمم . .

وحين قال النبي: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» . . ألم يكن يقصد علياً بالذات<sup>(١)</sup>؟؟

. . . الإمام علي (ع) لا أحد ينكر عليه تفوقه المعرفي والفلسفي . . وهو يختلف كل الاختلاف عن أهل زمانه من حيث الإدراك بكل صنوفه . والمعروف عنه أنه ما تعاطى الفلسفة على أساس البديهيات، ولا على أساس القواعد المنطقية فقط . .

ولو قيس عقله الفلسفي مع عقول الفلاسفة عبر الزمن، لرأينا فارقاً كبيراً . . ويمكننا القول أنه لا يقاس بينه وبين المتقدمين عليه، أو المتأخرين من الفلاسفة . .

وما يرشدنا إلى هذا القول، هو الإعلان النبوي على لسان الرسول ﷺ:

«يا علي ما عرفك إلا الله وأنا»<sup>(٢)</sup> .

(١) (علي حقوق الإنسان) جورج جرداق ص ١٠٢ .

(٢) (الإمام علي والفلسفة الزمنية) فرح موسى ص ٥٩ .

وصفوة القول كان علي (ع) موسوعة واسعة واسعة في شتى ضروب العلم  
والمعرفة في زمانه، يتقدم جيله بعدة أجيال . . .  
. . . أحاط عليّ بالمعرفة دون أن تحيطه بسبب إعلامي . وأدركها دون أن  
تدركه بنشر ثقافي . . .

عاش عليّ في وسط لم يهضم المعرفة، ولم يحط بالقلم . . .  
عاش علي في مجتمع لم يدركه، وفي حقبة من الزمن لم تصل إلى شأوه . . .  
سبق زمنه وأراد أن يواكبه بقوة العزم والإرادة، وبعزة الإخلاص والعقيدة. فلم  
يكتب للزمن أن يواكبه، فتكالت عليه الخطوب . . .

عرفه الخاصة من ذوي العلم والأدب فاستلهموا منه بمقدار ما أوصلهم  
السبق. وجهله العامة حيث أخذ بهم رؤاد التسلط والاستغلال إلى حيث يجهلون.  
والإنسان لا يعتد بما يجهل . . .

كم تهب الطبيعة، وتعطي الحياة أفضاً كراماً، لا تدركهم أمهم ولا  
تهضمهم مجتمعاتهم، حتى إذا أفل منهم نجم اشرأبت إليه الأعناق . . . وتاقت إليه  
النفوس، تأخذ وجهة تعاليمه ومعالم حكمه تستنطقها وتستلهمها معرفة وحياة . . .  
نشأ علي وكله علم ومعرفة، فقه وحكمة . . . فصاحة وبلاغة .

نشأ علي وقد طغى عليه حب العلم حتى أخذ بمجامع قلبه وحركات لسانه  
واستنباط هواجسه .

يدرك ما يحيط به، ويحيط بما يدرك . . . يدرك إدراك العالم المتطلع، العامل  
بعلمه، المعتقد بما يلزمه أن يعمل لإصلاح مجتمعه ورفع مستواه . . . وهذا ما جعله  
لا يحجم عن درء خطأ، ولا يقف دون مشورة . . . ولا يتلكأ في إبداء نصح<sup>(١)</sup> . . .

---

(١) (ملاحم من عبقرية الإمام) الدكتور مهدي محبوبية .

## أتقاهم وأقضاهم.. وأزهدهم

قال الإمام علي كرم الله وجهه، وهو يدعو المسلمين إلى الورع والتقوى:

«اتقوا الله تقية ذي لب شغل التفكير قلبه، وانصب الخوف بدنه،  
وأسهر التهجد غرار نومه، وأرجف الذكر بلسانه..» ويقول:

«اتقوا تقية مَنْ سمع فخشع، واقترف فاعترف، ووجل فعمل، ورجع  
فتاب، واقتدى فاحتذى..» وقال:

«التقي مَنْ ألزم نفسه العدل، فكان أول عدته نفي الهوى عن نفسه»..

بدأ الإمام صباه مع بداية بدء الرسالة السماوية، وهبوط الوحي على نبي  
الرحمة ﷺ فشهد بدايتها.. وعاش تحت ظلالها.. ولمس نورها فتتور به..  
والتمس مبادئها فتفتح فكره عليها..

لم يعرف غير الإسلام مبدأ، ولم يسجد لصنم، ولم يؤمن بغير واحد أحد  
فكرم الله وجهه من دنس الشرك والإشراك.. وكان أول الرجال إسلاماً، وأقدمهم  
إيماناً، وأولهم صلاة من المسلمين بعد رسول الله ﷺ..

شب على الإسلام وشاب عليه وعاش له وضحي دونه ودرأ عنه المخاطر..  
حتى نذر نفسه له، واستغرق كل تعاليمه، وتفقه بفقهاء.. وجاهد في سبيل نشر  
رايته وبث رسالته.. حتى صار للإسلام أول مرجع، وأول فقيه بعد  
الرسول ﷺ..

وهو أول مَنْ حفظ القرآن في عهد النبي ﷺ وجمعه، وتدارسه، وفهمه فهماً  
عميقاً.. حتى تعمق في تنفيذ تعاليمه من أحكام وعبادات.

لم يرد لنا الرواة والمحدثون والمؤرخون، مَنْ هو أتقى منه . . تقوى عالم كل العلم بعلوم الأرض وعلوم السماء، كما علمه النبي ﷺ . . .

كان عليه السلام متمسكاً بتعاليم الدين، لا يعمل بما يخالفها، وإنما التزم بتنفيذ أحكام الشريعة السمحاء حتى لو كانت تلك الأحكام على حساب منفعته الدنيوية، وقد قال في ذلك:

«لولا الدينُ والتقى لكنْتُ أدهى العرب» . . .

سبق الإمام علي كافة المسلمين إلى الهدى والتوحيد . . فعبد الله عبادة عبدي عرفَ المعبودَ حق معرفة . . حتى أيقنَ أنه للعبادة أهلاً . . .

فكان لا يعبد الله خوفاً من عذابه . . ولا طمعاً في جنته . . . لكنه سما بعبادته، حتى كانت علاقته بالخالق سبحانه تعالى، أرفع علاقة بين الخالق والمخلوق . . وقد قال في ذلك:

«الهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك . . ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» . . .

إن مَنْ تبصر في عبادة الإمام تبين له أن علياً متمرد في عبادته وتقواه، كما هو متمرد في أسلوبه في السياسة والحكم . . .

ففي عبادته افتتان الشاعر يقف في هيكل الوجود الرحب، صافي النفس، ممتلىء القلب . . حتى إذا انكشفت له جمالات هذا الكون تجاوبت وما في كيانه من أصدقاء وأظلال وموازين . . .

فأطلق هذه الآية الرائعة التي نرى فيها دستوراً كاملاً لتقوى الأحرار وعبادة عظماء النفوس:

«إن قوماً عبدوا رغبة الله، فتلك عبادة التجار . . وإن قوماً عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد . . وإن قوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة الأحرار»<sup>(١)</sup>.

(١) (علي وحقوق الإنسان) جورج جرداق المجلد الأول ص ٧٤.



كان الإمام أعبدهم، وأكثرهم صلاة وصوماً . . . ومنه تعلم المسلمون صلاة الليل وقيام النافلة . . . وفي ذلك قال ابن أبي الحديد المعتزلي في (شرح النهج):  
(. . .) وأما العبادة فكان أعبد الناس، وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد وقيام النافلة . . . وما ضنك برجلٍ كانت جبهته كثفنةً بعير لطول سجوده . . .  
وكان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة . . . وكان ملازماً لتلاوة القرآن ويتهجّد به . . .)

وسُئل عن الإيمان، فقال:

«الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. وأفضل الإيمان». كما قال رسول الله ﷺ: «إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت».

وسأله سائل آخر:

يا أمير المؤمنين، مَنْ هم أولياء الله؟ . . . قال الإمام علي (ع):

«إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها . . . واشتغلوا بأجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا ما خشو أن يميتهم. وتركوا منها ما علموه أن سيرتهم . . . لا يرون مَرْجُوعاً فوق ما يرجون . . . ولا مخوفاً فوق ما يخافون . . .»<sup>(١)</sup>

ذكر عروة بن الزبير، عن أبي الدرداء، قال:

شهدت علياً بن أبي طالب بشويحطات (بشجر) النجار، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات النخل (النخل الوارف الظلال) . . . فافتقدته، وبعُدَ عن مكانه . . .

فقلت ألحق بمنزله . . . فإذا أنا بصوت حزين، ونغم شجي، وهو يقول:

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج ٢ ص ٢١٨.

«الهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك . . . وكم من جريرة  
تكرمت عن كشفها بكرمك . . .»

الهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي . . . فما أنا  
مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك» .  
فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر . . . فإذا هو علي بن أبي طالب بعينه،  
فاستترت له، فركع ركعات في جوف الليل الغامر . . .  
ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء، والبث والشكوى . . . فكان مما ناجى به الله  
تعالى:

«الهي أفكر في عفوك، فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من  
أخذك، فتعظم علي بليتي . . .» .

ثم استمر يدعو الله سبحانه وتعالى، حتى أمعن في البكاء . . . وبعدها لم  
أسمع له حساً ولا حركة . . .

فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر . فأتيته، فإذا كالخشبة الملقاة!  
فحركته، فلم يتحرك . . .

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون . . . مات والله علي بن أبي طالب . . . فأتيت  
منزله مبادراً أنعاه إليهم . . .

فقالت فاطمة بنت محمد: يا أبا الدرداء ما كان من شأنه، ومن قصته؟  
فأخبرتها الخبر . . . فقالت:

(هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله).

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق . . .

ونظر إلي وأنا أبكي، فقال:

مما بكأوك يا أبا الدرداء؟ فقلت: مما أراه تنزله بنفسك! فقال:

«يا أبا الدرداء فكيف لو رأيتني ودعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل

الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ، وزبانية فظاظ . فوقفت

بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء، ورفضني أهل الدنيا . . .»

لكنك أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية . . .» .

فقال أبو الدرداء: فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> . . .

. . نعم كان الإمام علي (ع) كذلك في عبادته بصلاته، وتضرعه إلى خالقه . . حتى قيل لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (وهو من المعروفين في الزهد والعبادة): أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال:

عبادتي عند عبادة جدي . . كعبادة جدي عند عبادة رسول الله ﷺ . . .

الإمام علي يعتبر ترجمة صادقة لعبادة نبي هذه الأمة وقائدها، وفي شدة تعلقه بخالق العباد عز شأنه، وبالنهج بمنهج معلمه العظيم . . .

وقد سماه النبي ﷺ (إمام المتقين) . . .

وهذا يعني ليس في المسلمين من يسبقه، أو يتقدمه بالتقوى سوى رسول الله ﷺ وبناء على ذلك يكون الإمام أكرمهم عند الله، لأنه أتقاهم . . تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْتِكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣] .

كما أطلق عليه رسول الله ﷺ (يعسوب المؤمنين) . . . واليعسوب أمير النحل الذي تنقاد إليه، ويقوم بمصالحها، ويرجع إليه في أمورها . . .

وهذا يعني إنه (إمام المؤمنين) أيضاً، لكونه يعسوبهم كما سماه الرسول ﷺ . . .

يتقدم المؤمنين وهم يتبعوه . فهو لهذا الوصف أحقهم وأجدرهم . . ومن لإمامة المؤمنين غيره بعد أن أنعم سيد العظماء ﷺ عليه ذلك!

وهو أيضاً للمؤمنين (أميرهم) ووحده الذي له الصدارة بين (أمراء المؤمنين)، أو كل من سُمي بحق (أمير المؤمنين) غيره!

فلا يقارن الإمام علي . . أمير المؤمنين بمن ادعى لنفسه، أو دُعيَ بأمر المؤمنين، ومنهم الفاسق، والجاهل، والعاصي، والمعطل لأحكام السنة . . أمثال

(١) (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) مؤسسة البلاغ ج ٣ ص ٢٨ .

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي كان يُدعى بأمير المؤمنين باطلاً!!

ومن غير العدل أن يكون علي يحمل تلك الصفة.. ومثله (يزيد) يحمل ذات الصفة!!

بعد مصرع الإمام علي، قال معاوية لضرار ابن ضمرة الضبائي، وهو من أصحاب علي:

صف لي علياً.. فقال له ضرار:

أعفني.. قال له معاوية: لتصفته!

قال: أما إذ لا بد من وصفه.. فكان والله بعيد المدى، شديد القوى.. يقول فضلاً، ويحكم عدلاً.. يتفجر العلم من جوانبه، وتنطلق الحكمة من نواحيه.. يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته.. وكان غزير العبرة، طويل الفكرة. يقلب كفه ويخاطب نفسه.. يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشِب..

وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استبأناه. ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا.. لا نكاد نكلمه هيبة له، ولا نبتديه لعظمته.. يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين.. لا يطمع القوي في باطله، ولا ييئس الضعيف من عدله. فأشهد بالله لقد رأيت في بعض مواقفه ليلة وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه.. وقد مثل قائماً في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تمللم السليم<sup>(١)</sup>، ويكي بكاء الحزين، وكأني أسمع، وهو يقول:

«يا دنيا يا دنيا إليك عني.. أبي - تعرضت، أم إلي - تشوقت! لا حان حينك<sup>(٢)</sup>.. هيهات غري غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها.. فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير.. آه من قلة الزاد وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد»<sup>(٣)</sup>.

(١) الملدوغ من حية ونحوها.

(٢) لا جاء وقت وصولك لقلبي.

(٣) يوم الحساب.

.. فبكى معاوية، وقال :

(رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار)؟

قال: حُزن مَنْ دُبِحَ وحيداً في حجرها..

ولا بد لنا ونحن بصدد تقوى الإمام علي (ع)، من ذكر ذلك الرجل العابد الذي يُقال له (همام) حين سأل الإمام أن يصف له (المتقين) حتى وكأنه ينظر إليهم..

فتناقل عليه السلام عن جوابه، ثم قال له :

«يا همام اتق الله وأحسن، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون».

فلم يقتنع همام بهذا القول حتى عَزَمَ عليه.. فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ ثم قال :

«أما بعد، فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنه لا تضره معصية مَنْ عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه.. فقسّم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم. فالمتقون فيها هم أهل الفضائل.. منطلقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيتهم التواضع.

غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم. نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء.. ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب..

عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها منهم فيها معذبون..

قلوبهم محزونة، وشروورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة . .

صبروا أياماً قصيرة أعقتهم راحة طويلة . . تجارة مربحة يسرها لهم ربهم . . أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم فغدوا أنفسهم منها . .

أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً . يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم<sup>(١)</sup> . فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا إنها نُصبُ أعينهم . وإذا مروا بآية فيها تخويفٌ أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم<sup>(٢)</sup>، مفترشون لجبايهم وأكفهم ورُكَبِهِمْ وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم . . .

وأما النهار فحلمااء علماء، أبرار أتقياء قد برَّاهمُ الخوف برى القِدَاح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرضٍ ويقول قد خولطوا<sup>(٣)</sup> .

ولقد خالطهم أمرٌ عظيم . لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير . فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون<sup>(٤)</sup> . إذا زُكِّي<sup>(٥)</sup> أحدهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي من نفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون . فمن علامة

(١) استثار الساكن: هيجه، وقارىء القرآن يستثير به الفكر الماحي للجهل فهو دواءه .

(٢) هم من شدة الخوف قد حنر ظهورهم وسلطوا الانحناء على أوساطهم .

(٣) خولط في عقله، أي مزجه خلل فيه، والأمر العظيم الذي خالط عقولهم هو الخوف الشديد من الله .

(٤) خائفون من التقصير فيها .

(٥) مدحه أحد .

أحدهم أنك ترى له قوة في الدين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين،  
 وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً<sup>(١)</sup> في غنى، وخشوعاً في  
 عبادة، وتجملاً في فاقة<sup>(٢)</sup>، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً  
 في هدى، وتخرجاً عن طمع<sup>(٣)</sup>. يعمل الأعمال الصالحة وهو على  
 وجل. يُمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر. . يبيت حذراً  
 ويصبح فرحاً، حذراً لما حُدِرَ من الغفلة، وفرحاً بما أصاب من  
 الفضل والرحمة. .

إن استصعبت عليه نفسه فيما تركه لم يعطها سؤالها فيما تحب<sup>(٤)</sup>.  
 قرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى<sup>(٥)</sup>. يمزج الحلم بالعلم،  
 والقول بالعمل. تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه،  
 منزوراً أكله<sup>(٦)</sup>، سهلاً أمره، حريزاً دينه<sup>(٧)</sup>، ميتة شهوته، مكظوماً  
 غيظه.

الخير منه مأمول، والشر منه مأمون. إن كان في الغافلين كُتِبَ في  
 الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين<sup>(٨)</sup>. .  
 يعفو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، ويعطي مَنْ حَرَمَهُ، ويصل مَنْ قَطَعَهُ. . بعيداً  
 فُحِشَهُ، ليناً قوله، غائباً منكروه، حاضرأ معروفه، مقبلاً خيره، مدبرأ  
 شره. .

(١) اقتصاد.

(٢) التظاهر باليسر عند الفقر.

(٣) تباعد عن طمع.

(٤) إذا لم تطاوعه نفسه فيما يشق عليها من الطاعة، عاقبها بعدم إعطائها ما ترغبه من الشهوة.

(٥) ما لا يزول (الآخرة) وما لا يبقى (الدنيا).

(٦) منزوراً: قليلاً.

(٧) حصيناً.

(٨) أي إن كان بين الساکتين عن ذکر الله فهو ذاکراً له بقلبه، وإن كان بين الذاكرين بلسانهم لم يكن مقتصرأ على تحريك اللسان مع غفلة القلب.

في الزلازل وقور<sup>(١)</sup>، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور. لا يحيفُ على مَنْ يبغض ولا يَأثم فيمن يحب. يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه.

لا يضيع ما استحفظ، ولا ينسى ما ذكر، ولا ينابز بالألقاب<sup>(٢)</sup>، ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق.

إن صمت لم يغمه صمته، وإن ضحك لم يغلُ صوته، وإن بُغِيَ عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له.

نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة. أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه.

بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ. ودنوه ممن دنا منه لينٌ ورحمةٌ.

ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخديعة<sup>(٣)</sup>.

وعندما أكمل الإمام علي ذلك، صعق همام صعقة (غشى عليه) كانت نفسه فيها. فقال أمير المؤمنين (ع):

أما والله لقد كنت أخافها عليه. ثم قال:

«هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها»<sup>(٣)</sup>.

لقد وصف الإمام علي، في وصفه (للمتقين) نفسه.. فهو في تقواه كما وصفهم، وهو في عبادته كما ذكرهم، ولو استعرضنا الثقة والمتقين من صحابة رسول الله ﷺ جميعاً، لوجدنا أن علياً هو أرقاهم وأخصهم بالتقوى والإيمان، وهو القائل:

«إن خير الزاد التقوى»...

(١) الزلازل: الشدائد المرعدة. والوقور الذي لا يضطرب.

(٢) أي لا يدعو غيره باللقب الذي يكره ويشمتر منه.

(٣) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج ٢ ص ١٦٤.



وتقوى الله عنده:

« . . . فَإِنَّ تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم، وأمن فزع جأشكم<sup>(١)</sup>، وضياء سواد ظلمتكم . . . ».

ومنها:

«فمن أخذ بالتقوى عزبت<sup>(٢)</sup> عنه الشدائد بعد دنوها، واحلوت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهلت له الصعاب بعد إنصابها<sup>(٣)</sup>، وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها، وتحديت عليه الرحمة بعد نفورها، وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها، ووبلت عليه البركة بعد إرذاذها<sup>(٤)</sup> .

ويقول الإمام في تقوى الله في قول آخر:

«فإن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد. وعتق من كل ملكة<sup>(٥)</sup>، ونجاة من كل هلكة<sup>(٦)</sup> . . . بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتنال الرغائب . . .

فاعملوا والعمل برفع، والتوبة تنفع، والدعاء يُسْمَعُ . . .»<sup>(٧)</sup>.  
وقال الإمام ناصحاً:

«لا تضعوا مَنْ رفعت التقوى . . . ولا ترفعوا من وضعته الدنيا».

(١) ما يضطرب في القلب عند الفزع أو توقع المكروه

(٢) غابت وبعدت .

(٣) إتعابها .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٤ .

(٥) الملكة (بالتحريك): الرق، أي عتق من رق الشهوات والأهواء .

(٦) الهلكة (بالتحريك) الهلاك .

(٧) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٣ .

## الإمام الزاهد . . .

أما زهد الإمام، فقد لخص محمد ﷺ في بعض من كلماته الرائعة، زهده فوصفها أروع وصف، وعبر عنها أدق تعبير، فكانت وساماً للإمام من الأوسمة التي بها مسححة من النفع الإلهي والنبوي التي لم ينل منها غيره . . .  
فقد قال له رسول الله ﷺ :

«يا علي إن الله قد زينك بزينة لم يُزين العباد بزينة أحب إليه منها، هي زينة الأبرار عند الله . . . الزهد في الدنيا . . .

فجعلك لا ترزأ<sup>(١)</sup> من الدنيا، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً . . . ووهب لك حب المساكين، ورضوا بك إماماً، ورضيت بهم أتباعاً . . .

فظوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك . . .  
فأما الذين أحبوك وصدقوا فيك فهم :

جيرانك في دارك، ورفقاؤك في قصرك في الجنة .

وأما الذين أبغضوك وكذبوا عليك :

فحق على الله أن يوقفهم موقف الكذابين يوم القيامة . . . « .

رواه الصحابي الجليل عمار بن ياسر (رض)<sup>(٢)</sup> .

والزهد عند الإمام، كما وصفه :

(الزهد كله بين كلمتين من القرآن . . . قال الله سبحانه : ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى

مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي، وَلَمْ يَفْرَحْ

(١) لا تنال .

(٢) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج ٢ ص ١٩ . . (حلية الأولياء) لأبي نعيم ج ١ ص ٧١ . .

(أسد الغابة) لابن الأثير ج ٤ ص ٢٣ . . (شواهد التنزيل) للحسكاني . . (شرح نهج البلاغة) لابن أبي

الحديد . . (ينابيع المودة) للقندوزي . . (كنز العمال) للهندي . . (كفاية الطالب) للكنجي

وغيرهم .

بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه . . . والزهاد اقتدوا بزهد الإمام علي، إلا أنهم لم يستطيعوا مجاهدة أنفسهم عن الهوى كما كان يفعل هو . . . فزهده جعله يتعامل مع الحياة من أصعب أبوابها وأخشنها . . . وليس له منها سوى أن يحيا فيها على أدنى ما بها من شظف العيش، والابتعاد عن ملذاتها وإغراءاتها وترويض نفسه على معصية نفسه وحرمانها كنفس بشرية عن ما يطيب لها ما تطيب للنفوس من الدنيا والتمتع بمحاسنها وأهوائها . . . وهو القائل:

«أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ . . .» .

كان يقوت نفسه بأقل قوت يقتات به أقل الفقراء من المسلمين . . . ويلبس من اللباس أخشنه، ويفترش من المنام ما يفترشه المعدمون، تطبيقاً لما كان يقوله:

«مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ» . . .

روى (علقمه) وهو أحد أصحابه، قال:

دخلنا على علي وبين يديه طبق من خوص عليه قرص أو قرصان من خبز شعير، نخالته واضحة في الخبز، وهو يكسره على ركبتيه ويأكل . . .

فقلت لجاريتته (فضة) ألا نخلت هذا الدقيق!!

فقلت: هو يأكله المهناً، ويكون الوزر في عنقي!! . فتبسم علي، وقال:

«أنا أمرتها أن لا تنخله، ذلك أحرى أن يذل النفس، ويقتدي بي

المؤمنون . . . ثم قال: كان رسول الله ﷺ يأكل أبيض من هذا» .

وقد قال في موضع آخر، يستدل من قوله إنه كان في موضع من قمة الزهد الذي لم يصل إلى ذلك الموضع أزهد الزهاد غيره . . .

نعم هو خليفة رسول الله ﷺ، وبيده ما أنعم الله على المسلمين في بيت المال، وتحت ولايته دولة امتدت أطرافها شرقاً وغرباً . . .

ولكن . . . لا يزال كما هو ذاك علي بن أبي طالب يحيا حياة الشظف، ويجاري أفقر رعيته العيش . . . تماماً كما كان يقوم فقير المسلمين بخصف نعله، وترقيع رداءه . . . وفي ذلك يقول:

«والله لَقَدْ رَقَعْتُ مِذْرَعَتِي<sup>(١)</sup> هذه، حتى أَسْتَحْيِيَتْ مِنْ رَاقِعِهَا . . ولقد قال لي قائل أَلَا تَتَبُّدُّهَا؟

فَقُلْتُ أَعْرُبُ عَنِّي<sup>(٢)</sup> فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السَّرَى<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup> .

روى النضر بن منصور، عن عقبة بن علقمة، قال:

دخلت على علي، فإذا بين يديه لبن حامض، وكسر يابسة، فقلت: يا أمير المؤمنين، أأأكل مثل هذا!!

فقال لي: «يا أبا الجنوب كان رسول الله ﷺ يأكل أبيض من هذا، ويلبس أخشن من هذا - وأشار إلى ثيابه - فإن أنا لم آخذ بما آخذ، خفت أن لا ألحق به . . .»

كان الإمام علي (ع) يأتدب بخل أو بملح، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من البان الإبل . . ولا يأكل اللحم إلا قليلاً<sup>(٥)</sup> .

. . . كان الإمام يسمي الزهد (ثروة) . . ثروة لآخرته تكون معه متاعاً له يوم الحساب . على أن زهد الإمام، لم يكن بسبب من التشائم من الحياة . . ولا بسبب من حاجة اضطرته إليه ظروفه المعيشية، أو موارده المحدودة . .

بل كان زهده نابعاً من صدقه مع نفسه، ومن عمق تقواه، وسعة إيمانه . .

كان يصرح أنه لا يأنف الطعام الشهوي، والملبس الناعم، والمسكن الغني . . ولكنه يأنفها وفي الأرض قوم فقراء لا يحظون بما يحظى به هو إن فعل . .

وفي هذا التصريح دليل على أنه يرغب أول ما يرغب في أن يوفر للناس نصيباً كافياً من آلة العيش . . .

(١) (المدرعة) بالكسر: ثوب من صوف .

(٢) أعرب عني: ابعده واذهب عني .

(٣) السرى: السير ليلاً . والمثل معناه: إذا أصبح النائمون، وقد رأوا السارين واصلين إلى مقاصدهم حمدوا سراهم وندموا على نوم أنفسهم . أو إذا أصبح السارون وقد وصلوا إلى ما ساروا إليه حمدوا سراهم وإن كان شاقاً حيث أبلغهم إلى ما قصدوا .

(٤) (نهج البلاغة) الشيخ محمد عبده ج ٢ ص ٦٠ .

(٥) (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد .

وإنه ما دام في الناس مَنْ لا عهدَ له بالشعب، ولا مطمع له بالقرص، فعلى قائد هؤلاء أن يحمل ما يحملون، ويُعاني ما يعانون. . . حتى إذا زال شبحُ الفقر عنهم زال عنه، وإلا فما معنى القيادة، وما معنى الولاية؟

يقول الإمام علي (ع): «أفنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين، ولا أشاركهم مكاره الدهر» وعنده مكاره الدهر تعني: مساوىء الفقر<sup>(١)</sup>.

كان بوسع الإمام علي (ع) أن ينال من الدنيا ما نال منها بعض الصحابة، خصوصاً بعد أن أصبح خليفة وبيده أموال المسلمين. . .

لكنه على عكس ذلك، قد زاد زهده وتقشفه بعد أن تولى أمور المسلمين، حتى يكون قدوة لغيره من الرعية. . . وقال في ذلك:

«ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدى به، ويستضيء بنور علمه. . . ألا وإن أمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه<sup>(٢)</sup>. ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرُونَ على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد. فوالله ما كنت من ديناكم تبراً<sup>(٣)</sup>، ولا ادخرت من غنائهما وفرأ<sup>(٤)</sup>، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً<sup>(٥)</sup>».

ثم يقول:

«ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز. . . ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي<sup>(٦)</sup> إلى تخير الأطعمة. . .»<sup>(٧)</sup>.

(١) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية) جورج جرداق المجلد الأول ص ١٣٣.

(٢) الثوب العتيق.

(٣) فتات الذهب والفضة قبل أن يُصاغ.

(٤) المال.

(٥) أي ما كان يهوىء لنفسه طمراً آخر بدل الثوب الذي يبلى.

(٦) شدة الحرص.

(٧) (نهج البلاغة) ج ٣ ص ٧١.

على أنه لم يكن يوصي أصحابه بمجاعة زهده، والطلب إليهم أن يعيشوا بما كان هو يعيش عليه.. فكان يريد لهم التمتع بمطيبات الحياة التي خلقها سبحانه وتعالى:

قال الإمام لعاصم بن زياد الحارثي، بعد أن علم أنه لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا:

«يا عُدِّي<sup>(١)</sup> نَفْسِي لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ<sup>(٢)</sup>، أَمَا رَحِمَتَ أَهْلَكَ  
وَوَلَدَكَ.. أَتَرَى اللهُ أَحْلَى لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟  
أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ».

قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة ما أكلك! قال:  
«ويحك إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يُقَدَّرُوا<sup>(٣)</sup>  
أنفسهم بِضَعْفَةِ النَّاسِ كَيْلًا يَتَّبِعَ<sup>(٤)</sup> بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ».

... نعم كان الإمام علي (ع) بزهده يجاري أفقر الفقراء في مأكله وملبسه  
ومعيشته وعيشه، مواساة منه لهم على ما هم عليه، وإذلاً منه للنفس، وتصغيراً  
لدنياه، وتعظيماً لآخرته، وسموا لمبادئه..

عاش الإمام في مسكن متواضع كما كان يسكن فقراء المسلمين.. ويأكل  
الشعير تطحنه زوجته أو هو يطحنه بيديه..

وكان يلبس أبسط أنواع الملابس، وينام على ما كان ينام عليه الفقراء..

كان يقتاد من كسبه، ومن كسبه هذا كان يتصدق ويعتق العبيد، ويطعم  
الضعيف ويعين المحتاج والمسكين وابن السبيل والفقراء..

عن الإمام جعفر الصادق، قال:

(١) تصغير عدو.

(٢) الشيطان.

(٣) يقيسوا أنفسهم بالفقراء.

(٤) أي يهيج به ألم الفقر.

كان أمير المؤمنين أشبه الناس طعمه برسول الله، يأكل الخبز والخل والزيت، ويُطعم الناس الخبز واللحم).

وعن عمر بن عبد العزيز (رض)، قال:

(ما علمنا أن أحداً كان في هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ أزهّد من علي بن أبي طالب، ما وضع لبنه على لبنه، ولا قصبه على قصبه).

روى الأحنف بن قيس، قال:

دخلت على معاوية، فقدم إلي من الحلو والحامض ما كثر تعجبي منه. . ثم قال: قدموا لونا لا أدري ما هو!!

وبعدها علمت بعد أن سألت عنه، إنه مصارين البط محشوة بالمش ودهن الفستق قد دُر عليه السكر. .

قال: فبكيت! فسأله معاوية عن سبب ذلك، فقال له:

لله در ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمع به أنت ولا غيرك. . قال معاوية: وكيف؟

قال: دخلت عليه ليلة عند إفطاره، فقال لي: قم فتعش مع الحسن والحسين. ثم قام إلى الصلاة. فلما فرغ منها دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً. .

فقلت: يا أمير المؤمنين لم أعهدك بخيلاً، فكيف ختمت على هذا الشعير. . فقال:

«لم أختمه بخلاً، ولكن خفت أن يبسه<sup>(١)</sup> الحسن والحسين بسمن أو إهالة<sup>(٢)</sup>!»

فقلت: أحرام هو؟ قال:

«لا، ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم في الأكل

(١) يبسه: يضع عليه السمن.

(٢) الإهالة: الشحم أو ما أذيب منه.

واللباس ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرّون عليه، ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً».

لاحظ أحد أصحاب الإمام أنه يلبس قميصاً جديداً، ولكنه يضع عليه رداءً قديماً، فسأله في ذلك . . . فقال الإمام ضاحكاً:

«إنما لبس هذا الرداء ليكون أبعد لي عن الزهو والكبر».

وكان على الرغم من خشونة ملبسه نظيف الثوب، طيب الرائحة . . . فقد كان يحب الرائحة الطيبة، ويرغب فيها . . . وكان إذا رأى رجلاً يدخل المسجد في ثياب قذرة، أو له رائحة منكّرة . . . زجره، فليس هذا من النسك فالنظافة من الإيمان<sup>(١)</sup> . . . وقد قال تعالى:

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوًا زَيْنَتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣١].

**أُمَاتُ الشَّهَوَاتِ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يَمْتِ نَفْسَهُ فِي الشَّهَوَاتِ . . .**

على أن تلك الحالات من الزهد، والتي تعني ضَعْفَ القلب والجسد، ورقة ولين في القلب والعواطف والطباع . . .

تقابلها الشجاعة وهي حالة من الشدة والقسوة والفتك والجلادة عند الحرب والدفاع عن الدين . . . وهذه صفة المحاربين الأشداء الذين يقاتلون عن المبادئ التي آمنوا بها . . .

إذا فهاتان حالتان مختلفتان متضادتان، تجمع بين الرقة والقسوة في القلب معاً.

والإمام علي يجمع بينهما . . . الزهد، والتواضع، والتعامل الإنساني مع الإنسان في حالة السلم، وفي فترة نشر التعاليم الإسلامية . . .

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج ٢ ص ٣٠٥.



وفي حالة الحرب، لا من أجل الحرب، وإنما دفاعاً عن دين الله عز وجل.. يكون الإمام وهو في حالة الدفاع أشد الأشداء، وأقوى المقاتلين الأقوياء.. أكثرهم إقداماً، وأوسعهم مغامرةً وجرأة، وأقساهم قلباً، وأكثرهم بأساً.. وتلك من الخصائص العجيبة في شخصيته..

يقول الشريف الرضي (رض) عن ذلك:

(مَنْ يتغمس في الحرب مصلاً سيفه، فيقطع الرقاب ويجدّل الأبطال<sup>(١)</sup>، ويعود به ينظف دماً<sup>(٢)</sup>، ويقطر مُهجاً، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الأبدال<sup>(٣)</sup>.. وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد، وألف بين الأشتات..)<sup>(٤)</sup>.

ذكر الإمام الشيخ محمد عبده في تفسيره لنهج البلاغة:

(إن أهل الشجاعة والإقدام والمغامرة والجرأة يكونون في العادة قساة فتاكين متمردين جبارين.. والغالب على أهل الزهد وأعداء الدنيا، وهاجري ملاذها المشتغلين بالوعظ والنصيحة والتذكير أن يكونوا ذوي رقة ولين وضعف قلوب وخور طباع..)

وهاتان حالتان متضادتان، فاجتماعهما في أمير المؤمنين كرم الله وجهه مما يوجب العجب، فكان كرم الله وجهه أشجع الناس، وأعظمهم إراقة للدم، وأزهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا، وأكثرهم وعظاً وتذكيراً، وأشدهم اجتهاداً في العبادة. وكان أكرم الناس أخلاقاً وأسفرهم وجهاً وأوفاهم هشاشة وبشاشة حتى عيب بالدعابة..)<sup>(٥)</sup>.

.. لقد أمارت الإمام علي الشهوات في نفسه، ولم يمت نفسه في الشهوات،

(١) يجدل الأبطال: يلقيهم على الجدالة وهي وجه الأرض.

(٢) يسيل دماً.

(٣) الإبدال: قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم، إذا مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر.

(٤) (نهج البلاغة) مقدمة الشريف الرضي ص ١٢ شرح الشيخ محمد عبده.

(٥) نفس المصدر.

بل إن نفسه ما كانت حقلاً خصباً للشهوات، لأنه نفسه نشأت وترعرت على العفة والطهر وعلى غذاء الروح . .

فاستحال على الشهوات أن تتوغل فيها أو تدنو منها وإن هي توغلت، أو دنت، عجزت عن الحياة معها، فمصيرها الموت لأنها لم تألف مناخات القيم . .  
كان علي بن أبي طالب بطلاً، ولكن بطولته لم تكن بطولة زند فحسب، إنما كانت بطولة قلب . . بطولة انقضاض الإنسان على نفسه ليتتصر عليها، ومن هنا قوله المأثور:

«إن أغلب الناس من تغلب على هواه»<sup>(١)</sup>.

كان الإمام يردد قول معلمه، وأستاذه الكبير رسول الله ﷺ، ويمثل بذلك القول:

«إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ».

كان علي يحذر نفسه أن يأكل خبزاً فيشبع في مواطن يكثر فيها من لا عهد لهم بشبع . وإن يلبس ثوباً ناعماً وفي أبناء الشعب من يرتدي خشن اللباس، وأن يقتني درهماً وفي الناس فقرٌ وحاجة، ويوصي أبناءه وأنصاره ألا يسيروا مع نفوسهم غير هذه السيرة . .

ثم يقاضي أخاه من أجل دينار طلبه من مال الشعب من غير بلاء . . ويقاضي أعوانه ومبايعيه وولاته من أجل رغيف يأكلونه رشوةً من غني<sup>(٢)</sup> . . .

وتواضعه . .

أما تواضعه، فمن يحمل تلك الصفات الواسعة من الزهد والإيمان . . يكون التواضع عنده نتيجة لذلك الزهد وذاك الإيمان اللذين لا حدود لهما . .

فتواضع الإمام علي صورة صادقة لتواضع رسول الله ﷺ، كما هو ذلك في كل خلقه الإسلامي الرفيع . .

(١) (الإمام علي رسالة وعدالة) الشيخ خليل ياسين ص ١١٠.

(٢) (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية) جورج جرداق ج ١ ص ٤١.

كان مثلاً أعلا للمسلمين في تواضعه، وقدوة لهم فيه . .

فهو بنفسه الذي يتبضع حاجات أهله من السوق وهو أمير للمؤمنين، وخليفة المسلمين . . يحمل تلك الحاجات، كما يحمل حاجاته أي فقير من فقراء عامة الناس . . ويرفض طلب مَنْ كان يريد مد يد العون له بحمل ما كان يحمله . . . ويجيبهم:

«رب العيال أحق بحمله . .» .

خرج يوماً، وهو راكب، فمشوا خلفه أصحابه . . فالتفت إليهم قائلاً: ألكم حاجة؟ قالوا:

لا يا أمير المؤمنين، ولكننا نحب أن نمشي خلفك . . فقال لهم:

«انصرفوا، فإن مشي المشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي» .

وفي رواية أخرى . .

مشى (حرب بن شُرحبيل الشُّبامي) خلف ركب علي بن أبي طالب، الذي كان راكباً . . فقال له الإمام: ارجع . . . ووقف . . ثم قال له:

«ارجع . . . فإن مشي مثلك مع مثلي، فتنة للوالي، ومذلة للمؤمن . .»<sup>(١)</sup> .

كان الإمام يسير في الأسواق وحده دون حراسة أو موكب أو مرافقين من جند أو خدم أو حراس . .

ففي الأسواق والطرق، كان يرشد المسلمين، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويعين الضعيف منهم . . وينصح التجار والكسبة، بحسن المعاملة، والابتعاد عن الجشع والاستغلال . . ويأمرهم بالتواضع والزهد . . ويذكرهم بقوله تعالى:

(١) (حياة الإمام علي) محمود شلبي ص ٥٥٢ .

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا  
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص، الآية: ٨٣]

ومن تواضعه الجم . . وقوفه بين يدي القاضي مع رجل من عامة الشعب  
الذي يضطلع الإمام علي بقيادته<sup>(١)</sup>.

وكذلك تعامله مع الأمة كواحد منها، يعايش مشاكل أفرادها، ويتودد  
لفقرائهم ويقرب مساكينهم، ويسدي العون لضعفائهم . .

ومن طريف ما يروي عن تواضعه . . أن الإمام علياً نزل عنده ضيفان . .  
أحدهما أب والثاني ابن . . فأمر لهما بالطعام .

ولما أكلا، أمر بإحضار إبريق وطست ومنديل، حتى يغسلا أيديهما . .  
وبتواضع عظيم، جلس الإمام بين يدي ضيفه الأب رافعاً الإبريق والطست إليه حتى  
يغسل فيه يده . .

عندها نهض الضيف من مكانه، وهو ينتفض قائلاً:

يا أمير المؤمنين، الله يراني وأنت تصب الماء على يدي!!

لكن الإمام أمسك بثوبه يجره إلى الأرض، قائلاً:

اجلس واغسل، فإن الله عز وجل يراك وأخاك الذي لا يتميز عليك، ولا  
ينفصل عنك يخدمك . .

جلس الرجل تحت ضغط إصرار الإمام، وغسل يديه قليلاً، ثم نهض  
متظاهراً بأنه قد أتم الغسل . .

ولكن الإمام لم يتركه . . جره مرة ثانية من ثوبه قائلاً:

أقسمت بعظيم حقي الذي عرفته ونحلته، وتواضعك لله لما غسلت  
مطمئناً . .

وجلس الرجل مرة أخرى، وبدأ يغسل يده بشكل مطمئن، كما طلب منه  
الإمام . .

(١) (علي وحقوق الإنسان) جورج جرداق ص ٨٧.

ولما فرغ من ذلك، دفع الإمام الإبريق والطست إلى ولده محمد بن الحنفية ليتولى صب الماء على يد الضيف الابن . . وقال لمحمد:

«يا بني، لو كان هذا الابن حضر دون أبيه لصيبتُ على يده، ولكن الله عز وجل يأبى أن يسوى بين الابن وأبيه إذا جمعهما مكان . . ولكن قد صب الأب على يد الأب . . فليصب الابن على يد الابن . .»<sup>(١)</sup>.

وصفوة القول كان علي فيهم، في تواضعه كواحد منهم، قبل أن يكون خليفة للمسلمين، وبعد أن صار خليفة لهم . .

كان يكرر قوله للمسلمين:

« . . فلا تُكَلِّموني بما تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ . . وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ . . وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ . . » .

لقد تواضع لتواضع الإمام المتواضعون والمتجبرون معاً . . حتى صار تواضعه لهم مثلاً يُقتدى به، ونمطاً كاملاً لأنواع التواضع الحق بصوره المختلفة . .

هو خليفة المسلمين، ينهاهم عن مخاطبتهم إياه بألقاب العظمة، كما يلقبون الجبابرة والطغاة. كما كان ينهاهم عن التحفظ منه بالتزام الذلة والموافقة على رأيه صواباً كان أو خطأ، وينهاهم أيضاً عن مخالطتهم بالمدارة والمجاملة . .

قال لرجل أفرط في الثناء على الإمام، وكان له مُتَّهِماً:

«أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ، وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ» . .

أقضى أمتي علي . .

أما كونه أقضاهم، فقد ذكرت كتب التاريخ من خلال رواة الحديث أن رسول الله ﷺ قال عنه:

«أقضى أمتي علي» رواه الإمام أنس بن مالك (رض).

(١) (كيف تصبح سعيداً) محمد الكاتب ج ٢ ص ١٢٢.

وفي رواية أخرى، قال النبي ﷺ عنه:

«أقضاكم علي»<sup>(١)</sup> ..

وقال الخليفة عمر بن الخطاب (رض): (أقضاننا علي بن أي طالب)<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن سعد في (طبقاته) بسنده عن أبي هريرة، قال:

قال عمر بن الخطاب: (علي أقضاننا) ..

وعن ابن مسعود، قال:

كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب<sup>(٣)</sup> ..

كان علي عوناً للخلفاء الذين سبقوه بالخلافة، في قضائه للمسائل المستعصية لديهم .. فهو الذي كان يحكم أو يقضي بما كانوا يعجزون عنه. ومن هنا كان عمر بن الخطاب (رض) يكرر قوله وبأوجه مختلفة:

لولا علي لهلك عمر ..

وهنا لا نريد الإطالة في الحديث عن قضائه، حتى لا يطول بنا البحث، بل

نستشهد بشواهد من ذلك القضاء، وتلك الفتاوي:

١ - بينما كان الإمام جالساً في حضرة رسول الله ﷺ مع بعض الصحابة، إذ

جاء خصمان، قال أحدهما:

(يا رسول الله إن لي حماراً، وإن لهذا الرجل بقرة، وإن بقرته قتلت

حماري ..).

فقال رجل من الحاضرين: لا ضمان على البهائم!

(١) (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣٥ .. (الاستيعاب) لابن عبد البر ج ٣ ص ٣٨.

(٢) (الفتنة الكبرى) د. طه حسين ج ٢ ص ١٥ .. ابن عساکر في تاريخه ج ٢ ص ٣٢ (الاستيعاب) ج ٣

ص ٤١ .. كما ورد في صحيح البخاري في كتاب التفسير عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس ..

(المستدرک) للحاکم ج ٣ ص ٣٠٥ .. رواه الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج ٥ ص ١١٣ بطرق

ثلاثة .. (حلية الأولياء) لأبي نعيم ج ١ ص ٦٥ .. وورد هذا الحديث في (الرياض النضرة) ج ٢

ص ١٩٨. وفي (ذخائر العقبى) للطبري .. وكذلك في (الصواعق المحرقة) لابن حجر العسقلاني ..

وفي (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد .. وغيرهم.

(٣) (الإمام علي بن أبي طالب) محمد رضا ص ١٨.

فقال النبي ﷺ : أقضي بينهما يا علي . .

فقال علي لهما: أكانا مرسلين، أم مشدودين . . أم كان أحدهما مشدوداً  
والثاني مرسلًا!

وقال المدعي: كان الحمار مشدوداً، والبقرة مرسلة، وصاحبها معها . .  
فقضى الإمام: على صاحب البقرة ضمان الحمار<sup>(١)</sup> .

٢ - أرسل خالد بن الوليد إلى الخليفة أبي بكر (رض)، أنه وجد في المكان  
الذي عسكر به، عندما قاد جيوش المسلمين للفتح . . وجد رجلاً يُنكح كما تُنكح  
المرأة، فما عقاب ذلك الرجل؟

لم يجد أبو بكر (رض) جواباً لذلك في النصوص القرآنية، ولا في السنة  
النبوية، ولا سابقة مشابهة لها حتى يقرر جزاء ذلك . .

فأرسل في طلب الإمام علي . . وعرض عليه ما جاءه من خالد بن الوليد . .  
فقال الإمام (ع):

(إن هذا ذنب لم تعص به أمة من قبل، إلا قوم لوط، فأحرقهم الله تعالى،  
وأحرق ديارهم . . لذا أرى أن تحرقوه بالنار).

فكتب الخليفة الأول (رض) إلى خالد أن يفعل ذلك . .

٣ - ومن طرائف ما قضى به . . جاءه رجل برجل، فقال له:

يا أمير المؤمنين، زعم هذا أنه احتلم بأمي، فما جزاؤه؟

فقال له: إذهب به، فأقمه بالشمس، واضرب ظله . .<sup>(٢)</sup>

٤ - روى أحمد البرقي، أن الإمام قضى في رجل وامرأة ماتا في الطاعون،

وعلى فراش واحد، ويد الرجل ورجله على المرأة . .

فجعل الميراث للرجل . . وقال: إنه مات بعدها . .

(١) ضمان الحمار: تعويض الحمار.

(٢) (تاريخ الخلفاء) الإمام الحافظ السيوطي ص ٢١٣.

٥ - وقضى في دية امرأة قُتلت، فسقط جنينها، ولا يُعرف أذكر هو أم أنثى!  
وهل كان موت الجنين بعد موت أمه، أم قبل موتها!  
وقال: إن دية الجنين نصفان:

نصف دية الذكر مضافاً إليها نصف دية الأنثى . . أما دية الأم فكاملة .

٦ - وقضى الإمام عندما كان في اليمن، بقضية تلك الحفرة التي حُفرت  
لاصطياد أسد . . فوق ذلك الأسد فيها . .

ثم حضر الناس ينظرون إليه، وهو ساقط في الحفرة . . فوقف بعضهم على  
شفيرها، فزلت قدم أحدهم، فتعلق بآخر . . وتعلق الآخر بثالث . . وتعلق هذا  
برابع . . فسقطوا بالحفرة جميعهم حيث أهلكهم الأسد . . وكان قضاء الإمام علي:  
إن الأول فريسة الأسد، وعليه ثلث الدية للثاني . . وعلى الثاني ثلثا الدية  
للتالث . . وعلى الثالث الدية كاملة للرابع . .

وقد وصل هذا القضاء إلى النبي ﷺ، فقال:

«لقد قضى أبو الحسن فيهم بقضاء الله تعالى فوق عرشه»<sup>(١)</sup> .

٧ - اعترفت امرأة حامل، بالفجور أمام الخليفة عمر بن الخطاب (رض)،  
فأمر بها أن تُرجم، وأخذوها لتنفيذ الحكم . .  
وفي طريقهم إلى ذلك، مرَّ الإمام علي، فسألهم عما اقترفته تلك المرأة،  
وأخبروه عن أمرها . .

فقال لهم: ردوها إلى عمر . . فرودها إليه . .

وقال لعمر: أمرت بها أن تُرجم؟

فقال عمر: نعم اعترفت عندي بالفجور .

فقال له الإمام: هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما في بطنها! فأخلى  
سبيلها لحين ولادتها . .

٨ - أمر الخليفة عمر أن يقام الحد على خمسة رجال اقترفوا جريمة الزنا

(١) الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج ١ ص ٧٧ .



بعتوبة متساوية على كل منهم . . وكان الإمام حاضراً مجلس عمر (رض) فقال له :

يا عمر ليس هذا حكمهم . .

قال : فأقم أنت عليهم الحد . .

فأمر الإمام بضرب عنق أحدهم . . ورجم الثاني . . والثالث ضربه الحد . .  
وضرب الرابع نصف الحد . . أما الخامس فقد أطلق سراحه .

ودُهِش الحاضرون من حكم علي ، فسأله عمر عن ذلك ، قائلاً :

يا أبا الحسن خمسة نفر في قضية واحدة ، أقتت عليهم خمسة حدود ، وليس  
شيء يشبه الآخر !!

أجاب الإمام : أما الأول فكان ذمياً خرج عن ذمته ، ولم يكن له حكم إلا  
السيف . والثاني رجل مُحصن كان حده الرجم . . والثالث فغير مُحصن حده  
الجلد . . والرابع فهو عبدٌ ضربناه نصف الحد . . أما الخامس فمجنون مغلوب على  
عقله . .

٩ - ومن طرائف ، ونوادر قضائه . .

جاء غلام إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ، قائلاً له :

يا أمير المؤمنين أحكم بيني وبين أُمي . .

فقال له عمر : ما بينكما ؟

أجاب : إنها حملتني في بطنها تسعة أشهر . . وأرضعتني حولين . . فلما  
ترعرعتُ وعرفتُ الخير من الشر طردتني وزعمت إنها لا تعرفني !

فقال لها الخليفة : ماذا تقولين ؟

قالت : لا أعرفه . . ولا أدري مَنْ هو ! فهو غلام يريد أن يفضحني في

عشيرتي . . وإني امرأة من قريش لم أتزوج بعد . .

فقال عمر : هل لكِ شهود . . . قالت : نعم هؤلاء إخوتي . .

فقدمت له أربعين شاهداً من عشيرتها ، أيدوا ادعاءها

فقال عمر : خذوه إلى السجن ، حتى نسأل عن الشهود ، فإن صحت

شهادتهم جلدناه حد المفتري . .

وبينما هم في طريقهم إلى السجن، مرّ أمامهم الإمام علي كرم الله وجهه . . .  
فاستنجد الغلام به، وقصّ عليه ما جرى . . .

فقال الإمام ردوه إلى الخليفة . . . فردوه إليه . . . وحضر الإمام مجلس  
الخليفة، وقال له: أتأذن لي أن أفضي بينهما؟

قال له الخليفة (رض):

كيف لا! وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أضاكم علي بن أبي  
طالب» . . .

توجه الإمام نحو المرأة طالباً منها تقديم ما يؤيد أقوالها في إنكار بنوة الغلام  
لها . . . فقدمت شهودها، حيث شهدوا بما شهدوا به أمام الخليفة . . .

فقال لهم الإمام: قضائي فيكم، وفي أختكم جائز!! قالوا: نعم يا ابن عم  
رسول الله ﷺ . . .

فأصدر الإمام قضاءه بتلك القضية، قائلاً:

(أشهد الله، وأشهد من حضر من المسلمين . . . إنني قد زوجت هذا الغلام من  
هذه المرأة بأربعمائة درهم . . . ومهرها عندي).

فاغتاضت تلك المرأة، وارتبكت حتى صاحت بأعلى صوتها: (يا أبا  
الحسن، تريد أن تزوجني من ولدي هذا . . . إنه والله ولدي، زوجني إخوتي  
هجيناً<sup>(١)</sup> . . . فولدت منه هذا الغلام . . .

فلما نشأ وشب أمروني أن أبرأ منه وأطرده) . . .

ثم أخذت ولدها وانصرفت بين تكبير الحاضرين، وإعجابهم بالكيفية التي  
استدرج الإمام أم الغلام للاعتراف به وتغيير أقوالها . . .

١٠ - وفي زمن خلافة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) . . . جاؤوا  
بامرأة زانية، ثبت عليها ذلك بشهادة أربعة شهود. فأمر الخليفة برجمها . . .

(١) الهجين: من أحد أبويه من قبيلة عريقة، والآخر من قبيلة وضيعة.

وعلم الإمام علي بما أصدره الخليفة من قضاء . . إلا أنه استفسر عن أسباب ما اقترفته، فأخبروه . إنها مجنونة!

فأمرهم بردها إلى عمر، وتبعهم حتى دخل على الخليفة، قائلاً:

(أما سمعت قول رسول الله ﷺ رفع القلم عن ثلاثة:

المجنون حتى يبرأ . . النائم حتى يستيقظ . . والصبي حتى يعقل، فما بال

هذه تُرجم!!) فأطلق سراحها وعمر يكرر قوله لولا علي لهلك عمر!

١١ - جاؤوا عمر بامرأة كاد أن يهلكها العطش، حتى مرت على راع، فطلبت

منه أن يسقيها، فوافق بشرط أن تمكنه من نفسها، فاستسلمت له إنقاذاً منها لنفسها.

أشار أصحاب عمر عليه بجرمها . . فاعترض الإمام علي قائلاً: هذه مضطرة

فخلوا سبيلها . . لكنه أشار بجرم الراعي وحده . .

١٢ - عُرضت عليه قضية امرأة تزوجت . . وقد أدخلت ليلة زواجها عشيقها

لمخدعها . . وعند دخول الزوج عليها، وجد ذلك العشيق، فاقتتلا . . وقتل الزوج

الرجل . . ثم قتلت الزوجة زوجها . .

فقضى الإمام بقتل الزوجة لقتلها زوجها . . وبدية العشيق المقتول عليها

أيضاً، لأنها هي التي كانت مسببة في قتله .

أما زوجها فقد قُتلَ الرجل دفاعاً عن عرضه وشرفه، فهو قتل مشروع لا عليه

عقوبة ولا دية . .

١٣ - رفعت إلى عمر قضية امرأة ولدت لستة أشهر، فأمر بجرمها فجاءت

أختها إلى علي تستصرخه . . فذهب إلى عمر، وقال:

(إن الله عز وجل يقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [سورة

البقرة، الآية: ٢٣٣]. وقال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُمْ وَفِصَالُهُمْ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [سورة الأحقاف، الآية:

١٥]، فالفصال أربعة وعشرون شهراً، والحمل ستة أشهر، تلك ثلاثون شهراً).

فخلى عمر سبيلها . . وقال: (أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن)<sup>(١)</sup>

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشراقي ج ١ ص ١٠٤.

قال ابن كثير في تفسيره: إن علياً أول من استنبط من القرآن أن أقل مدة للحمل ستة أشهر..

١٤ - عن الإمام جعفر الصادق، عن جده قال:

أتي عمر بن الخطاب (رض) بامرأة تعلقت بشاب من الأنصار، وكانت تهواه، فلما لم يساعدها على تحقيق غرضها، احتالت عليه.. فأخذت بيضة وألقت صفرتها.. وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيهما. ثم جاءت بالشاب إلى عمر صارخة.. فقالت له: هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي.. وهذا أثر فعالة..

فسأل عمر النساء، فقلن له: إن يبدنها وثوبها أثر للمني. فهتمَّ عمر بعقوبة الشاب، فجعل الشاب يستغيث، ويقول: يا أمير المؤمنين تثبت في أمري، فوالله ما أتيت بفاحشة، ولا هممتُ بها فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت..

فقال عمر (رض) لعلي كرم الله وجهه: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما؟

فنظر علي إلى المرأة يقرأ صفحة وجهها، ونظر إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصبه على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه وشمه وذاقه، فعرف رائحة وطعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت.. ثم أطلق الشاب البريء، وأقيم عليها حد القذف<sup>(١)</sup>...

١٥ - فرَّ رجل من رجل يريد قتله، فأمسك به له رجل ثالث، وأدركه فقتله. وبالقرب منهم رجل رابع واقف وهو ينظر لما وقع، وكان بإمكانه أن يمنع وقوع القتل إلا أنه لم يفعل..

وقضى الإمام علي (ع) بتلك القضية التي عُرضت عليه:

أن يقتل القاتل، ويحبس الرجل الثالث الذي أمسك بالمقتول حبساً مؤبداً.. أما المتفرج على الحادثة دون التدخل لمنع وقوع الجريمة وهو قادر على منعها دون حرج، أمر أن تفقأ عينه..

١٦ - أرسل أمراء جيوش المسلمين، أمثال سعد بن أبي وقاص، وأبي

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٧.

عبدة بن الجراح إلى الخليفة الثاني (رض) يشكونه أمر بعض القواد من تلك الجيوش الذين يحتفلون بانتصاراتهم بشرب الخمر. . ويدعون أنهم لم يجدوا في النص والسنة عقوبة لشاربه!!

واحتار عمر بأمرهم، حتى سأل علياً عن قوله في ذلك. فقال الإمام: (المرء إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افتري. وعقوبة المفترى ثمانون جلدة).

### المبادئ التي سار عليها الإمام علي (ع) في قضاؤه . .

لقد انتشرت أحكام الإمام علي كرم الله وجهه بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، حتى شاع قضاؤه، وعممت فتاواه. . وأصبح فقهُه وأحكامه حجة يحتج بهما الناس كلهم حتى من غير المسلمين. .

وكان رسول الله ﷺ في زمنه يقر حكمه، ويسند قضاؤه حتى إنه كان يأمر صحابته بالأخذ بما كان يقضي به علي بن أبي طالب. .

والإمام كان ينهج في إصدار أحكامه بمبادئ ثابتة سار عليها، وبدأها هو دون وجود سابقة لها. . نورد منها بعض الشواهد:

١ - هو أول مَنْ فَرَّقَ بين الشهود عند الاستماع إلى شهادة كل واحد منهم بعيداً عن الشاهد الآخر، حتى يتأكد من صحة أقوالهم، ومطابقة شهاداتهم. وبالتالي يُفَرِّقُ فيهم ما اتفقوا عليه كيداً، إن اتفقوا على ذلك مسبقاً. .

وكذلك حتى لا يكون للشهود تأثير بعضهم على بعض في شهاداتهم. . ومنه أخذ المحققون ذلك. .

ومن شواهد تفريق الشهود. . جاءت امرأة وادعت على يتيمة رباها زوجها، إن تلك البنت زنت في غيابه. . فسألها الإمام عن شهود لديها، فأنت بأربعة من جاراتها. .

فطلب أولهن، وقال لها: إن لم تصدقي القول والشهادة فستنالين عقوبة شهادة الزور وهي الجلد في الدنيا، وعقوبة من الله في الآخرة. فخافت ذلك، وقالت:

- والله ما فعلت تلك الفتاة فاحشة، إلا أن زوجة الرجل لمست فيها جمالاً فخافت أن يتزوجها زوجها . . فدعتنا فأمسكنا بالفتاة حتى افتضتها بإصبعها .
- ثم استمع الإمام إلى شهادة بقية الشهود . . حيث أقررن ما اعترفت به أول شاهدة، بعد أن استعمل معهن ذات الطريقة التي بدأها مع الأولى . ففضى على المرأة حد القذف . . وألزم الرجل أن يطلقها . . . وزوجه الفتاة اليتيمة .
- ٢ - كان الإمام علي بقضائه لا يقر حبس المدين في الدين، وذلك بعد أن يتثبت من عجزه، وعدم قدرته في تسديد ما بذمته من دين . . أما في حالة مقدرة المدين رد ما للغير عنده وهو ممتنع عن ذلك . . عندها يتحقق عن أسباب الامتناع عن الوفاء للدين، فيقضي قضاءه حسب موضوع القضية وحالتها .
- ٣ - هو أول مَنْ منع بيع أدوات المدين المهنية لتسديد ما بذمة المدين من دين عليه لبيت المال . . لأن تلك الأدوات تديم له الاستمرارية في الكسب والحفاظ له بالعيش . .
- ٤ - كما إنه كان يهتم كل الاهتمام بسماع أكبر عدد من الشهود تفصيلاً على مَنْ يُتهم، فلم يأخذ بظواهر الأمور بالرغم من ظهورها أمامه، حتى لا يوقع الحد أو العقوبة إلا بعد التحقق والاستقصاء بما ظهر من القضية التي ينظرها، وما بطن منها . . علماً كان الإمام يملك ذكاء خارقاً يمكنه من استقراء القلوب والأفكار وفراسة الوجوه، وتقصي فلتات اللسان وزلاته . .
- ٥ - اهتم بالاستماع إلى شهود الدفاع، وكان يهيء للمتهم إحضار شهوده، وهو برىء أمامه حتى يثبت عليه جرمه . .
- وفي الوقت الحاضر هناك قاعدة قانونية تعمل بها المحاكم الجزائية وهي (المتهم برىء حتى تثبت إدانته) .
- استشار عمر علياً في رجل وامرأة مرَّ بهما عمر وهو يتفقد رعبته في دجى الليل، فوجد بينهما ما بين الرجل وزوجته . .
- وفي الصباح علم أنهما ليسا زوجين . . فأمر بأن يحدا، ولكن علياً قال له: أجنث عليهما بأربعة شهود؟
- فقال عمر: إنه هو الذي شهدهما وحده، فأفتاه علي كرم الله وجهه بأنه لا

يحق له أن يحكم بعلمه هو وحده، فعسى أن يكون قد شبه له، أو أخطأ . . فلا بد من الشهداء كما نص القرآن وجرت السنة<sup>(١)</sup>.

٦ - القوانين الوضعية الحديثة تقر بمسئلة قانونية تقول: (الجهل بالقانون ليس معذرة شرعية) . . أي إنه مَنْ قام بعمل يحرمه القانون وهو جاهل بذلك التحريم، لا يُعفى من العقوبة . .

أما الإمام علي (ع)، فقد أفتى بدرء الحد أو العقوبة عمّن لا يعلم بما عمله أنه حرام، بعد أن يتأكد من ذلك، لا سيما أن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف كانت حديثة العهد، ومحدودة الانتشار نسبياً . .

سأل الإمام امرأة قيل عنها إنها زنت، فقالت بيسر: نعم يا أمير المؤمنين ثم أعادها عليها ثلاثاً، فأجابت بالإيجاب!

فقال الإمام: إنها لتستهل به استهلال مَنْ لا يعلم أنه حرام . . فأعلمها بحرمة الزنى في الدين . . ودرأ عنها عقوبة الزنا . .

٧ - كما كان الإمام لا يقر استكراه المتهم أو تعذيبه، وحتى أحياناً تهديده لكي يعترف بما أُتهم به . . ويعدُّ الإقرار بالاستكراه باطلاً. كما اعتبر الاستكراه على عمل معصية، أو اقرار ذنب ما، يجعل المُستكراه على ذلك معفياً من الحد أو الجزاء . . بل أكثر من ذلك أقر بعقوبة مَنْ أكرهه . . فهذا الأخير يستحق العقوبة، ويُعفى منها الأول . .

٨ - والإمام أول من سجل شهادات الشهود، حتى لا تتبدل شهادة بإغراء من رشوة، أو تدليس من طمع، أو ميل من عاطفة . .

فكان بذلك مبتكراً من أعظم المبتكرين، لأن صيانة حقوق الناس من العبث والغش أئمن من حياة الناس نفسها . .

فجاءت الأجيال والأمم والحكومات والدول تسير على الأسلوب الذي رسمه الإمام<sup>(٢)</sup>.

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج ١ ص ١٠٢.

(٢) (الإمام علي أسد الإسلام وقديسه) روكس العزيزي ص ١٤٤.

٩ - واجتهد الإمام علي (ع)، بأن يبدأ الشهود برجم الزاني الذي شهدوا عليه بالزنا، فإن امتنعوا عن الرجم كانوا كاذبين في شهاداتهم، لأنهم لم يستطيعوا القيام بمهمة تنفيذ العقوبة في مَنْ شهدوا عليه . .

وذلك زيادة في التحقق من القضية التي تعرض أمامه، وتوسعاً منه في التحقيق حتى لا يقيم الحد على أحد إلا بعد أن يكون مقتنعاً بكون المتهم أمامه يستحق الجزاء دون أدنى شك أو تردد.

إن الله سيهدي لسانك . .

قال الإمام علي كرم الله وجهه :

«بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً وأنا حديث السن . . فقلت :  
يا رسول الله تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي  
بالقضاء!» .

فقال النبي ﷺ له :

«إن الله سيهدي لسانك، ويثبت قلبك» ثم وضع يده الشريفة على صدره . .

قال الإمام : «بعدها ما شككت في قضاء بين اثنين»<sup>(١)</sup> .

جاء بعض العلماء من اليهود إلى الإمام علي في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) وقالوا له :  
أخبرنا :

١ - عن إقبال السموات السبع ومفاتيحها . .

---

(١) رواه الحاكم في (مستدرک الصحیحین) ج ٣ ص ١٣٥ . . النسائي في (خصائصه) ص ١١ . الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج ١ ص ٨٣ - ٨٨ . . البيهقي في (سننه) ج ١٠ ص ٨٦ أبو نعيم في (حليته) ج ٤ ص ٣٨١ . . ابن سعد في (طبقاته) ج ٢ القسم الثاني ص ١٠٠ . ابن الأثير في (أسد الغابة) ج ٤ ص ٢٢ . . المتقي في (كتر العمال) ج ٦ ص ١٥٨ . . ابن ماجه في (صحيحه) باب القضاء ص ١٦٨ . . أبو داود في (صحيحه) . . الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ج ١٢ ص ٤٤٣ .



٢ - وعن قبر سار بصاحبه . .

٣ - وعمن أنذر قومه ليس من الجن ، ولا من الإنس . . .

٤ - وعن أرض طلعت عليها الشمس ، ولم تعد إليها . .

٥ - وعن خمسة لم يخلقوا في الأرحام . .

٦ - وعن الواحد ، الاثنین ، الثلاثة ، الأربعة ، الخمسة ، الستة ، السبعة ،

الثمانية ، التسعة ، العشرة ، الحادي عشر ، الثاني عشر . .

فكان جواب الإمام علي (ع) لهم هو :

١ - إقفال السموات : الشرك بالله . . ومفاتيحها : قول لا إله إلا الله .

٢ - القبر الذي سار بصاحبه : الحوت سار بالنبی یونس (ع) في بطنه .

٣ - الذي أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس : نملة النبي سليمان بن

داود (ع) .

٤ - الأرض التي طلعت عليها الشمس ولم تعد إليها : هي أرض البحر التي

طلعت عليها الشمس عندما فلق البحر موسى بعصاه ، وغرق فرعون وأصحابه .

٥ - الخمسة الذين لم يخلقوا في الأرحام : فهم آدم . . حواء . . عصا

موسى . . ناقة صالح . . وكبش إبراهيم .

٦ - الأعداد :

الواحد : الله واحد لا شريك له .

الاثنان : آدم وحواء .

الثلاثة : جبرائيل ، ميكائيل ، إسرافيل .

الأربعة : التوراة ، الإنجيل ، الزبور ، القرآن .

الخمسة : الصلوات الخمس المفروضة على المسلمين .

الستة : قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ

أَيَّامٍ﴾ [سورة ق ، الآية : ٣٨] .

السبعة : قوله تعالى : ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [سورة النبا، الآية : ١٢].

الثمانية : قوله تعالى : ﴿وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [سورة الحاقة، الآية : ١٧].

التسعة : الآيات المنزلات على النبي موسى (ع).

العشرة : قوله تعالى : ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية : ١٤٢].

الحادي عشر : قوله تعالى بلسان يوسف (ع) ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [سورة يوسف، الآية : ٤].

الثاني عشر : قوله تعالى :

﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ عِثَابًا﴾ [سورة البقرة، الآية : ٦٠].

.. ورد في مناقب آل أبي طالب، إن ابن الكواء سأل الإمام بعض الأسئلة المحددة المختصرة. أجابه الإمام عنها بنفس الصيغة : سأله .

- ما طعم الماء؟ أجابه : طعم الحياة .

- كم بين المشرق والمغرب؟ - مسيرة يوم للشمس .

- إنسان يأكل ولا يتغوط؟ - الجنين .

- شيء شرب وهو حي، وأكل وهو ميت؟ - عصا موسى لأنها شربت

من شجرتها وهي غضة، وأكلت حبال وعصي السحرة وهي عصا .

- عن بقعة علت على الماء في أيام طوفان نوح؟

أجابه : موضع الكعبة لأنها كانت ربوة .

- وعن مكذوب عليه ليس من الجن ولا من الإنس؟

أجابه : الذئب الذي ورد في (سورة يوسف) إذ كذب عليه أخوة يوسف

حينما أخبروا والدهم بأنه أكل الذئب .

- عمّن أوصي إليه ليس من الإنس، ولا من الجن؟  
أجابته: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [سورة النحل، الآية: ٦٨].
- وعن أطهر بقعة لا تجوز الصلاة عليها؟ أجابته: سطح الكعبة.
- عن نفس في نفس ليس بينهما علاقة ولا رحم؟  
أجابته: يونس في بطن الحوت.

## رأى وسمع ما لم يَر وما لم يسمع غيره

من روائع خطب الإمام علي (ع) خطبة تسمى (القاصعة) . . . يصف في بعض جوانبها موضعه من رسول الله ﷺ . . . قال فيها:

« . . . وقد كان يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَهُ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا نَالِيَهُمَا .

أرى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ الثَّبُوءِ . . . وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .  
فقلتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟

فقال هذا الشيطانُ أيسرَ من عبادتِهِ . إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ، وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»<sup>(١)</sup> .

روى الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل في مسنده عن علي بن أبي طالب (ع) قال: كنت مع رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التي أسري به فيها، وهو بالحجر يصلي، فلما قضى صلاته وقضيت صلاتي، سمعت رنة شديدة، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟

قال: ألا تعلم! هذه رنة الشيطان، علم إني أسري بي الليلة إلى السماء، فأيسر من أن يُعبدَ في هذه الأرض<sup>(٢)</sup> .

(١) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢) (حجج النهج) د . سعيد السامرائي ص ٢٤٣ .

وروى عن جعفر بن محمد الصادق، قال :  
(كان علي (ع) يرى مع رسول الله ﷺ قبل الرسالة الضوء، ويسمع الصوت، وقال له ﷺ :

«لولا إني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة . . فإن لا تكن نبياً فإنك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء»<sup>(١)</sup>.  
ذكر الأستاذ محمد رضا :

إن علياً رُبِّيَ في بيت النبوة، وكان أسبق الناس إلى الإسلام ونشأ وقد أُشربت روحه بتعاليمه، وشب على الصلاح، «ورأى الوحي ينزل على رسول الله» . . . فكان من كتّابه، لكن لم يبلغنا متى وكيف وممن تعلم القراءة والكتابة، وهو الذي كتب بخطه ما أملاه عليه رسول الله ﷺ من صلح الحديبية<sup>(٢)</sup> . . . قال الإمام علي (ع) عن تجهيزه لجثمان النبي ﷺ الطاهر، عندما فاضت روحه الشريفة، قال :

« . . . ولقد وليتُ غَسْلَهُ ﷺ والملائكةُ أعواني، فَضَجَّتِ الدَّارُ والآفئَةُ، مَلَأَ يَهْبُطُ وَمَلَأَ يَعْرُجُ وما فارقَتْ سَمْعِي هَيْئَةً . منهم يُصلون عليه . حتى واريناهُ في ضَرِيحِهِ . . » .

وقوله هذا شاهد آخر من شواهد رؤيته لما لم يستطع غيره من مشاهدة وسماع ما شهده وسمعه، في الوقت الذي كان عدد من الصحابة حاضراً عند قيامه بغسل جثمان رسول الله ﷺ الشريف . . .

لم يذكر المؤرخون في كتب التاريخ، ولا رواة السيرة النبوية غير الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مَنْ رأى نزول الوحي على رسول الله ﷺ أو سمع ضجيج الشيطان وصوته . . أو رأى الملائكة تهبط وتصلي على رسول الله ﷺ وهو مسجى . .

وقد نزل الوحي على النبي ﷺ في بعض الحالات والمواقف، وكان معه

(١) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي .

(٢) (الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين) ص ٣٠ .

بعض صحابته . . إلا أنه لم ير، أو يسمع أي واحد منهم، كما لم يشهد النزول أو التبليغ لما أراد الله سبحانه وتعالى تبليغ رسوله به . .

لكن الإمام هو وحده الذي سمع ورأى بعد رسول الله ﷺ دون غيره، وهذا يعني أنه نال شرف الاطلاع على بعض المعجزات والخوارق الإلهية التي خص بها الخالق سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله دون غيرهم من المخلوقين . .

وذلك استناداً لما تقدم ذكره . . ونحن نرى أن لا تتوسع كثيراً في الموضوع الشائك التفاصيل ذاته، المختلف فيه بمختلف وجهات النظر والتصوير!!

لذا مررنا عليه مرّ الكرام، ومن خلال زاوية محصورة بما ورد عن الإمام من خطب وأقوال، حتى لا نُحيد عن الواقعية التي يعيشها الإنسان السوي ضمن ما يراه ملموساً، ودون الابتعاد عن مدى رؤيته إلى ما وراء التصور، ومن ثم الوصول به إلى حدود المعجزات والخوارق!!

وهنا تترى التساؤلات:

لماذا اختصه الله سبحانه وتعالى وحده لسماع ورؤية ذلك بعد نبيه ﷺ!!!

والجواب في الآية الكريمة التالية:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

رَٰكِعُونَ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥].

كما أن الله ليس على مشيئته قيود أو حدود . . وهو يفعل ما يشاء ويختار . . ومن هنا فإنه قد يختار عبداً من عباده يؤتیه علماً لم يؤته لأحد من رسله . . وهذا فضل الله سبحانه وتعالى يؤتیه من يشاء . . ومشية الله ليس عليها قيود . . وليس لها حدود<sup>(١)</sup> . .

. . تلك هي لعمرى من أبرز ما برز من فضائله . . ومن أجل جليل خصائصه . فهو (رباني هذه الأمة) كما قالها الإمام المعتزلي الحسن البصري . . وهو (ربيب الوحي) كما ذكر الأستاذ خالد محمد خالد . . وهو (سابق المسلمين) . .

(١) (من فيض الرحمن في معجزة القرآن) الشيخ محمد متولي الشعراوي ص ٧.

## أقواله في ذكر الوصية بمواقف مختلفة

ورد عن الإمام علي (ع) في نهج البلاغة، خطب وأقوال ذكر فيها مكانته من الخلافة، وموقعه منها.. وذلك بمواقف ومناسبات مختلفة ومتباعدة.. وسنورد منها ما تيسر لنا نقله من النهج كما ورد فيه.

ومن أهمها وأروعها خطبته المشهورة، المعروفة بـ (الشقشقية) لقوله فيها إنها شقشقة هدرت ثم قرت!

ولأهميتها سنذكرها كلها، ولو أنه ذكر فيها محله منها ابتداء من أول الخلافة إلى أول خلافته..

(مما يعني استباق لتسلسل مواضعينا، لأننا لا زلنا معه في أول الخلافة، ولم نصل بعد إلى خلافته).

يقول الإمام:

«أما والله لقد تَقَمَّصَهَا<sup>(١)</sup> ابن أبي قحافة، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا  
مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَزِقُّنِي إِلَيَّ الطَّيْرُ<sup>(٢)</sup>،  
فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا<sup>(٣)</sup>، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا<sup>(٤)</sup>. وَطَفِقْتُ<sup>(٥)</sup> أَرْتَابِي بَيْنَ

(١) الضمير يرجع إلى الخلافة جعلها كالقميص.

(٢) تمثيل لسمو قدره وقربه من مهبط الرحي، وإن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل، فإنما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله.. وقوله لا يرقى، أبلغ من الأولى في الدلالة على الرفعة.

(٣) سدل الثوب: أرخاه، أي إنه غض نظره عنها.

(٤) مال عنها.

(٥) بيان لعله وسبب الأغضاء.

أَصُولٌ بِيَدِ جَذَاءٍ<sup>(١)</sup>، أَوْ أَصْبَرَ عَلَى طِخْيَةٍ<sup>(٢)</sup> عَمِيَاءٍ<sup>(٣)</sup>، يَهْرَمُ فِيهَا  
الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ.  
فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْبَبَى<sup>(٤)</sup>، فَصَبَّرْتُ فِي الْعَيْنِ قَدِّي، وَفِي  
الْحَلْقِ شَجَاً<sup>(٥)</sup> أَرَى تُرَاثِي نَهْباً<sup>(٦)</sup> . .

حَتَّى مَضَى الْأَوَّلَ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فَلَانٍ بَعْدَهُ<sup>(٧)</sup>، فَيَا عَجَباً بَيْنَا  
هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ<sup>(٨)</sup> إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا<sup>(٩)</sup>  
ضَرَعَيْنِهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةِ خَشْنَاءٍ يَغْلُظُ كَلَامُهَا وَيُخْشِنُ مَسْهَاً<sup>(١٠)</sup>،  
وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَالْإِعْتِدَارُ مِنْهَا. فَصَاحِبُهَا كِرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْتَقَّ  
لَهَا حَزَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ<sup>(١١)</sup> فَمَنْى النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبِطِ  
وَشِمَاسٍ<sup>(١٢)</sup> وَتَلُونٍ<sup>(١٣)</sup> وَاعْتِرَاضٍ<sup>(١٤)</sup>.

- (١) جذاء: مقطوعة، أي إنه تفكر بالأمر فوجد الصبر أولى حيث قال: (فسدلت دونها ثوباً وطويت عناء كشحاً).
- (٢) ظلمة.
- (٣) العمى هنا مجاز عقلي، وإنما يعنى الفائمون فيها، إذ لا يهتدون إلى الحق وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها.
- (٤) أقرب إلى العقل أي رأى الصبر على هذه الحالة أولى بالعقل.
- (٥) ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه
- (٦) تراثي: ميراثي.
- (٧) ألقى بها إليها.
- (٨) في رواية أن أبا بكر قال بعد البيعة (أقبلوني فليست بخيركم).
- (٩) يقال لناقة في ضرعها شطرين، والشطر أي إن تحلب الناقة شطراً وتترك شطراً، وتشطرا أي أخذ كل منهما شطراً، أي إن من ولى الخلافة لا ينال الأمر إلا تاماً ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهماً، وكان أحدهما ترك شيئاً للآخر، وأطلق على كل شطر اسم الضرع نظراً للحقيقة ما نال كل منهما.
- (١٠) الكلام: الأرض الغليظة، وفي نسخة كلمها بمعنى الجرح، أي خشونتها تجرح جرحاً غليظاً.
- (١١) الصعبة من الأبل ما لسيت بذلول. وراكب الصعبة إما أن يشقها فيخرم أنفسها وأما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيه هلكته.
- (١٢) منى الناس: ابتلوا وأصيبوا. والشماس: إباء ظهر الفرس عن الركوب والنفار. والخبط: السير على غير جادة.
- (١٣) التلون: التبديل.
- (١٤) السير على غير خط مستقيم.



فَصَبْرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ . حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ ، جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ ، فَيَا لَلشُّورَى مَتَى أَعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأُولَى مِنْهُمْ حَتَّى صَرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ (١) لَكِنِّي أَسْفَقْتُ إِذْ أَسْفَقُوا (٢) وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا فَصَغَى (٣) رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ (٤) ، وَمَالَ الْآخِرُ لَصِهْرِهِ (٥) مَعَ هِنٍ وَهِنٍ (٦) إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ (٧) الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنِيهِ (٨) بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ (٩) .

وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ (١٠) مَا لَ اللهُ خَضَمَةَ الْإِبِلِ نَيْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنْ أَنْتَكَّتْ قَتْلُهُ ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ (١١) ، وَكَبَتْ (١٢) بِهِ بِطَنَتُهُ (١٣) .

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضُّبُعِ إِلَيَّ يَنْتَالُونَ (١٤) عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِيَءَ الْحَسَنَانَ (١٥) وَشُقَّ عِطْفَايَ (١٦) مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ (١٧) .

(١) المشابه بعضهم بعضاً دونه .

(٢) أسف الطائر: دنا من الأرض يريد أن يخالفهم في شيء .

(٣) صغى: مال .

(٤) الضغن: الضغينة يشير إلى سعد بن أبي وقاص .

(٥) يشير إلى عبد الرحمن بن عوف .

(٦) يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها .

(٧) يشير إلى عثمان بن عفان وكان ثالثاً بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه .

(٨) نافجاً: رافعاً . والحضن: ما بين الإبط والكشح ، ويقال للمتكبر أو لمن امتلأ بطنه طعاماً .

(٩) النثيل: الروث . المعتلف: من مادة علف موضع العلف وهو معروف ، أي لا هم له إلا ما ذكر .

(١٠) الخضم: الأكل بأقصى الأضراس أو ملىء الفم بالمأكول .

(١١) أجهز عليه عمله . تقول أجهزت على الجريح .

(١٢) كبت به من كبا الجواد إذا سقط لوجهه .

(١٣) البطر والتخمة والإسراف بالشبع .

(١٤) عرف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر وهو ثخين . ويضرب به المثل في الكثرة والازدحام

ينتالون: يتتابعون مزدحمين .

(١٥) ولداه الحسن والحسين .

(١٦) العطف: الرداء . وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة .

(١٧) الطائفة الرابضة من الغنم ، يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه .

فلما نهضت بالأمر نكثت<sup>(١)</sup> طائفة ومَرَقَتْ<sup>(٢)</sup> أخرى وقَسَطَ<sup>(٣)</sup> آخرون، كأنهم لم يسمِعُوا كلامَ الله حيث يقول:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص، الآية: ٨٣].

بلى والله لقد سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا. ولكنهم حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ<sup>(٤)</sup> وراقهم زِبْرَجُهَا<sup>(٥)</sup>. أما والذي فَلَقَ الحَبَّةَ، وِبِرَأ<sup>(٦)</sup> النَّسْمَةَ<sup>(٧)</sup> لولا حُضُورُ الحَاضِرِ<sup>(٨)</sup> وقيام الحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ<sup>(٩)</sup>. وما أَخَذَ اللهُ عَلَى العُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُوا عَلَى كِظَّةِ<sup>(١٠)</sup> ظَالِمٍ وَلَا سَغْبِ مَظْلُومٍ. لالْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا<sup>(١١)</sup>، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أُولِهَا. وَلَا لَقَيْتُمْ دِينَكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنزٍ<sup>(١٢)</sup> . . .

وهنا قام إليه رجل من أهل السواد<sup>(١٣)</sup> عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته، فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه . . .

- 
- (١) أصحاب الجمل.
  - (٢) أصحاب النهروان.
  - (٣) الجائرون أصحاب صفين.
  - (٤) حليت الدنيا من حليت المرأة إذا تزيت بحليها.
  - (٥) الزينة من وشى أو جوهر.
  - (٦) خلق.
  - (٧) النسمة: محرقة الروح.
  - (٨) من حضر لبيعته ولزوم البيعة لذمة الإمام بحضوره.
  - (٩) الناصر: الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة.
  - (١٠) الكظفة: ما يعترى الأكل من امتلاء البطن، والمراد استئثار الظالم بالحقوق. والسغب: شدة الجوع، والمراد منه هضم حقوقه.
  - (١١) الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر.
  - (١٢) ما تنثره من أنفها. غير أن أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة والأشهر في العنز. يقال: ما له عافط ولا نافط، أي نعجة ولا عنز.
  - (١٣) السواد: العراق، وسمي سواداً لخضرتة بالزروع والأشجار. والعرب تسمى الأخضر أسود.

قال له ابن عباس (رض):

يا أمير المؤمنين لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت . .  
فقال:

«هيهات يا ابن عباس تلك شِقْشِقَةٌ<sup>(١)</sup> هَدَرْتُ ثُمَّ قَرَّتْ!!»

قال ابن عباس: فوالله ما أسفتُ على كلامٍ قط كَأَسْفِي على هذا الكلام . .  
كما نقتبس من خطبة للإمام عند عودته من صفين، يقول فيها كرم الله وجهه:  
« . . لا يُقَاسُ بِأَلِ مُحَمَّدٍ ﷺ من هذه الأُمَّةِ أَحَدٌ ولا يُسَوَّى بهم مَنْ  
جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عليه أبدأً. هم أساسُ الدين، وعمادُ اليقين. إليهم يَفِيءُ  
الغالي وبهم يُلْحَقُ التالي. ولهم خَصَائِصُ حَقِّ الوِلايَةِ، وفيهم الوَصِيَّةُ  
والوِراثةُ. الآن إذ رجع الحقُّ إلى أهله وَنُقِلَ إلى مُتَقَلِّبه.»

كما قال الإمام علي (ع):

«إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بما جَاؤُوا بِهِ . . .»

وقال:

«إِنَّ الأُمَّةَ من قرشي غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على  
سواهم، ولا تصلح الولاية في غيرهم . . .»

كما قال:

« . . فَوَالله ما زِلْتُ مَدْفوعاً عن حَقِّي مُسْتَأْثِراً عليّ مُنْذُ قَبَضَ اللهُ  
نَبِيَّهُ ﷺ حتى يَوْمِ النَّاسِ هذا.»

وقال (ع) من خطبة له ذكرها جعفر بن محمد عن آبائه، ونقلها عنه أبو  
عبيدة ورواها أبو عثمان:

(١) الشقشقة: شيء كالرثة يخرج البعير من فيه إذا هاج، وصوت البعير بها عند إخراجها هدير، ونسبة  
الهدير إليها نسبة الآلة، قال في القاموس: والخطبة الشقشقة العلوية، وهي هذه.

«إلا أن أبرار عترتي، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً. ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكّمنا، ومن قولٍ صادقٍ سمِعنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا. ومعنا رايةُ الحق، مَنْ تبعها لَحِق، ومَنْ تأخر عنها غَرِق.

إلا وبنا يُدرِكُ تِرَةً كل مؤمن، وبنا تخلع رِبْقَةَ الذل عن أعناقكم، وبنا فُتِحَ لا بكم، ومنا يَخْتَمُ لا بِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

رُوي عن نوفي البكاليّ، قال:

خطبنا هذه الخطبة بالكوفة أمير المؤمنين عليه السلام، وهو قائم على حجارةٍ نصبها له (جَعَدَهُ بن هُبَيْرَةَ)<sup>(٢)</sup>، وعليه مدرعةٌ من صوف<sup>(٣)</sup>، وحمائل سيفه ليفٌ، وفي رجله نعلان من ليفٍ، وكان جبينه نُفْتَةً<sup>(٤)</sup> بعيرٍ، فقال عليه السلام: (منها) . .

«أيها الناس إني قد بثتُ لكم المواعظ التي وَعَظَ الأنبياءُ بها أُمَّمَهُمْ وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ ما أَدَّتِ الأوصياءُ إلى مَنْ بَعَدَهُمْ . .» .

وفي خطبته عليه السلام تسمى (القاصعة)، ذكر فيها أن رسول الله ﷺ قال

له:

« . . إِنَّكَ تَسْمَعُ ما أَسْمَعُ وترى ما أرى إلا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ . ولكِنَّكَ وَرَيْرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ . .» وقد مر علينا ذكر هذا القول في الموضوع السابق . .

وقال الإمام بعد أن تولى خلافة المسلمين:

« . . ولقد مات رسول الله ﷺ، وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر

(١) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي ص ٩٧.

(٢) هو ابن أخت أمير المؤمنين، وأمه أم هانيء بنت أبي طالب، كان فارساً مقداماً وفقياً.

(٣) المدرعة: ثوب يُعرف عند بعض العامة بالدرعية. وهو قيمص ضيق الأكمام صنع من صوف.

(٤) النفثة: ما يمس الأرض من البعير عند البروك، ويكون فيه غلظ من ملامسته للأرض. وكذلك كان في جبين الإمام من كثرة السجود.

مني . . فبايع الناس أبا بكر الصديق فبايعته . .

ثم إن أبا بكر انتقل إلى رحمة الله، وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر

مني . . فبايع الناس عمر فبايعته . .

ثم إن عمر انتقل إلى رحمة الله، وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني . .

فجعلني سهماً من ستة أسهم . .

فبايع الناس عثمان فبايعته . . ثم سار الناس إلى عثمان فقتلوه . .

وبايعوني طائعين غير مكرهين . «<sup>(١)</sup> .

كان ذلك سرداً موجزاً لما ورد للوصية أو الولاية في أقواله، وسنأتي إلى

غيرها من خطب وأقوال ذكر فيها حقه في الوصاية والولاية في المواضيع القادمة

الأخرى إن شاء الله . .

---

(١) (حياة الإمام علي) محمود شلبي ص ٤١٣ .

## الوصاية في الشعر

الشعر في صدر الدولة الإسلامية خصّ الوصاية حيزاً لا يستهان به.. وكثيراً ما قاله الشعراء المسلمون لاسيما بعد وفاة قائدهم الأعظم ﷺ قولاً سطره في أبيات شعرهم مدحوا فيه الإمام علياً، وأقروا له بالولاية والوصاية..

وبالرغم من ذكرهم المدح لبقية الخلفاء والصحابة ولجل آل بيت رسول الله ﷺ، إلا أنه لم يرد في شعر أحدهم من ينسب أو يقر بالوصاية لهم، وأعني لغير علي بن أبي طالب الذي كان شعر الوصاية له فقط دون غيره من الصحابة والقراة. وهذا ما يستدل منه وجود الوصاية له، بالرغم من الاختلاف فيها..

أي هناك وصية له، ومن تلك الوصية جعل الشعراء من أشعارهم مادة لها.. فإن لم تكن لم يكن ذلك الشعر.. شعر الوصاية، إن صحت التسمية. وإن كانت لغیره، لقال الشعراء في غيره ذلك النوع من الشعر.. وهذا ما لم نجد له أي أثر ولا سابقة..

ونحن نورد ما ورد في الوصاية للإمام علي من شعر الشعراء على اختلاف مواقعهم من الموالاتة له أو عدمها.. أو من محبتهم له أو كرههم له وحقدهم عليه.. وأولهم أحد قادة الفئة الباغية.. عمرو بن العاص الذي قال في قصيده التي أرسلها إلى معاوية بن أبي سفيان:

وكم قد سمعنا من المصطفى  
وفي يوم (خم) رقى منبراً  
وفي كفه كفه مُعلنأ  
ألست بكم منكم في النفوس

وصايا مخصصة في علي  
يبلغ والركب لم يرحل  
ينادي بأمر العزيز العلي  
بأولى؟ فقالوا بلى فافعل

فانحله أمره المؤمنين      من الله مستخلف المنحل  
وقال: فمن كنت مولى له      فهذا له اليوم نعم الولي  
فوال مواليه يا ذا الجلال      وعاد معادي أخ المرسل<sup>(١)</sup>

وقال يوم الجمل شاعر من معسكر أعداء الإمام علي:  
نحن بنو ضبة أعداء علي      ذاك الذي يعرف قدماً بالوصي  
وفارس الخيل على عهد النبي      ما أنا عن فضل علي بالعمي  
لكنني أنعي ابن عفان التقي

وأشدد رجل من الأزد يوم الجمل:  
هذا علي وهو الوصي      أخاه يوم النجوة النبي  
وقال هذا بعدي الولي      وعاه واعٍ ونسى الشقي  
وفي يوم الجمل أيضاً قال سعيد بن قيس الهمداني:

أية حرب أضرمت نيرانها      وكسرت يوم الوغى مرانها  
قل للوصي أقبلت قحطانها      فادع بها تكفيكها همدانها  
هم بنوها وهم أخوانها

وفي ذلك اليوم، قال زياد بن ليلى الأنصاري:  
كيف ترى الأنصار في يوم الكلب      إنا أناس لا نبالي من عطب  
ولا نبالي في الوصي من غضب      وإنما الأنصار جد لا لعب  
هذا علي وابن عبد المطلب      ننصره اليوم على من قد كذب  
من يكسب البغي فبئس ما اكتسب

وقال زجر بن قيس الجعفي يوم الجمل أيضاً:  
أضربكم حتى تقرؤوا لعلي      خير قريش كلها بعد النبي  
من زانه الله وسماه الوصي

أما حجر بن عدي الكندي، فقد قال:  
يا ربنا سلم لنا علياً      سلم لنا المبارك المضياً

(١) (قلائد الخرائد في أصول العقائد) معز الدين القزويني ص ١٠٠.

لا خطل الرأي ولا غويا  
واحفظه ربي واحفظ النبيا  
ثم ارتضاه بعده وصيا

إذ كان نوراً مستطياً شاملاً  
وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

وشبههما شبهت بعد التجارب

بداهية دهياء ليس لها قدر  
لها قبلها مثلاً عوان ولا بكر  
فلا مثله أخ ولا مثله صهر  
كما شد من موسى بها رونه الأزر

وصاحب بدر يوم سالت كتائبه  
فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه

علي وفي كل المواطن صاحبه  
وأول مَنْ صَلَّى وَمَنْ لَانَ جَانِبِهِ

على الدين معروف العفاف موفقا  
وأول مَنْ صَلَّى أَخَا الدِّينِ وَالتَّقَى

وفارسه الحامي به يضرب المثل

فسر بمقدمه المسلمونا

المؤمن الموحد التقيا  
بل هادياً موفقاً مهديا  
فيه فقد كان له وليا

وقال أبو الطيب المتنبى في الوصي:

وتركت مدحي للوصي تعمدا  
وإذا استطال الشيء قام بنفسه

وقال المتنبى في مدح الحسن بن الإمام علي:

هو ابن رسول الله وابن وصيه  
وقال أبو تمام واصفاً الإمام:

ومن قبله أحلفتكم لوصيه  
فجئتم بها بكرة عواناً ولم يكن  
أخوه إذا عد الفخار وصهره  
وشد به أزر النبي محمد

وقال عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

ومنا علي ذاك صاحب خيبر  
وصي النبي المصطفى وابن عمه

وقال أيضاً:

إن ولي الأمر بعد محمد  
وصي رسول الله حقاً وصنوه

وقال عبد الرحمن بن جعيل، إذ بايع الناس الإمام علي:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة  
علياً وصي المصطفى وابن عمه

وقال جرير بن عبد الله البجلي:

وصي رسول الله من دون أهله

وقال الأشعث بن قيس الكندي:

أنا الرسول رسول الإمام



رسول الوصي وصي النبي له السبق والفضل في المؤمنينا  
وقال أبو الأسود الدؤلي:

أحب محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصيا  
أما حسان بن ثابت، شاعر الإسلام، فقد قال:

حفظت رسول الله فينا وعهده إليك ومن أولى به منك مَنْ وَمَنْ  
ألست أخاه في الهدى ووصيه وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن؟  
وقال النعمان بن العجلان، وهو أحد سادة الأنصار:

وكان هواناً في علي وإنه لأهل لها من حيث تدري ولا تدري  
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى وينهى عن الفحشاء والبغي والنكر  
وصي النبي المصطفى وابن عمه وقاتل فرسان الضلالة والكفر  
وقال الإمام البوصيري في همزيته العصماء:

وزير ابن عمه في المعالي ومن الأهل تسعد الوزراء  
لم يزد كشف الغطاء يقيناً بل هو الشمس ما عليه غطاء  
وقال الفضل بن العباس:

ألا أن خير الناس بعد نبيهم وصي النبي المصطفى عند ذي ذكر  
وأول من صلى وصنو نبيه وأول من أردى الغواة لدى بدر  
وقالت أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية من أبيات تخاطب فيها  
الإمام:

قد كنت بعد محمد خلفاً لنا أوصى إليك بنا فكنت وفيا  
وقال زجر بن قيس يوم صفين:

فصلى الإله على أحمد رسول الملوك تمام النعم  
رسول الملوك ومن بعده خليفتنا القائم المدعم  
علياً عنيت وصي النبي يجالده عنه غواة الأمم  
وقال بن قيس:

نحن منا النبي أحمد والصد ديق منا التقي والحكماء  
وعلي وجعفر ذو الجنا حين هناك الوصي والشهداء

وقال النعمان بن العجلان الزرقى الأنصاري في صفين أيضاً:

كيف التفرق والوصي إمامنا لا كيف إلا حيرة وتخاذلاً  
فذروا معاوية الغوي وتابعوا دين الوصي لتحمدوه آجلاً  
وقال زفر بن حذيفة الأسدي:

فحوطوا علياً وانصروه فإنه وصي في الإسلام أول أول  
وقال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين:

هذا عليّ وابن عم المصطفى أول مَنْ أجابه فيما روى  
هو الإمام لا يبالي مَنْ غوى

وقال أبو نصر بن نباته:

وأبوك الوصي من شا د منار الهدى وصام وصلى  
نشرت حبله قريش فأعطته إلى صُبحه القيامة فتلا

وقال كثير عزة (كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي):

وصي النبي المصطفى وابن عمه وفكاك أعناق وقاضي مغارم  
وقال حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب:

وصي رسول الله من دون أهله وفارسه إن قيل هل من مُنازلِ  
فدونكه إن كنت تبغي مهاجراً أشم كنصل السيف عَيْرَ حَلاجلِ

وقال أبو الهيثم بن التيهان (وكان بدرياً):

وصي رسول الله من دون أهله وفارسه مذ كان في سالف الزمن  
وقال أيضاً:

كنا شعار نبينا ودثاره يفديه منا الروح والأبصارُ  
إن الوصي إمامنا وولينا بَرَحَ الخفاء وباحت الأسرارُ

وقال خزيمة بن ثابت الأنصاري (ذو الشهادتين) وكان بدرياً:

ليس بين الأنصار في جحمة الحر ب وبين العُداة إلا الطعانُ  
وقراع الكُماة بالقُضْبِ البِيضِ ض إذا ما تحطم المُرانُ  
فادعها تستجب فليس من الخز رج والآوس يا علي جبانُ  
يا وصي النبي قد أجمت الحر بُ الأعادي وسارت الأضعانُ

وقال من أبيات أنشأها يوم الجمل:

أعائش خلي عن علي وعيبه      بما ليس فيه إنما أنت والده  
وصي رسول الله من دون أهله      وأنت على ما كان من ذاك شاهده

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب:

هذا وصي رسول الله قائدكم      وصهره وكتاب الله قد نشرا  
وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي من أبيات يهدد فيها معاوية بجنود

العراق:

يقودهم الوصي إليك حتى      يردك عن ظلال وارتياب

وقال الكميت بن زيد:

والوصي الولي والفراس المعد      لم تحت العجاج غير الكهام  
ووصي الوصي ذي الخطة الفصد      ل ومردى الخصوم يوم الخصام

وقال عبد الرحمن بن حنبل:

أبا حسن فارضو به وتبايعوا      فليس كمن فيه يرى العيب منطلقا  
علي وصي المصطفى ووزيره      وأول من صلى لذي العرش واتقى

... ونكتفي بهذا القدر من بعض ما قيل شعراً في أمر الوصاية للإمام

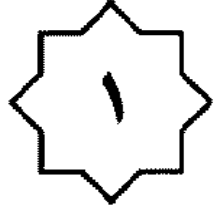
علي (ع).. لأننا لو أرسلنا القلم ناقلاً لكل ما قيل لجف واستكان.. وعندها

تكون الإطالة والتطويل..

## لماذا سكوت الإمام علي عليه السلام عن حقه في الخلافة؟!

- ١- الإمام أمام ثلاث حالات...
- ٢- سنده في حقه..
- ٣- السقيفة مرة أخرى..
- ٤- العوامل التي ساعدت الخليفة الأول  
أن يكون أول خليفة..
- ٥- الشورى الخالية من مشورة المسلمين..
- ٦- الشورى وعنصر المفاجأة.
- ٧- تحول الخلفاء عن الشورى..
- ٨- سر سكوت الإمام عن حقه!!..





## الإمام أمام ثلاث حالات...

قال الإمام علي (ع) من خطبة له :

«لقد علمتُم أنني أحقُّ الناسَ بها من غيري، والله لأُسلمنَّ ما سلِمْت  
أُمورُ المُسلمينَ، ولم يكن فيها جورٌ إلاَّ عليَّ خاصَّةً، التماساً لأَجْرِ  
ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْدًا فِيمَا تَنَاقَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرَفِهِ<sup>(١)</sup> وَزَبْرِجِهِ<sup>(٢)</sup>...»<sup>(٣)</sup>.

يؤكد الإمام علي كرم الله وجهه في مواقف مختلفة، حقه في الخلافة . . وهو  
أحق من غيره بها . . وإنه مدفوع عن حقه . . ومستأثر عليه في ذلك الحق . .

هنا لا بد لنا من مناقشة حقه في الخلافة . .

حقه الذي طالما تعرّض له تصريحاً وتلميحاً . . وذكره مؤكداً عليه، حتى بعد  
ما عاد الحق إليه وأصبح رابع الخلفاء . .

ذلك الحق الذي كان سبباً للطروحات والمناقشات والخلافات بين

المسلمين . . .

وفي حقه فيها، ثلاث حالات لا رابع لها، ولكل حالة منظور خاص يُنظر لها

من زاوية معينة . .

فنظرة حاقدة له ولمكانته من الله ورسوله . .

وأخرى متأتية من الاعتراف بفضله، ومن ثم تفضيله لعلمه وإيمانه وموقعه

من الإسلام . .

(١) الزخرف: الذهب.

(٢) الزبرج: الزينة والجواهر والذهب.

(٣) نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده ج ١ ص ١٢٤.

والثالثة من خلال الإيمان المطلق بوجود الوصية له من قبل القائد العظيم رسول الله ﷺ ولنأت على كل حالة بإيجاز:

### الحالة الأولى:

أن يُعتبر الإمام علي بن أبي طالب طامعاً في الخلافة كأبي طامع بها، يريد الإثرة لنفسه على الآخرين، بدافع من حبه للدنيا وإمارتها.. وبعد أن فاتته (الخلافة) قال عنها الإمام ما قال!!

هذا القول، قاله أعداؤه وحساده وبعض منافسيه، نظراً لما في نفوسهم من حقد عليه، لمكانته من رسول الله ﷺ وما قاله عنه في مختلف المواقف المُكرمة له في دنياه وفي آخرته، ولما عليه من علم وإيمان ومواقف جليلة في الإسلام وبين المسلمين..

وكذلك لما في نفوس البعض من ثارات قديمة منه بعد أن وترهم، وقتل من أبائهم وأعمامهم في فترة الجهاد والدفاع عن الإسلام في صدر الدعوة..

لم يتجرأ أي أحد من الصحابة.. صحابة رسول الله ﷺ في وصف الإمام علي كطامع في الخلافة، لا في زمن النبي ﷺ، ولا في خلافة الخلفاء أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله تعالى عنهم جميعاً.. ذلك لأنهم أعلم ما في أغواره من صفاء، من كل المسلمين.. وأعلم من غيرهم بمكانته من الله ورسوله، ودوره في نشر الدين والدفاع عنه والاندفاع لمبادئه القيمة الجليلة..

إن أصحاب هذا الرأي في هذه الحالة، وأعني من اعتبر الإمام من الطامعين بالخلافة هم المنشقون عنه من القاسطين والحاقدين على آل بيت محمد ﷺ، والطامعون في الخلافة في أواخر خلافته، وبعد وفاته، حتى أمروا بسببه على منابر المسلمين..

وهؤلاء يعلمون حق العلم، إن الإمام علياً بن أبي طالب، هو أبعد ما يكون عن طلاب الدنيا وزبرجها، وهو الزاهد في ضروراتها.

ولم يذكر التاريخ من هو أزهده من غير رسول الله ﷺ

والزاهد في ضروراتها لا يطمع في عطائها مهما كان ذلك العطاء<sup>(١)</sup> ..

بعد اغتيال الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) تدفق على بيت الإمام علي (ع) أمواج هائلة من المسلمين لبياعوه خليفة عليهم دون أن يوصي له عثمان بالخلافة، ودون أن ينعقد مجلس خاص للشورى حتى يقرر مَنْ سيكون الخليفة ..

إلا أنه رفض الخلافة، وقال لهم: «دعوني والتمسوا غيري» ..

ثم جاءت حشود المسلمين في اليوم الثاني، فرفض أيضاً .. حتى حملوه عليها، وقبلها اتقاءً للفتنة ..

وكان أول خليفة من الخلفاء الأربعة الراشدين، يُنتخب انتخاباً مباشراً من كل المسلمين بإجماع المسلمين ..

وكان أول مَنْ رَفَضَ أن يكون خليفة وأجبرته جماهير وعامة المسلمين على قبولها .. فلو كان طامعاً بالخلافة كأبي طامع بها، لهول لها بعد أدنى إشارة له بها، وكما هي هرولت إليه!!

وقبل ذلك عندما جعله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) من بين الستة الذين أوصى لهم بعده ..

وبعده اختاره عبد الرحمن بن عوف (رض) أن يكون خليفة للمسلمين، وليحكم بكتاب الله، وسنة رسوله، وبما سار عليه أبو بكر وعمر (رض) ..

إلا أنه قال له: «.. نعم بكتاب الله، وسنة رسوله، وبما يُمليه علي اجتهادي» أي أنه رفض الخلافة مشروطة بالسير بما سار عليه الخليفان قبله ..

وعندها خسر الخلافة بسبب ذلك، وهو عالم بإنها ستفوته إن لم يمثل لذلك الشرط!!

فلو كان يريد (الخلافة) لقبول بما أشرط عليه .. أو على الأقل يتجاوزه بعد حين، أي بعد أن يوافق عليه!!

نرى من خلال هذين المثالين السابقين، إن الإمام لم يكن في عداد الطامعين

(١) لا نتوسع في هذا المجال بموضوع زهده بعد أن استعرضنا جوانباً منه في المواضيع السابقة،

ونكتفي بهذا القدر عن ذلك.



بالخلافة، لأنه لم يطمع بضرورات الحياة، وكان من المُحقرين لشأن الدنيا، زاهداً بما فيها من مغريات . . .

لذا فنحن أمام حالة يستحيل علينا تطبيقها على طبيعة موقف الإمام علي من أزمة الخلافة . . . ولا وجود لها في فكر أي مسلم لا يجافي الحق ولا يتعد عن الحقيقة . . .

### الحالة الثانية :

أن يكون الإمام علي كرم الله وجهه أحق مَنْ يستحق أن يكون خليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ . . . وذلك لفضله ومكانته المتميزة في الإسلام وبين المسلمين، ولعلمه وإيمانه اللذين لا يجاريهما علم ولا إيمان لأي صحابي من صحابة النبي ﷺ . . .

فهو إذن للخلافة أهل بما له من تلك الخصائص . . . ولكن دون الاعتراف بوجود وصية له من الرسول ﷺ قبل وفاته ليخلفه بعدها . . .

(وحتى لو لم يقع عليه نص بالخلافة، لكانت صفاته الطاهرة، ومناقبه الباهرة، وأخلاقه الفاخرة، ونعوته الزاهرة، نصوصاً صريحة وبراهين صحيحة بخلافته . . .)<sup>(١)</sup>

ولهذه الحالة التي نحن بصددتها رأيان :

١ - الرأي الأول، يقر بتفضيل الأفضل ولا يُفضل عليه . . . فالإمام علي (ع) أفضلهم مكانة عند الله ورسوله، وأقدمهم إيماناً، وأولهم إسلاماً، وأعمقهم علماً وأكثرهم زهداً . . .

فلا يصح أن يسبقه بأي سبق غيره من المسلمين، أو يتقدم عليه بسبب ما عنده من قدرات تجاوزت البعض منها حدود البشر، نحو شجاعته، وعلمه ومعرفته وحتى إيمانه، وغير ذلك . . .

إلا أن الإمام بما فيه من زهد وتواضع، لم يذكر في خطبه وأقواله (إنه أفضل من غيره، أو أنه يمتاز على أحد من المسلمين . . .) حتى كان لا يقبل مدحاً من

(١) (الإمام علي رسالة وعدالة) الشيخ خليل ياسين ص ٦٤.

مادح له ، بل يرد من يحاول ذلك بالرغم من علمه عن ما هو فيه من معرفة لأسرار الكون والحياة التي تعلمها من رسول الرحمة ﷺ . . . وكذلك غور معرفته بعمق لمبادئ الدين الحنيف . . .

كل ذلك لم يكن مفاخراً أو مزهواً بتلك الصفات . . . نعم كان مفاخراً بصلته وقربه من النبي ﷺ ، وتلمذته على يديه ، وأخذ العلم منه حتى صار بما هو عليه . . .

إذن ، أصحاب الرأي الأول من الحالة الثانية ، لا يقرون إلا بتفضيل الأفضل . . . كما لا يقرون وجود وصية أوصى بها النبي ﷺ لمن يخلفه . . .

وهذا يعني أن الخلافة للإمام علي لما له من صفات ، لا لما له من وصية . . .  
٢ - الرأي الثاني ، فيعتمد الرأي الأول من حيث مكانة علي بن أبي طالب وخصاله المعروفة . . .

فهو الأفضل بدون شك على مَنْ سواه من المسلمين . . . ولكن عند أصحاب هذا الرأي يجوز تفضيل المفضول على الأفضل . . .

وهذا ما حصل فعلاً وقبل هو بخلافة من سبقه من الخلفاء للخلافة ، وبإيعة بعد أن نازعه . . . فلو امتنع عن المبايعة لامتنعوا . . . لكن مبايعة أضافت صفة شرعية لخلافة أول خليفة سبقه إليها . . . وقد مرَّ ذلك في ما سبق . . .

### الحالة الثالثة :

وفيها إقرار ثابت بوجود وصية أوصى بها النبي ﷺ في حياته للإمام علي أن يكون خليفة له من بعده . . .

وذلك بعد أن أعده لخلافته ، ووجده أهلاً لذلك لما يملك من سجايا وخصال وقد استعرضنا بعضاً منها في المواضيع السابقة . . .

لذا وجب علينا بسبب وجود الوصية أن نُنفذ ما أمرنا به الرسول ﷺ من خلالها ونقر للوصي دون غيره بالولاية والخلافة ، ولا تصح الخلافة لغيره . . .



## سنده في حقه..

لقد ذكر الإمام علي (ع) حقه بمواقف شتى، وبيّن أن له حقاً في الخلافة من خلال وصية الرسول ﷺ له، حتى قال:

«.. فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي، مُستأثراً علي منذ قبض الله

نبيه...» كما قال عندما رجعت الخلافة إليه:

«... الآن إذ رجع الحق إلى أهله» وقال:

«لقد علمتم إنني أحق بها من غيري».

كما ذكّر المسلمين يوم الرحبة، بيوم الغدير ووصية النبي ﷺ له فيه... .

كرر الإمام ما رده.. (حقي.. وأحق بها..) في خطب وكلمات عديدة..

فهل يا ترى زاعم، أو مدع لذلك الحق الذي أرادته لنفسه كبشر يطمع في الخلافة والإمارة والدنيا ومباهجها، كما ورد في الحالة الأولى من الحالات الثلاث التي ذكرناها!!..

الوقائع تثبت لنا خلاف ذلك، لأنه إمام الزاهدين الذي طلق الدنيا ثلاثاً، ولم ينل منها ما ناله غيره منها..

فحقه إذاً لم يكن مصدره الطمع في الخلافة المتأتية من حب الدنيا، والتعلق بها..

أم أنه جعل من نفسه مكانة خاصة ومفضّلة على أقرانه من المسلمين لما هو عليه من علم ومعرفة وإيمان، وموقع متميز من رسول الله ﷺ.. كما جاء في الحالة الثانية!!

هنا لا يحق للإمام أن يضع نفسه بنفسه في موضع التقديم بالرغم مما هو عليه من كل السجايا والخصال التي لا مثيل لها بين أقرانه . . بل عليه أن يترك ذلك التقييم لغيره من المسلمين . . وهنا تجدر الإشارة أن مصادر التاريخ لم تذكر مطلقاً أنه ادعى بهذا الحق مستنداً على فضائله وخصاله وسجاياه، بل كان يسند حقه في الخلافة إلى ما أوصى به له رسول الله ﷺ بصورة مباشرة أو غير مباشرة . . وكان آخرها خطبة النبي ﷺ عند غدير خم<sup>(١)</sup>، وهي من خطب الرسول ﷺ الصريحة باستخلاف علي بن أبي طالب وموالاته، حتى قال ﷺ: « . . اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» .

وقد استشهد الإمام علي بها عندما أصبح خليفة .  
اذن نحن أمام حق للإمام مصدره الوصية، كما ورد في الحالة الثالثة من الحالات الثلاث . .

... ولكن لِمَ سكت عن حقه؟؟

نعم لماذا سكت الإمام عن ذلك الحق!!

قبل الإجابة عن هذا السؤال، نعود إلى موضوع الشورى التي بها تم استخلاف الخليفة الأول، ونمر على ذلك الموضوع مر الكرام، بعد أن خضنا جانباً منه في الفصل الرابع<sup>(٢)</sup> . .

---

(١) لقد مر ذكر الغدير في موضوع (وصية الغدير وآية الولاية) فلا حاجة للتكرار .

(٢) راجع موضوع (آل البيت خارج السقيفة) وما بعده . . وفي هذا الموضوع إضافة أو تكملة للأول .

## السقيفة.. مرة أخرى

لنلقي نظرة على السقيفة وما تحتها.. حيث اجتمع نفر من الأنصار الذين ينتمون إلى قبيلة الخزرج بقيادة سعد بن عبادَةَ الخزرجي.. وهو من أهل بيعة العقبة، ومن أهل بدر، وسيد الخزرج..

هؤلاء المجتمعون على محدودية عددهم، هم أول مَنْ دعوا أنفسهم إلى سقيفة بني ساعدة دون أن يدعوا أحداً غيرهم، حتى تكون لهم الخلافة، ويكون سعد بن عبادَةَ خليفة للمسلمين، وهو الذي دعا أنصاره من الأنصار ليجتمعوا تحت سقف السقيفة دون أن يحسبوا لبقية المسلمين أي حساب!!

نعم حركت هؤلاء النفر من الأنصار النوازع القبلية التي كانت قبل الإسلام والتي قضى عليها الإسلام، حتى تكون الخلافة بين الخزرج من الأنصار فقط.. ومع تلك النوازع القبلية، كان طمعهم بالخلافة والأثرة بها، وليسبقوا غيرهم من الصحابة، ومَنْ هم أحق بها!!

والحق أقول كان سعد بن عبادَةَ أول من تآمر على الخلافة بدعوته للخزرج من الأنصار بصورة خاصة، دون أن يدعو كافة المسلمين أو كبار الصحابة للسقيفة.. وأراد بذلك الالتفاف حول أقدم الصحابة قِدماً، ومكانة في الإسلام ومن رسول الله ﷺ ومن ثم التآمر عليهم جميعاً، حتى قال في ذلك الإمام علي:

«أول مَنْ جَرَأَ النَّاسَ عَلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ، فَتَحَ بَاباً وَلَجَهُ غَيْرُهُ، وَأَضْرَمَ نَاراً كَانَ لَهْبُهَا عَلَيْهِ، وَضَوْؤُهَا لِأَعْدَائِهِ».

ونحن نعتقد لولا سقيفة سعد لما صارت الخلافة إلى غير الإمام، ولأن تلك السقيفة هي التي جذبت أبا بكر وعمر إليها بحجة خشيتهم للفتنة، كما كان عذرهم فيها بعدها..

وكما قال الإمام، فتح باباً لغيره الذي استفاد من ذلك الباب، وأشعل ناراً حرقته هو ليستضيء بها غيره، ويعني في ذلك الخليفة الأول (رض)..  
نعم أراد سعد بن عباد أن يسبق من كان أكثر منه لها أهلاً، وأكفاً منه علماً، وأعظم منه إيماناً!

فأين هو من علي بن أبي طالب حافظ علم النبي!! وأين هو من أبي بكر رفيق رسول الله ﷺ وصديقه ومصداقه وصاحبه!!

وأين هو من عمر بن الخطاب، ذلك الفاروق الذي باع نفسه للإسلام!!  
وأين هو من العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ.. وأين هو من عمار بن ياسر الذي فدى الإسلام بأهله ورأى من صنوف العذاب ما لم ير غيره!!  
وأين هو من غير هؤلاء الصحابة الأجلاء الذين لم يدعوا إلى سقيفته!!...  
لم يعلم بالسقيفة كل هؤلاء الصحابة، ولم يساهموا في انعقادها، أو حتى الإعلان لها!

ولكن علم وقت انعقادها البقية الأخرى من الأنصار وهم (الأوس) خصوم قبيلة (الخزرج) التقليديون في الجاهلية، فهرعوا إلى مكان الاجتماع تحت تلك السقيفة المحدودة المساحة حتى يكون تواجدهم عثرة في سبيل الخزرج للخلافة، بسبب تلك الجذور التي كانت تمتد بينهما قبل الإسلام..  
إنها العصبية القبلية، والأثرة الشخصية التي لم يستطع الإسلام القضاء عليها قضاء مبرماً..

لكن الضربة الموجهة التي نالت من سعد بن عباد الخزرجي وهو تحت سقيفته حضور كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة الجراح (رض) ذلك الاجتماع بعد أن علموا بما يدور وراء ظهر المسلمين، ولشعورهم بأحقيتهم في الخلافة من ذلك النفر المحدود من المسلمين.. فزاد هؤلاء الثلاثة ذلك النفر المحدود ثلاثة..

ثم دار ما دار بين الحضور من نقاشات ومفاخرات ومساجلات وحجج، كل منهم يريد لها!! حتى احتدم الخلاف وكاد أن يصل إلى السيوف، لولا مبادرة عمر بن الخطاب (رض) الجريئة في الإقدام على مبايعة أبي بكر (رض) أمام

المجتمعين والتي قضى بها على تلك التي كادت أن تكون فتنة . . حيث قال عنها هو : (كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها) (١) .

وبويع بعد ذلك أبو بكر (رض) أول خليفة للمسلمين يخلف رسول الله ﷺ . . وخسر الخلافة أول مَنْ تَطَلَّعَ إليها وعمل على الحصول عليها . . وأول من أراد شق صفوف المسلمين (سعد بن عباد) الذي أُصِيب بخيبة أمل كبيرة حتى خاصم الخليفة الأول ولم يبایعه طيلة فترة حياته . .

فكان أول وآخر مَنْ لم يبایع بعد أن بايع الخليفة كل المسلمين ، ومنهم آل بيت رسول الله ﷺ . . وهذا ما يستدل على طمعه في الخلافة من أجل الخلافة نفسها لا غير!!

---

(١) راجع موضوع (آل البيت خارج السقيفة) من هذا الكتاب .

## العوامل التي ساعدت الخليفة الأول أن يكون أول خليفة

أما العوامل التي ساعدت الخليفة الأول أن يكون أول خلفاء المسلمين هي :

**أولاً:** غياب آل بيت محمد وبني هاشم، وبني عبد مناف.. وكان في مقدمة مَنْ لم يحضر السقيفة الإمام علي بن أبي طالب، وعمه العباس بن عبد المطلب، وكثير من صحابة محمد ﷺ الذين كانوا منشغلين في نكبة المسلمين بوفاة نبيهم ﷺ، وتهيئة رفاة الطاهر وتجهيزه لملاقاة ربه..

فلم يخطر في خواطره أن ينشغل المسلمون بالخلافة، ويتركوا جثمان رسول الله ﷺ مسجى ينتظرهم بعد أن يفرغوا من مشكلة الخلافة ليعودوا بعدها له!!

فلو كان حضورهم حاضراً وبينهم علي بن أبي طالب لتغيرت الموازين بدرجة كبيرة، ولما تصير الخلافة لغيرهم وفيهم الإمام علي ابن عم النبي وربيّه وحامل رسالاته والمؤتمن عليها..

وكذلك العباس عم رسول الله ﷺ... وعلى وجه التخصيص الإمام علي، لأن العباس يعرف مقامه، ويعلم بما أوصى له النبي ﷺ.. ودليلنا على ذلك قول العباس (رض) لعلي (ع)، عند وفاة الرسول ﷺ مباشرة:

(أمدد يدك أبايعك، فيقول الناس إن عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان..).

نعم لو كان الإمام علي ومعه العباس حاضرين في السقيفة.. وقام العباس (رض) بمبايعة ابن أخيه علي بن أبي طالب لبايعه كل مَنْ كان حاضراً من المسلمين دونما أي تردد أو تأخير..



فآل البيت وبنو هاشم والصحابة التي كانت مصاحبة للنبي ﷺ في حياته،  
والمهاجرون وكذلك آل حرب الذين يرتبطون بوشائج القربى ببني عبد مناف . .  
كل هؤلاء لو تفيأوا بظل السقيفة، لما بايعوا غير علي بن أبي طالب خاصة  
إذا بدأ العباس عمه بمبايعته!

أما لو كان الإمام علي قد قبل بمبادرة العباس (رض) في مبايعته عندما قال  
له: (أمدد يدك . .) لباعه كل المسلمين بلا تردد ولا اختلاف لاسيما في مقدمتهم  
كبار الصحابة وأجلهم الذين كانوا عند جثمان رسول الله ﷺ، ولما جرؤ أحد من  
المسلمين أن يتسقف بأية سقيفة . . ولا غير علي بن أبي طالب أن يكون مرشحاً  
للخلافة . .

لكنه رفض ذلك، وأعطى الأولوية والأفضلية لتجهيز ذلك الجثمان الطاهر  
الذي نعته السماء قبل أن تنعاه الأرض . .

ذلك لأن الإمام كان موقناً أن خلافة رسول الله ﷺ لا تتعداه، ولا يمكن  
لأي صحابي أن يرشح للخلافة أو ينافس عليها أحد . . حتى رد على عمه العباس  
قائلاً:

«أو يطمعُ يا عم فيها طامع غيري! ثم إني لا أريد أن أبايع من وراء  
رتاج!»

وذلك يعني وجود وصية له من قبل النبي ﷺ أوصى له بحياته لما بعدها . .  
واستناداً لذلك يكون من المستحيل أن يطمع في الخلافة أي مسلم آخر، وفاته أن  
ذلك المنصب أو الوظيفة الدنيوية التي يسيل لها لعاب الطامعون، ويطمع فيها بعض  
المسلمين، تُنسيهم وصية الله ورسوله . . ويُقدِّم لها أنواع المبررات وشتى الحجج!  
. . . إذن فالإمام أمام تقدير موقف غير موفق، نتج عنه قراره برد مبادرة عمه  
العباس بن عبد المطلب (رض) عندما طلب منه مد يده لمبايعته . .

أو يكون أمام حالة وضعته في موقف دقيق جداً وحرصاً للغاية . . فتصرف  
تصرف الحكماء، ووقف موقف العلماء البعيد عن العاطفة، والمجافي للمصلحة  
الشخصية . . مؤثراً مصلحة المسلمين عامة والإسلام خاصة، وتجنب ما كان قد

يقع بين صفوف المسلمين من فرقة لم يحسب لها حساب غيره!!  
لذلك رفض الإمام تلك المبادرة.. فخسر الخلافة بعد أن كان موقناً أنها  
له.. وخسر المسلمون وحدتهم بعد أن انقسموا عليها منذ ذلك الوقت حتى يومنا  
هذا، لأنهم اتفقوا عليه، واختلفوا على غيره!!  
وكما قال أبو ذر الغفاري (رض):  
(أصبتُم قِناعه وتركتُم قرابه..)

... لو جعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان).  
ثانياً: وجود عمر بن الخطاب (رض) مع أبي بكر (رض) تحت سقف  
السقيفة ومبادرته في حسم النزاع، وإنهاء الخلافات التي نشأت بين كل الأطراف  
بسبب الخلافة..

والمعروف أن عمر (رض) كان شديداً قوياً، لا يهاب أحداً.. بل هو كان  
المُهاب أبدأ.. نافذ الشخصية، يقطع القرارات ويتخذها بإقدام..  
وهو دائماً يملك المبادرة ويتلزم التفكير والعمل عنده كأنهما يولدان في  
لحظة واحدة..

عندما نشب النزاع بين مَنْ حضر السقيفة على اختيار مَنْ سيكون خليفة،  
حتى كاد أن يصل ذلك النزاع إلى سل السيوف كما ذكرنا..

وكادت أن تفلت الخلافة من جماعة المهاجرين ممن حضروا السقيفة..  
هنا بادر عمر بن الخطاب (رض) بجرأة وقوة وإقدام ليتخذ قراراً يقطع به  
كل القرارات، حيث قال لأبي بكر (رض):

(ابسط يدك نبايعك..) وامثل أبو بكر (رض) له، ولم يرفض ذلك كما  
رفض علي بن أبي طالب طلب عمه العباس (رض)!

وبسط أبو بكر (رض) يده لعمر وبايعه، فكان أول من بايع أول خليفة  
للمسلمين.. ثم بعده بايع أبو عبيدة أبا بكر (رض)..

وعن ذلك قال الإمام علي (ع):

«... حتى مضى الأول لسبيله فادلى بها إلى فلان بعده، فيا عجباً بينا

هو يستقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته . . الخ» .

وهذا يعني واستناداً لقول الإمام أن عمر بن الخطاب (رض) جعل من أبي بكر (رض) سبيله للخلافة حتى يصل إليها من خلاله، لأنه يعلم أن أبا بكر زاهد فيها وهو بالغ من العمر ما بلغ!! ولا بد أن يوصي له بها بعده . .

عندما كان الخليفة الأول (رض) على فراش المرض الذي به فارق الدنيا، أمر عثمان بن عفان (رض) أن يكتب له كتاباً فيه استخلف عمر بن الخطاب (رض) من بعده لتولي شؤون المسلمين . . وأبقى ذلك الكتاب عنده حتى أتاه عمر، فأعطاه إياه وأمره أن يخرج به للناس، ويخبرهم ما فيه من عهد . .

فخرج عمر بالكتاب فلقبه أحد الأنصار، وقال له مستفسراً عن ذلك الكتاب:

- ما في الكتاب يا أبا حفص؟ قال عمر:

- لا أدري، ولكني أول مَنْ سَمِعَ وَأَطَاعَ . . فقال الرجل:

- والله إني لأدري ما في هذا الكتاب! أمرتهُ عام أول وأمرَك هذا العام<sup>(١)</sup> .

ثالثاً: انقسام الأنصار (الأوس والخزرج) وما بينهما من تنافس وعداء قبل

الإسلام، وبقاء تلك الرواسب بعده . .

بعد أن بايع عمر بن الخطاب أبا بكر (رض) اندفع زعيم الأوس من الأنصار إلى أبي بكر ليبيعه حتى يُفوت الفرصة على سعد بن عبادة الخزرجي زعيم الخزرج من الأنصار . . وقال لقومه:

(يا معشر الأوس، والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة، لا زالت لهم بذلك

عليكم الفضيلة . . فقوموا وبايعوا أبا بكر . .).

من ذلك الانقسام استفاد الخليفة الأول أن يكون أول خليفة للمسلمين . .

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشراقي ج ١ ص ٨٧. (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة ج ١ ص ٢٥.

## الشورى الخالية من مشورة المسلمين



الواقع أن ما حدث تحت السقيفة، والذي سُمي بعد ذلك (بالشورى).. والشورى تعني في المفهوم السياسي الحديث (الانتخاب)..

إذن يمكن القول أن للشورى والانتخاب مفهوماً واحداً، وهو باختصار اتفاق الأمة على اختيار واحد منها بصورة مباشرة لموضع القيادة بكل أشكالها..

أو اختيار مجموعة منها لتمثيلها أو تمثيل الناخبين الذين اختاروا تلك المجموعة، ولتختار بدورها مَنْ هو أهل لقيادة الأمة..

ففي (الحالة الأولى)، وأعني الانتخاب المباشر من قبل غالبية الأمة لواحد منها ليتولى القيادة، وممن له الخصائص والصفات التي تؤهله لقيادة الأمة.. وفي موضوعنا هذا يشغل هذا المنتخب خلافة رسول الله ﷺ بقيادة الأمة الإسلامية بعده..

هنا في هذه الحالة لم يتحقق من خلالها انتخاب الخليفة الأول خليفة للمسلمين.. ولم يأت لها عن طريق الانتخاب المباشر، أو لنقل بواسطة الشورى الواسعة لغالبية المسلمين، بل جاء إلى الخلافة من خلال الشورى المصغرة المحدودة الكم التي لا يتجاوز عددها المائة وفي غياب الغالبية العظمى للناخبين المسلمين!

والخليفة الوحيد من الخلفاء الراشدين الذي جاءت به إلى الخلافة الغالبية الواسعة من عامة المسلمين بكمها الهائل، هو الخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب (ع)..

أما (الحالة الثانية) وهي اختيار مجموعة من الأمة لتمثيلها في اختيار أو انتخاب مَنْ هو أهل لقيادتها حتى يكون خليفة للأمة الإسلامية يخلف ذلك القائد

العظيم ﷺ حيث تقوم تلك الفئة المنتخبة بتحديد الشروط اللازمة، ومراعاة الخصائص المهمة لذلك المنصب الديني والسياسي المهم، مع مراعاة العدد والغالبية من الأصوات والصفات، إضافة للمعايير الأخرى التي نحن في غير صددنا.

.. في تلك الحالتين من الشورى أو الانتخاب... المباشر وغير المباشر، كان المفروض على أصحاب هذا المبدأ، وأعني الشورى وقبل البدء بالخطوات الأولى منها أن يقوم هؤلاء بتوعية المسلمين، وتعريفهم بنظام الشورى، وكيفية استعمال حق كل مسلم في أداء واجبه بالإدلاء بصوته واختيار من يريد له أن يكون خليفة عليه، مع تعريفه بأسماء المرشحين للخلافة وشرح مواقفه من الإسلام وفضائله وما قدمه لذلك الدين الحنيف، ومدى علاقته أو قربه من رسول الرحمة ﷺ.. وغير ذلك من الصفات والخصائص..

كما كان من الواجب تعريف المسلمين بمصدر نظام الشورى وسنده الديني مع إعطاء المسلمين الوقت الكافي لاستيعاب تلك التوعية بالشورى، حتى يتسنى للمسلم من مبايعة مَنْ يقتنع اقتناعاً تاماً بأهلية وتقوى وإيمان وشخصية الذي سيكون خليفة على كل المسلمين، ليشغل ذلك الموقع الهام الذي من خلاله يباشر قيادة المسلمين خلفاً لذلك القائد الراحل الجليل ﷺ..

وهنا تجدر الإشارة بنا أن نعود إلى حياة الرسول ﷺ لنستعرض أحاديثه الشريفة، خاصة وصاياه، نجدها خالية من أي ذكر لموضوع الشورى بالرغم من أنه كان يشاور أصحابه في بعض المواضيع المتعلقة بالخطط العسكرية وغيرها..

فإن كان للشورى حديث لشاور أصحابه ولأشار عليهم بها تصريحاً أو تلميحاً، ولرشح بعض الأسماء من الصحابة الذين هم عنده من المؤهلين لها..

أو على أقل تقدير نستطيع القول إن كان في سياسة الرسول القائد ﷺ مبدأ الشورى لانتخاب خليفة من بعده، لقام هو عليه الصلاة والسلام بتعليم وتوعية المسلمين ليعرفهم بذلك المبدأ، مع إعدادهم إعداداً فكرياً ونفسياً لتقبله، حتى لا تعم الفوضى بالمسلمين من بعده، وحتى لا يختلفوا فيما بينهم بعد أن آلف قلوبهم الإسلام!!

يقول العلامة الصدر: لو كان النبي ﷺ يستهدف وضع نظام الشورى موضع التطبيق بعد وفاته مباشرة، وإسناد زعامة الدعوة إلى القيادة التي تنبثق عن هذا النظام، لكان من أبدئه الأشياء التي يتطلبها هذا الموقف الإيجابي، أن يقوم الرسول القائد بعملية توعية للأمة والدعاة على نظام الشورى وحدوده وتفصيله، وإعطائه طابعاً دينياً مقدساً، وإعداد المجتمع الإسلامي إعداداً فكرياً وروحياً لتقبل هذا النظام، وهو مجتمع نشأ من مجموعة من العشائر، لم تكن قد عاشت قبل الإسلام وضعاً سياسياً على أساس الشورى، وإنما كانت تعيش في الغالب وضع زعامات قبلية وعشائرية تتحكم فيها القوة والثروة وعامل الوراثة إلى حد كبير..

ونستطيع بسهولة أن ندرك أن النبي ﷺ لم يمارس عملية التوعية على نظام الشورى، وتفصيله التشريعية، ومفاهيمه الفكرية، لأن هذه العملية لو كانت قد أنجزت، لكان من الطبيعي أن تنعكس وتتجسد في الأحاديث المأثورة عن النبي ﷺ وفي ذهنية الأمة..

ولا نجد في الأحاديث عن النبي ﷺ أي صورة تشريعية محددة لنظام الشورى..

ثم يقول:

ونلاحظ بهذا الصدد للتأكد من ذلك، أن أبا بكر حينما اشتدت به العلة عهد إلى عمر بن الخطاب، فأمر عثمان أن يكتب عهده..

وواضح من هذا الاستخلاف أن الخليفة لم يكن يفكر بعقلية نظام الشورى، وإنه كان يرى من حقه تعيين الخليفة، وإن هذا التعيين يفرض على المسلمين الطاعة، ولهذا أمرهم بالسمع والطاعة..

ونلاحظ أيضاً أن عمر رأى هو الآخر، أيضاً، إن من حقه فرض الخليفة على المسلمين ففرضه في نطاق ستة أشخاص، وأوكل أمر التعيين إلى الستة أنفسهم دون أن يجعل لسائر المسلمين أي دور حقيقي في الانتخاب..

وهذا يعني أيضاً، إن عقلية نظام الشورى لم تتمثل في طريقة الاستخلاف التي انتهجها عمر، كما لم تتمثل من قبل، في الطريقة التي سلكها الخليفة الأول (رض)..

كل ذلك يوضح بدرجة لا تقبل الشك، إن هذا الجيل الطبيعي من الأمة الإسلامية بما فيه القطاع الذي تسلم الحكم بعد وفاة النبي ﷺ لم يكن يفكر بذهنية الشورى، ولم يكن يملك فكرة محددة عن هذا النظام. فكيف يمكن أن نتصور أن النبي ﷺ قد مارس عملية توعية على نظام الشورى تشريعياً وفكرياً، وأعد جيل المهاجرين والأنصار لتسلم قيادة الدعوة بعده على أساس هذا النظام، ثم لا نجد لدى الجيل تطبيقاً واعياً لهذا النظام أو مفهوماً محدداً عنه!

كما أننا لا يمكن أن نتصور من ناحية أخرى أن الرسول القائد يضع هذا النظام ويحدده تشريعياً ومفهوماً، ثم لا يقوم بتوعية المسلمين عليه وتثقيفهم به! أو لم يكن من الضروري إذا كان يمهد لفكرة الشورى حقاً أن يحدد للشورى دستوراً ويضبط سنته لكي تسير الشورى على منهاج ثابت محدد لا تتلاعب به الأهواء<sup>(١)</sup>!

والمجتمع الإسلامي كان في بداية نشأته، وأوائل تكوينه... لم يألف طريقة انتخاب قائد يقود جيشه، ولم يقرر هو تعيين مَنْ يتعين بقاؤه في مدينة الرسول ﷺ ليخلفه عندما كان يغادرها لأي سبب من الأسباب... بل اعتاد أن يُقر ما كان يقره النبي ﷺ بتسمية مَنْ يخلفه فيها، ومَنْ يختار لجيشه قائداً..

لقد اعتاد المسلمون تنفيذ أوامر رسول الله ﷺ، لأن أوامره هي أوامر مصدرها الخالق عز وجل.. فلا مناقشة.. ولا نقاش، ولا معارضة.. ولا احتجاج..

كما أن الناس في تلك الحقبة لم يألفوا ما يمكن تسميته في الوقت الحاضر (بالرأي العام) حتى يتمكنوا من خلاله اتخاذ القرارات الخطيرة والمهمة بعد أن فقدوا قائدهم العظيم (رض)..

فقبل الإسلام كان العربي يخضع لتقاليد وأعراف القبيلة التي تقع تحت سطوة زعيمها أو رئيسها الذي جاء لزعامتها عن طريق الوراثة، أو بواسطة القوة.. وعلى أفراد القبيلة أن يدينوا بالطاعة له، والذود عن مكانته وكرامته..

(١) (نشأة الشيعة والتشيع) العلامة محمد باقر الصدر ص ٣٢ - ٣٤ - ٣٨ - ٤٨.

وعليهم الاعتناق بمبادئه والالتزام بأوامره، والمحافظة على تقاليد أسرته . .

فلا رأي لهم إلا ببعض المواقف والحالات . . والذي يهمننا هنا، إنه لا صوت لهم، ولا حرية لهم باختيار زعيم مطلق لقبيلتهم . .

ودخلوا الإسلام عندما لبوا نداء الإسلام . . ومعهم رواسب عاداتهم وتقاليدهم، ومنها ما ذكرناه من انعدام صوتهم بالانتخاب أو الاختيار والتعيين .

فوجدوا في الإسلام ما اعتادوا عليه قبله . . النبي ﷺ يقرر، ويُعين، ويختار ولم يتول غيره تلك المهمة سواء حتى أقرب الصحابة له لم يستعمل ذلك الحق . . لأنه لا ينطق عن الهوى، بل ينفذ تعاليم السماء السمحاء . .

وبالطبع كان رسول الله ﷺ هو الأجدر تماماً لتلك المهمة التي يعلم حق العلم لو استعملها غيره لسادت الخلافات والتحزبات والعصبيات . . وتعود عصبية القبيلة . . وإثارة العشيرة . .

من كلما تقدم نستطيع القول أن الولاء تحول من ولاء القبيلة إلى ولاء الدين والطاعة للنبي ﷺ بدلاً من الطاعة إلى زعيم القبيلة . .

وبقيت قيادة المسلمين للرسول القائد ﷺ . . فهو زعيمهم، ورئيسهم، ومعلمهم وإمامهم دون نقاش أو احتجاج أو اعتراض على أوامره الجليلة . .

وحرص ذلك القائد العظيم على توحيد كلمة المسلمين وصهرهم في بودقة الإسلام . . حيث أعطى لذلك الأولوية المطلقة بعد كلمة التوحيد، ولم يسمح لأية عصبية، أو تحزب، أو رواسب من الماضي أن يدخلها من دخل الإسلام في صفوف المسلمين بعد أن يسلم .

ومن ذلك المبدأ حصر حق الاستخلاف على المدينة من بعده فيه، وكذلك تعيين الولاية على الأمصار . . أو تولية القادة على الجيش . .

نعم جعل ذلك الحق لوحده دون غيره، تجنباً لشق صفوف المسلمين، كما ذكرنا . .

هذا في حياته الشريفة ﷺ، وتلك أمور أدنى في مستواها الوظيفي، أو في وزنها من خلافته من بعده!!



إذن هل يترك حقه في اختيار خليفته من بعده!!

هل النبي ﷺ نسي وحاشاه أن ينسى الرواسب القبلية التي جاء بها المسلمون قبل إسلامهم . .

هل تجاهل (وحاشاه) العصبية والعصب . . العشيرة والقرابة . . الصحابة والتحزب . . الطمع والاستئثار . . !!

أما أن له أن يقطع دابرها لهم لما بعد وفاته في حياته وقبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى . .

ألم يكن قائد المسلمين يخشى على المسلمين الفرقة والتفرق وهو أعرف من غيره بنفوسهم وأهوائهم، ودواخلهم وسرائرهم!!

ألم يكن ذلك القائد العظيم رجل دولة يقود دولة يُحسب لها ألف ألف حساب!

ألم يشرع دينه أدق، وأعظم تشريع ينظم علاقة المسلم بالمسلم . . وعلاقة المسلم بالمجتمع . . وقبل كل شيء علاقته بربه . . وعلاقته بديناه . . وعلاقته بآخرفته، وهو أول تشريع واسع عام وشامل للحياتين لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وجد لها ما يحل مشاكلها . .

**فالخلافة . .** إن كانت دنيوية فالنبي جعلها من مسائل الإسلام الدنيوية الهامة . . وإن كانت من مسائل الإسلام الدينية فأهميتها أجل وأعظم . . وإن كانت الخلافة من المسائل الصغيرة في الإسلام، فالإسلام نظم مواضيع أقل منها شأنًا . .

وإن كانت الخلافة من المواضيع الكبيرة في الإسلام، فالإسلام جعلها بحجمها الكبير . .

وعندنا الخلافة شغلت في سعتها الدين والدنيا . . ووسع حجمها، وعظم شأنها، لذا فلا تقل أهميتها عن أي ركن من أركان الدين، وبالتالي لا يقبل المنطق والعقل أن يترك النبي ﷺ الدنيا، ويترك معها المسلمين دون أن يختار لهم من يخلفه بعده، بعد أن عودهم أن يختار لهم في حياته مَنْ كان يختاره!!

وحتى على فراش مرضه، وقد اشتد به الوجع، كان ﷺ يتابع تنفيذ أوامره

خاصة تجهيز جيش أسامة وتوجيهه بوجهته، وكم أمر وهو على ذلك الفراش قائلاً ومكرراً بين صحواته وغيوبته:

«جهزوا جيش أسامة . . أرسلوا بعث أسامة . . أنفذوا جيش أسامة» .

كما ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته، وابن الأثير في كامله .

فإن كان النبي ﷺ كذلك وهو ينازع الحياة يتابع إرساله صغيرة من الجيش لا أثر لها في نتائجها على ما كان عليه الإسلام والمسلمين ذلك الوقت . .

فكيف لنا أن نتصور أنه يترك مصير دولة الإسلام ومستقبلها دون أن يحدد لها القيادة التي ستخلفه وهو خير مَنْ يعلم بما كان يحيط بتلك الدولة الفتية من أخطار، وبما كان يحيطها من خارجها من أعداء، وبما كان يتواجد بداخلها من المنافقين الذين يتربصون لها، وما يضمرون لها من حقد وكراهية لاسيما من دخل الإسلام كارهاً أو مكرهاً خاصة من أسلم بعد الفتح وفي مقدمتهم (الطلقاء) . .

وكذلك مَنْ دخل الإسلام طمعاً في مال أو جاه ليحرص على بقاء ما كان يحرص عليه قبل أن يكون مسلماً! وكذلك مَنْ دخل الإسلام مستسلماً لا مسلماً!

كل ذلك كان القائد الأعظم ﷺ من المدركين له . . بل هو خير من يعلم بسريرة مجتمعه . . ذلك المجتمع الذي استطاع نقله من حالة الفساد إلى حالة الفضيلة بعد أن دفع عليه الصلاة والسلام ثمنه العظيم من إيذاء له في نفسه وجسده وصعوبات اعترضته، حتى قال:

(ما أودني نبي كما أذيت . .).

ومن ذلك الإدراك الواسع، وإدراكه بضرورة التخطيط والعمل المستقبلي لتحسين الأمة الإسلامية من الانحراف والأخطار، وحمايتها من التفرقة والانحيار . .

نستطيع القول أن النبي ﷺ لا يمكن له أن يقف موقفاً سلبياً لمستقبل أمته ودعوة الإسلام وحرصه على المسلمين والاهتمام بهم بعده كما ربي الأمة الإسلامية على ذلك، حتى كان يكرر قوله:

(مَنْ أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم . .).

فهل من الممكن أن لا يهتم هو بأمور المسلمين قبل رحيله!!

وهل من المعقول أن يأمر بتعيين قائد لبعض جيشه، ولا يوصي أو لا يتدخل في تعيين أو ترشيح مَنْ يخلفه ليكون قائداً لكل المسلمين وكل جيوش المسلمين! يتدخل وهو على فراش الموت بتعيين أسامة قائداً لبعض من كتائب جيشه، ويتابع تنفيذ ذلك.. ولا يهتم في التوصية أو الأمر بتسمية مَنْ سيخلفه!!

والحق، أن من بديهيات الأمور التي تجاري العقل والمنطق تجعلنا نؤمن أن الرسول الأعظم ﷺ قد تدخل فعلاً واختار خليفته من بعده قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى، ولم يترك المسلمين في تخبط وحيرة من أمرهم في حالة قد تؤدي إلى الفوضى والتفرقة.. وبالتالي تواجه الأمة مواقف محفوفة بالأخطار والمخاطر!!

وفي الوقت الحاضر يحرص رؤساء الدول وملوكها بتعيين نوابٍ عنهم، تنتقل إليهم السلطات الدستورية في حالة غياب الرؤساء أو وفاتهم. كما تحرص الدساتير الحديثة في تبيان كيفية انتقال السلطة للخلف في تلك الحالات..

وتعاليم الإسلام الأساسية وردت في كتاب الله العزيز.. أو من خلال ما يوحى للنبي ﷺ من أحاديث قدسية تكون في منزلة الأحكام المنزلة في الكتاب.. أو من اجتهادات ذلك العظيم القائد الذي يعتبر رجل دين ودولة لا مثيل له ولا نظير..

فهل يا ترى فات ذلك القائد الفذ ما لم تغفل عنه تلك الدساتير!!

هل غاب ذلك (وأعني تسمية من يخلفه) عن فكر النبي ﷺ.. ولم يغيب عن فكر مَنْ جاء من بعده من خلفاء عندما قاموا بتسمية من يخلفهم!!

دعني أيها القارئ الكريم من قول مَنْ قال أن النبي ﷺ قد اختار علياً ليخلفه من بعده.. ولتترك جانباً هذا القول ابتداء!!

لكن علينا أن نؤمن أن رسول الله ﷺ قد تدخل واختار خليفته قبل أن يرحل من هذه الحياة وذلك للأسباب المختصرة التي قدمناها..

وعندما نؤمن بذلك.. نؤمن بواقعة الاختيار.. عندها نؤمن أنه اختار

وأوصى . . . وعندها يقودنا هذا الإيمان إلى الإيمان بأنه عليه الصلاة والسلام اختار  
علياً له خليفة دون غيره . . . لأن غيره لم يكن به ما بعلي من خصائص تؤهله أن  
يتولاها فهو لها دون منازع أو منافس ، يتصف بما اتصف به من مزايا . . . وقد مررنا  
على بعض من صفاته فيما مر ذكره . . .

إذن علينا أولاً أن نستوعب مبدأ الاستخلاف لأهميته . . . وبعدها نقارن بين  
صحابة رسول الله ﷺ مَنْ منهم للخلافة والذي لا يعدوه النبي ﷺ عن اختياره!!

## الشورى وعنصر المفاجأة

٦

نعود إلى ما تحت السقيفة . . إلى مَنْ اجتمع تحت ظلالها وسموا أنفسهم،  
أو بالأحرى سمووا اجتماعهم (بالشورى)!

وتلك الشورى التي كانت خالية من مضمونها، وبعيدة عن مفهومها الدقيق  
فيما يعرف كل امرئ أصول وطريقة انتخاب رئيس دولة أو خليفة يخلف مَنْ كان  
يرأسها أو يقودها . . كما مر ذكره . .

ونحن هنا نتساءل مَنْ حوّل المتسقفين بالسقيفة حق اختيار خليفة  
لرسول الله ﷺ!!

هل حصل استفتاء عام للمسلمين واختاروا (سعد بن عباد) وأنصاره،  
وكذلك أبا بكر وعمر وأبا عبيدة (رض)، وبالتالي خولوهم حق اختيار أو انتخاب  
أو ترشيح خليفة للمسلمين!!

والجواب، واضح وضوح الشمس في وضوح النهار . . لم يحدث ذلك  
مطلقاً . . ولو فرضنا جدلاً، أن المسلمين خولوا المجتمعين، وأعطوهم ذلك  
الحق . .

عندها عليهم اتباع كافة الوسائل، والطرق السليمة لإنجاز مهمتهم الصعبة  
والدقيقة المخولون بها من قبل المسلمين .

ومنها: إتاحة الفرصة لترشيح أجل الصحابة ممن فيهم الخصائص اللازمة  
وممن يستحقون أن يخلفوا ذلك الراحل العظيم، محمداً ﷺ الذي جاهد في سبيل  
الله، وجعل من ذلك الشتات دول عظيمة، تدين بمبادئ الأخلاق والقيم كما  
ذكرنا . . .

فهل أُتيحت الفرصة للترشيح من قبل علي بن أبي طالب . . أو عمه العباس  
أو عثمان بن عفان . . وعمار بن ياسر . . والزيبر . . وطلحة . . وسلمان . . وأبي  
ذر الغفاري . . وغيرهم من المؤهلين للترشيح، أو بقية العشرة المبشرة الذين  
بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة . . !!

كلا . . لم تتح لأي من هؤلاء الفرصة للترشيح، وكأنه لا حق لهم في ذلك!  
أو لا يوجد بينهم من له بعض الخصائص التي تؤهلهم لها . .  
والأهم من ذلك، لم يستعملوا أبسط حق من حقوقهم . . هو حق التصويت  
أو الانتخاب . .

نعم حرّموا من انتخاب الخليفة . . بعد أن حرّموا من الترشيح للخلافة! . . .  
الواقع الذي حدث تحت ظل السقيفة كان سباقاً لكسب الفرص، والاستحواذ  
على الخلافة من وراء ظهور كافة المسلمين وفي مقدمتهم صحابة رسول الله ﷺ  
الذين كانوا منشغلين بتهيئة وتشجيع جثمان النبي ﷺ ودفن رفاتة الطاهر . .  
أو مَنْ كان منهم ضمن معسكر جيش أسامة بعيدين عن السقيفة!!  
غالبية المسلمين:

إذن لم يشاركوا بالشورى، إلا مَنْ حضر السقيفة بدعوة محددة ومحدودة.  
لم يشاركوا بالترشيح ولا بالانتخاب . . والانتخاب هو أبسط حق من حقوق  
أي مسلم . . .  
وفي مقدمة ممن لم يشاركوا في ذلك الحق آل بيت رسول الله ﷺ الذي  
أوصى النبي ﷺ بهم في مجالات عدة، وبمواقف كثيرة ومختلفة . .  
فلو أُتيحت الفرصة لهم بالمشاركة لاختلقت المعايير، وتغيرت النتائج  
والموازن كما ذكرنا . . .

وفي ذلك رُوي للإمام علي (ع) شعر، يندرج في ما عرضناه، يقول:  
فإن كنت بالشورى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ فَكَيْفَ بِهَذَا وَالْمُشِيرُونَ غُيَّبَ<sup>(١)</sup>

(١) جمع غائب، يريد بالمشير من أصحاب الرأي في الأمر، وهم الإمام علي وأصحابه من بني هاشم.

وإن كنت بالقرى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ<sup>(١)</sup> فَغَيْرُكَ أَوْلَىٰ بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ<sup>(٢)</sup>

.. أجل، لم يحضر السقيفة أي من المشيرين لانشغالهم بتجهيز رفاة الرسول ﷺ... وفيهم العباس، وعلي بن أبي طالب، وسلمان الفارسي.. وأبو ذر الغفاري.. والمقداد.. وعمار.. والزبير.. وخزيمة بن ثابت.. وأبي بن كعب.. وفروة بن عمرو بن ودقة الأنصاري.. والبراء بن العازب.. وخالد بن سعيد بن العاص الأموي.. وغيرهم من الصحابة، ومن آل بيت محمد كافة..

ونحن نتساءل إذا كان المهاجرون أولى بميراث النبي ﷺ من غيرهم، ولكونهم عشيرة النبي ﷺ على حد قول أبي بكر (رض) أفلا يصبح الهواشم أولى من قريش!! وعلي أولى من الجميع!!

لأن مقياس الفضل الذي وضعه أبو بكر في كلمته<sup>(٣)</sup> كان ينحصر في السابقة إلى الإسلام.. وفي القرابة من النبي ﷺ.. ولماذا رشح أبو بكر صاحبه للخلافة دون سائر المهاجرين!!<sup>(٤)</sup>.

وما حقه في ذلك الترشيح.. ولماذا اقتصر ترشيحه عليهما!!

لماذا استبعد من ترشيحه علي بن أبي طالب، وآل بيت رسول الله ﷺ!!  
ألم يكونوا من المهاجرين!!

ألم يكونوا من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أوصى بهم، ورضي عنهم!!  
ثم.. لماذا استبعاد الأنصار!!

ألم يكن من بينهم مَنْ هو أهل للترشيح.. أو على الأقل أهل لانتخاب المرشح!!

نحن هنا لا نشكك بشخصية الخليفة أبي بكر (رض) وأهليته لإشغال

(١) يريد احتجاج أبي بكر على الأنصار بأن المهاجرين شجرة النبي ﷺ.

(٢) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج ٤ ص ١٧٩.

(٣) سبق لنا وإن أوردناها في موضوع (أبو بكر أول الخلفاء).

(٤) (علي ومناوئوه) د. نوري جعفر ص ٤٨.

المنصب الخلافي لما فيه من خصائص تؤهله لذلك دون أدنى شك، وقد قال في ذلك الإمام علي نفسه . .

فأبو بكر أرفع من أن يشكك به، وبمقامه الجليل بين صفوف المسلمين . .  
لكن نقدنا ينصب على طريقة اختيار الخليفة، التي يتحمل وزرها، أو مسئوليتها ابن عبادة الخزرجي . .

ونحن على طعننا بذلك الأسلوب حتى لو شغل الخلافة بتلك الطريقة علي بن أبي طالب نفسه، أو غيره!!

لأنها لم تستكمل الشروط اللازمة في حدها الأدنى للشورى، وما تعنيه هذه التسمية من معنى وأسلوب . .

إذا لم يكن هناك إجماع بانتخاب الخليفة الأول . . وإنما كان عدد محدود من المسلمين، قاموا بمبايعة أبي بكر (رض) . . مبايعة قابلة لشتى أنواع الطعون والتقد . .

وهي بيعة لم تكن عن مشورة . . وإنما قام بها الخليفة الثاني، وأبو عبادة ونفر معهما، ثم فاجأوا بها المسلمين . . وساعدتهم تلك الظروف على ما أرادوا . .  
وأبو بكر يُصرح بأن بيعته لم تكن عن مشورة، ولا عن روية، وذلك حيث خطب الناس في أوائل خلافته معتذراً إليهم<sup>(١)</sup> . .

ولو أنصف الناس حق الإنصاف، لأرجأوا البيعة حتى يتم لهم مواراة جثمان الرسول . . كان ذلك أدنى إلى الصواب (إن لم يكن هو الصواب) أن يترك القوم من المهاجرين والأنصار ليتنازعوا سلطان محمد بينهم، ومحمد ما زال مسجى على فراشه<sup>(٢)</sup> . .

أما مَنْ يقول . . إن المسلمين بعد السقيفة بايعوا الخليفة الأول على ما صار إليه، حيث أعطوا الصبغة الشرعية، والقانونية العرفية لذلك الاختيار . .

(١) (المراجعات) السيد شرف الدين ص ٣١٩ . . أخرج ذلك أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة، ونقلها ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة .

(٢) (الإمام علي بن أبي طالب) عبد الفتاح عبد المقصود ج ١ ص ١٨٤ .



فالرد على ذلك، هو أن المسلمين، طبقت عليهم سياسة الأمر الواقع وعنصر المفاجأة، بعد أن قلت زمام حقهم منهم . . .  
لذا كان قول عمر بن الخطاب (رض): (كانت فلتة . . .) قولاً صادقاً لما قد وقع

وقد ذكر بعض المؤرخين، أن أصحاب الشورى الذين آلت إليهم الخلافة، استعملوا القوة أحياناً بإجبار المسلمين على البيعة . . . منهم (ابن قتيبة) في كتابه (الإمامة والسياسة) المعروف بتاريخ الخلفاء . . .

نقل من كتابه بعض ما كتبه عن ذلك . . . فقال:

(. . .) وأن أبا بكر (رض) تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال:

والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لاحرقنها علي من فيها، فقبل له:

يا أبا حفص، إن فيها فاطمة! فقال: وإن . . .

فخرجوا فبايعوا إلا علياً . . . فقال حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن . . .

ويقول:

ثم إن علياً كرم الله وجهه أتني أبا بكر إلى أبي بكر وهو يقول:

«أنا عبد الله وأخو رسوله» .

فقبل له بايع أبا بكر، فقال:

«أنا أحق بهذا الأمر منكم، ولا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم

هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ،

وتأخذونه منا أهل البيت غصباً؟

ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم

فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة . . .

وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به، وإلا فبؤوا بالظلم وأنتم تعلمون . . .» .

فقال له عمر: إنك لست متروكاً حتى تباع . . . فقال له علي:

«أحلب حلباً لك شطره، وأشدد له اليوم أمره يردد عليك غداً». ثم قال: «والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه» .

فقال له أبو بكر: فإن لم تباع فلا أكرهك . . .

وبعدها قال علي كرم الله وجهه:

«الله . . . الله . . . يا معشر المهاجرين، لنحن أحق الناس به، لأننا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسوله، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية . . . والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا على سبيل الله، فتزدادوا من الحق بُعداً . . .»

فقال بشير بن سعد الأنصاري:

لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان . . .

ثم يقول ابن قتيبة:

قال الأنصار بعدها لفاطمة:

يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به . . .

فيقول علي كرم الله وجهه:

«أفكنتُ أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه» .

فقالت فاطمة:

(ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم  
وطالبهم...) (١).

وهنا لا بأس من ذكر ما يتيسر لنا من أبيات قصيدة شاعر النيل حافظ  
إبراهيم:

وقوله لعلي قالها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها  
حرق دارك لا بقي عليك بها إن لم تباع وبنت المصطفى فيها  
ما كان غير أبي حفص بقائلها أمام فارس عدنان وحامياها  
... نعم كثير من الكتاب والمؤرخين ذكروا أن أصحاب الشورى استعملوا  
القوة أحياناً بإجبار المسلمين على البيعة...  
وهذا القول عندنا مردود أو ضعيف!!

لأن المسلمين لم يعتادوا على ذلك، ولم ينصاعوا لغير نبيهم ﷺ لأن أمره  
لهم بتنفيذ ما يأمرهم به هو أمرٌ من أوامر السماء الجليلة الواجبة التنفيذ..

كذلك أن أصحاب البيعة لم تكن لهم تلك القوة والسطوة بعد.. فلا جيش  
تحت إمرتهم ولا شرطة، حتى يستطيعوا استعمال القوة من خلالهما في بسط  
نفوذهم، كما لم يلتفت حولهم في بادئ الأمر من بايعهم، حتى يشكلوا منهم قوة  
يُحسب لها حساب. بل نستطيع القول أن مَنْ كان مع البيت الهاشمي هم أعظم  
قوة.. لكن الإمام لم يستعمل تلك القوة حفاظاً على وحدة الكلمة ووحدة  
المسلمين..

ونستطيع القول أن أصحاب الشورى كانت بيعتهم مفاجئة للمسلمين..  
فاستغلوا عنصر المفاجأة.. ثم سياسة الأمر والواقع.. وبعدها استخدموا عنصري  
الترغيب والترهيب مع المسلمين ليحصلوا على قدر يقارب الإجماع لبيعته!!

---

(١) (الإمام والسياسة) ج ١ ص ٢٩.. وذكر ذلك الإمام الطبري في (تاريخه) وابن عبد ربه المالكي في  
(حديث السقيفة) وأبو بكر بن عبد العزيز الجوهري في كتاب (السقيفة). والمسعودي في (مروح  
الذهب)... والشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) وغيرهم.



## تحول الخلفاء عن الشورى

على أن تلك التي سُميت (بالشورى) لم تصبح نهجاً لمبايعة الخلفاء من بعد أبي بكر (رض).. حيث تحول الخليفة الأول عنها إلى تعيين الخليفة الذي بعده... وكذلك فعل الذي بعده..!

وهذا مما يستدل على أن تلك الشورى هي غير شورى (كما يجب أن تكون مكتملة المفاهيم)، وإنما جاء وصفها بتلك التسمية حتى يضيفوا عليها الطابع التشريعي المبرر لانعقادها ونتائجها..

لذا انصرف الخليفة الأول (رض) عنها بتعيين الخليفة الثاني (رض) قبل وفاته!

وكان الخليفة الأول أول مَنْ هدم ذلك المبدأ الذي منه بدأ خلافته!

وهذا ما يجعلنا نستدل أيضاً، إنه كان غير مؤمن بالشورى، ولا مقتنع بها، ولا سند له في تقييمها... وإلا لِمَ لا يترك الخليفة الذي بعده أن يأتيها عن طريق الشورى التي برر بها خلافته!!

ولماذا أوصى واستخلف بعده ولم يترك المسلمين أن يختاروا خليفة لهم!! وبناء على تلك الوقائع، يمكننا القول أن أصحاب الشورى هم الذين اغتالوا الشورى ولم يسيروا على ما سار عليه قائدهم العظيم ﷺ في واحد من الاحتمالات الثلاثة التالية:

١- إن أمرَ ﷺ بالشورى.. فقد خالفوا الشورى في حالتين أولمرتين:

إحداهما: طريقة استعمالهم لحق الشورى كما قدمنا..

والثانية: إلغاء مبدأ الشورى بعد إقرارهم لها..

٢ - وإن لم تكن هناك شورى، فهناك وصية رسول الله باستخلاف خليفة له من بعده . . .

فإن كانت هناك وصية، فأصحاب الشورى لم يلتزموا بتلك الوصية أيضاً . . .

٣ - في حالة سكوته ﷺ وترك الاختيار للمسلمين ليختاروا لهم خليفة له . . . فيما إذا لم يتطرق للخلافة لا عن طريق الوصية . . . ولا بواسطة الشورى . . .

فإن سكت وجب على المسلمين الاقتداء به، لأن من واجب المسلم أن يقتدي بأقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وأعماله، وحتى سكوته . . .

وبما أنه سكت عن الخلافة (في هذا الاحتمال) ولم يشر لها بأية إشارة . . . فكان على من يخلفه أن يقتدي بسكوته، ولا يوصي لمن يخلفه مطلقاً . . .

وبما أننا بصدد هذا الاحتمال (السكوت)، نذكر أن بعض رواة الحديث ذكروا: أن نبي الرحمة ﷺ ترك المسلمين دون أن يوصيهم أية وصية تتعلق بمن سيخلفه ليكون إماماً للمسلمين بعده . . . ولم يذكر النبي ﷺ الطريقة التي يصل بها خليفته إلى الخلافة . . .

وهذا القول مردود بجافي الوقائع التي وقعت في حياة رسول الله ﷺ الذي كان حريضاً أن يخلف أحدهم في مدينته الصغيرة عندما يشد رحاله عنها لأي سبب كان (وقد مر ذكر هذا في المواضيع السابقة) . . .

ونكرر ما ذكرناه أن النبي ﷺ وهو على فراش مرض الموت كان يتابع حملة جيش أسامة الذي أمر بتجهيزه وعين أسامة له قائداً . . . ونكرر تساؤلاتنا ونتسائل مرة أخرى:

هل من الممكن أن يقف ذلك العظيم رسول الإنسانية والسياسي القدير، موقفاً سلبياً من حال المسلمين بعده!!

وهل يا ترى كان اهتمام الرسول ﷺ بأمور المسلمين تدرج في حياته فقط، ولا تهمة أمورهم بعدها!!

وهل الخلافة بعده لا تستحق اهتماماته بعد أن اهتم بما يهم المسلمين صغيرة وكبيرة!!

علماً أن الخلافة من الأمور التي تعتبر غاية في الأهمية . . فالخليفة بعد الرسول ﷺ يستطيع أن يستمر بحمل الراية التي حملها النبي ﷺ في حياته الكريمة، لتنتشر مبادئ الإسلام . . .

أو من الممكن أن يتولى أمور المسلمين غير ذلك، ويهدم بقصد أو بدون قصد ما بناه ذلك الرجل العظيم (رض)!!

وحاشا (كما ذكرنا) لذلك القائد المحنك أن يترك أمته دون أن يرسم لها طريق من سيخلفه . . ومن الذي سيخلفه . .

كما لا يمكن أن يكون الخليفتان أبو بكر وعمر (رض) أكثر منه دراية في ذلك وأكثر منه حرصاً حتى يقوم كل واحد منهما بتسمية مَنْ سيخلفه!!

لذا نستطيع أن نذكر وبكل ثقة استناداً لما مرّ من وقائع:

إن رسول الله ﷺ قد أوصى لمن يخلف . . وذكر اسم مَنْ يريد أن يخلفه، وأوصى به، وأوصى له . .

ولم يكن أحد في حياة النبي ﷺ كان يذكره ويقربه ويعلمه ويهيئه سوى ذلك الرجل الذي قال له:

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى . . .» .

والذي قال للمسلمين عنه:

«من كنت مولاه فعلي مولاه . . .» .

وأعظم من قول رسول الله ﷺ قول خالقه العظيم في كتابه الكريم:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

رَاكِعُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥].

الإمام علي (ع) كان دون شك أولى وأحق بأمر الوصية والخلافة من غيره . .

إن لم يكن بسبب الوصية والنص كما قدمنا في بداية الفصل الخامس . .

فهو أولى بها على وجه الأفضلية والمكانة والخصائص، وما عليه من علم

وفقه وتقوى، ولا يمكن مقارنة خصال أحد من المسلمين بخصاله المشهودة

والمشهوره والمتفق عليها بين سائر المؤرخين وكتاب السير . . بل وقالها رسول الله ﷺ له :

« . . أنت وزيري وخير من أترك بعدي . . » .

وصف الدكتور طه حسين الإمام علي ، فقال :

(إنه أجدر الناس بأن يملأ قلوب المسلمين طمأنينة وضماثرهم رضى ونفوسهم أملاً . فهو ابن عم النبي وأسبق الناس إلى الإسلام بعد خديجة ، وأول من صلى مع النبي من الرجال ، وهو ربيب النبي قبل أن يُظهر دعوته ويصدع بأمر الله . .

وقام النبي على تنشئته وتربيته . .

فلما آثره الله بالنبوة كان علي في كنفه لم يجاوز العاشرة من عمره إلا قليلاً .  
فستطيع أن نقول إنه نشأ مع الإسلام .

وكان النبي يحبه أشد الحب ويؤثره أعظم الإيثار .

استخلفه حين هاجر على ما كان عنده من ودائع حتى ردها إلى أصحابها .

وأمره فنام في مضجعه ليلة اثمرت قريش بقتله ، ثم هاجر حتى لحق بالنبي في المدينة . فأخى النبي بينه وبين نفسه ثم زوجه ابنته فاطمة .

ثم شهد مع النبي مشاهدته كلها . . وكان صاحب رايته في أيام البأس . وقال النبي يوم خيبر :

«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» . فلما

أصبح دفع الراية إلى علي .

وقال النبي له حين استخلفه على المدينة يوم سار إلى غزوة تبوك :

- «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . .» .

وقال للمسلمين في طريقه إلى حجة الوداع :

«مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِي مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادَ مَنْ عَادَاهُ» .

وكان عمر رحمه الله يعرف لعلي علمه وفقهه ويقول :

إن علياً أقضانا.. وكان يفرع إليه في كل ما يعرض له من مشكلات الحكم..<sup>(١)</sup>.

كما ذكر د. طه حسين في موضع آخر:

(... فهم (آل البيت) إذاً أولى الناس بالنبي، وأحقهم بالأمر بعده...)<sup>(٢)</sup>

...

نعم إن آل البيت وفي مقدمتهم الإمام علي كانوا أحقهم بالخلافة والولاية من كل الصحابة.. بل ومن كل المسلمين..

ذلك إن الإمام كان المرجع الوحيد لهم، ولمن تولى الخلافة قبله بعد رحيل ذلك القائد العظيم ﷺ، لحل كافة المشاكل المستعصية على كل المسلمين عامة، وعلى الخلفاء خاصة..

ولم يرجع الإمام إلى غيره من الصحابة في أي مشكل طوال حياته بعد حياة النبي ﷺ بل إن الخلفاء الذين سبقوه بالخلافة كانوا يحفظون له مرجعيته الفكرية، وموقعه المتميز في الفقه والعلم والدين، وأخص منهم الخليفة عمر بن الخطاب (رض)..

نعم كان الإمام مرجعاً لما كان يعترض الخلفاء من إشكالات إدارية أو علمية أو فقهية وقضائية بسبب ما كان عليه من علم وفقه..

وقد أخرج في ذلك أبو نعيم في (حليته) عن ابن مسعود، فقال:

(إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرفٌ إلا وله ظهرٌ وبطن، وإنَّ علياً بن أبي طالب عنده الظاهر والباطن..)<sup>(٣)</sup>.

إضافة لما تقدم كان رسول الله ﷺ الذي ربي الإمام وعلمه، كان يعدّه إعداداً فكرياً وعلمياً، ويهيئه لتولي مكانته من بعده وإسناد زعامة الأمة الإسلامية له..

(١) (الفتنة الكبرى) ج ٢ ص ١٥.

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٦٩.

(٣) (الاتقان) للسيوطي ج ٤ ص ٢٣٣.



(لقد تولى رسول الله ﷺ بنفسه، وبأمر إلهي مهمة الإعداد الفكري والعلمي لعلّي، وتزويده دون سواه بالمعرفة القرآنية الشاملة، وبأصول العلوم وينابيعها، وبالحكمة وآدابها، وبتفاهم أحكام الشريعة حلالها وحرامها)<sup>(١)</sup> . . .  
كما أن النبي ﷺ كان يعد الأمة الإسلامية إعداداً فكرياً لترسيخ ولاية علي بن أبي طالب من بعده ليتولى قيادة المسلمين، إلى جانب إعداده لها كما ذكرنا . . .

وشواهدنا على ذلك كثيرة قدمنا لها فيما سبق من مواضع . . منها:  
حديث الدار . . حديث المنزلة . . حديث الثقلين . . حديث الطير . . رد الودائع في مكة، أدائه عن النبي سورة براءة . . ثم أهمها وأوضحها، حديث الغدير . . وغيرها . . بل وقول الرسول ﷺ له:  
«إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفة . .»<sup>(٢)</sup> .

وصفوة القول كان الإمام علي في مقدمة مَنْ كان مؤهلاً للخلافة والولاية، وبالتالي فهو أحقهم لها من كل الصحابة ومن كافة المسلمين . .  
لكنه سكت عن ذلك الحق!! . . سكت لأسباب سنوجز بحثها في الموضوع التالي . .

(١) د. عبد الجبار شرارة في (ملحق الأعداد التربوي والفكري لولاية علي).

(٢) راجع أقوال عبد الله بن عباس عن الإمام في الفصل السابع وسند هذا الحديث الشريف.



## سر سكوت الإمام عن حقه...!!

نعم وكما قدمنا كان للإمام حق في الخلافة، أعد ذلك الحق له النبي ﷺ طوال الدعوة الإسلامية.

لكن الإمام سكت عن ذلك الحق لأسباب دعت به إلى ذلك السكوت مضطراً إليه... وسنوجز تلك الأسباب التي حصرناها بخمسة أسباب رئيسة، ولا تأتي على أسباب فرعية أو ثانوية أدت إلى سكوته..

### ١ - لتبقى راية الإسلام مرفوعة

مر أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه علي بن أبي طالب، فوقف وأنشد:  
بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدي  
فما الأمر إلا فيكم وإليكم وليس لها إلا أبو حسن علي  
أبا حسنٍ فاشدذ بها كف حازم فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي  
وأى امرئ يرمي قصياً ورأيها منيع الحمى والناس من غالب قصي  
فقال علي لأبي سفيان:

«إنك تريد أمراً لسنا من أصحابه، وقد عهد إلي رسول الله ﷺ عهداً فأنا عليه»..

وكان الإمام قبل ذلك أبى مبايعة عمه له مخافة الفتنة..  
فتركه أبو سفيان وعدل إلى العباس بن عبد المطلب في منزله، فقال: يا أبا الفضل، أنت أحق بميراث ابن أخيك..  
فضحك العباس، وقال:

يا أبا سفيان . . يدفعها علي ويطلبها العباس!

فرجع أبو سفيان خائباً<sup>(١)</sup> . . وقد عرجنا على هذا فيما مر ذكره .

وذكر الدكتور طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى) فقال :

(وكان أبو سفيان يريد مبايعة علي لا حباً له ولا رضى به ولا اعترافاً بمكانته الخاصة من النبي ﷺ ، بل عصبية لبني عبد مناف ، وهو الذي لم يسلم إلا كارهاً حين رأى جيوش المسلمين مطبقة على مكة فأدخله العباس على النبي فأسلم كرهاً لا طوعاً . لم يتردد في الاعتراف بأن لا إله إلا الله ، لأنه لم ير بهذا الاعتراف بأساً . ولكنه حين طُلب إليه أن يشهد أن محمداً رسول الله ، قال :

أما هذه فإن في نفسي منها شيئاً . ولولا حث العباس له وتخويله القتل لما اعترف بهذه الشهادة التي كان في نفسه منها شيء . . .

فهو إذاً أحد هؤلاء (الطلقاء) الذين عفا النبي عنهم حين دخل مكة فاتحاً منتصراً . . .

رأى النبي من بني أبيه عبد مناف ، ورأى علياً أحق الناس بوراثته سلطانه ، ورأى الخلافة تساق إلى رجل من بني تيم هو أبو بكر ، وقدّر إنها ستساق بعد أبي بكر إلى رجل من بني عدي هو عمر .

فآثر بني أبيه الأذنين على بني عمه ، وقال لعلي :

ابسط يدك أبايعك . . ولكن علياً أباي أن يستجيب له ، كما أباي أن يستجيب لعمه العباس .

ولو كان استجاب لهذين الشيخين ، لأثار بين المسلمين فتنة لم يكونوا في حاجة إليها ، ولعلمهم لم يكونوا قادرين على احتمالها فضلاً عن مقاومتها والخروج منها ظافرين . . .

فقد علمت ما كان من خلاف الأنصار في أمر البيعة حين قبض النبي ، فكيف لو اختلفت قريش نفسها ، وقد علمت ما كان من ارتداد العرب في أول خلافة أبي بكر ، فكيف لو اختلف الذين وفوا للإسلام من قريش والأنصار . . .

(١) (حجج النهج) الدكتور سعيد السامرائي ص ١٥١ .

كان علي موقفاً إذاً كل التوفيق ناصحاً لله وللإسلام كل النصح حين امتنع على هذين الشيخين، فلم ينصب نفسه للخلافة ولم ينازعها أبا بكر، وإنما بايعه كما بايعه الناس وصبر نفسه على ما كانت تكره، وطابت نفسه للمسلمين بما كان يراه حقاً. (١).

هذا ما ذكره د. طه حسين. ثم يواصل عرضه لمواقف الإمام علي من الخلافة، فيقول:

(.. وقد بايع علي ثاني الخلفاء كما بايع أولهم كراهية الفتنة، وإيثاراً للعافية، ونصحاً للمسلمين. ولم يُظهر مطالبة بما كان يراه حقاً له، بل لم يُجمع به، وإنما صبر نفسه على مكروهاها ونصح لعمر كما نصح لأبي بكر..

وقد بايع علي عثمان كما بايع الشيخين وهو يرى أنه مغلوب على حقه، ولكنه على ذلك لم يتردد في البيعة ولم يقصّر في النصح للخليفة الثالث، كما لم يقصّر في النصح للشيخين من قبله... (٢).

أرسل الإمام علي كتاباً إلى أهل مصر مع مالك الاشر لما ولاه إمارتها، قال فيه:

«أما بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَمُهَيْمِنًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ (٣)، فلما مَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ. فوالله ما كَانَ يَلْقَى فِي رَوْعِي، وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ﷺ عَنِ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنْحَوُّهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ (٤).  
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْتِيَالُ النَّاسِ (٥) عَلَى فَلَانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَخْقِ دِينِ

(١) (الفتنة الكبرى) ج ٢ ص ١٧.

(٢) المصدر السابق ص ١٩.

(٣) المهيمن: الشاهد، والنبى شاهد برسالة المسلمين.

(٤) أي ما كان يقذف في قلبي هذا الخاطر وهو أن العرب تزعج أي تنقل هذا الأمر أي الخلافة عن آل البيت عموماً، ولا أنهم ينحونه، أي يبعدونه عني خصوصاً.

(٥) راعني: أفرعني. وانتيال الناس: انصباهم.

مُحَمَّدٌ <sup>(١)</sup>، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلَمًا  
أَوْ هَذَا تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ قُوَّةِ وَلَايَتِكُمْ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ  
مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلِيلٍ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَّقَشَعُ  
السَّحَابُ» <sup>(٢)</sup>.

ومن خطبة للإمام علي (ع) منها <sup>(٣)</sup>:

«... قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحْرِيصٌ،  
فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لِأَخْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخْصُ وَأَقْرَبُ.

وإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ.

فلما قرعته بالحُجَّةِ فِي الْمِلَّةِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ..

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي،  
وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنَزَلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَيَّ مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي، ثُمَّ قَالُوا  
إِلَّا أَنْ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرَكَهُ..» <sup>(٤)</sup>.

وقال (ع):

«... لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ مِنْ غَيْرِي، وَوَاللَّهِ لِأَسْلَمَنْ مَا سَلِمَتْ  
أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ..» <sup>(٥)</sup>.

سأل الإمام أحد أصحابه <sup>(٦)</sup>:

(١) كفتها عن العمل وتركت الناس وشأنهم حتى رأيت الراجعين من الناس قد رجعوا عن دين محمد  
بارتكابهم خلاف ما أمر الله وإهمالهم حدوده وعدولهم عن شريعته. ومحق الدين: محوه وإزالته.

(٢) نهج البلاغة) شرح محمد عبده ج ٣ ص ١١٨.

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٨٤.

(٤) أي إنهم اعترفوا بفضله وإنه أجدرهم بالقيام به، ففي الحق أن يأخذه ثم لما اختاروا المقدم في  
الشورى غيره عقدوا له الأمر، وقالوا للإمام في الحق أن تتركه، فتناقض حكمهم بالحقية في  
القضيتين، ولا يكون الحق في الأخذ إلا لمن توفرت فيه شروطه.

(٥) لاحظ بداية هذا الفصل.

(٦) نهج البلاغة ج ٢ ص ٦٣.

كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحق به!!

أجابه الإمام قائلاً:

«يا أبا بني أسد إنك لقلق الوضين<sup>(١)</sup> ترسل<sup>(٢)</sup> في غير سد<sup>(٣)</sup>، ولك بعد ذممة<sup>(٤)</sup> الصهر<sup>(٥)</sup> وحق المسألة، وقد استغلّمت فأعلم. أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأغلوان نسباً، والأشدون برسول الله ﷺ نوطاً<sup>(٦)</sup>، فإنها كانت أثره<sup>(٧)</sup> شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين...».

وقال الإمام علي (ع):

«أنا من رسول الله ﷺ كالمضد من المنكب، وكالذراع من العضد،  
وكالكف من الذراع، رباني صغيراً، وآخاني كبيراً.

ولقد علمتم أنني كان لي منه مجلس سِر لا يطلع عليه غيري، وإنه أوصى إليّ دون أصحابه وأهل بيته...».

وذكر أبو الحسن علي بن محمد الدائني عن عبد الله بن جناده، قال:

قدمت من الحجاز أريد العراق في أول إمارة علي بن أبي طالب، فمررت بمكة، فاعتمرت، ثم قدمت المدينة، فدخلت مسجد رسول الله ﷺ إذ نودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وخرج علي (ع) متقلداً سيفه، فشخصت

(١) الوضين: بطن يشد به الرجل على البعير كالحزام للسرّج، فإذا قلق واضطرب اضطرب الرجل فكثير تملل الجمل وقلّ ثباته في سيره.

(٢) الإرسال: الإطلاق والأهمال.

(٣) السد: الاستقامة، أي تطلق لسانك بالكلام في غير موضعه كحركة الجمل المضطرب في مشيته.

(٤) الذمّة: الحماية والكفاية.

(٥) الصهر: الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب الزوج. وإنما كان للأسدي حماية الصهر، لأن زينب بنت جحش زوجة رسول الله ﷺ كانت أسديه.

(٦) النوط: التعلق.

(٧) الأثر: الاختصاص بالشيء دون مستحقه.

الأبصار نحوه، فحمد الله وصلى على رسوله ﷺ ثم قال:

«أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه ﷺ، قلنا: نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع إذ اتبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا، فصارت الإمرة لغيرنا. . ثم يقول (ع):

وأيُّ الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وإن يعود الكفر، ويبور الدين لكنا على غير ما كنا لهم عليه»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام علي (ع) لما أراد المسير إلى البصرة:

«... إن الله لما قبض نبيه، استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحقُّ به من الناس كافة، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمايهم والناس حديثو عهد بالإسلام»<sup>(٢)</sup>.

وروى الزبير بن بكار، قال:

روى محمد بن إسحاق، أن أبا بكر لما بُويع افتخرت تيم بن مرة، قال: وكان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ، فقال الفضل بن العباس:

يا معشر قريش، وخصوصاً يا بني تيم، إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة، ونحن أهلها دونكم، ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا، حسداً منهم لنا، وحقداً علينا، وإنا لنعلم أن عند صاحبنا (الإمام علي) عهداً هو ينتهي إليه.

وقال بعض ولد أبي لهب بن عبد المطب بن هاشم شعراً:

(١) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي ص ٣٢٥.

(٢) نفس المصدر ص ٣٢٦.

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الأمرَ منصرفُ  
أليس أولُ مَنْ صلى لقبلكم  
وأقربُ الناسِ عهداً بالنبي ومَنْ  
ما فيه ما فيهم لا يمترونَ به  
ماذا الذي ردهم عنه فنعلمه  
عن هاشمٍ ثم منها عن أبي حسنٍ  
وأعلمُ الناسَ بالقرآنِ والسننِ  
جبريلُ عونٌ له في الغسلِ والكفنِ  
وليس في القومِ ما فيه من الحسنِ  
ها إن ذا غبناً من أعظمِ الغبنِ

قال الزبير: فبعث إليه الإمام علي فنهاه، وأمره أن لا يعود..

وقال (ع): «سلامة الدين أحب إلينا من غيره»<sup>(١)</sup>.

ذكر أبو بكر أحمد بن عبد العزيز، عن أبو زيد عمر بن شبه بإسناد رفعه إلى  
عبد الله بن عباس، قال:

إني لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة، يده في يدي.. فقال:

يا ابن عباس، ما أظن صاحبك إلا مظلوماً.. فقلت في نفسي، والله لا  
يسبقني بها فقلت:

يا أمير المؤمنين، فاردُّ إليه ظلامته.. فانتزع يده من يدي، ثم مرَّ بهمهم  
ساعة ثم وقف، فلحقته، فقال لي:

يا ابن عباس، ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه.. فقلت  
في نفسي هذه شر من الأولى.. فقلت:

والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر!<sup>(٢)</sup>

.. بعد أن استعرضنا وبإيجاز ما كان يكرره الإمام علي في مواضع مختلفة،  
معللاً لما صبر عليه، ومسبباً لسكوته عن حقه..

نجد أن من أول الأسباب وأهمها، حرصه على سلامة الدين، والحفاظ على  
مبادئ الإسلام وتوحيد كلمة المسلمين ودفع الفرقة عنهم.. والابتعاد عن  
الأسباب التي تؤدي إلى سفك دمائهم، وبالتالي يعود الكفر ويور الدين، ويهجر  
الناس الرسالة المحمدية، لاسيما وإنهم حديثو العهد بالإسلام..

(١) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي ص ١٥٣.

(٢) نفس المصدر ص ١٦١.



سألت السيدة فاطمة الزهراء زوجها الإمام علياً . عن أسباب عدم مطالبته  
لحقه في الخلافة . . . وبينما كانت كذلك ، إذ قام المؤذن بالأذان مردداً . . أشهد أن  
لا إله إلا الله . . أشهد أن محمداً رسول الله . .

أجابها الإمام قائلاً :

«سكت عن المطالبة ، حتى يبقى هذا النداء قائماً ، وراية الإسلام  
مرفوعة .»

والحق يقال ، لو أن الإمام أراد أن يُطالب بما له من حق أخذ منه ، ذلك يعني  
الثورة والعصيان على الخليفة الأول . . ولكل ثورة ثوار ، ينشقون عمن ثاروا عليه  
وبالتالي ينقسم المجتمع الإسلامي إلى صفيين ، إن لم ينقسم إلى صفوف وشيع  
وأحزاب ، وبالتالي ترجع راجعة الناس عن الدين إلى ما كانوا عليه من المجتمعات  
القبلية . .

وبعدها يكون الإسلام ومبادئه ضحية تلك الثورة التي فطن الإمام إلى نتائجها  
إن حدثت !!

فسكت ذلك الرجل المؤمن على تلك المبادئ . . وتحمل ما كان يعتقد  
جوراً عليه ليحفظ للدين سلامته ، ويرد أعداء الدين الذين كانوا يتربصون به من كل  
جانب ، كمسيلمة الكذاب . . وسجاح بنت الحرث الدجالة . . وطليحة بن خويد  
الأفاك . وليفوت عليهم فرصة الاستفادة من شق صفوف المسلمين ، والنفاذ إليهم  
من خلال الانقسامات التي كانت ستحصل نتيجة لمطالبة الإمام علي عن موقعه في  
الخلافة . .

إلا أنه تحمل الضير وقبلة لنفسه ، فكان ذلك الموقف الذي وقفه الإمام من  
أزمة الخلافة ، موقفاً صائباً وحكيماً يدل على حكمته وعبقريته الفذة ، ومواقفه  
المشهورة له من أجل مبادئ دين الله التي عاش لها ، واستشهد من أجلها . .

إلا أن علياً (ع) بقي في بيته ستة أشهر دون أن يبائع الخليفة الأول ، احتفاظاً  
منه لحقه الذي كان يرى أنه أزيح عنه . . وإنه مغلوب على حقه . . وكذلك  
احتجاجاً منه على مَنْ كان سبباً لذلك الغبن الذي وقع عليه . .

ذكر العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين :

( . . إنه «الإمام» قعد في بيته ولم يبايع احتفاظاً بحقه، واحتجاجاً على مَنْ عدل عنه ولو أسرع إلى البيعة ما تمت له حجة ولا سبط له برهان، لكنه جمع فيما فعل بين حفظ الدين، والاحتفاظ بحقه من إمرة المؤمنين . . .  
فدلّ هذا على أصالة رأيه ورجاحة حلمه، وسعة صدره، وإثاره المصلحة العامة<sup>(١)</sup> .

لذا كان موقف الإمام جامعاً بين حرصه على سلامة الإسلام، والحفاظ على كلمة التوحيد وبين الاحتفاظ بحقه في خلافة رسول الله ﷺ . . .  
وبذلك الموقف يعتبر سكوته عن المطالبة بحقه، سكوتاً إيجابياً . . . طالب بحقه، واحتج، وثار، واستصرخ من خلال ذلك السكوت الذي به حفظ للإسلام رأيه . . . وللمسلمين وحدثهم . . . وكان يكرر قوله :  
« لا يعاب المرء بتأخير حقه . . . إنما يعاب مَنْ أخذ ما ليس له . . . » .

## ٢ - زهده بالخلافة بسبب زهده في دنياه :

ذلك أن الإمام لم يكن طامعاً في الخلافة، لأنه كان زاهداً بكل ما يتعلق بأمور الدنيا، ومنها الخلافة لأنها من تلك الأمور . . .  
بل كان يجهز نفسه فيها لآخرته . . . وهو الذي يعتبر الدنيا جسراً يمر به الإنسان حتى يصل إلى عالم البقاء والديمومة . . .  
وقد قال له . . . الرسول الكريم ﷺ عبارة المشهورة، والتي أتينا على ذكرها وهي :

«يا علي إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها، هي زينة الأبرار عند الله : الزهد في الدنيا . . . فجعلك لا ترزأ من الدنيا، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً» .

وعلي (ع) نفسه كان دائم الظم لها . . . بل كاد يكون أقسام عليها، وأكثر الرجال ذماً لها . . . حتى وصفها بقوله :

(١) (المراجعات) ص ٣٣٠ .

« مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوْلَاهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ . . . »

مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ<sup>(١)</sup>،  
وَمَنْ قَعَدَ عَنِهَا وَاتَتْهُ<sup>(٢)</sup>، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ<sup>(٣)</sup>، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا  
أَعْمَتَهُ<sup>(٤)</sup> .

يقول المرحوم الشيخ محمد عبده:

. . . وإذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام: «مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ» وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا تبلغ غايته، ولا يدرك غوره ولا سيما إذا قرن إليه قوله: «وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ» فإنه يجد الفرق بين (أَبْصَرَ بِهَا) و(أَبْصَرَ إِلَيْهَا) واضحاً نيراً وعجيباً باهراً<sup>(٥)</sup> . . .

. . كما أن الإمام (ع) أوصى بالرفض لهذه الدنيا، حيث قال:

«عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا  
وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا . . . »

فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرٍ سَلَكَوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ<sup>(٦)</sup>، وَأَمْوَا<sup>(٧)</sup>

(١) من جرى معها في مطالبها، والقصد اهتم بها وجدَّ في طلبها، وقوله فاتته: أي سبقته. فإنه كلما نال شيئاً فتحت له أبواب الآمال فيها، فلا يكاد يقضي مطلوباً واحداً حتى يهتف به ألف مطلوب.

(٢) يريد بذلك: أن من قوم اللذائذ الفانية بقيمتها الحقيقية وعلم أن الوصول إليها إنما يكون بالعناء وفواتها يعقب الحسرة عليها، والتمتع بها لا يكاد يخلو من شوب الألم، فقد وافقته هذه الحياة وأراحته فإنه لا يأسف على فائت منها ولا يبظر لحاضر ولا يعاني ألم الانتظام لمقبل.

(٣) أي جعلها مرآة عبرة تجلو لقلبه آثار الجد في عظام الأعمال وتمثل له هياكل المجد الباقية مما رفعته أيدي الكاملين وتكشف له عواقب أهل الجهالة من المترفين، فقد صارت الدنيا له بصرأ وحوادثها عبراً.

(٤) أعمته عن كل خير فيها ويلهو عن الباقيات بالزائلات.

(٥) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده. ج ١ ص ١٣٠.

(٦) أي إنكم في مسافة العمر كالمسافرين في مسافة الطريق فلا يلبثون أن يأتوا على نهايتها لأنها محدودة.

(٧) قصدوا.

عَلَمًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ . وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا  
حَتَّى يَبْلُغَهَا<sup>(١)</sup> . وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءَ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ ، وَطَالِبٌ  
حَيْثُ يَعْدُوهُ<sup>(٢)</sup> فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا . فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا  
وَفَخْرَهَا ، وَلَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا ، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا  
وَبُؤْسِهَا . .

فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ . وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ  
وَضَرَاءِهَا وَبُؤْسِهَا إِلَى نَفَادٍ<sup>(٣)</sup> ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ ، وَكُلُّ حَيٍّ  
فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ . .

أَوْلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوْلِينَ مُزْدَجَرٌ<sup>(٤)</sup> . . وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ  
وَمُعْتَبَرٌ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ .

أَوْلَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ . وَإِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِينَ لَا  
يَبْقُونَ . أَوْلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى ،  
فَمَيِّتٌ يُكَيِّ وَآخِرٌ يُعَزِّي وَصَرِيحٌ مُبْتَلَى . وَعَائِدٌ يَعُودُ وَآخِرٌ بِنَفْسِهِ  
يَجُودُ<sup>(٥)</sup> .

وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنَّهُ . وَعَلَى أَثَرِ  
الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي .

أَلَا فَادْكُرُوا هَازِمَ اللَّذَاتِ ، وَمُنْعَصَ الشَّهَوَاتِ ، وَقَاطِعَ الْأَمْنِيَاتِ . . . « .

. . وَلِنَنْظُرِ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ خِلَالِ مَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، وَهُوَ يَقُولُ :

(١) الذي يجري فرسه إلى غاية معلومة ، أي مقدار من الجري يلزمه حتى يصل لغايته .

(٢) يتبعه ويسوقه .

(٣) فناء .

(٤) الارتداع .

(٥) قارب أن يقضي نجهه ويسلمها إلى خالقها .

(انظروا إلى الدنيا نَظَرَ الزاهدين فيها، الصَّادِقِينَ<sup>(١)</sup> عنها، فإنها والله  
عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّائِبِي<sup>(٢)</sup> السَّاكِنِ، وَتَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الْآمِنِ.

لا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَادْبَرَ، وَلَا يُدْرِي مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُتَنَظَّرُ.  
سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ. وَجَلَدُ الرَّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ فَلَا  
يُغْرِنُكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقَلَّةِ مَا يَصْحُبُكُمْ مِنْهَا.  
رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ. وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ.

فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ  
الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزُلْ<sup>(٣)</sup>.

وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقِّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ. . . .

. . . أما عن غدر الدنيا وبلائها، قال الإمام علي (ع):

«دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا تَسْلِمُ  
نُزَالُهَا، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ.

العِيشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ فِيهَا مَعْدُومٌ. وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ  
مُسْتَهْدِفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وَتَغْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا<sup>(٤)</sup>.

واعلموا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ  
مَضَى قَبْلَكُمْ مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا، وَأَعَمَرَ دِيَارًا وَأَبْعَدَ آثَارًا.  
أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَاخُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بِالِيَّةَ،  
وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً.

(١) المعرضين.

(٢) المقيم.

(٣) فإن الذي هو موجود في الدنيا بعد قليل كأنه لم يكن، وإن الذي هو كائن في الآخرة بعد قليل كأنه  
كان لم يزل، فكأنه وهو في الدنيا من سكان الآخرة.

(٤) الموت.

فاسْتَبَدَّلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشِيدَةِ وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ<sup>(١)</sup> الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ  
المُسْنَدَةَ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ<sup>(٢)</sup> الْمُلْحَدَةَ<sup>(٣)</sup> الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخِرَابِ  
فِتَاؤُهَا<sup>(٤)</sup>، وَشَيْدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا<sup>(٥)</sup>.

وللإمام تشبيه رائع للدنيا من خلال ما كتبه إلى الصحابي الجليل سلمان  
الفارسي (رض) قبل خلافته:

«أما بَعْدُ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سُمُّهَا، فَأَعْرِضْ  
عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنْتَ  
مِنْ فِرَاقِهَا. . .»<sup>(٦)</sup>.

وقال عن الدنيا كذلك:

«الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها»<sup>(٧)</sup>.

«أما بعد فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ وَهُوَ صَائِرٌ  
إِلَى أَهْلِ بَعْدِكَ. . .».

ومن روائع أقواله في وصف الدنيا ومتاعها:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِىءٌ فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ<sup>(٨)</sup>. قُلْعَتُهَا<sup>(٩)</sup>  
أَحْظَى مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا، وَيُلْعَتُهَا أَزْكَى مِنْ ثَرَوَتِهَا.

(١) النمارق: جمع نمرقة، وتطلق على الوسادة الصغيرة وعلى الطفنسة أي البساط. والممهدة:  
المفروشة.

(٢) اللاطئة: اللاصقة.

(٣) من اللحد: القبر.

(٤) ساحتها وما اتسع أمامها. وبناء الفناء بالخراب لما يتخيله الفكر في ديار الموتى من الفناء الدائم إلى  
نهاية العالم.

(٥) نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٢٠.

(٦) لقد مر ذكر هذا القول في ما سبق هذا الموضوع.

(٧) خلقت الدنيا سبيلاً للآخرة، ولو خلقت لنفسها لكانت دار خلد.

(٨) الحطام: ما تكسر من يبيس النبات. موبىء: أي ذو وباء مهلك. مرعاه: محل رعيه والتناول منه.

(٩) القلعة: عدم سكونك للتوطن.

حُكِمَ عَلَى مُكْثِرِ بِهَا بِالْفَاقَةِ<sup>(١)</sup>، وَأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَةِ<sup>(٢)</sup>. وَمَنْ رَاقَهُ زَبْرُجُهَا أَعْقَبَتْ نَاطِرِيهِ كَمَهَا<sup>(٣)</sup>. وَمَنْ اسْتَشَعَرَ الشَّغْفَ<sup>(٤)</sup> بِهَا مَلَأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَانًا<sup>(٥)</sup> لَهْرًا رَقَصَ عَلَى سَوِيدَاءِ قَلْبِهِ<sup>(٦)</sup> هَمٌّ يَشْغَلُهُ وَهَمٌّ يَحْزُنُهُ، كَذَلِكَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ فَيُلْقَى بِالْقَضَاءِ<sup>(٧)</sup>.

ويُبدى نصحه للمسلمين، فيحثهم على الانصراف بقلوبهم عن الدنيا، براءة أخرى من روائع كلمه، فيقول:

«... أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنُّونَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحْتُمْ تُغَضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَلَا مَنْزِلُكُمْ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ.

أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا. وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَدَّرَتْكُمْ شَرَّهَا. فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحذِيرِهَا، وَإِطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا. وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَانصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا.

وَلَا يَخْنَنُ أَحَدُكُمْ خَنِينَ<sup>(٨)</sup> الْأُمَّةِ عَلَى مَا زُوي<sup>(٩)</sup> عَنْهُ مِنْهَا. وَاسْتَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى مَا أَسْتَحْفَظْكُمْ مِنْ كِتَابِهِ.

(١) البُلغة: مقدار ما يتبلغ به من القوت. المكثر بالدنيا حكم الله عليه بالفقر، لأنه كلما أكثر زاد طمعه فهو في فقر دائم.

(٢) استغنى.

(٣) العمى.

(٤) الولوع وشدة التعلق.

(٥) أحزاناً.

(٦) أي الأحزان تلعب بقلبه.

(٧) أي حتى يخنقه الموت فيطرح بالقضاء.

(٨) الخنين: ضرب من البكاء يردد به الصوت بالأنف.

(٩) ما قبض.

أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةً  
دِينَكُمْ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافِظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ  
أَمْرِ دُنْيَاكُمْ . . . .»<sup>(١)</sup> .

والدنيا عند الإمام دار مجاز، أي ممر للآخرة، ويقول:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ  
لِمَقَرِّكُمْ . وَلَا تَهْتِكُوا أَسْرَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ . وَأَخْرَجُوا مِنَ  
الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ . فَفِيهَا أُخْبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا  
خُلِقْتُمْ .

إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ .

لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدَّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ قَرْضًا، وَلَا تُخَلَّفُوا كُلًّا فَيَكُونَ  
عَلَيْكُمْ»<sup>(٢)</sup> .

وقال الإمام كذلك عن الدنيا:

«إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَدَوَانِ مُتَقَاوَتَانِ وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا  
وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَادَاهَا .

وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا، كُلَّمَا قَرَّبَ مِنْ وَاحِدٍ  
بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ» .

وقال في بعض الوصف فيها:

« . . . تَغَرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَها ثَوَابًا لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَا عِقَابًا  
لِأَعْدَائِهِ . وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَّكِبٍ بَيْنَهُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ  
فَارْتَحَلُّوا»<sup>(٣)</sup> .

(١) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج ٢ ص ٨٧ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٣ .

(٣) أي بينما هم قد حلوا يفاجتهم صائح الأجل، وهو سائقهم بالرحيل فارتحلوا .



ومن خطبة للإمام (ع) عن الدنيا:

«أيها الناس إنما أنتم في هذ الدنيا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ<sup>(١)</sup> فِيهِ الْمَنَائِيا، مع كُلِّ جَزَعَةٍ شَرَقَ، وفي كُلِّ أَكَلَةٍ غَصَصَ.

لا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرى، ولا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، ولا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةً فِي أَكَلِهِ إِلَّا بِتَفَادٍ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ.

ولا يُخَيِّى لَهُ أَثْرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثْرٌ. ولا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ<sup>(٢)</sup> لَهُ جَدِيدٌ. ولا تُقَوْمُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَخْصُودَةٌ.

وَقَدْ مَضَّتْ أَصُولُ نَحْنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ . . .»<sup>(٣)</sup>.

والدنيا عند الإمام علي (ع) مشغلة عن غيرها، كما جاء في كتابه إلى

معاوية:

«أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن غيرها، ولم يصب صاحبها منها شيئاً إلا فتحت له حرصاً عليها ولهجاً<sup>(٤)</sup> بها.

ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها.

ومن وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما أبرم. ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي»<sup>(٥)</sup>.

. . . . ومن روائع أقواله . . . في الدنيا:

«ازهد في الدنيا يُبْصِرَكَ اللهُ عَوْرَاتِهَا، ولا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ».

(١) تترامى إليه المنايا.

(٢) يبلى.

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨.

(٤) ولوعاً وشدة حرص.

(٥) نفس المصدر ج ٣ ص ٧٨.

«خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَنَاكَ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنكَ. فَإِنِ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ  
فَأَجْمَلْ فِي الطَّلَبِ».

... ويخاطب الإمام الدنيا، قائلاً لها:

«أعزبي عني فوالله لا أذلُّ لك فَتَسْتَدْلِينِي: إِلَيْكَ عَنِّي<sup>(١)</sup> يا دنيا فحبلك  
على غارِبِكَ<sup>(٢)</sup>، قد انسللتُ من مَحَالِبِكَ<sup>(٣)</sup> وَأَفَلْتُ من حَبَائِلِكَ،  
واجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاخِصِكَ<sup>(٤)</sup>».

أَيْنَ القُرُونُ الَّذِينَ عَرَّرْتَهُمْ بِمَدَاعِبِكَ، أَيْنَ الأُمَّمُ الَّذِينَ فَتَنَتْهُمْ  
بِزَخَارِفِكَ. هَا هُمْ رَهَائِنُ القُبُورِ وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ.

والله لو كُنْتُ شَخْصاً مَرْتِياً، وَقَالِباً حَسِياً لَأَقْمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللهِ فِي  
عِبَادِ عَرَّرْتَهُمْ بِالأَمَانِي، وَأُمَّمِ أَلْقَيْتَهُمْ فِي المَهَاوِي، وَمُلُوكِ أَسْلَمْتَهُمْ  
إِلَى التَّلْفِ وَأُورِدْتَهُمْ مَوَارِدَ البَلَاءِ إِذْ لَا وَرْدَ وَلَا صَدْرَ<sup>(٥)</sup>.

هِيَهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَخْصِكَ زَلِقَ<sup>(٦)</sup>، وَمَنْ رَكَبَ لُجَجِكَ غَرِقَ، وَمَنْ  
أَزُورَ<sup>(٧)</sup> عَن حَبَائِلِكَ وَفُقَ.

وَالسَّالِمُ مِنْكَ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاحُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمِ حَانَ  
انْسِلَاحُهُ<sup>(٨)</sup> اعزبي عني، فوالله لا أذلُّ لك فَتَسْتَدْلِينِي، وَلَا

(١) اذهبي عني .

(٢) الغارب: الكاهل وما بين السنام والعنق .

(٣) لم يعلق به شيء من شهواتها .

(٤) مساقطك .

(٥) الورد: ورود الماء . الصدر: الصدور عنه بعد الشرب .

(٦) أي زلق لا تثبت به الأرجل .

(٧) مال وتنكب .

(٨) زواله .

(٩) ابعدي عني .

أَسْلَسُ (١) لِكَ فَتَقُودِينِي « (٢) .

.. وعن الدنيا يقول الإمام علي بن أبي طالب (ع) في واحدة من فصيح خطبه :

« .. وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا، وَإِلَى الآخِرَةِ وِلَاهًا. وَلَا تَضَعُوا مَن رَفَعْتَهُ التَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مَن رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا.

وَلَا تَثْبِيهُوا بِأَرْقِهَا (٣)، وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِأَشْرَاقِهَا، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا (٤)، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ (٥)، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالُهَا مَخْرُوبَةٌ (٦)، وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ.

أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّيةُ العَنُونُ (٧)، وَالجَامِحةُ (٨) العَرُونُ (٩)، وَالمَائِنةُ (١٠) الخَوُونُ (١١). وَالجَحُودُ (١٢) الكَثُودُ (١٣)، وَالعَنُودُ (١٤) الصَّدُودُ (١٥)، وَالحِنُودُ (١٦) المَيُودُ (١٧).

- 
- (١) لا أنقاد. (٢) نفس المصدر ج ٣ ص ٧٤.
- (٣) شام البرق: نظر إليه أين يمطر. البارق: السحاب. ومعنى ذلك، لا تنظروا لما يغركم من مطامعها.
- (٤) الإعلاق: جمع علق: النفسي.
- (٥) خالب: خادع. (٦) منهوبة.
- (٧) المتصدية: المرأة التي تتعرض للرجال تميلهم إليها، ومن الدواب ما تمشي معترضة خابطة.
- العنون: مبالغة من (عن) إذا ظهر، ومن الدواب المتقدمة في السير. شبه الدنيا بالمرأة المتبرجة المستحيلة. أو بالراية تسبق الدواب وإن لم يدم تقدمها.
- (٨) الصعبة على راجعها.
- (٩) التي إذا طلب بها السير وقفت.
- (١٠) الكاذبة.
- (١١) مبالغة في (الخائنة).
- (١٢) الناكر للحق وهو عالم به.
- (١٣) كفر النعمة.
- (١٤) شديد العناد.
- (١٥) كثيرة الصد والهجر.
- (١٦) مبالغة في (الحيد) بمعنى الميل.
- (١٧) من ماد: إذا اضطرب.. ومعنى ذلك: إن الدنيا في طبيعتها لؤم فمن سالمها حاربه، ومن حاربها سالمته.

حَالُهَا انْتِقَالَ، وَوَطْأَتِهَا زِلْزَالَ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعَلُوُّهَا سُفْلٌ. دَارُ حَرْبٍ<sup>(١)</sup> وَسَلْبٍ<sup>(٢)</sup>، وَنَهَبٍ وَعَطْبٍ..

أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ<sup>(٣)</sup>. قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا<sup>(٤)</sup>، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا<sup>(٥)</sup>، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا. فَأَسْلَمَتْهُمْ الْمَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمْ الْمَنَازِلُ، وَأَعَيْتَهُمُ الْمَحَاوِلُ<sup>(٦)</sup>.

فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ<sup>(٧)</sup>، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ، وَعَاضُ يَدَيْهِ، وَصَافِي بِكَفَيْهِ، وَمُرْتَفِقٌ بِخَدَيْهِ، وَزَّارٍ عَلَى رَأْيِهِ<sup>(٨)</sup>، وَرَاجِعٍ عَنِ عِزَائِمِهِ.

وَقَدْ أَذْبَرَتْ الْحَيْلَةَ، وَأَقْبَلَتِ الْغَيْلَةَ<sup>(٩)</sup>، وَلَاتٌ حِينَ مَنَاصٍ. وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتْ الدُّنْيَا لِحَالِ بِأَيْهَا<sup>(١٠)</sup> ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [سورة الدخان، الآية: ٢٩]»<sup>(١١)</sup>.

.. ومن عظيم قوله في الدنيا:

- (١) سلب المال.
- (٢) الهلاك.
- (٣) أي قائلون على ساق استعداداً لما ينتظرون من آجالهم. والسياق مصدر ساق فلاناً إذا أصاب ساقه. أي ولا يلبثون أن يضربوا على سوقهم فينكبوا للموت على وجوههم. أو هو السياق بمعنى الشروع في نزع الروح من ساق المريض سياقاً. واللحاق للماضين والفرار عن الباقين.
- (٤) حيرة الناس فيها.
- (٥) أعجزت الناس عن الهروب.
- (٦) أي لم يقدم ذلك خلاصاً.
- (٧) أي فمنهم ناج من الموت معقور، أي مجروح.
- (٨) المقبح له اللائم لنفسه عليه.
- (٩) الشر الذي أضمرته الدنيا في خداعها.
- (١٠) ذهبت على ما تهواه لا على ما يريد أهلها.
- (١١) نفس المصدر ج ٢ ص ١٣٥.

«إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه» .

كما أن الدنيا عنده دار شخوص، وسفينة تقصفها العواصف، فيقول:  
«... أوصيكمُ عِبَادَ اللَّهِ بتقوى الله، وأحذركمُ الدُّنْيَا فإنَّها دَارُ شُخُوصٍ<sup>(١)</sup> وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصُ.

سَاكِنُهَا ظَاعِرٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ<sup>(٢)</sup>. تَمِيدُ<sup>(٣)</sup> بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا<sup>(٤)</sup> الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ.

فَمِنْهُمْ الْغَرِقُ الْوَبِيقُ<sup>(٥)</sup>، وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى بَطُونِ الْأَمْوَاجِ تَخْفِزُهُ الرِّيَّاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا.

فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فإِلَى مَهْلِكٍ.»<sup>(٦)</sup>.

.. ثم ... ثم قال الإمام (ع) عنها أخيراً:

«الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى وزاد لمن تزود منها» .

.. تلك كانت نماذج من بعض أقواله في وصف الدنيا بكل جوانبها، وهو وصفٌ بالغ الدقة لمكوناتها.. وبلغ القول في تشبيهها.. ودقيق الكلام في تمثيلها..

إذن هذه الدنيا عنده عاش فيها كما عرفها «دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر

(١) الذهاب والانتقال إلى بعيد.

(٢) بائن: مبتعد، منفصل.

(٣) تضطرب.

(٤) تكسرهما الرياح الشديدة.

(٥) الهالك، أي منهم مَنْ هلك عند تكسر السفينة، ومنهم مَنْ بقيت فيه الحياة محمولاً على بطون الأمواج.

(٦) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٠.

معروفة . . . « لم يتعاش معها أبداً . . . بل قسى عليها من خلال قسوته على نفسه من اللباس والطعام ، بل بكل أنماط العيش المتواضع الذي عاش حياته فيها . . . وقد مر ذكر ذلك في صدر هذا الكتاب . . .

ولكن في كل ما مرّ وفات ما هو إلا تأكيد وتعريف بفلسفة الإمام بدياه التي لا أطماع له فيها . . . وبالتالي لا أطماع له في زبرجها ولا في محاسنها . . .  
ومنها الخلافة التي اختلف الناس عليها!!

وفي ذلك يقول ، وهو يقسم بالله سبحانه وتعالى ، وهو الذي لا يقسم به إلا لضرورة شديدة :

«والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية أربة . . .»<sup>(١)</sup>

فعدم رغبته في الخلافة ، وانعدام طمعه فيها بسبب من هوان الدنيا عنده وهو الذي قال عنها ما قسى من القول . . . هو السبب الثاني من أسباب سكوته عن موقعه من الخلافة أو فيها!

### ٣ - العصبية . . . والضغائن :

لا يخفى على كل متتبع لتاريخ العرب الجاهلي . . . . . يجد ذلك التاريخ قبل الإسلام إنهم كانوا ينتمون إلى قبائلهم انتماء مطلقاً ، حيث تتحكم كل قبيلة بأفرادها تحكماً مطلقاً أيضاً ، ابتداء من أول يوم يرى الفرد فيها النور إلى نهاية حياته . . .

فهي لها كل المؤثرات عليه وعلى عائلته ، بل وحتى على أمواله . . . تلزمه بقوانينها وأعرافها ويلتزم هو بتلك العادات والأعراف ، حتى تصبح جزءاً منه ، ويكون لها حافظاً ووعاء فلا مناص له من خرقها ، أو الخروج عليها ، لأن ذلك يعني الخروج من تلك القبيلة وبالتالي يُمسي دون انتماء . . .

وهذا معناه بصفوة القول لا يمكن له من العيش بين تلك المجتمعات المتحالفة المفترسة التي فيها يأكل قويتها ضعيفها . . .

(١) الغرض والطلبية .

لذا كان العربي يتفاخر بانتماؤه القبلي ويذكره مفاخراً به، ولا يذكر انتماءه القومي إلا أحياناً . . .

وجاءت رسالة سيد المخلوقات ﷺ . . . الرسالة السماوية السمحاء التي مسخت تلك المفاهيم الجاهلية المتخلفة، وأحالتها إلى مبادئ سامية مبنية على القيم والمثل . . .

فجعلت انتماء المسلم للإسلام دون القبيلة . . . وربطت بين المسلمين رباط الإخوة في الدين، والتضحية من أجل رفعة رايته ونشر دعوته . . .

حتى أصبح الانتماء إلى القبيلة كأن لم يكن . . . وتجلى شعار الإسلام بالمساواة بين كل المسلمين . . . لا فرق بين سيد أو زعيم أو رئيس كان يحتل موقعاً في قبيلته . . . وبين عبد أو مسود . . . لا فرق بين أبيض وبين أسود . . .

ولا فرق بين عربي أو أعجمي . . . أو بين غني أو فقير . . .

فكانت (التقوى) هي الدالة الوحيدة على إيجاد الفرق الجديد بين المسلمين في مجتمع إسلامي جديد لا يعرف التفرقة والفُرقة إلا بها . . . فالأكرم بين صفوفهم أكثرهم تقياً وأحسنهم تعمقاً في مبادئ ذلك الدين الحنفي . . . ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣].

جاء الرسول العظيم ﷺ ليشر وينشر دين الله . . . فكان أمامه في ذلك الواقع تلك المجتمعات المتخلفة التي رأت في تلك الدعوة مسأً من إعلان الحرب على كياناتها، وخروجاً على عاداتها، وهتكاً لتقاليدها ومعتقداتها المتوارثة عبر أجيالها!

لذا شُهرت أمام ذلك العظيم حامل الرسالة سيوف الشر لمقاومة دعوته العظيمة لمهاجمته وأصحابه في عقر دارهم عند بداية الدعوة . . .

عندها جاءه الأمر الرباني برفع السيوف الإسلامية أمام تلك السيوف الجاهلية، دفاعاً عن مبادئ الإسلام، وعن أصحاب تلك المبادئ وحملتها . . .

فشُهرت سيوف المسلمين جميعاً وفي مقدمة تلك السيوف، سيوف أبطالهم وصناديدهم وعلى رأسهم علي بن أبي طالب بسيفه المشهور (ذي الفقار) الذي

حَزُّ به رقاب المشركين من الرؤساء والزعماء والوجوه والشجعان.. حتى لم تسلم أية قبيلة من سيفه إلا من أسلم منها..

ووصل سيفه إلى كل بطن من بطون العشائر.. فأثكل وأيتم ووتر، لا حياً منه في ذلك، ولا لهوية له فيها..

ولكن كان ما كان دفاعاً عن مبادئ الإسلام وحماية للمسلمين وحفاظاً للدعوة.. وتضحية منه لتلك المبادئ السامية السمحاء، وجهاداً في سبيلها.. وتنفيذاً منه لأمر الله ورسوله بعد أن أذنا بالجهاد والدفاع عن النفس وعن الرسالة.. وبعد أن استقام الأمر للمسلمين، وانتصرت مبادئ الخير على كوامن الشر..

أسلم مَنْ أسلم إيماناً منه بالإسلام.. أو أسلم منهم لطمع في نواياه، أو نفاقاً لضرورة..

فدخل الإسلام بعد انتصاره أفواجاً أفواجاً من الناس.. ودخلت معهم بعض من النفوس التي تحمل معها تلك المشاعر والرواسب القبلية من ضغائن وثار وإيثار!

... ثم انتقل المصطفى ﷺ إلى الملأ الأعلى.. وعندها ظهرت تلك الرواسب والعصبيات القبلية الكامنة.. أو ظهر بعض منها إن نفاءً بالقول!  
فتجسدت روح العصبية التي أنهاها الإسلام ونهى عنها، من قبل مَنْ كان يضمّر لعلي بن أبي طالب الحقد والحسد والضغينة بسبب سيفه الذي عضعض أجساد آبائهم عند صدر الدعوة..

نعم تجسد كل ذلك عند تجربة الخلافة التي بسببها كاد أن يدب الخلاف بين المسلمين وتُشَقَّ صفوفهم لولا عبقرية وحكمة الإمام وسعة أفقه..

فكان الثأر منه، إبعاده عن الخلافة ومحاولة تهميش دوره فيها وطمس مكانته أو موقعه في قيادة المسلمين بعد قائدهم الأول رسول السماء ﷺ..

واستغل القوم نتائج السقيفة لينالوا منه بسبب ما كان كامناً في نفوسهم، وهذا عندهم أكثر ما استطاعوا أن ينالوا منه.. وعنده أقل ما نالوه منه!



... كانت قريش في مقدمة القبائل التي تزعمت أخذ الثأر منه ومن آل بيت النبي ﷺ عن طريق خذلان آل محمد وفي مقدمتهم تلميذه وربييه علي بن أبي طالب بواسطة الخلافة التي ليس لهم سواها بالانتقام من سيوف آل هاشم أمثال علي والحمزة وجعفر وغيرهم . . .

حتى إن الإمام (ع) قال عن ذلك :

«اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحيمي، وصغروا عظيم منزلي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي» .

كما قال عن بعض القبائل الأخرى :

«أنا وضعت في الصغر بكلاكل<sup>(١)</sup> العرب، وكسرت نواجيم<sup>(٢)</sup> قرون ربيعة ومضر . . .» .

ذكر الإمام علي حقد قريش على رسول الله ﷺ الذي تحوّل إليه، فقال :

«كلُّ حقدٍ حقدته قريش على رسول الله ﷺ أظهرته في وستظهره في ولدي من بعدي، مالي ولقريش! إنما وترتُّهم بأمر الله وأمر رسوله، أفهذا جزاء من أطاع الله ورسوله» .

ذكر الجاحظ :

(إن الإمام في حروبه مع النبي ضد قريش كان قد وترها وسفك دماءها، وكشف عن منابذها . . .

وليس الإسلام بمانع من بقاء الأحقاد في النفوس . . .

هب أنك كنت سنتين أو ثلاثاً جاهلياً، وقد قتل واحد من المسلمين ابنك أو أخاك ثم أسلمت . . . أكان إسلامك يذهب عنك ما تجده من بغض ذلك القاتل وشنآنه؟

(١) الكلاكل: الصدور، وعبر بها عن الأكابر.

(٢) النواجيم من القرون: الظاهرة الرفيعة، يريد بها أشرف القبائل. وقرون مضاف، وربيعه مضاف إليه.

هذا إذا كان الإسلام صحيحاً . . لا كإسلام كثير من العرب . .

فبعضهم أسلم تقليداً، وبعضهم للطمع والكسب . . وبعضهم خوفاً من  
السيف . . وبعضهم عن طريق الحمية والانتصار لعداوة قوم آخرين من أصدقاء  
الإسلام وأعدائه . .

واعلم أن كل دم أراقه رسول الله بسيف علي وبسيف غيره، فإن العرب بعد  
وفاته عصبت تلك الدماء بعلي وحده لأنه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعتهم  
وعاداتهم أن يعصب به تلك الدماء إلا (علي) وحده<sup>(١)</sup> .

. . . كذلك كان العرب عامة، وقريش خاصة يحملون في أعماقهم شر  
الحسد للإمام علي كل الخصائص التي أعطاه الله سبحانه وتعالى وما تفضل عليه  
من نعم . .

فعلمه المتناهي الأطراف الذي لا حدود له . . وتقواه وإيمانه لم يبلغه أي ما  
بلغ من المسلمين بعد نبهم ﷺ . . ودعك عن شجاعته وقوته الخارقة التي أدخلت  
الرعب في قلوب الشجعان . . فضلاً عن ذلك مكانته التي كان يحظى بها لدى  
الرسول العظيم ﷺ .

وكم من الأقوال الكثيرة وبحالات مختلفة، قال عنه محمد ﷺ قولاً كريماً  
لم يطل ذلك القول غيره، ولم يخص أكرمه سواه . .

وكم أوصى به كأخص وأحسن ما يوصي به . . حتى إنه عليه أفضل الصلاة  
والسلام أوصى له بمختلف المواقف، ويشتى الأحداث والمناسبات . .

وزوجه أعز ذريته التي جعلها الله سبحانه وتعالى سيدة نساء العالمين . . وقد  
قال الإمام في ذلك:

«كُنْتُ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كجزءٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . . يَنْظُرُ إِلَيَّ  
النَّاسُ كَمَا يُنظَرُ إِلَى الْكَوَاكِبِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ . . ثُمَّ غَضَّ الدَّهْرُ  
مَنِي . .» .

(١) (علي ومناوئوه) د. نوري جعفر ص ٥٠.

لقد مررنا على خصائص علي بن أبي طالب في مواضع مرت من هذا الكتاب، منها ما قال رسول الله ﷺ فيه من أحاديث، وما ورد فيه من آيات في الذكر الكريم عدها حبر الأمة عبد الله بن عباس بثلاثمئة آية . . .

فهل يا ترى، كل ذلك لم يكن كافياً في أن يكون الإمام علي (ع) موضع حسد الحاسدين، وحقد الحاقدين من قريش، وبقية القبائل العربية الأخرى، ومن المنافقين الذين لم يدخل قلوبهم دين الله كما دخل قلوب المؤمنين!!!

. . . وجاءت الخلافة، فظهر ذلك الحسد، وطففت الغيرة، واستعرت نيران الحقد!

وكذلك خشى القوم عدله ومساواته بين المسلمين، وهو الذي عنده القوي ضعيف حتى يأخذ منه الحق، والضعيف عنده قوي حتى يأخذ له حقه . . .

وخافوا منه أمره المتناهي بالمعروف، وتشدده بالنهي عن المنكر، وتقواه الواسع الذي لا يخشى في الله لومة لائم . . . وخشوا منه نهجاً اجتماعاً ثورياً ومتقدماً . . . ثم موقفه من دنياهم التي غرت بعضهم، وأغوت البعض الآخر . . .

ولا ننسى ما أراده العرب وفي مقدمتهم قريش في حظهم من الخلافة وحصتهم فيها، طمعاً للنفوذ والجاه والرئاسة . . .

حتى أن قريشاً كرهت أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم، كما ذكر ذلك الخليفة عمر بن الخطاب (رض) إلى عبد الله بن عباس ابن عم محمد وعلي<sup>(١)</sup> . . . حيث قال الخليفة له عندما حدثه أن قريشاً قد قررت أن لا تعطي السلطة للهاشميين بعد وفاة الرسول ﷺ . . . فكفى الهاشميين شرف النبوة الروحي والمعنوي . . .

أما السلطان السياسي، والمادي، والدنيوي فلقد آثرت به قريش من كانوا يتولونه قبل الإسلام!!

فقد قال عمر (رض) لعبد الله بن عباس (رض):

---

(١) (نهج البلاغة) شرح ابن أبي الحديد ص ١٠٧ من المجلد الثالث. وذكر ذلك ابن الأثير في أواخر أحوال عمر ص ٢٤ ج ٣ من (كامله).

(إن الناس قد كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، وإن قريشاً اختارت لنفسها فأصابته . . .) (١) .

وفي رواية أخرى، قال عمر (رض) .

(كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فيجحفوا جحفاً<sup>(٢)</sup>) ، فنظرت قريش لنفسها فاخترت ووفقت، فأصابته .

فقال له ابن عباس :

أيميط أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع !

قال : قل ما تشاء .

قال : أما قول أمير المؤمنين، إن قريشاً كرهت، فإن الله تعالى قال :

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد، الآية : ٩] .

وأما قولك، (إنا كنا نجحف) . . . فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة ولكنا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ﷺ، الذي قال فيه تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم، الآية : ٤] ، كما قال له : ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ أَبْعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية : ٢١٥] .

وأما قولك، (فإن قريشاً اختارت) . . . فإن الله تعالى يقول : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [سورة القصص، الآية : ٦٨] . وقد علمت يا أمير المؤمنين إن الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لو فقت، وأصابته قريش<sup>(٣)</sup> . . .

وقد قال الإمام علي (ع) عن قريش في محاربتهم له، و منافسته على ماله من

حق :

(١) (الفاروق عمر) د . محمد حسين هيكل ج ٢ ص ٢١٢ طبعة القاهرة .

(٢) جحف : تكبر .

(٣) (حجج النهج) د . سعيد السامرائي ص ٣٣٣ .

« . . . فدع عنك قُرَيْشاً وتركاضهم<sup>(١)</sup> في الضلال . . . وتجوأهم في الشقاق<sup>(٢)</sup> . . . وجماعهم<sup>(٣)</sup> في التيه<sup>(٤)</sup> .

فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله ﷺ قبلي . . .

فجزت قريشاً عني الجوازي<sup>(٥)</sup>، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمي<sup>(٦)</sup> .

نستنتج مما سلف أن تلك الأسباب قد وضعت الإمام في موضع لا يحسد عليه . . .

حيث بقي في دائرة صغيرة، محيطها أهل بيته، والمتقون من المسلمين الأوائل ونفر من الأنصار والمهاجرين . . .

ولم يُقرط بهم حفظاً على مبادئ الإسلام، وحفاظاً على المسلمين . . . وقد قال في ذلك :

« . . . فَتَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ<sup>(٧)</sup> وَلَا ذَابٌ<sup>(٨)</sup> وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي . فَضَنَنْتُ<sup>(٩)</sup> بِهِمْ عَنِ الْمَيْتَةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى<sup>(١٠)</sup>، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَى<sup>(١١)</sup>، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْضِ عَلَى أَمْرٍ مِنْ

(١) مبالغة في الركض .

(٢) الخلاف .

(٣) استعصاؤهم على سابق الحق .

(٤) الضلالة والغواية .

(٥) الجوازي : جمع جازية، بمعنى المكافأة، دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم .

(٦) ابن أمي : يعني الرسول ﷺ فاطمة بنت أسد أم الإمام التي ربت النبي ﷺ في حجرها، فقال النبي ﷺ في شأنها (فاطمة أمي بعد أمي) .

(٧) رافد : المعين .

(٨) الذاب : المدافع .

(٩) ضنتت بهم : بخلت بهم .

(١٠) القدى : ما يقع في العين .

(١١) ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه، يريد به غصة الحُزن .

العَلَمِ، وَالْمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشَّفَارِ<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

وقال:

«.. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى،  
وفي الحلق شجاً».

.. لذا كان هذا وذاك سبباً آخر يضاف إلى أسباب سكوته عن حقه في  
الخلافة..

#### ٤ - اصبر حتى تلقاني مظلوماً..

وثمة سبب آخر وجب ذكره، ونحن بصدد هذا الموضوع، وذلك لأهميته  
عند الإمام علي كرم الله وجهه.. وصية، خاتم المرسلين ﷺ له والذي أوصاه  
بالصبر على كل الأحداث وأصعب الأمور التي ستجابهه بعد انتقاله إلى الرفيق  
الأعلى..

فقبل وفاته ﷺ عانق النبي ﷺ ربيه علياً بن أبي طالب.. علي الذي  
أوصى به محمد ﷺ وأوصى له.. فقال له رسول الله ﷺ:

«يا علي إني أعلم أن لك ضغائن في صدور قوم سوف يظهرونها لك  
بعدي، فإن بايعوك فاقبل، وإلا فاصبر حتى تلقاني مظلوماً..»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام علي عن ذلك:

«قال لي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ اجْتَمَعُوا عَلَيْكَ فَاصْنَعْ مَا أَمَرْتُكَ، وَإِلَّا  
فَأَلْصِقْ كَلِّكَ بِالْأَرْضِ. فَلَمَّا تَفَرَّقُوا عَنِّي جَرَزْتُ عَلَى الْمَكْرُوهِ  
ذِلِّي، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى جَفْنِي، وَأَلْصَقْتُ بِالْأَرْضِ كَلِّكَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) جمع شفره: حد السيف ونحوه.

(٢) (نهج البلاغة) شرح محمد عبده ج ٢ ص ٢٠٢.

(٣) (الرياض النضرة في مناقب العشرة) للعلامة الطبري - باب فضائل علي بن أبي طالب.

(٤) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي ص ٢٩٨.

كما قال، وهو يقسم بذات الله سبحانه وتعالى :

«أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي إلي أن الأمة  
ستغدر بك من بعدي»<sup>(١)</sup>.

وهذا ما ذكره أبو بكر أحمد بن عبد العزيز، عن علي بن جرير الطائي، عن  
ابن الفضل، عن الأجلح، عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد..  
وورد في (مستدرك الصحيحين)<sup>(٢)</sup> للحاكم.. روى بسنده عن أبي إدريس  
الأودي.. عن علي (ع) قال:

«إن ما عهد إلي النبي ﷺ إن الأمة ستغدر بي بعده..».

وهذا الحديث رواه الخطيب البغدادي في (تاريخه)<sup>(٣)</sup>.. وقال فيه:

«إن الأمة ستغدر بك من بعدي..».

وكذلك ذكره المتقي في (كتر العمال)<sup>(٤)</sup>.. كما أخرجه ابن أبي شيبة..  
والحارث.. والبزار.. والعقيلي.. والبيهقي في (الدلائل)..

وعن الهيثمي في (مجمعه)<sup>(٥)</sup>.. قال: عن ثعلبة، أن علياً قال على المنبر:

«والله إنه لعهد النبي ﷺ إلي أن الأمة ستغدر بي..».

ورواه البزار أيضاً.. كما رواه المناوي في (كنوز الحقائق)<sup>(٦)</sup> عن طريق  
آخر.. وروى يونس بن حباب.. عن أنس بن مالك، قال:

كنا مع رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب معنا.. ثم إن رسول الله ﷺ  
وقف فوقنا.. فوضع رأسه على رأس علي وبكى.. فقال علي:

(١) المصدر السابق ص ٢٩٧.

(٢) ج ٣ ص ١٤٠.

(٣) ج ١١ ص ٢١٦.

(٤) ج ٦ ص ٧٣.

(٥) ج ٩ ص ١٣٧.

(٦) ص ١٨٨.

ما يبكيك يا رسول الله!!

قال ﷺ :

«ضغائن في صدور قوم لا يُبدونها لك حتى يفقدوني» .

فقال: يا رسول الله، أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبىد خضراءهم!

قال ﷺ : بل تصبر .

قال : فإن صبرت!

قال ﷺ : تلاقي جهداً .

قال : أفي سلامةٍ من ديني؟

قال ﷺ : نعم .

قال : إذن فلا أبالي<sup>(١)</sup> .

.. لذا فالإمام علي (ع) صبر تنفيذاً لأوامر رسول الله ﷺ . . . والإمام خير المسلمين في تنفيذ أوامر الله ورسوله . . .

فصبره وسكوته كانا حكمة وتديباً . . . لأنهما أمران أمرَ بهما معلمه العظيم من أجل وحدة المسلمين، والحفاظ على دينهم القويم . . .

... نعم أمره النبي ﷺ ذلك . . . كما أمر المسلمين جميعاً، طاعة مَنْ يتولى أمورهم . . .

ذكر العلامة عبد الحسين شرف الدين في (مراجعاته):

( . . . ) وجبت على الأمة مؤازرة الخليفة في كل أمر يتوقف عليه عز الإسلام ومنعته، وحماية ثغوره وحفظ بيضته، ولا يجوز شق عصا المسلمين، وتفريق جماعتهم بمقاومته، بل يجب على الأمة أن تعامله معاملة الخلفاء بالحق . . .

وقد قال رسول الله ﷺ :

«ستكون بعدي أثرة وأمر تنكرونها» .

(١) (حجج النهج) د . سعيد السامرائي ص ٣٣٠ .



قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر مَنْ أدرك منا ذلك!

قال ﷺ: «تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم»<sup>(١)</sup>.

وكان أبو ذر الغفاري (رض) يقول:

إن خليلي رسول الله ﷺ أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً مجدع الأطراف... وأخرج الإمام مسلم... عن مسلمة الجعفي، قال:

يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم، ويمنعوننا حقنا، فما تأمرنا!

فقال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم»..

لذا صبر الإمام علي (ع) وفي العين قذى، وفي الحلق شجى. عملاً بهذه الأوامر المقدسة، وغيرها مما عهد النبي ﷺ إليه<sup>(٢)</sup>...

ثم يقول (...). وكان من الطبيعي للإمام أن يقدم حقه قرباناً لحياة الإسلام، وإيثاراً للصالح العام، فانقطاع ذلك النزاع، وارتفاع الخلاف بينه وبين أبي بكر لم يكن إلا فرقاً على بيضة الدين، وإشفاقاً على حوزة المسلمين...<sup>(٣)</sup>.

## ٥ - مَنْ تولى الخلافة صحابي جليل:

أخيراً... ومن الأسباب التي سكت الإمام بسببها عن حقه في ما أوصى له النبي ﷺ...

ذلك أن مَنْ تولى الخلافة هو صحابي جليل، من أوائل صحابة رسول الله ﷺ وأول مَنْ هاجر معه إلى يثرب، وصحبه بعد إسلامه حتى وفاته...

(١) أخرجه مسلم في ص ١١٨ من ج ٢ من (صحيحه) في حديث عبد الله بن مسعود... وغيره من أصحاب الصحاح والسنن.

(٢) (المراجعات) ص ٣٢٣.

(٣) نفس المصدر ص ٣٢٥.

وهو من المسلمين القلائل الذين أورد الله سبحانه وتعالى لهم ذكراً في ذكره  
المجيد، حيث قال عز من قائل:

﴿ثَآئِفَاتٌ آثِنِينَ إِذْ هُمْ فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ، لَا تَحْزَنْ  
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٠] . . .

وهو أحد حافظي القرآن الكريم كله . . . ونصر الإسلام والمسلمين، وثبت مع  
رسول الله ﷺ يوم أحد، ويوم حنين. إذ فرَّ أكثر المسلمين في تلك المعركتين . . .  
ذلك هو أبو بكر بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنه وأرضاه . . .  
أبو بكر الذي بادر إلى تصديق صاحبه رسول الرحمة، النبي الكريم ﷺ . . .  
وقد قال عنه الإمام علي كرم الله وجهه، مخاطباً جثمانه عند وفاته:  
« . . . كنت والله للإسلام حصناً، وعلى الكافرين عذاباً . . . » .

. . . نعم تولى الخلافة رجل من المسلمين التقاة إشرأبت نفسه بمبادئ  
الإسلام، حتى دخلت أعماقه، واستقرت تلك المبادئ السامية في وجدانه، فقدم  
لها ما استطاع من قرابين دفع أثمانها الباهظة . . . حتى أصبح (قويماً في أمر الله،  
متواضعاً في نفسه، عظيماً عند الله . . . جليلاً في الأرض . . . كبيراً عند المؤمنين . . .)  
كما قال عنه خاتم المرسلين ﷺ . . .  
ومما قاله ﷺ عنه:

«ما لأحدٍ عندنا يد، إلا وقد كافأناه بها، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا  
يداً يكافئه الله بها يوم القيامة . . . » .

كما قال عليه الصلاة والسلام عن صاحبه:

«ما نفعني مال أحد قط، مثلما نفعني مال أبي بكر . . . » .

وقال رسول الله ﷺ:

«ما عرضتُ الإسلام على أحد إلا كانت له كبوّة عدا أبي بكر، فإنه لم  
يتلعثم»<sup>(١)</sup> .

(١) (خلفاء الرسول) خالد محمد خالد ص ٥٠ .

والحديث يطول في ذكر هذا الصحابي الجليل، وفيما قدمه للإسلام والمسلمين، وتضحياته الكبيرة من أجل صاحب الدعوة ﷺ:

ففي الأيام الأولى للدعوة لم يكن يسمع أن الرسول في أذى، إلا ويهرول مسرعاً، فيخلص الرسول من الأذى..

ويوم الهجرة، تمتلئ نفسه غبطة بصحبة رسول الله ﷺ، وهو على يقين بأن قريشاً ستُجند لمطاردتها كل بأسها وقواها..

ويوم بدر.. يلزم الرسول في خيمته وهو يعلم أن الخطر كله إنما يُخدق بهذه الخيمة..

ويوم أحد.. حين خالف الرُماة نبيهم، ظانين أن المعركة قد انتهت بهزيمة قريش، فتركوا موقعهم أعلى الجبل، حيث عاد جيش قريش فدمدم على المسلمين وأصلاهم هزيمة أليمة..

يومئذ بضّر الرسول بأبي بكر، يجري وحده إلى المشركين شاهراً سيفه.. فيناديه:

«اغمد سيفك يا أبا بكر، لا تفجعنا بنفسك»<sup>(١)</sup>.

لقد قال عنه رسول الله ﷺ أمام جمع من المسلمين ومعهم عمر بن الخطاب (رض):

«أبو بكر صدقني حين كذبتُموني.. وواساني بنفسه وماله.. فهل أنتم تاركون لي صاحبي..»<sup>(٢)</sup>.

إذن مَنْ تولى الخلافة، هو أهلٌ للخلافة.. حريصٌ على الإسلام ومبادئه.. ولا يُخشى على الإسلام من خلافته.. ولا على المسلمين من إمامته.. بل إن مواقفهم الباهرة، قبل الخلافة وبعدها لتشكل نموذجاً واحداً من القوة، والأمانة، وسلامة التقدير..

(١) المصدر السابق ص ٨٠.

(٢) (محمد رسول الحرية) عبد الرحمن الشرقاوي ص ١٤٤.

ذلك إن الله أنعم عليه بطبيعة قويمه، وإيمان مكين . .

إيمان رجل أسلم وجهه لله، وهو مُحْسِن . .

وأعطى حياته لإيمانه وهو مغتبط . .

وحمل مسؤوليات دوره في ثقى، وأمانه، وبصيرة . . (١)

. . . لذا نعتقد أن ما في الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رض)، من

خصائص تؤهله لها . . كان سبباً من أسباب سكوت الإمام علي (ع) . . فلو تولاهما

غير الصديق (رض) . .

وليس عنده ما عند الصديق من الإيمان والحرص . . والعدل . . والوفاء

لمبادئ الإسلام . .

لما سكت الإمام وغيره من الصحابة على خلافته . . لاسيما يكون الخليفة

الأول، قد حلَّ محل رسول الله ﷺ . . وخلفه مباشرة بعد وفاته . .

ودليلنا على ذلك مبايعة الإمام علي، وآل بيته وأصحابه جميعاً له . . ولو بعد

حين . .

كما أن رد الإمام علي على أبي سفيان . . عندما جاءه معترضاً على مبايعة

الخليفة الأول . . دليل آخر على أن مَنْ تولى الخلافة هو أهل لها . .

رد الإمام علي على أبي سفيان، قائلاً:

«لا والله! لا أريد أن تملأها عليه خيلاً ورجالاً . . ولولا أننا رأينا أبا

بكر لذلك أهلاً ما خليناه وإياها» . .

. . . تلك عندنا أسباب خمسة رئيسة لها أهميتها فيما مرَّ ذكره . . ولم نأت

على ذكر أسباب أخرى تعتبر ثانوية . .

والله أعلم بما كان وبما سيكون . .

ولكن . . نرى من المناسب أن نُورد ما ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي في

(١) (خلفاء الرسول) خالد محمد ص ٨٢.

شرحه لنهج البلاغة<sup>(١)</sup>، والذي أوجز جانباً من حياة الإمام علي (ع)، والمحيط الذي عاش فيه . . حيث قال :

(عاش الإمام في محيط يسوده الجهل والحسد، كان بين أقوام غمطوا حقه، وسلبوا منزلته التي نص عليها الرسول ﷺ . . حتى أجلسوه في داره عقدين من الزمان . .

وبهذا أقصوه عن قيادة الأمة مما أثر ذلك الأثر البالغ، فتتجت الويلات والمصائب التي لم تزل يئن منها المجتمع الإسلامي طيلة مسيرته، وعندما يكون المجتمع جاهلاً تتحكم فيه العصبية والأنانية . .

فكيف يستفيد من العالم الذي نذر نفسه لخدمته؟

وهكذا كان شأن الإمام علي بن أبي طالب . .

فما عرفوا قدره، وما استفادوا منه . . فجهلوا ما كان يعلم وعلموا أن الذي يحملهم عليه هو الحق . .

إلا أن عصبيتهم أقصت الإمام عن مكانه، وإن أحقادهم الدفينة من يوم بدر . . وأحد . . وخير . . والخندق . . وغيرها (حيث وتروا فيها) هي التي كانت سداً منيعاً أمام الإمام علي ابن أبي طالب، حتى أوقفت ذلك السيل من العلم والمعرفة . . وحجبت الأمة من الانتفاع به إلى أن قضى نحبه شهيداً في محرابه . . وقد شهد كبار الصحابة على أنه أعلم الناس بعد الرسول ﷺ . . وإنه أفقه الصحابة . .).

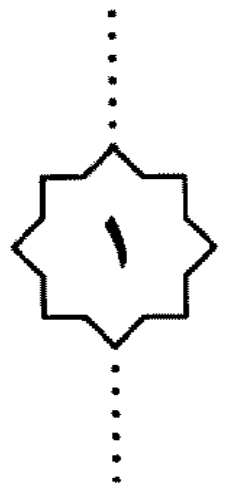
(١) ج ٢ ص ١٧٨.

## خير الأنام من بعده طه

١ - ختام البحث

٢ - وصية الإمام لابنه الحسن.. وللأجيال من بعده.





## ختام البحث

في ختام هذا البحث الذي تناول بعض الجوانب المضيئة والمشرقة، والمواقف الحكيمة للإمام علي بن أبي طالب (ع) من الدعوة ونشر مبادئ دين الله . . . ومن ثم من الخلافة خلال كل فتراتهما . . . ابتداء وانتهاء .

. . . نرى من المناسب جداً أن ننقل للقارئ الكريم بعض الأبيات من قصيدة الشاعر الأستاذ (بولس سلامة) التي رسم فيها شيئاً من مشاعره تجاه ذلك الإنسان الخالد في وجدان التاريخ . . . الخالد في وجدان كل مسلم . . . وجدان الإنسانية، وفي مبادئ الحرية والعدل والمساواة . . .

يقول الأستاذ بولس سلامة في قصيدته:

يا أمير الإسلام حسبي فخراً      إنني منك ماليء أصغرياً  
جلجل الحب في المسيحي حتى      عد من فرط حبه علوياً  
أنا مَنْ يعشق البطولة وا      لألهام والعدل والخلاق الرضياً  
لا تقل شيعة هواة علي      إن في كل مُنصف شيعياً  
سفير خير الأنام من بعد طه      ما أرى الكون مثله آدمياً  
يا سماء اشهدي ويا أرض قُري      واخشعي أنني ذكرت علياً

ويخاطب الأستاذ بولس، الإمام فيقول:

(يا أبا الحسن ماذا أقول فيك وقد قال الناس في المتنبّي أنه شاغل الناس وماليء الدنيا، ومالمتنبّي إلا شاعر له حفنة من الدر إزاء تلال من الحجر . . . وما شخصيته حيال عظمتك إلا مدرة على شاطئ النيل خجلى من عظمة الأهرام . . .).

. . . ولا بدع ولا غرابة فابن أبي طالب فوق ما يصفه الواصفون . . . فالله الذي



جعل محمداً نبياً ورسولاً . . . فقد جعل علياً في آن معاً سيفاً في يد الرسول، سله ضد الباطل . . . وكلمة في فم الرسول أطلقها من أجل الحق، ومنازة رفعها الرسول ﷺ لهدي البشر إلى طريق السماء . . .

وفكرة تمردت على الشر والمنكر . . . وجزءاً لا يتجزأ من رسول الله وخاتم رسله . . . فكأنهما واحد في اثنين . . . كبيرهما محمد . . . وصغيرهما علي .

ذاك رسول الله إلى البشر، ذاك نور الله . . . وهذا قبس من ذاك النور . . .

ما كان لمحمد أن يحب بشراً في الدنيا أكثر من علي . . .

وما كان لعلي أن يحب بشراً في الدنيا أكثر من محمد . . .

في ابن عبد الله ﷺ تجمعت الرسالة كلها، وتجسدت المثل والقيم جميعها . . . عمقاً، وصعداً حجماً، وكبراً حرفاً وروحاً . . . كان نبياً ورسولاً يوحى إليه، وكان لقومه والناس بشيراً ونذيراً . . .

وفي ابن أبي طالب كان بعض من رسالة . . . كان شعاع نزل في علي منها قطرات لا تجف مدى الدهر . . . فبقيت روحه حية . . . بل بقي هو حياً في ضمائر الناس . . . في خواطرهم، شغلهم وشغل جزءاً من الدنيا غير يسير . . .

فكما أن الله عز وجل اختار محمد للرسالة فأوحى إليه وأمره أن يبلغ ما أنزل . . .

ما أنزل إليه من ربه . . . فكان القرآن . . . وكان الإسلام . . .

هكذا فإن الله عز وجل اختار علياً ليكون للرسول عوناً على أعداء الإسلام . . . فكانت له تلك الجولات الخالدات في ميادين القتال . . . وفي ضمائر الناس وقلوبهم . . .

إذ ليس بعد النبي ﷺ وفي عهده من جاهد في سبيل الله جهاد علي (ع) . . . وكان وجوده استمراراً للرسول ﷺ . . . والرسالة . . . والإسلام . . . فهل عرفنا من الخلق عظيماً بعد الرسول ﷺ يلتقي مع المفكرين بسمو فكرهم . . . ومع الباحثين بتنقيهم . . . ومع الخيرين بحبهم العميق للخير . . . ومع ذوي المودات بمودتهم . . . ومع العلماء بعلمهم . . . ومع الزهاد بزهدهم . . . ومع المصلحين بإصلاحهم . . . ومع

المتألمين بالأمهم . . . ومع الأدباء بأدبهم . . . ومع المظلومين بمشاعرهم . . . ومع الأبطال ببطولاتهم . . . ومع الشهداء بشهادتهم . . . ومع كل الإنسانية بما يشرفها، ويرفع من شأنها<sup>(١)</sup> . . .

والتاريخ والحقيقة يشهدان على أنه الضمير الحي في أعماق أي وجدان . . . من وجدان التاريخ والإنسانية . . . من المبادئ والمثل . . . من الإيمان والفقهاء . . . من العلم والمعرفة . . . من الشجاعة والبطولات . . . من الزهد والتصوف . . . وغير ذلك مما يعجز اليراع من تسطيره وتعجز السطور من احتوائه وتفسيره . . .

فهو صوت بالغ العلو من أصوات العدالة الإنسانية . . . والبحر الزاخر بالإيمان والعلم والتقوى . . .

إنه الإمام علي بن أبي طالب . . .

التلميذ الأول للقرآن . . . تلميذ الرسول الأول والأمثل . . . وظله في الإسلام . . . ربيب الوحي . . . وسابق المسلمين في كل سبق . . .

كان هذا . . . وذاك . . . هو علي في علوه وشموخته . . . ولم يكن هناك علي

بعده!!

. . . وقد قال فيه الشاعر الكبير (عبد الباقي العمري) في قصيدته العينية :

ببطن مكة وسط البيت إذا وضعاً	أنت العلي الذي فوق العلا رفعا
في موضع يده الرحمن قد وضعاً	وأنت أنت الذي حطت له قدم
ذي بمخلبه للشرك قد نزعاً	وأنت ذاك الهزبر الأنزع البطل الـ
أي الجهات انتحى يلقاهم تبعاً	وأنت يعسوب نحل المؤمنين إلى
ودرعت لبدتاه الدين فادرعا	وأنت من حمت الإسلام وفرته
ومن بأولاده الإسلام قد فجعا	وأنت من فجع الدين المبين به
ضرع الفواطم في مهد الهدى رضعا	لله در فتى الفتيان منك فتى
رشداً به اجتث عرق الغي فانقمعا	نهج البلاغة نهج عنك بلغنا
من الفضائل إلا عندك اجتمعاً	ما فرق الله شيئاً في خليقته

(١) (الإمام علي رسالة وعدالة) الشيخ خليل ياسين ص ٧٢ و ١١٨ .

أبا الحسين أنا حسان مدحك لا أنفك أظهر في إنشائه البدعا

قال الأديب الكبير «جبران خليل جبران» عن الإمام علي:

(في عقيدتي أن ابن أبي طالب أول عربي لازم الروح الكلية وجاورها وسامرهما... وهو أول عربي تناولت شفتاه صدى أغانيها على مسمع قوم لم يسمعوها من ذي قبل، فتأهوا بين مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم، فمن أعجب بها كان إعجابه موثقاً بالفطرة، ومن خاصمه كان من أبناء الجاهلية...)

مات ابن أبي طالب شهيد عظمته، مات وفي قلبه الشوق إلى ربه...)

مات والصلاة بين شفتيه، مات قبل أن يبلغ العالم رسالته كاملة وافية...)

مات شأن جميع الأنبياء الباصرين الذين يأتون إلى قوم ليسوا بقومهم في بلد ليس ببلدهم، ولكن لربك شأن في ذلك وهو أعلم...).

وعن عمرو بن ميمون، قال:

إني لجالس إلى ابن عباس، إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا:

يا ابن عباس! أما أن تقوم معنا، وأما أن تخلونا هؤلاء...)

فقال ابن عباس: بل أقوم معكم... (وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى).

فابتدأوا فتحدثوا، فلا ندري ما قالوا... فجاء ابن عباس، وهو ينفض ثوبه

ويقول:

أف وثف وقعوا في رجل له عشر... وقعوا في رجل قال رسول الله ﷺ:

١ - لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله... لا يخزيه الله أبداً...)

٢ - وبعث أبا بكر بسورة التوبة... وبعث علياً خلفه، فأخذها منه... فقال:

لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه...)

٣ - وقال لبني عمه: أيكم يوالي في الدنيا والآخرة؟

فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة...)

٤ - وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة...)

٥ - وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على: علي، وفاطمة، وحسن،

وحسين، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣].

٦ - وشري علي نفسه: لبس ثوب النبي، ثم نام مكانه..

٧ - وقال له رسول الله ﷺ:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنك لست بنبي»  
و «إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي».

٨ - أنت وليي في كل مؤمن بعدي..

٩ - وسد أبواب المسجد غير باب علي..

١٠ - وقال ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَإِنَّ مَوْلَاهُ عَلِيٌّ».

... هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل<sup>(١)</sup>.. والبزار.. والطبراني

في الكبير.. والحاكم.. والدارقطني.. ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ.. والنسائي في خصائصه.. والطبري في الرياض النضرة<sup>(٢)</sup>.. وأبو نعيم في حلية الأولياء<sup>(٣)</sup>.. وكنز العمال<sup>(٤)</sup> والهيثمي في مجمع الزوائد<sup>(٥)</sup>.. وفي ميزان الاعتدال للذهبي<sup>(٦)</sup>.

وعوداً إلى حبر الأمة.. عبد الله بن العباس (رض).. يقول عن الإمام

علي: مرة أخرى من مرات عدة.. قال عنه فصدق.. ووصفه فأجاد.. وقد سُئل عن الإمام علي، فأجاب مَنْ سأل.. وكلهم يتسألون عن شخصية ذلك الرجل العظيم الغير مألوفة بعد أستاذه العظيم رسول الإنسانية ﷺ.. قال ابن عباس (رض):

(١) المسند ج ١ ص ٢٣٠.

(٢) ج ٢ ص ٢٠٣.

(٣) ج ٤ ص ١٥٣.

(٤) ج ٣ ص ١٥٥.

(٥) ج ٩ ص ١١٥.

(٦) ج ٢ ص ١٩٤.

(رحمة الله على أبي الحسن . . .)

كان والله علم الهدى . . . وكهف التقى . . . وطود النهى . . . ومحل الحجى . . .  
وغيث الندى . . . ومنتهى العلم للورى . . . ونوراً أسفر في الدجى . . . وداعياً إلى  
المحجة العظمى . . . مستمسكاً بالعروة الوثقى . . . أتقى من تقمص وارتنى . . . وأكرم  
مَنْ شهد النجوى، بعد محمد المصطفى ﷺ وصاحب القبلتين . . . وأبا السبطين . . .  
وزوجته خير النساء . . . فما يفوقه أحد . . . لم تر عيناني مثله . . . ولم أسمع بمثله . . .  
فعلى مَنْ بغضه لعنة الله . . . ولعنة العباد إلى يوم التناد<sup>(١)</sup> . . .

كان ذلك واقع الإمام وحقيقته . . .

(وإن في هذا الواقع ما يُبرز لنا قيمة ابن أبي طالب بمقياس العظمة  
الحقيقية . . . عظمة الإنسان الذي يفكر عميقاً، ويعمل صادقاً ويحيا خيراً، ويموت  
شهيداً . . . ويترك في كل حالاته آثاراً إن أجريتها على محك العقل شمخت  
وتعالت . . . وإن أجريت عليها مقياس الحنان الإنساني، انتفضت وعاشت)<sup>(٢)</sup> .

. . . وقال الكاتب البريطاني (توماس كارليل) عن الإمام علي :

(. . .) فقد كان الإمام علي ألمع أئمة المسلمين وأعظمهم . . . فقد عُرف في  
شبابه وكهولته بالكثير من المآثر وأعمال البطولة التي تخلد شجاعته الفائقة في  
التاريخ . . .

كما عُرف عنه من إخلاص تام وتفان متناه لمعلمه وسيده النبي محمد كما  
عُرف في شيخوخته بورعه وزهده ودماثة خلقه . . . ولا يسع المرء غير المتعصب إلا  
أن يُعجب بشخصيته الملهمة المحبوبة للغاية . . .)

ثم يقول :

(فلا يسعنا إلا أن نحبه ونعشقه . . . فإنه فتى كبير النفس، جليل القدر . . .  
يفيض وجدانه رحمة وبراً . . . ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة . . . وكان أشجع من  
الليث . . . لكنها شجاعة ممزوجة برقة ولطف ورأفة وحنان . . .)

(١) (ذخائر العقبي) ص ٧٨ . . . وأخرجه أبو الفتح القواس .

(٢) (بين علي والثورة الفرنسية) جورج جرداق ص ٣٠٣ .

وقال الخليل بن أحمد، عن الإمام:

(احتياج الكل إليه، واستغناؤه عن الكل.. دليل على أنه إمام الكل).

أما الإمام الشافعي، فقد قال عنه:

(ما أقول في رجل أخفت أعداؤه فضائله حسداً.. وأخفت أوليائه فضائله

خوفاً..).

ويقول الدكتور طه حسين في وصفه لبعض جوانب شخصية الإمام

علي (ع):

(... وجد علي نفسه كأحسن ما يجد الرجل نفسه:

صِدْقَ إيمان بالله ونصحاً للدين وقياماً بالحق واستقامة على الطريق

المستقيمة. لا ينحرف ولا يميل ولا يُدهن من أمر الإسلام في قليل ولا كثير،

وإنما يرى الحق فيمضي إليه لا يلوى على شيء، ولا يحفل بالعاقبة ولا يُعنيه أن

يجد في آخر طريقه نجاحاً أو إخفاقاً، ولا أن يجد في آخر طريقه حياة أو موتاً.

وإنما يعنيه كل العناية أن يجد أثناء طريقه وفي آخرها رضى ضميره ورضى

الله... (١).

.. وإليك ما كتبه الكاتب الأزهري خالد محمد خالد عنه زمن خلافته:

(... والخليفة المتكشّف الذي تُجَبّي إليه الأموال حلالاً طيبة من أقطار

الأرض، ثم هو يلبس قميصاً بثلاثة دراهم!!

الخطيب الذي تهتز الدنيا لكلماته، وهو تخرج من وراء شفّته ناضرة قاهرة!!

الفقيه العالم الذي تتفجر الحكمة من نفسه، وعقله.. ويجري الحق على لسانه

وقلبه..!! العابد.. الورع... التقي... الذي تفوّق على إغراء الدنيا، وأطماع

البشر!! تلميذ «الرسول» الأول، والأمثل!!

ربيب الوحي، وسابق المسلمين!! (٢).

(١) (الفتنة الكبرى) ج ٢ ص ١٦.

(٢) (خلفاء الرسول) ص ٤٤٧.

كما يقول في موضع آخر عن شخصيته الفذه:

(ومن المفارقات العجيبة لشخصيته، إن «براعة المقاتل» فيه، كانت تزلزل خصومه خوفاً وهلعاً.. .

في حين «شرف المقاتل» فيه، كان يملأ نفوسهم طمأنينة وأمناً..!!  
أجل، لطالما تحولت نغمته على أعدائه إلى رحمة بهم بسبب إيمانه الحق بأن القتال الشريف، النبيل، العادل، هو وحده سبيل الرجال، إذا اضطروا لقتال<sup>(١)</sup>.  
... والكاتب الكبير جورج جرداق في كتابه (علي وحقوق الإنسان) يقول في معرض وصفه لعلاقة الإمام بأستاذه الذي رباه:

(... لقد فتح علي بن أبي طالب عينيه على الطريق التي رسمها ابن عمه. وعرف العبادة أول ما عرفها من صلاته، ونعم بعطفه وحنانه وإخائه.. .

فإذا هو من محمد ما كان محمد من أبي طالب!

وخفق قلب علي أول ما خفق بحب ابن عمه.

ونطق لسانه أول ما نطق بما لقنه إياه من رائع القول.. .

واكتملت رجولته أول ما اكتملت لمؤازرة النبي المضطهد!

وإذا كان النبي ﷺ يحب أنصاره، ويحترمه أعداؤه.. . فهل يكون ربيبه

وتلميذه وأخوه علي إلا شيئاً من كيانه! شيئاً عظيماً من كيان عظيم!<sup>(٢)</sup>.

ثم يذكر هذا الكاتب بعضاً عن مفهوم الحرية التي آمن بها الإمام (ع)،

فيقول:

(... ويهزك في ابن أبي طالب من اعترافه للناس، بحريتهم أكثر من هذا.

يهزك فيه هذا الانسجام بين سيرته في الناس... وبين إيمانه بأن الحرية أصل

إنساني لا يجوز فيه التأويل ولا يصح عنه الانحراف.. . فهو معترفٌ بهذا الحق في

الحرية لإصحابه حتى في أخطر المواقف عليه.. .)<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ٣٧٨.

(٢) (علي وحقوق الإنسان) جورج جرداق المجلد الأول ص ٦٠.

(٣) المصدر السابق ص ١٧٣.

وعن آراء الإمام (ع) في حرية الإنسان وحقوقه، يقول د. عبد الحسين شعبان (رئيس المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا):

... للإمام علي (ع) فلسفة خاصة وعميقة بخصوص الحرية وحقوق الإنسان إذا ما حاولنا الاقتراب من مصطلحات الفكر المعاصر، تلك التي أوثقها على نحو شديد بفلسفته للحكم وبمنهجه في التعامل مع الولاة وشؤون الرعية.

وتستند فلسفته تلك بمفاهيمها المتقدمة والمبكرة إلى مبادئ العدل والإنصاف ومعايير الأخلاق ولا يخضع العديد من أحكامها إلى المكان والزمان بما يمنحها الصفة الشمولية التي تستمد قوتها من المثل الإنسانية العليا والقيم البشرية الخالدة..

ويكاد الإمام علي (ع)، يقترب رغم المسافة الزمنية الفاصلة بين حاضرتنا والزمن الذي عاش فيه، من رؤية القرن العشرين (بفارق ١٤ قرناً) للمفاهيم العصرية التي جرى تدوينها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨ والعهدين الدوليين لعام ١٩٦٦، الصادرين عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بخصوص الحقوق المدنية والسياسية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حيث تكاد تجد صدى بعضها في فلسفته.. فكما هو مدون في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:

(يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق. وقد وهبوا عقلاً وضميراً. وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الأخاء) المادة الأولى.

يقول الإمام علي (ع):

«لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً».. وفي ذلك ليس تأكيداً على

أن الإنسان كائن حر، بل فيه تحريض على رفض العبودية..

ثم يقول:

والإمام علي (ع) وإن كان ابن عصره إلا أنه سبقه بمراحل طويلة من خلال نظرتة الإنسانية الثابتة وأحكامه المتقدمة ومثله الأصيلة، وهو ما أعطاه هذا الدور الريادي، والموقع الفكري المتميز، وهي المكانة التي يحتلها المفكرون على مدى



التاريخ البشري الذي هو صراع بين الحرية والاستبداد . . بين العدالة والظلم . . بين المساواة والاستغلال . . بين الخير والشر .

إن حياة الإمام علي (ع) ومدرسته الفكرية والسياسية معنى إنساني كبير . يمكن للمرء أن ينهل منه الكثير بما يساعد في معالجة أوضاع الحاضر، بل والمستقبل أيضاً وفقاً لنزعة الإنسانية المتأصلة . .

وذلك دون استقدام للماضي أو استحضاره على نحو يثير الخلاف والصراع غير المبدئي<sup>(١)</sup> . .

وقال الشاعر (السريجي) المتوفي ٧٥٠ هـ من قصيدة له سرد فيها خصائص

وفضائل الإمام علي(ع):

مَنْ غَيْرِهِ بَطْنُ الْعِلْمِ الْخَفِيِّ وَمَنْ  
وَمَنْ وَقْتُ نَفْسِهِ نَفْسَ الرَّسُولِ وَقَدْ  
وَمَنْ تَصَدَّقَ فِي حَالِ الرُّكُوعِ وَلَمْ  
مَنْ كَانَ فِي حَرَمِ الرَّحْمَانِ مَوْلِدُهُ  
مَنْ غَيْرِهِ خَاطَبَ الرَّحْمَانَ وَاعْتَضَدَتْ  
مَنْ أَعْطِيَ الرَّايَةَ الْغُرَاءَ إِذْ رِبَدَتْ  
مَنْ رَدَّتْ الْكُفَّ إِذْ بَانَتْ بِدَعْوَتِهِ  
مَنْ أَنْزَلَ الْوَحْيَ فِي أَنْ لَا يَسُدُّ لَهُ  
وَمَنْ بِهِ تَظَلَّمَ طِفْلاً وَارْتَقَى كَتْفَ  
وَمَنْ يَقُولُ خَذِي يَا نَارَ ذَا وَذَرِي  
مَنْ غَسَلَ الْمُصْطَفَى مِنْ سَالٍ فِي

سواء قال اسألوني قبل فقداني  
واقى الفراش ذوو كفر وطغيان  
يسجد كما سجدت قوم لاوثان  
وحاطه الله من بأس وعدوان  
به النبوة في سر وإعلان  
نار الوغى فتحامها الخميسان  
والعين بعد ذهاب المنظر الفاني  
باب وقد سد أبواب لإخوان  
المختار خير ذوي شيب وشبان  
هذا وبالكأس يسقى كل ظمآن  
يده أجل نفس نأت عن خير جثمان

(١) د. عبد الحسين شعبان. (مجلة النور) العدد ٥٧ شباط ١٩٩٦ في باب رأي بموضوع (حقوق

الإنسان بين التراث والحداثة).

## وصية الإمام لابنه الحسن . وللأجيال من بعده

.. في ختام هذا الختام من بحثنا هذا . أرى من المفيد جداً أن نختم الجزء الأول من سيرة ذلك الرجل العظيم والفذ الحكيم ، بذكر وصيته لابنه الحسن ..

تلك الوصية التي فيها من روائع الحكم ، ودرر المآثر .. وسعة الإيمان .. وتفقه في الدين .. وتشخيص للحياة الدنيا بما فيها من حلاوة ومرارة .. وفيها ذلك الوصف البليغ المتناهي في الدقة والبيان ، لما بعد هذه الحياة وما يجب أن يؤدي الإنسان فيها لما بعدها ..

وفيه من الوصايا ما تغني المؤمن وغيره عن غيرها من الوصايا .. لأنها جامعة شاملة .. دقيقة ومفصلة ..

رائعة كروعة فهم الإمام علي لله ولنبيه .. ولدينه ودنياه .. ولآخرفته ..

وأرى أن القراء من الشباب خاصة ، يجنون منها .. من هذه الوصية وصايا ثمينة فيها فوائد جمة يحتاج إليها كل من يريد أن يقبل على هذه الحياة وهو يفهمها فهم الحكماء ، ويدرك مكنونها إدراك العلماء ..

في هذه الوصية نفحات عبقة من شذرات ما جاء بكتاب الله سبحانه وتعالى تفسيراً ، وتبسيطاً ، وغوراً في عمق معانيها العميقة .. فيها قبس من نور الأحاديث الشريفة .. والسنة النبوية الكريمة ..

وصفوة القول .. يحق لي القول أن أذكر وأؤكد على أن تلك الوصية هي سيفر واسع من الحكمة والمعرفة .. من الإيمان والفقه .. من عصارة وصايا الحكماء .. بل في مقدمتها وعلى أعلى قممها ..

ومن هذا المنطلق . . وجدت نفسي ملزماً بنقلها من موقعها في نهج البلاغة . . إلى صفحات خاتمة هذا الكتاب . .

ليرتشف من منهلها . . ولدي (خلدون) . . وأقرانه من أولاد القراء . . يقول أبو الحسن في وصيته لابنه الحسن . . تلك الوصية الرائعة التي كتبها إليه في بلدة (حاضرین) الواقعة في نواحي صفين، منصرفاً من معركة صفين . .

« . . . وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَغْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ مُسْتَظْهِراً<sup>(١)</sup> بِهِ إِنَّ أَنَا بَقَيْتُ لَكَ أَوْ فَنَيْتُ .

فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَيُّ بُنْيٍ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالاعتصام بِحَبْلِهِ . وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبِ بَيْنِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ؟ أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ . وَذَلَّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ<sup>(٢)</sup>، وَبَصِّرْهُ<sup>(٣)</sup> فَجَائِعِ الدُّنْيَا، وَحَذِرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفَحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ .

وأعرض عليه أخبار الماضي، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين . . وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعمما انتقلوا وأين حلوا ونزلوا . فإنك تجدهم قد انتقلوا عنه الأجيال، وحلوا ديار الغربية، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدِهِم .

فاصِلِحْ مَنَوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ . .

وَدَعْ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ .

وَأَمْسِكْ عَنِ طَرِيقِ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ . .

(١) مستظهِراً: أي مستعيناً بما أكتب إليك على ميل قلبك وهوى نفسك .

(٢) اطلب منه الإقرار بالفناء .

(٣) وبصره، أي اجعله بصيراً بالفجائع أي المصائب .

وَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ تُكُنْ مِنْ أَهْلِهِ وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَايِنِ<sup>(١)</sup> مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ .

وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ . . . وَخُضِ  
الْغَمْرَاتِ<sup>(٢)</sup> لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ . وَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ . وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ  
عَلَى الْمَكْرُوهِ وَنِعْمَ الْخَلْقُ التَّصَبُّرُ . . . وَالْجِيءَ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا  
إِلَى إِلَهِكَ ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفِ حَرِيْزِ<sup>(٣)</sup> ، وَمَانِعِ عَزِيْزِ .

وَأَخْلِضْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ . . . وَأَكْثِرِ  
الاسْتِخَارَةَ<sup>(٤)</sup> . وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا  
نَفَعَ<sup>(٥)</sup> .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ<sup>(٦)</sup> .  
. . . ثم يقول :

أَيُّ بُنْيِ إِيَّتِي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمَرْتُ عُمُرٌ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي  
أَعْمَالِهِمْ ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَسِرَّتْ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ  
كَأَحَدِهِمْ . . .

بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمَرْتُ مَعَ أَوْلِيهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ . . .  
فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدْرِهِ ، وَنَفَعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ  
كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ<sup>(٧)</sup> ، وَتَوَخَّيْتُ<sup>(٨)</sup> لَكَ جَمِيلَهُ ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ . . .

(١) باين : باعد ، وجانب الذي يفعل المنكر .

(٢) الغمرات : الشدائد .

(٣) الكهف : الملجأ ، والحريز : الحافظ .

(٤) الاستخارة : إجمالة الرأي في الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه .

(٥) صفحاً : جانباً أي لا تعرض عنها .

(٦) أي لا يكون من الحق ، كالسحر ونحوه .

(٧) النخيل : المختار المصفى .

(٨) توخيت : تحريت .

وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَلَدَ الشُّفِيقَ وَأَجْمَعْتُ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِ  
مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ وَمُقْتَبِلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ  
سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ . .

وَأَنْ أُبْتَدِيَنَّكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَأْوِيلِهِ . وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ .  
وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، لَا أَجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ<sup>(٢)</sup> .

ثُمَّ أَشْفَقْتُ<sup>(٣)</sup> أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ  
وَأَرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي التَّبَسَّ عَلَيْهِمْ .

فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتَ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ  
إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنْ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةُ<sup>(٤)</sup> ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوفِّقَكَ اللَّهُ فِيهِ  
لِرُشْدِكَ ، وَأَنْ يَهْدِيكَ لِقَضْدِكَ ، فَعَهَدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ .

. . ثم يقول :

فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ ، وَأَنَّ  
الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ ، وَأَنَّ الْمُفْتِيَّ هُوَ الْمُعِيدُ ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَّ هُوَ  
الْمُعَافِي . . وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَيَّ مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ  
النُّعْمَاءِ<sup>(٥)</sup> ، وَالْإِبْتِلَاءِ ، وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ أَوْ مَا شَاءَ مِنَّا لَا نَعْلَمُ .

فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَيَّ جَهَالَتِكَ بِهِ فَإِنَّكَ أَوْلُ مَا  
خُلِقْتَ خُلِقْتَ جَاهِلًا ثُمَّ عَلِمْتَ .

(١) أجمعت : عزمت ، عطف على يعني الولد .

(٢) لا أتعدى بك كتاب الله إلى غيره ، بل أقف بك عنده .

(٣) أشفقت : خشيت وخفت .

(٤) أي إنك وإن كنت تكره أن ينبهك أحد لما ذكرت لك فإني أعد اتقان التنبيه على كراحتك له أحب  
إلي من إسلامك أي إلقاءك إلى أمر تخشى عليك به الهلكة .

(٥) لا تثبت الدنيا إلا على ما أودع الله في طبيعتها من التلون بالنعماء تارة ، وبالاختيار بالبلاء تارة  
وأعقابها للجزاء في المعاد يوم القيامة على الخير خيراً وعلى الشر شراً .

وما أَكْثَرَ ما تَجْهَلُ مِنَ الأَمْرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَيَضِلُّ فِيهِ بَصْرُكَ، ثُمَّ  
تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

فَاغْتَصِمْ بِالذِّي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّأَكَ . وَلِيَكُنْ لَهُ تَعَبُدُكَ وَإِلَيْهِ  
رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ<sup>(١)</sup> .

واعلم يا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ  
فَارْضَ بِهِ رَائِدًا<sup>(٢)</sup>، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِدًا .

فإِنِّي لَمْ أَلِكْ نَصِيحَةً<sup>(٣)</sup> . وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ (وَإِنْ  
اجْتَهَدْتَ) مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ .

واعلم يا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثارَ مُلْكِهِ  
وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أفعالَهُ وَصِفَاتِهِ .

ولكنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ . لا يُضَادُهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، ولا يَزُولُ  
أَبْدًا . وَلَمْ يَزَلْ أَوَّلَ قَبْلِ الأَشْيَاءِ بلا أَوْلِيَّةٍ<sup>(٤)</sup>، وَآخِرَ بَعْدَ الأَشْيَاءِ بلا  
نِهَايَةٍ . عَظُمَ عَنْ أَنْ تُثَبَّتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ .

فإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَتَّبِعِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ<sup>(٥)</sup>،  
وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي طَلْبِ طَاعَتِهِ،  
وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سَخَطِهِ . فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرَكَ إِلَّا بِحَسَنِ،  
وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ .

(١) شفقتك : خوفك .

(٢) الرائد : مَنْ ترسله في طلب الكلا ليتعرف موقعه . وإن الرسول قد عرف عن الله وأخبرنا فهو رائد  
سعادة .

(٣) لم أفصر في نصحتك .

(٤) فهو أول بالنسبة إلى الأشياء لكونه قبلها إلا أنه لا أولية أي لا ابتداء له .

(٥) خطره : قدره .

ثم يقول:

يَا بَنِي اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ . . فَأَخِيبْ لِغَيْرِكَ مَا  
تُحِبُّ لِنَفْسِكَ . . وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا .

وَلَا تَظْلِمَ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ . . وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ  
إِلَيْكَ .

وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ . . وَأَرْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا  
تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ<sup>(١)</sup> .

وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ . . وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ  
لَكَ . .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ<sup>(٢)</sup> ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الْأَلْبَابِ . .

فَاسْعَ فِي كَذْحِكَ<sup>(٣)</sup> وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ<sup>(٤)</sup> . .

وَإِذَا أَنْتَ هُدَيْتَ لِقُضْدِكَ، فَكُنْ أَحْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ .

ثم يقول (ع):

وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَدِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ  
وَتَكْفُلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ . . وَأَمْرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِبِعْطِيكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ

لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ، وَلَمْ يُلْجِثْكَ إِلَى

مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ . . وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ

بِالنَّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ<sup>(٥)</sup>، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ

(١) إذا عاملوك بمثل ما تعاملهم فارض بذلك ولا تطلب منهم أزيد مما تقدم لهم .

(٢) استحسان ما يصدر عن النفس مطلقاً، وهو خلق من أعظم الأخلاق مصيبة على صاحبه .

(٣) أشد السعي .

(٤) لا تحرص على جمع المال ليأخذه الوارثون من بعدك، بل أنفق فيما يجلب رضاء الله عنك .

(٥) الإنابة: الرجوع إلى الله، والله لا يعير الراجع إليه برجوعه .

أولى . . . وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ،  
وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ . . .

بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ<sup>(١)</sup> عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتِكَ وَاحِدَةً،  
وَحَسَبَ حَسَنَتِكَ عَشْرًا، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ .

فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ . . . وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ<sup>(٢)</sup> فَأَفْضَيْتَ<sup>(٣)</sup> إِلَيْهِ  
بِحَاجَتِكَ، وَابْتَشْتَهَ<sup>(٤)</sup> ذَاتَ نَفْسِكَ<sup>(٥)</sup>، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ،  
وَأَسْتَكْشَفْتَهُ كَرُوبَكَ<sup>(٦)</sup>، وَاسْتَعْتَمْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ  
رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ  
وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ . . .

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَدِنَ لَكَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ .

فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَاطِئَ<sup>(٧)</sup>  
رَحْمَتِهِ . . . فَلَا يَقْنَطَنَّكَ<sup>(٨)</sup> إِنْطَاءُ إِجَابَتِهِ . . . فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ .

وَرُبَّمَا أُخْرِتَ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ وَأَجْزَلَ  
لِعَطَاءِ الْأَمَلِ . وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ وَأُوتِيْتَ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ  
أَجَلًا . . . أَوْ صُرَفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ . . . فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ  
هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيَتْهُ . . .

(١) رجوعك .

(٢) المناجاة: المكالمة سرًا، والله يعلم السر كما يعلم العلن .

(٣) ألقى .

(٤) كاشفته .

(٥) حالة نفسك .

(٦) طلبت كشفها .

(٧) الشؤبوب (بالضم): الدفعة من المطر، وما أشبهه رحمة الله بالمطر ينزل على الأرض الموات فيحييها، وما أشبهه نوباتها بدفعات المطر .

(٨) القنوط: اليأس .



فَلتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ وَيُنْقِي عَنْكَ وَيَأَلُهُ .

فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ . وَلَا تَبْقَى لَهُ . .

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا . . . وَاللَّفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ . . .

وَاللْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ . . .

وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ<sup>(١)</sup> ، وَدَارِ بُلْغَةٍ ، وَطَرِيقِ إِلَى الْآخِرَةِ . . .

وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ .

فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يَذْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالِ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ

نَفْسَكَ مِنْهَا بِالثُّبُوبِ فَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ

نَفْسَكَ . . .

يَا بُنَيَّ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ وَتُنْفِضِي بَعْدَ الْمَوْتِ

إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ حِذْرَكَ . . . وَشَدَّدَتْ لَهُ أَرْكَ<sup>(٢)</sup> ، وَلَا

يَأْتِيكَ بَعْتَةٌ فَيَبْهَرُكَ<sup>(٣)</sup> .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ أَخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا<sup>(٤)</sup> ، وَتَكَالِبُهُمْ

عَلَيْهَا . . فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا<sup>(٥)</sup> ، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ

مَسَاوِيهَا . فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ . . وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ<sup>(٦)</sup> ، يَهْرُ<sup>(٧)</sup> بَعْضُهَا

بَعْضًا ، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا ، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا .

(١) يقال منزل قلعة: أي لا يملك لنازله، أو لا يدري متى ينتقل عنه. و البُلْغَةُ: الكفاية، أي دار تؤخذ منها الكفاية للآخرة.

(٢) قورتك.

(٣) أي يغلبك على أمرك.

(٤) أخلاق أهل الدنيا: سكونهم إليها.

(٥) نعاها: أخبره بموته، والدنيا تخبر بحالها عن فنائها.

(٦) مولعة بالافتراس.

(٧) يهر: أي يمقت ويكره بعضها بعضاً.

نَعَمٌ (١) مُعَقَّلَةٌ (٢)، وَأُخْرَى مِهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا (٣)، وَرَكِبَتْ  
مَجْهُولَهَا سُرُوحٌ عَاهَةٌ (٤) بَوَادٍ وَغَيْثٍ .

لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلَا مُقِيمٌ يُسِيمُهَا (٥) . . .

سَلَكْتَ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ العَمَى . . وَأَخَذْتَ بِأَبْصَارِهِمْ عَن مَتَارِ  
الهُدَى . .

فَنَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا . . وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ،  
وَلَعِبُوا بِهَا، وَتَسُوا مَا وَرَاءَهَا . .

إلى أن يقول:

وَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ  
كَانَ قَبْلَكَ .

فَخَفُضْ فِي الطَّلَبِ (٦)، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ  
إِلَى حَرْبٍ (٧) .

فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ . .

وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَن كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَأَتَكَ إِلَى الرِّغَائِبِ . . فَإِنَّكَ لَنْ  
تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِن نَفْسِكَ عَوْضاً (٨) . .

(١) النعم: الإبل.

(٢) عقل البعير: شدّ وظيفه إلى ذراعه، أي إبل منعها عن الشر عقالها وهم الضعفاء. وأخرى مهملة تأتي من السوء ما تشاء وهم الأقوياء.

(٣) أضاعت عقولها وركبت طريقها المجهول لها.

(٤) المال السائم من إبل ونحوها، والعاهة: الآفة.

(٥) أسام الدابة: سرحها إلى المرعى.

(٦) أي أجمال في كسبه، أي سعى سعياً جميلاً لا يحرص فيمنع الحق ولا يطمع فيتناول ما ليس بحق.

(٧) الحرب: سلب المال.

(٨) إن رغائب المال إنما تطلب لصون النفس عن الابتذال، فلو بذل باذل نفسه لتحصيل المال فقد ضيع ما هو المقصود من المال، فكان جمع المال عبثاً ولا عرض لما ضيع.

وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا .

وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشِرِّ<sup>(١)</sup> ، وَئُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرِ<sup>(٢)</sup> .

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ<sup>(٣)</sup> بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ<sup>(٤)</sup> الْهَلَكَةِ .

وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَأَفْعَل . .

فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمِكَ وَأَخِذْ سَهْمَكَ . . وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ

وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِثْلٍ .

وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ أَدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ<sup>(٥)</sup> .

وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشِدِّ الْوِكَاءِ . . وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ<sup>(٦)</sup> أَحَبُّ إِلَيَّ

مَنْ طَلَبَ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ . .

وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطُّلْبِ إِلَى النَّاسِ . .

وَالْحِزْفَةُ مَعَ الْعِقْفَةِ خَيْرٌ مِنَ الْغَتَى مَعَ الْفُجُورِ .

وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسْرِهِ .

(١) يريد أي خير في شيء سماه الناس خيراً وهو مما لا يناله الإنسان إلا بالشر، فإن كان طريقه شراً فكيف يكون هو خيراً .

(٢) إن العسر الذي يخشاه الإنسان هو ما يضطره لرذيل الأفعال فهو يسعى كل جهده ليتحامى الوقوع فيه فإن جعل الرذائل وسيلة لكسب اليسر فقد وقع أول الأمر فيما يهرب منه، فما الفائدة في يسره وهولا يحميه من النقيصة .

(٣) تسرع .

(٤) المناهل: ما ترده الإبل ونحوها للشر .

(٥) التلافي: التدارك لإصلاح ما فسد أو كاد . ما فرط: أي قصر عن إفادة الغرض أو إنالة الوطر .

وإدراك ما فات: هو اللحاق به لأجل استرجاعه، وفات أي: سبق إلى غير صواب وسابق الكلام لا يدرك فيسترجع بخلاف مقصر السكوت فسهل تداركه . وإنما يحفظ الماء في القربة مثلاً بشد وكانها أي رباطها، وإن لم يشد الوكاء صُبَّ ما في الوعاء ولم يمكن إرجاعه، فكذلك اللسان .

(٦) إرشاد للاقتصاد في المال .

وَرُبَّ سَاعٍ فِيهَا يَصْرُهُ<sup>(١)</sup> . . .

مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ<sup>(٢)</sup>، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . . .

قَارِنِ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنِ أَهْلَ الشَّرِّ تَبَيَّنْ عَنْهُمْ . . .

بِشَسِّ الطَّعَامِ الْحَرَامِ . . . وَظُلْمِ الضَّعِيفِ أَفْحَشِ الظُّلْمِ .

إِذَا كَانَ الرَّفِيُّ خُرْقًا كَانَ الْخُرْقُ رِفْقًا . . .<sup>(٣)</sup>

رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً . . .

وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ<sup>(٤)</sup> . . .

وَإِيَّاكَ وَاتَّكَلَكَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ الْمَوْتَى<sup>(٥)</sup> . . .

وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ . . . وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ<sup>(٦)</sup> . . .

بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً . . .

لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يُؤُوبُ . . .

وَمِنَ الْقَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ<sup>(٧)</sup> وَمَقْسَدَةُ الْمَعَادِ .

(١) قد يسعى الإنسان بقصد فائدته فينقلب سعيه بالضرر عليه لجهله أو سوء قصده .

(٢) هذى في كلامه . وكثير الكلام لا يخلو من الأهجار .

(٣) إذا كان المقام يلزمه العنف فيكون إبدالة بالرفق عنفاً، ويكون العنف من الرفق، وذلك كمقام التأديب والخرق (بالضم) العنف .

(٤) المستنصح: المطلوب منه النصح فيلزم التفكير والتروي في جميع الأحوال لتلا يروج غشى أو تنبذ نصحية .

(٥) المنى (جمع منية): ما يتمناها الشخص لنفسه ويعلل نفسه باحتمال الوصول إليه، وهي بضائع الموتى لأن المتجر بها يموت ولا يصل إلى شيء، فإن تمنيت فاعمل لأمنيتك .

(٦) أفضل التجربة ما زجرت عن سيئة وحملت على حسنة وذلك الموعظة .

(٧) زاد الصالحات والتقوى، أو المراد، إضاعة المال مع مفسدة المعاد بالإسراف في الشهوات وهو أظهر .

وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ . . .

سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ . . .

التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ . . . وَرُبَّ يَسِيرٍ أُنْمَى مِنْ كَثِيرٍ . . .

لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ<sup>(١)</sup>، وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ<sup>(٢)</sup> . . .

سَاهِلِ الدَّهْرِ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ<sup>(٣)</sup>، وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرِ مِنْهُ . . .  
وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَعَ بِكَ مَطِيئَةَ اللَّجَاجِ<sup>(٤)</sup> . . .

أَحْمَلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصَّلَةِ<sup>(٥)</sup>، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى  
اللُّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ<sup>(٦)</sup> عَلَى الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى  
الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُدْرِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ  
عَبْدٌ وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ . . .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ . . .

لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتُعَادِي صَدِيقَكَ . . .

وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً . . .

وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلَذَّ مَغْبَةً<sup>(٧)</sup> . . .

(١) مهين (أما بفتح الميم) بمعنى حقير، فإن الحقير لا يصلح لأن يكون معيناً. (أو بضمها) بمعنى فاعل الإهانة فيعينك ويهينك فيفسد ما يصلح.

(٢) الظنين (بالظاء): المتهم. و(بالضاد) البخيل.

(٣) القعود (بالفتح) من الإبل ما يقتعده الراعي، في كل حاجته، ويقال للبكر إلى أن يشئ وللفصيل. أي ساهل الدهر ما دام منقاداً وخذ حظك من قياده.

(٤) اللجاج (بالفتح): الخصومة أي أحذرك من أن تغلبك الخصومات فلا تملك نفسك من الوقوع في مضارها.

(٥) صرمه: قطيعته، أي الزم نفسك بصلة صديقك إذا قطعك.

(٦) بخله.

(٧) المغبة: العاقبة، وكظم الغيظ وإن صعب على النفس في وقته، إلا أنها تجد لذته عند الإفاقة من الغيظ، فللعفو لذة إن كان في محله، وللخلاص من الضرر المعقب لفعل الغضب لذة أخرى.

وَلَنْ لِمَنْ غَالَظَكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِيَنَّ لَكَ . .  
 وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ (١) . .  
 وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبِقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً تَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَأَ  
 لَهُ ذَلِكَ يَوْمًا مَّا (٢) . .  
 وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ (٣) . .  
 وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ  
 أَضَعَّتْ حَقَّهُ .  
 وَلَا يَكُنْ أَهْلَكَ أَشَقَى الخَلْقِ بِكَ . . وَلَا تَرْعَبَنَّ فِيمَنْ زَهَدَ فِيكَ .  
 وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ (٤) . .  
 وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الإِحْسَانِ . .  
 وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مَنْ ظَلَمَكَ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ . .  
 وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ .  
 وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ :  
 رِزْقٌ تَطْلُبُهُ . . وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ . . فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ .  
 مَا أَقْبَحَ الخُضُوعَ عِنْدَ الحَاجَةِ ، وَالجَفَاءَ عِنْدَ الغِنَى !  
 إِنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ (٥) .

(١) ظفر الانتقام، وظفر التملك بالإحسان. والثاني أحلى وأريح فائدة.

(٢) بقية من الصلة يسهل لك معها الرجوع إليه إذا ظهر له حسن العودة.

(٣) صدقه بلزوم ما ظن بك من الخير.

(٤) مراده إذا أتى أخوك بأسباب القطيعة فقابلها بموجبات الصلة حتى تغلبه ولا يصح أن يكون أقدر على

ما يوجب القطيعة منك على ما يوجب الصلة. وهذا أبلغ قول في لزوم حفظ الصداقة.

(٥) منزلتك من الكرامة في الدنيا والآخرة.

وإن جَزَعْتَ على ما تَقَلَّتْ مِنْ يَدَيْكَ<sup>(١)</sup>، فَاجْزَعْ على كُلِّ ما لَمْ يَصِلْ  
إِلَيْكَ.

اسْتَدِيلْ على ما لَمْ يَكُنْ بِما قَدْ كانَ، فَإِنَّ الأُمُورَ أَشْباهُ. ولا تُكُونَنَّ مِمَّنْ  
لا تَنْفَعُهُ العِظَةُ إِلَّا إِذا بَالَغْتَ في إِيلامِهِ، فَإِنَّ العاقِلَ يَتَعِظُ بالأَدابِ،  
والبَهائمُ لا تَتَعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ..

اطْرَحْ عَنكَ وارِداتِ الهُمومِ بِعِزائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ البِقِينِ..  
مَنْ تَرَكَ القَصْدَ جَارًا<sup>(٢)</sup>..

والصَّاحِبُ مُناسِبٌ، والصَّدِيقُ مِنْ صَدَقَ غَيْبُهُ<sup>(٣)</sup>، والهَوَى شريكُ  
العَناءِ<sup>(٤)</sup>.

رُبَّ قَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، والغَرِيبُ مَنْ  
لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ..

مَنْ تَعَدَّى الحَقَّ ضاقَ مَذْهَبُهُ.. وَمَنْ اقْتَصَرَ على قَدْرِهِ كانَ أَبْقَى لَهُ.  
وأوثقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبُ بَيْنِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ..  
وَمَنْ لَمْ يِيالِكَ<sup>(٥)</sup> فَهُوَ عَدُوُّكَ..

قَدْ يَكُونُ اليَأْسُ إِدْراكًا إِذا كانَ الطَّمَعُ هَلاكَأ.  
لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ ولا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصابُ.. وَرُبَّما أَخْطأ البَصِيرُ  
قَضدَهُ، وَأَصابَ الأعمى رُشدَهُ..

(١) تَقَلَّتْ: تملص من اليد فلم تحفظه، فالذي يجزع على ما فاته كالذي يجزع على ما لم يصله،  
والثاني لا يحصر فينال فالجزع عليه غير لائق فكذا الأول.

(٢) القصد: الاعتدال. وجار: مال عن الصواب.

(٣) الغيب: ضد الحضور أي من حفظ لك حقلك وهو غائب عنك.

(٤) الهوى: شهوة غير منضبطة ولا مملوكة بسلطان الشرع والأدب. والعناء: الشقاء.

(٥) لم ييالِكَ: أي لم يهتم بأمرك. باليته وباليت به: أي راعيت واعتنت به.

أَخْرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ (١).

وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَغْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ.

مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ (٢).

لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ.

إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ.

سَلَّ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ.

إِيَّاكَ أَنْ تَذْكَرَ فِي الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكاً وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ.

وَأِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعِزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ (٣).  
وَكَفَّفَ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِثَاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ.

وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ (٤)، وَإِنْ  
إِسْتِطَعْتَ أَنْ لَا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَافْعَلْ.

وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ  
بِقَهْرْمَانَةٍ (٥). وَلَا تَعُدْ (٦) بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ  
بِغَيْرِهَا.

(١) لأن فرص الشر لا تنقضي لكثرة طرقه، وطريق الخير واحد وهو الحق.

(٢) من هاب شيئاً سلطه على نفسه.

(٣) الأفن: ضعف الرأي. والوهن: الضعف.

(٤) أي إذا أدخلت على النساء من لا يوثق بأمانته فكان أخرجتهن إلى مختلط العامة.

(٥) القهرمان: الذي يحكم في الأمور ويتصرف فيها بأمره.

(٦) ولا تعد: لا تجاوز بإكرامها نفسها فتكرم غيرها بشفاعتها.



وَإِنَّكَ وَالتَّغَايِرُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرَةٍ<sup>(١)</sup>، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السُّقْمِ وَالبَرِيَّةِ إِلَى الرَّيْبِ .

وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ فَإِنَّهُ آخَرَى أَنْ لَا يَتَوَاكَلُوا<sup>(٢)</sup> فِي خِدْمَتِكَ . .

وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ . . وَأَضْلِكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُّكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ . .

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ . .

وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . .  
وَالسَّلَامُ»<sup>(٣)</sup> .

والحق، الحق أقول :

كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْحَقِّ دَائِمًا، حَتَّى صَارَ الْحَقُّ مَعَهُ أَبَدًا . .  
«اللَّهُمَّ أَدْرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ . .»<sup>(٤)</sup> .

. . . وَتِلْكَ سَمَاتُ رَيْبٍ . . رَيْبِ الْوَحْيِ وَسَابِقِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي بَدَأَ حَيَاتَهُ مَعَ بَدْءِ الرِّسَالَةِ، حَتَّى عَاشَ لَهَا وَنَذَرَ حَيَاتَهُ لِنَشْرَاهَا، وَقَدَّمَ نَفْسَهُ قَرِيبًا لِبَقَائِهَا . .  
ذَلِكَ الْهَاشِمِيُّ الَّذِي انْفَرَدَ دُونَ غَيْرِهِ بِالْإِنْتِسَابِ إِلَى أَبِي بَيْنِ هَاشِمِيِّينَ . . وَإِلَى أَبِي رُوْحِي انْتَسَبَ إِلَى السَّمَاءِ بِخُلُقِهِ . . وَإِلَى خَالِقِهِ بِأَدْبِهِ .

. . ذَلِكَ الرَّيْبُ الَّذِي قَدَّرَ لَهُ رَبُّهُ أَنْ يُولَدَ دُونَ غَيْرِهِ فِي بَيْتِهِ الْحَرَامِ . . فَكَمَا قَدَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَبْدَأَ إِسْرَاءَهُ مِنْ تِلْكَ الْبَقْعَةِ الطَّاهِرَةِ قَدَّرَ لِعَلِيِّ أَنْ يَبْدَأَ حَيَاتَهُ فِيهَا . .

(١) التغيرات إظهار الغيرة على المرأة بسوء الظن في حالها من غير موجب .

(٢) يتواكلوا: يتكل بعضهم على بعض .

(٣) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج ٣ ص ٣٨ (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت) .

(٤) (الإمامة والسياسة) لابن فتيحة ج ١ ص ٩٨ .

ليرى النور في ذلك البيت العتيق . . . فكان أول، وآخر من ولد فيه . . . كما  
كتب عليه أن يواجه قدره، ويستشهد في بيت آخر من بيوت الله الجليلة!!  
ذلك المجاهد الذي جاهد في الله حق جهاده للحفاظ على دين محمد بعد  
محمد . . . ولم يجاهد غيره أبداً كجهاده للحفاظ على هذا الدين، بعد رحيل سيد  
المرسلين . . .

ذلك الزاهد العظيم الذي لم يسبقه الأولون . . . ولن يدركه الآخرون!! . . .

وخير ختام نختم به (الجزء الأول) من كتابنا هذا بقوله عز من قال:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [سورة المائدة،  
الآيتان: ٥٥ و٥٦].

ثم إلى لقاء آخر إن شاء الله مع الجزء الثاني من هذا السفر الرائع من حياة  
علي إمام المتقين . . . (جدل الحقيقة والمسلمين . . .)

**محمود العلي**



## المصادر والمراجع<sup>(١)</sup>

- ١ - القرآن الكريم وتفسيره .
- ٢ - الأحاديث النبوية الشريفة .
- ٣ - نهج البلاغة : الشيخ محمد عبده - ابن أبي الحديد .
- ٤ - خلفاء الرسول : خالد محمد خالد .
- ٥ - حياة الإمام علي : محمود شلبي .
- ٦ - الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء) : ابن قتيبة الدينوري .
- ٧ - المستدرک، الحاكم .
- ٨ - الإمام علي رسالة وعدالة : الشيخ خليل ياسين .
- ٩ - عبقرية الإمام علي : عباس محمود العقاد .
- ١٠ - الفتنة الكبرى : د. طه حسين .
- ١١ - حجج النهج : د. سعيد السامرائي .
- ١٢ - علي ومناوئوه : د. نوري جعفر .
- ١٣ - الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء : محمد رضا .
- ١٤ - خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي .
- ١٥ - حياة الصحابة : محمد يوسف الكاندهلوي .
- ١٦ - الإمام علي المختار من حياته وسيرته : د. أياد الحسيني .

(١) أوردنا مصادر هذا الكتاب حسب تسلسلها الوارد فيه، والتي نقلنا عن بعضها بصورة مباشرة وعن البعض الآخر بصورة غير مباشرة.

- ١٧ - تاريخ الخلفاء: الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .
- ١٨ - ملامح من عبقرية الإمام علي : د. مهدي محبوبة .
- ١٩ - علي وحقوق الإنسان : جورج جرداق .
- ٢٠ - بين علي والثورة الفرنسية : جورج جرداق .
- ٢١ - علي وسقراط : جورج جرداق .
- ٢٢ - علي وعصره : جورج جرداق .
- ٢٣ - علي والقومية العربية : جورج جرداق .
- ٢٤ - محمد رسول الحرية : عبد الرحمن الشرقاوي .
- ٢٥ - علي إمام المتقين : عبد الرحمن الشرقاوي .
- ٢٦ - فاطمة الزهراء المرأة النموذجية في الإسلام : الشيخ إبراهيم الأميني .
- ٢٧ - السيرة النبوية (سيرة النبي محمد) : ابن هشام .
- ٢٨ - الاحتجاج : العلامة الطبرسي .
- ٢٩ - ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى : العلامة محب الدين الطبري .
- ٣٠ - حياة محمد : د. محمد حسين هيكل .
- ٣١ - نظرة جديدة في سيرة رسول الله : كونستانس جيورجيو .
- ٣٢ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين : محي الدين الشافعي .
- ٣٣ - الصواعق المحرقة : ابن حجر العسقلاني .
- ٣٤ - الرياض النضرة : العلامة محب الدين الطبري .
- ٣٥ - البداية والنهاية : العلامة ابن كثير .
- ٣٦ - الحاوي للفتاوي : الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي .
- ٣٧ - الدر المنثور : الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي .
- ٣٨ - الرسالة العثمانية : الجاحظ .
- ٣٩ - أسباب النزول : علي بن أحمد الواحدي النيسابوري .
- ٤٠ - من وحي القرآن : د. إبراهيم السامرائي .
- ٤١ - محمد الحقيقة العظمى : عزيز السيد جاسم .
- ٤٢ - مع الصادقين : د. محمد التيجاني السماوي .

- ٤٣ - فاسألوا أهل الذكر: د. محمد التيجاني السماوي.
- ٤٤ - ثم اهتديت: د. محمد التيجاني السماوي.
- ٤٥ - الفصول المهمة: العلامة ابن صباغ المالكي.
- ٤٦ - الملل والنحل: الشهرستاني.
- ٤٧ - جمع الجوامع: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي.
- ٤٨ - مناقب علي ابن أبي طالب: العلامة ابن المغازلي الشافعي.
- ٤٩ - شواهد التنزيل: الحسكاني الحنفي.
- ٥٠ - أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث: محمود أبو رية.
- ٥١ - فجر الإسلام: أحمد أمين.
- ٥٢ - الإمام علي بن أبي طالب: عبد الفتاح عبد المقصود.
- ٥٣ - فضائل الخمسة من الصحاح الستة: مرتضى الحسيني.
- ٥٤ - الصديق أول الخلفاء: عبد الرحمن الشرقاوي.
- ٥٥ - علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة: مجموعة من الكتاب منهم الشيخ د. أحمد الوائلي.
- ٥٦ - أساس التأويل: أبو حنيفة النعمان بن محمد المغربي.
- ٥٧ - ملامح من شخصية الإمام علي: عبد الرسول عبد الغفار.
- ٥٨ - زوائد الفضائل: عبد الله بن أحمد بن حنبل.
- ٥٩ - المراجعات: العلامة عبد الحسين شرف الدين الموسوي.
- ٦٠ - نشأة الشيعة الإمامية: د. نبيلة عبد المنعم داود.
- ٦١ - علي في القرآن: علي محمد دخيل.
- ٦٢ - إحياء العلوم: العلامة أبو حامد محمد الغزالي.
- ٦٣ - ينابيع المودة: القندوزي الحنفي.
- ٦٤ - الكشاف: العلامة الزمخشري.
- ٦٥ - جواهر العقدين في فضائل الشرفين: علي بن عبد الله السمهوري.
- ٦٦ - السنة: ابن أبي عاصم.
- ٦٧ - المعرفة والتاريخ: يعقوب بن سفيان.

- ٦٨ - دعائم الإسلام : أبو حنيفة النعمان المغربي .
- ٦٩ - حقائق التأويل في متشابه التنزيل : الشريف الرضي .
- ٧٠ - الإرشاد : العلامة الشيخ المفيد .
- ٧١ - المسترشد في الإمامة : ابن رستم الطبري .
- ٧٢ - السقيفة : سليم بن قيس .
- ٧٣ - تذكرة الخواص : العلامة سبط بن الجوزي .
- ٧٤ - نزهة المتقين : الإمام الحافظ أبي زكريا محي الدين يحيى النووي .
- ٧٥ - الإمام علي أسد الإسلام وقديسه : روكسي العزيزي .
- ٧٦ - الإمام علي والفلسفة الزمنية : فرح موسى .
- ٧٧ - كيف تصبح سعيداً : محمد الكاتب .
- ٧٨ - نشأة الشيعة والتشيع : العلامة محمد باقر الصدر .
- ٧٩ - الفاروق عمر : د . محمد حسين هيكل .
- ٨٠ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ابن عبد البر .
- ٨١ - الجرح والتعديل : الدارقطني .
- ٨٢ - تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني .
- ٨٣ - الجامع لأحكام القرآن : القرطبي .
- ٨٤ - كنز العمال : علي المتقي الحنفي .
- ٨٥ - الإصابة في تميز الصحابة : ابن حجر العسقلاني .
- ٨٦ - البيان : ألكنجي الشافعي .
- ٨٧ - كفاية الطالب : الكنجي الشافعي .
- ٨٨ - دلائل النبوة : أبي نعيم .
- ٨٩ - الطبقات : ابن سعد .
- ٩٠ - كنوز الحقائق : عبد الروؤف المناوي الشافعي .
- ٩١ - المناقب ، الإمام أحمد بن حنبل .
- ٩٢ - المسند : الإمام أحمد بن حنبل .
- ٩٣ - المناقب : الموفق بن أحمد الخوارزمي الحنفي .

٩٤ - المعجم الكبير: الطبراني .

٩٥ - المحاسن والمساويء: البيهقي .

٩٦ - مصابيح السنة: البغوي .

٩٧ - نور الأبصار: الشبلنجي الشافعي .

٩٨ - فرائد السمطين: إبراهيم بن محمد الحموي .

٩٩ - الصحاح: صحيح مسلم، صحيح البخاري، صحيح أبي داود السجستاني، صحيح الترمذي

١٠٠ - سنن المصطفى: ابن ماجه .

١٠١ - الشرف المؤبد لآل محمد: النبهاني .

١٠٢ - التفاسير: ابن كثير، الطبري، الثعلبي .

١٠٣ - ميزان الاعتدال: العلامة الحافظ الذهبي .

١٠٤ - أنساب الأشراف: البلاذري .

١٠٥ - فتوح البلدان: البلاذري .

١٠٦ - مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي .

١٠٧ - علي والوصية: الشيخ نجم الدين العسكري .

١٠٨ - تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي .

١٠٩ - مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي .

١١٠ - دراسات في نهج البلاغة: محمد مهدي شمس الدين .

١١١ - مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح .

١١٢ - الدولة الأموي والمعارضة: د. إبراهيم بيضون .

١١٣ - الإمام علي: مرتضى المطهري .

١١٤ - كتاب علي: مصطفى قصير العاملي .

١١٥ - عجائب أحكام أمير المؤمنين: السيد محسن الأمين .

١١٦ - السقيفة: محمد رضا المظفر .

١١٧ - علم الأمام: محمد حسين المظفر .

١١٨ - علي ونظام الحكم في الإسلام: محمد باقر الناصري .

- ١١٩ - الاتقان: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي .  
١٢٠ - الجامع الصغير: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي .  
١٢١ - تاريخ دمشق: ابن عساكر .  
١٢٢ - من فيض الرحمن في معجزة القرآن: الشيخ محمد متولي الشعراوي .



## فهرس الموضوعات

١١	المقدمة .....
١٩	الفصل الأول: في حُجرِ رسول الله ﷺ
٢١	● مولده... ووالداه .....
٢٤	أول هاشمي من أبوين هاشميين .....
٣١	● نشأته... وصباه .....
٣٤	أول من صلى مع النبي .....
٣٧	أنا مدينة العلم... وعلي بابها .....
٤٣	● كُناه... وألقابه .....
٤٧	● الفتى... الذي لا فتى غيره .....
٥٤	● وداعاً... يا روابي مكة .....
٦١	الفصل الثاني: مع بنت رسول الله ﷺ
٦٣	● الزهراء (أم أبيها)... وبيت الزوجية .....
٧٥	● ذرية رسول الله ﷺ... من صُلبِ علي .....
٨٠	● أيام الحزن .....
٨٢	● تركة رسول الله ﷺ... ومنها (فدك) .....
٩٠	ماذا يعني سكوت أمهات المؤمنين عن فدك...!
٩٦	● خطبة الزهراء... البليغة .....
١٠٩	● جواب... على جواب .....
١١٤	● الهموم... والرحيل .....
١٢٤	● الإمام علي... زوجاته وأولاده .....

## الفصل الثالث : الجهاد في سبيل الله

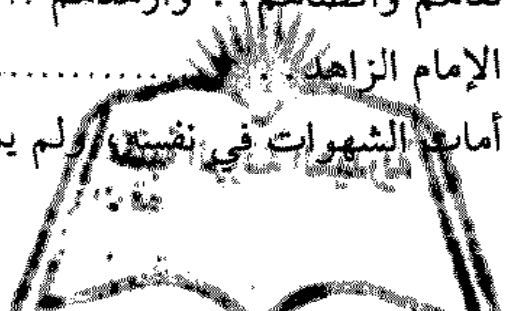
- ١٢٩ .....  
● الإيمان . . . والفداء ..... ١٣١  
● معركة بدر ..... ١٣٥  
● أحد . . . وخسارة المسلمين بحمزه . . . ١٣٩  
● ويمضي سيف علي للدفاع عن دين الله ..... ١٤٧  
● معركة الخندق . . . . . ١٥١  
● من غزوة خيبر . . . إلى معركة حُنين ..... ١٥٨  
● معركة حُنين ..... ١٦٣  
● تبوك . . . واستخلافه على المدينة ..... ١٦٧  
● الجهاد بالموعظة . . . بعد الجهاد بالسيف ..... ١٧٠

## الفصل الرابع : إشكالية الخلافة بعد النبي ﷺ

- ١٨١ .....  
● حجة الوداع . . . أو الحج الأكبر ..... ١٨٣  
● مَنْ كنت مولاه . . . فهذا علي مولاه ..... ١٨٨  
● مصادر حديث الغدير . . . . . ١٩٢  
رواة حديث الغدير ..... ١٩٤  
آية التبليغ أو . . . آية البلاغ ..... ١٩٦  
الرحبة . . . بعد خمس وعشرون عام ..... ٢٠٢  
... وإنه أوصى إلي دون أصحابه، وأهل بيته . . . ٢٠٦  
● بأبي أنت وأمي يا رسول الله . . . طبت حياً وطبت ميتاً . . . ٢١٣  
● آل البيت . . . خارج السقيفة!! ..... ٢٢٧  
مَنْ ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته ..... ٢٣١  
... وبعد السقيفة والمبايعة!! ..... ٢٣٤  
أطيعوني ما أطعت الله . . . . . ٢٣٥  
احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة ..... ٢٣٨  
القدوة في كل قول وعمل . . . . . ٢٤٢  
● أبو بكر . . . أول الخلفاء ..... ٢٤٥

- كانت فلتة . . وكادت تصبح فتنة! ..... ٢٥١
- مبايعة الإمام للخليفة . . . . . ٢٥٤
- الخلافة . . . والخلاف! ..... ٢٥٧
- الخليفة الأول . . للخلافة أهل ..... ٢٥٩
- الأمر كان لعلي ، فإن شاء أخذه لنفسه . . وإن شاء ولآه غيره . . . . . ٢٦٣
- الوصية . . . والشورى ..... ٢٦٦
- . . . نحن أمام وصايا!! ..... ٢٧٠
- الوصية . . والوصي . . . . . ٢٧٣
- الفصل الخامس : هل للإمام علي مقومات الخلافة . . . وخصائص الوصية!! ٢٧٧**
- ريب الوحي . . وسابق المسلمين ..... ٢٧٩
- خصائص الإمام في الأحاديث النبوية ..... ٢٨٤
- ما خصه الذكر الحكيم من آيات كريمة ..... ٢٩٨
- حديث الدار ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٢١٤] ..... ٣١٣
- خصوصية الإمام بوصية الرسول ﷺ في آل بيته ..... ٣١٧
- الصلاة على آل محمد . . . . . ٣٢٣
- مقام الإمام علي (ع) من آل البيت ..... ٣٢٨
- من شهادات عمر لعلي : ..... ٣٣٠
- آية المباهلة . . . وحديث الطير ..... ٣٣٥
- . . . . . وحديث الطير ..... ٣٣٨
- استخلافه في مكة لرد الودائع . . ومؤاخاة النبي ﷺ له ..... ٣٤١
- حديث المنزلة . . والراية يوم خيبر ..... ٣٤٥
- حديث الراية . . يوم خيبر ..... ٣٥٢
- لم يؤمر عليه أحد . . ولم يسد بابه . . وخبر المناجاة ..... ٣٥٥
- سد أبواب المسجد . . إلا باب علي ..... ٣٥٦
- . . . . . والمناجاة ..... ٣٥٩
- أداءه عن النبي ﷺ البراءة ..... ٣٦١

- وصية الغدير، وآية الولاية ..... ٣٦٧
- الإجماع على اجتماع الغدير ..... ٣٧٤
- آية الولاية .. . ..... ٣٧٦
- أشجعهم وأعلمهم .. . ..... ٣٨٥
- سلووني .. . وسلووني ! ..... ٣٨٨
- مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ .. . ..... ٣٩٤
- الأمر الغيبية والمستقبلية .. . ..... ٣٩٨
- أحاديثه عن أمور مستقبلية حدثت .. . ..... ٤٠١
- كلامه دون كلام الخالق .. . وفوق كلام المخلوق ..... ٤١٠
- أنحُ على هذا النحو ..... ٤١٧
- أول مَنْ جمع القرآن .. . ..... ٤١٩
- آثار الإمام علي (ع) .. . ..... ٤٢١
- وعلوم الطبيعة .. . ..... ٤٢٥
- علم الجفر والجامعة .. . ..... ٤٢٧
- علم الحيوان .. . ..... ٤٢٩
- علم الرياضيات .. . ..... ٤٢٩
- فلسفته وحكمته .. . ..... ٤٣٠
- وعلمه بعلم الحديد .. . ..... ٤٣٣
- والأحاديث الموضوعة!! ..... ٤٣٨
- وأبو هريرة .. . ..... ٤٣٩
- مَنْ هو أبو هريرة!! ..... ٤٤٣
- أقل الناس قيمةً أقلهم علماً .. . ..... ٤٤٦
- الهمُّ أشد جنود الله .. . ..... ٤٤٩
- قبس من آرائه العلمية ..... ٤٥٠
- أتقاهم وأقضاهم .. . وأزهدهم ..... ٤٥٨
- الإمام الزاهد ..... ٤٦٩
- أمانع الشهوات في نفسي .. . ولم يمت نفسه في الشهوات .. . ..... ٤٧٥



٤٧٧ ..... وتواضعه . . .

٤٨٠ ..... أفضى أمتي علي . . .

٤٨٨ ..... المبادئ التي سار عليها الإمام علي (ع) في قضائه . . .

٤٩١ ..... إن الله سيهدي لسانك . . .

٤٩٥ ..... رأي وسمع ما لم يرى وما لم يسمع غيره . . .

٤٩٨ ..... أقواله في ذكر الوصية بمواقف مختلفة . . .

٥٠٥ ..... الوصاية في الشعر . . .

٥١١ ..... الفصل السادس: لماذا سكوت الإمام علي (ع) عن حقه في الخلافة!

٥١٣ ..... الإمام أمام ثلاث حالات . . .

٥١٨ ..... سنده في حقه . . .

٥٢٠ ..... السقيفة . . . مرة أخرى . . .

٥٢٣ ..... العوامل التي ساعدت الخليفة الأول أن يكون أول خليفة . . .

٥٢٧ ..... الشورى الخالية من مشورة المسلمين . . .

٥٣٦ ..... الشورى وعنصر المفاجأة . . .

٥٤٣ ..... تحول الخلفاء عن الشورى . . .

٥٤٩ ..... سر سكوت الإمام عن حقه!! . . .

٥٤٩ ..... ١ - لتبقى راية الإسلام مرفوعة . . .

٥٥٧ ..... ٢ - زهده بالخلافة بسبب زهده في دنياه . . .

٥٦٩ ..... ٣ - العصية . . . والضغائن . . .

٥٧٧ ..... ٤ - اصبر حتى تلقاني مظلوماً . . .

٥٨٠ ..... ٥ - ممن تولى الخلافة صحابي جليل . . .

٥٨٥ ..... الفصل السابع: خير الأنام من بعد طه

٥٨٧ ..... ختام البحث . . .

٥٩٧ ..... وصية الإمام لابنه الحسن . . . وللأجيال من بعده . . .

٦١٤ ..... المصادر والمراجع . . .

٦٢٠ ..... فهرس الموضوعات . . .





# الإمام علي

جدل الحقيقة والمسلمين

(الوصية... الشورى)

للموصول إلى الحق مداخل متعددة منها الحقيقة... وعلي بن أبي طالب (ع) ذاته هو الحقيقة العظمى بعد الرسول الأعظم (ص)، الذي كان ولا يزال جدلها... في هذا الكتاب متولج أعماقتها من خلال دراستنا للحقائق التي وضعت الإمام في أسنى مراتبها حتى أوصلته إلى قمم الحق...

وفي ذلك قال خاتم المرسلين (ص): «علي مع الحق، والحق مع علي». الإمام علي... جدل الحقيقة والمسلمين: فيه جدل للحقيقة الموصلة الحق للإمام، والموصلة الإمام للحق... جدل في مواضيع مختلفة، أصبحت مثاراً لمناقشة المؤرخين والرواة والباحثين، منها:

١ - إسلام أبي طالب، ودوره في نصرة النبي (ص)... وهل مات علي غير الإسلام؟؟  
٢ - خلافات الزهراء مع الخليفة الأول، ومنها فداك، ولماذا فداك وحدهما!! وهل كانت دوافعها سياسية، أم ماذا!!! ثم لماذا رحلت فاطمة وهي مغاضبة لأبي بكر غير راضية عنه؟

٣ - الوصية... وجودها ونكرانها! وأهلية الإمام علي للوصية (إن كانت هناك وصية). وهل كانت الوصية به، أم له؟ وهل هو أفضل الصحابة حتى تخصصه الوصية بتوحيها وحده!

ثم ما هي فضائله، وما هي خصائصه؟ ولماذا الجدل في ذلك!!!  
٤ - الشورى، ومدى شرعيتها، وهل أوصى الرسول (ص) بها؟ أم أنه أوصى لوصي يخلفه بعده؟ أم أنه سكت عن ذلك!!!

هل كانت الشورى خالية من مشورة المسلمين؟ ولماذا تحولت إلى وصاية بمد أن تخلى عنها الخلفاء! وكيف كانت الخلافة فلتة، وكادت تصبح فتنة!!!  
٥ - هل كان الإمام علي مدع لحق ليس له حق فيه، ولماذا سكت عن حقه إن كان له حق؟! وهل أجبر علي مبايعة الخلفاء الذين سبقوه؟

مؤلف هذا الكتاب أثبت بالبراهين القاطعة وجود الوصية لعلي بن أبي طالب (ع)... كما أثبت بالوقائع التي لا شك فيها شرعية خلافة أبي بكر وعمر وعثمان (رضي). فكيف جمع المؤلف بين هذا وذاك!!!

٦ - في هذا الكتاب دراسة للأحاديث النبوية ورواياتها، ومنها أكثر الرواة، رواية أبو هريرة، ومدى صحة تلك الأحاديث التي كانت المؤثرات السياسية تتحكم في صياغتها... وفيه غير ما ذكرنا من بحوث مختلفة، لا سيما منها التي لم تأخذ حقها من المؤرخين والكتاب والباحثين...

الإمام علي جدل الحقيقة والمسلمين: كتاب فيه جدل متجرد لتلك الحقائق حيث تأخذنا مسطوره إليها، لتصل بعدها إلى الحق الذي ننشده جميعاً.